جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

إنباء الغمر بأبناء العمر

لشيخ الإسلام
الحافظ ابن حجر العسقلاني
٧٧٣ - ٨٥٢ هـ

الجزء الرابع

٨٣٩ - ٨٥٠ هـ

تحقيق وتعليق
الدكتور حسن حبشي

القاهرة
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق المبدع المصور

أما بعد . .

فهاهو ذا الجزء الرابع والأخير من كتاب إنباء الغمر بأنباء العمر لشيخ الإسلام وأمير المؤمنين فى الحديث فى عصره ابن حجر العسقلانى ، نحمده تعالى على أن وفقنا إلى إنجاز تحقيقه على هذه الصورة التى نرجو أن تنال رضاء القارىء ، وما كنا بمنجزيه لولا فضله جل جلاله .

وليس عندى مأقوله بين يدى هذا الجزء إلا أن أشكر لجنة التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف بالقاهرة اذ أخرجته على هذا النسق ، ولا أنسى المساعدة الكريمة من الإخوة الكرام الأساتذة المرحوم عبدالمنعم عمر طيّب الله ثراه ، والاستاذ فهيم محمد شلتوت والدكتور رمضان عبدالتواب والدكتور حامد عبدالمجيد والدكتور أيمن فؤاد ، فقد كان لكل منهم ملاحظاته النابعة من رغبة صادقة فى إخراج « إنباء الغمر » على أكمل وجه مستطاع وإن كان الكمال لله وحده . وقد كنا نختلف تارة حول بعض هذه الملاحظات ونتفق تارة أخرى ، وأثبتُّ بعض ما أشاروا به فى حواشى الكتاب مقرونة بأسمائهم . فلهم شكر المقر على ما أبدوا وأسدوا : إخوة كراما : وزملاء أفاضل ، ومحققين صادقين ، وعلماء أجلاء .

وأسأل الله تعالى التوفيق . . .

٣٤ ش عمر بن الخطاب ـ الدقى
السبت ٧ مارس ١٩٩٨

أ.د. حسن حبشى



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة اللجنة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم ، أما بعد . . .

فهذا هو الجزء الرابع والأخير من هذا الكتاب الجليل : « إنباء الغمر بأبناء العمر » لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى . وقد طال الأمد على صدور هذا الجزء والذى به تم الكتاب ، فقد مضى على صدور الجزء الثالث ، حوالى خمسة وعشرين عاما .

ولعل السبب فى هذا التأخير ، يعود إلى وجود المحقق فى الخارج ، لأداء الحق الواجب تجاه أبناء العربية ، وإخوة الإسلام فى بعض البلاد العربية ، من جانب ، وإلى بعض مايعترى ميزانية النشر فى المجلس من قصور أحيانا ، من جانب آخر .

•••

ويسير ابن حجر العسقلانى فى هذا الجزء على النمط الذى اختطه لنفسه فى أول الكتاب إلى آخره ، فهو يتناول الأحداث التى تمت ، فى خلال المدة التى يؤرخ لها عاما بعد عام ، وهى فى هذا الجزء الرابع من سنة (٨٣٩ هـ) إلى سنة (٨٥٠ هـ) ويبدأ فى كل عام بالحديث عن مستهله بواحد من أيام الأسبوع ، وما يوافقه من أيام شهور السنة القبطية ، وأحوال النيل فيه من الزيادة والنقصان ، والاحتفال بالفيضان . كما يتحدث عن أحوال حكام البلاد ورسلهم ، وتوليتهم وعزلهم ، وموت السلاطين وخلافة من بعدهم ، والحروب والمنازعات بين الحكام ، وغلاء الأسعار ورخصها ، وأخبار الهدايا والخلع ، والمحمل والكسوة الشريفة للكعبة ، وأحاديث الأوبئة والطاعون ، وبدايات فصول السنة ونهاياتها ، وأحوال الجو وتقلباته .

ثم يأخذ ابن حجر بعد ذلك ، فى ذكر من مات فى هذه السنة أو تلك من الأعيان ، فيذكر اسمه ونسبه ، وشيئا من علمه وصلاته بعلماء عصره ، والشهر الذى توفى فيه . وكان ابن حجر العسقلانى صديقا لبعض هؤلاء الأعيان ، فيذكر شيئا من علاقاته بهم ، كما يصف خطوطهم ، وتلقى بعضهم العلم عنه ، أو إجازتهم لأولاده . وهو يسىء الظن ببعضهم أحيانا ، ويمدح معظمهم فى كثير من الأحيان .

أما محقق هذا الجزء ، فهو المؤرخ المشهور ، الأستاذ الدكتور حسن حبشى ، وهو محقق الأجزاء الثلاثة الأولى . وقد سار فى تحقيق الكتاب كله على المنهج الصارم لتحقيق النصوص ، بين المقابلة ، والتخريج ، والضبط . وشرح الغامض ، والوقوف أمام المشكل ، وغير ذلك .

وقد التزم المحقق بصنع الفهارس اللازمة للكتاب كله ، ورتبها على النسق المطلوب للنصوص التاريخية وغيرها ، بحيث تتيسر الإفادة المرجوة من الكتاب بأجزائه الأربعة على أحسن وجه .

وقد شارك بعض أعضاء لجنة التراث فى مراجعة الأصول ، وكان لهم بعض الآراء الصائبة فى شىء غير قليل من نصوص الكتاب ، بحيث أصبح هذا الجزء مشرق الوجه ، خاليا من الشوائب والأوهام .

وإن لجنة إحياء التراث الإسلامى ، وهى تصدر هذا الجزء الأخير من الكتاب ، ليسعدها أن تتقدم بالشكر الخالص ، والثناء العاطر ، للأستاذ الدكتور حسن حبشى ، على مابذله من وقت وجهد ، فى التحقيق والتتبع ، وصنع الفهارس الكاملة . كما يسعدها أن تشكر كل من أسهم من أعضائها فى المراجعة وإبداء الرأى .

أما أنت أيها القارىء الكريم فى مصر والعالم العربى والإسلامى ، فإليك هذا الجهد الصابر لواحد من ألمع علماء العربية ، يشهد شهادة حق ، على أن هذا التراث العربى الخالد ، جدير بالاحترام ، وصالح لأن يكون مشعل حضارة فى كل زمان ومكان ، يفضح الظلام ، ويظهر زيف دعاوى التنوير ، التى امتلأت بها الساحة العربية ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

أ . د . رمضان عبدالتواب **أ . عبدالمنعم محمد عمر**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سنة تسع وثلاثين وثمانمائة

استهلّت [١] بالخميس ، ووافق ذلك رابع مِسْرى من شهور القبط ، وبلغت زيادة النيل فيه إلى دون خمسة عشر ذراعاً ، ثم وقع الوفاء ، وكُسِر الخليج فى يوم الاثنين خامس المحرّم - ووافق ثامن مِسْرىَ - وكان نظير ذلك فى العام الماضى فى سابع مسرى ، وزاد من الذراع السابع عشر أربع أصابع [٢] ، وباشر ذلك ولدُ السلطان ، وكان يوما مشهودا ، وسُرّ الناس بذلك وتباشروا بانحطاط السعر ، ولله الحمد .

واستمرَّت الزيادة بعد ذلك إلى أن كان فى آخر يوم من مِسْرى وقد انتهى إلى تسعة عشر ذراعا سوى إصبع واحدة ، ولم يُعْهد مثل هذا فيما مضى من السنين سوى فى السنة الماضية ، والله المحمود على كل حال .

•••

وفيه وصل إلى حلب رسل من قبل جانبك الصوفى ، فبلغ السلطان ذلك فجهَّز لنائبها بقَتْلهم فقُتِلوا ، ثم تبين أن ذلك كان فى آخر السنة الماضية .

وكان النيروز يوم الثلاثاء خامس صفر ، وكانت السنة القبطية كبيسة [٣] ، ولم يلعب أحد فيه لنهى السلطان عن ذلك .

وبلغت زيادة النيل فيه تسعة عشر ذراعا وثمانى عشرة إصبعا ، وساوى العام الماضى فى ذلك وزاد ثلاث أصابع ، ثم زاد فى أول يوم من توت إصبعين ، وفى الثانى منه إصبعا ، وكان فى العام الماضى قد نقص فى أول يوم من توت أربع أصابع ، ومع ذلك فلم تُرْوَ عدّة بلاد من الجيزية التى كان من شأنها أنْ تُرْوى من ست عشرة لفساد الجسور ، والأمر لله ، ثم يسّر الله أن زاد حتى وفى قَدْر العام الماضى ، ولم يكن أحدٌ يظنّ ذلك . وانتهت زيادةُ النيل فى أول يوم من بابه إلى عشرين ذراعاً وعشرين إصبعا . ورُئى [هلال] [٤] شهر ربيع الأول ليلة

---

(١) وردت قبل هذا فى نسخة « ز » العبارة التالية : « احسن الله ختامها » .

(٢) الوارد فى الأصل « اربعة » ، وقد دابت هذه النسخة على تذكير « الإصبع » إفراداً وجمع . وذكر الأنبارى فى البلغة انها مؤنثة . وإن قال البستانى فى الواق (طبعة لبنان ، ١٩٨٠) ص ٣٣٤ ، انه يجوز فيها الوجهان . وقد اعتمدنا الأصح فيها يلى كلما وردت كلمة « إصبع » .

(٣) هكذا فى جميع النسخ ، ولكن المعروف أن السنين القبطية متساوية .

(٤) إضافة يقتضيها السياق .

السبت ، وثبت ذلك فلم ينقص منه إلى الرابع من شهر ربيع الآخر سوى قدر ذراع ، ودخل هاتور من الأشهر القبطية وهو على ثباته ، وتأخرّ زمانُ الزرع عن العادة وضجّ الناس من ذلك ، وغلا السعر فى القمح وغيره الى أن بلغ القمح نحو الدينار ثم تناقص .

وفيها استدعى شاه رخ قرايلك ، وأمره بقتال اسكندر ، فكان ما حكيناه [1] فى السنة الماضية .

ووصل أحمد بن شاه رُخّ نجدةً لقرايُلُك ، فلقوا اسكندر على « ميافارقين » [2] ، فقُتل من الفريقين جَمع جم ، وانهزم اسكندر إلى بلاد الروم فوصل إلى « آق شهر » [3] ، وكاتب صاحب مصر فقام متوليها بخدمته ، ودَلّ عليه أحمد بن شاه رخ فسار فى طلبه ، فتبعه العسكر فانهزم ، ودخل « توقات » [4] من بلاد الروم ، فأرسل صاحبها يستأذن ملك الروم : مراد بن محمد بن عثمان فى أمْره ، فأرسل له هديةً بما قيمته عشرة آلاف دينار وأمره بإكرامه ، فإلى أن يصل إليه ذلك جرى على عادته من الفساد والنّهب ، فشقّ ذلك على متولى « توقات » وراسل صاحبه فأمَر بردّ الهدية وإخراج اسكندر من بلاده ، فسار إلى جهة البلاد الفُراتية ، وراسل شاه رُخ ملوكَ الروم وجهّز لهم خِلعاً ، وأمرهم بطرد اسكندر وتمليك ابنه أحمد بن شاه رخ مُلْكَ الروم ، وتزوّج بنت قَرَايُلُك . ولما وصل الخبر للسلطان شرع فى التجهيز للسفر وعَرْضِ أجنادِ الحلقة .

•••

وفى الثالث من شهر ربيع الأول خُلع على شرف الدين أبى بكر بن سليمان الحلبى - سبط ابن العجمى - كبيرِ الموقعين ونائب كاتب السر بحلب - بكتابة السر بحلب ، وقرّر ولده مكانه فى جهاته ، وهو معين الدين عبداللطيف [5] ، وجهّز إلى كاتب السرّ بها زين الدين

(١) راجع إنباء الغمر ٣/٥٤٣ - ٥٤٤ .

(٢) ميافارقين من بلاد إقليم الجزيرة وقد اطلق العرب هذا الاسم على بلاد ما وراء النهر العليا ، ويرى لى سترانج فى كتابه بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة يوسف فرنسيس وبشير عواد ، ص ١٤٣ ، ان هذا الاسم إما ان يكون تحريفا لكلمة « ماى فاركاث » MAYPHARKATH الآرامية او « موفركين » الأرمنية MOUFARGIN على ان الثابت عنده هو ان اسمها القديم اليونانى هو « مرتيروبوليس » MARTYROPOLIS اى مدينة الشهداء . وقد ذكر ياقوت فى معجمه ان اسمها عند الروم هو « مدرو صالا » اى مدينة الشهداء ، وقال إنها مبنية بالحجر الأبيض وحافلة بكثير من الكنائس .

(٣) « آق شهر » ويعنى بها « البيضاء » وهى من بلاد الروم ، وكانت تخرج منها الطرق المؤدية إلى فارس وكذلك تنتهى عند سيواس وارزن الروم .

(٤) « توقات » وقد يقال لها « دوقاط » من الأماكن الهامة التى قامت فيها حكومات إسلامية كان اعظمها ماظهر فى العصر السلجوقى . انظر لى سترانج : شرحه ص ١٧٩ .

(٥) كان مولده بالقاهرة سنة ٨١٢هـ ، وقد اشتغل فى الفقه على الشرف السبكى وبرع فى صناعة الانشاء وتخرج فيها بأبيه ثم باشر التوقيع واستقر بعدئذ فى نيابة السر سنة ٨٤٤ هـ سنة مات ابوه . راجع السخاوى : الضوء اللامع ٤/٨٩٦ .

عمر بن السّفاح ، لأنّ كاتب السر ابن السفاح بحلب كتبَ يحذّر من غائلة قرقماس ، فراسل يطلب الحضور ، وصادف توجّه النّجاب بطلبه فسبق قاصدُه فعرف السلطان براءته مما رُمِىَ به ، وأذن له فى المجىء ، وضيق على ابن السفاح وعزله من كتابة السرّ ، وأمره بالقدوم ثم شُفِعَ فيه أن يستمر بطّالاً . وتوجه شرف الدين ، واتفق قدوم قرقماس على الهجن فى أربعة عشر يوما فى سادس ربيع الأول ، فلما قدم أكرمه .

وفى صبيحة وصوله خُلِع عليه أمير سلاح عوض جقمق ، وخلع على إينال الجكمى الأمير الكبير بنيابة حلب ، وعُيِّن جقمق ـ الذى كان أمير سلاح ـ فى وظيفته وعوتب قرقماس بأنه راسل جانى بك الصوفى فتنصّل ، وكان ما سيأتى .

ثم سافر إينال الجكمى وشرف الدين [أبوبكر بن سليمان] [١] فى الرابع عشر من شهر ربيع الأول إلى مدينة حلب ، وخُلع على جقمق بما كان الجكمى فيه قبل ذلك ، وخلع عليه أيضا بنظر المارستان فى السادس عشر منه .

والعجب أنه [٢] بعد ثلاث سنين ولى السلطنة فى هذا الشهر وحَضَر المولد السلطانى فى الثالث عشر منه ، وجلس رأسَ الميمنة ، وجلس قرقماس رأس الميسرة ، ثم جاء ولد السلطان فجلس فوقه ، وكان السرور طافحا على وجه جقمق ، وقرقماس مكتئب .

•••

وفى حادى عشر ربيع الآخر وصل الخبر بموت قَصْروه نائبِ الشام فقُرر مكانه إينال الجكمى الذى توجّه قريبا إلى حلب ، وتوجه القاصد إليه بنقله من حلب إلى دمشق ، وقُرِّر تِغْرِى بَرْمُش أمير آخور التركمانى نائبا بحلب ، فسار فى أوّل الشهر إلى جهة حلب ، وخرج فى تجمل زائد ، وقرر عوضه جانم ـ أخو السلطان الأشرف من أمه ـ أمير آخور . وخلع عليه فى سابع جمادى الأولى أيضا وأمّرَ تَغْرى بَرْدى المؤذى تقدمة .

وورد كتاب صاحب حصن كيفا يخبر فيه بمنازلة شاه رخ تبريز ، وإذعان اسكندر بن قرايوسف له ، ثم ظهر أن اسكندر انكسر ودخل شاه رخ تبريز ، ونزل من قراباغ [٣] لِيُشَتِّى

(١) اضيف مابين الحاصرتين لزيادة التعريف به ، انظر السخاوى شرحه .

(٢) الضمير هنا عائد على السلطان جقمق .

(٣) فى الأصل « باغ » ، والمثبت هنا من هامش هـ ، وتفسير هذه الكلمة المركبة هو ان « قرا » يعنى بها « الأسود » ، و« باغ » ويقصد بها البستان وقد جاء فى معجم ياقوت قوله : « وقد يقال لها باغ » .

فيها ، وأرسل عسكراً مع ولده ابراهيم يتبع اسكندر ، فدخل اسكندر بلاد صاحب مصر واستأذنه فى الإقامة بها ، وجاءت رُسُله ، فأجابه الأشرف [بَرْسْباى] لذلك ، وأرسل إليه هدية ، وآثره بجملة من المال .

•••

وورد كتاب نائب مَلَطْيَة يخبر فيه بإمساك جانى بك الصوفى ، وتاريخه ثامن عشر شهر ربيع الأول ، ثم أحْضِرَتْ رأس عثمان بك قَرَايُلُك وولده وعُلّقَتَا بباب زويلة ، وكان وقع بينه وبين قوم آخرين من التركمان حرب فسقط عن فرسه فى المعركة فلم يَشْعر به إلّا بعد يومين فعُرِف ، وكوتب السلطان فأمر بإحضار رأسه ، وشَرَح نائبُ ملطية أموراً ،فأرْسِلت إليه هدية ، وأمّر .

ووصل قاصد من « ذُلْغَادِر » يخبر بإمساك جانى بك . ووصل جمال الدين يوسف بن عبدالله الكَرَكى قريب ابن الكُويْز الذى كان وَلِى كتابة السر بعد موته [١] قَدْر نصف سنة ختامَ سنةِ ستٍ وعشرين وأوائل سنة سبع وعشرين ، ثم صُرِف ، ثم أعيد مدة فوصل مطلوباً فى أول يوم من شهر ربيع الآخر فَتوَعك واستمرَّ إلى أن خُلِع عليه السبت سادس جمادى الأولى بكتابة سرّ الشام ، وصُرِف عن نظر الجيش فاستقر فيه بهاء الدين بن حجّى ، وكان وليها مدّةً قبل هذه .

•••

وفى أواخر شهر ربيع الآخر غلا سعر القمح فتزايد ، وقَلَّ الخبزُ من الحوانيتِ فضجَّتِ العامَّة فأمَر السلطان بفتح الشون والبيع منها فمشى الحال قليلا ، وتزايد السعر إلى أن بلغ القمح أربعمائة ، والفولُ مائتين ، والشعير مائةً وسبعين ، وسكن الحال بوجود ذلك ، وبيع الرغيف الذى زنته نصف رطل بدرهم ، ونصفُ قنطار من الدقيق ـ ويسمى عندهم بطّة ـ بثمانية وعشرة ، وهذا كله والرىّ قد شمل الأرض قبليها وبحريها ، فكيف لو كان فيه تقصير !! اللهم [٢] الطف بعبادك يارب العالمين .

وفيها قبض على جانبك [٣] الصوفى ، وقد تقدّم ذكر ظهوره فى السنة الماضية فأتفق أنه توجه هو وقَرْمش الأعور وابنُ سَلَامُشْ وابن قُطْلُبَك إلى محمد بن قَرَايُلُك فقوّاهم فنازلوا قلعة

(١) اى بعد موت ابن الكويز .

(٢) العبارة من هنا حتى آخر الجملة ساقطة من نسخة «ز» .

(٣) يرد رسم هذا الاسم هنا على صورتين ، إحداهما « جانى بك » والأخرى « جانبك » والرسم الأخير هو الغالب فى ثنايا الكتاب .

« دوركى » ونهبوا ما حولها ، ثم توجّه محمد إلى أبيه بأمر شاه رخ لقتال اسكندر ، وتوجه جَانبك ومن معه إلى ملطية فحصروها ، فأظهر له [سليمان بن ناصر الدين بن ذُلْغَادِر] (١) أنه معه ، فكتب إليه أن يقدم عليه فقدم فى مائة وخمسين فارسا فتلقّاه جانبك الصوفى فأظهر له المناصحة حتى اطمأن إليه ، ثم غدر به وقبض عليه ، وتوجه به ليلاً حتى دخل الأُبُلسْتَيْن ، وكتب إلى نائب حلب يعلمه بأنه قبض عليه فى سابع عشر ربيع الأول ، ويريد نقله فى مقابلة خمسة آلاف دينار ، فجهّز نائب حلب كتابه إلى السلطان بمصر ، وجهّز ناصرَ الدين ولده سليمان إلى صاحب مصر للإعلام بذلك وبخبر جَانِبَك ليتخذ عنده يداً بذلك كى يطلق ولده فياضا ، ولم يكن بلغه إطلاقه ، وفى غضون ذلك وصلَتْ خديجة وابنها فياض .

وأرسل جانبك كتاباً إلى بَلبان نائبْ « دَرَنْدَة » يستميله فقبض على قاصده وسجنه ، وأرسل كتابه إلى الأشرف ، فتحقق غدْر ابن ذُلْغَادِر ، ووقع الإرجاف بأمر جانبك ، وكثر القال والقيل ولاسيما مِمن يتعصب له ، وكان ناصر الدين قبل ذلك نازَلَه تَغْرِى بَرْمَش نائب حلب ففرّ منه ، فأمر أهلَ الأبلستين بالرحيل منها وأحرقها ، ونهب العسكر من بقى بها ، فكانت غيبته خمسين يوماً .

•••

وفى شوال رجع شاه رخ إلى الشرق ، واستناب بتبريز « شاه جهان » وأنعم عليه بجميع نساء اسكندر بن قرايوسف ، ووجد مع جانبك ـ بعد القبض عليه ـ كتاب شاه رخ يحرّضه على أخْذ البلاد الشامية ، ويعده بأنّه يرسل إليه ولده أحمد نجدةً بالعساكر ، فقلق صاحب مصر من ذلك ، وكتب إلى نواب الشام بالاستعداد .

وفى ربيع الآخر نودى بعرْض أجناد الحلقة فعُرِضوا على السلطان فقال : « اخرُجوا كلكم ، من قدر على فرسٍ ركب فرسا ، ومن قَدَر على حمار ركب على حمار » .

•••

وفى سابع عشره ورد الأمير شاهين الأيْدَكارى وصُحْبته قُصّادُ إسكندر بن قَرا يوسف ، ومعهم رأس قَرَايُلك ورأسا ولديْه ، فأمر السلطان بالرؤوس فَطِيف بها ، وازّيَنت القاهرة ، وعلقت الرءوس على باب زويلة ، وحُمِل إلى إسكندر مال .

(١) هو سليمان بن ناصر الدين بن محمد بن ذلغادر ، نائب ابلستين وامير التركمان بها ـ وكانت وفاته سنة ٨٥٨ هـ ، انظر السخاوى : الضوء اللامع ١٠١٧/٣ .

وفى سابع عشريه تَجَهَز شادِى بَك رأس نَوْبة بمال وفرسٍ وسرج ذهب وكُنْبُوش زركش إلى ناصر الدين بن ذُلغادر وولده سليمان ليتسلما جَانِبك الصوفى ، فجاء الخبر بأنهما أخذا المال وأطلقا جانبك ، فقدم شادى بك فى حادى عشر رجب بذلك ، فشق على السلطان وكاتب أهلَ البلاد الشامية ونادى فى العسكر بالتجهيز للسفر ، وكاتب ملكَ الروم أن يتأهب ليترافق معه إلى قتال شاه رخ ، ثم جهز السلطانُ جماعةً من الأمراء وهم : الأتابك جقمق ـ الذى ولى السلطنة بعده ـ والدويدار أرْكَماس ، والحاجب الكبير يشبك ، ونائب القلعة تنبك وتغرى بردى البكْلَمشى ، وقراقجا ـ الذى صار أمير آخور ـ وتغرى بردى (١) الذى صار دويدارا كبيرا وخجاسودون ، وألف فارس من مماليكه ، وألف فارس من جند الحلقة ، وأنفق فيهم سبعة عشر ألف دينار ، وتوجهوا إلى حلب فالتقوا بأميرها تغرى برمش ، وساروا جميعا ، وقبض على مملوك لابن ذُلغادر توجه ليكشف حال أهل حلب ، فدلهم على جانبك وأنه مقيم بالأبلستين ، فتوجهوا إليها ، ففر منهم جانبك ، واقتحموا البلد فاحتملوا ونهبوا ما فيها ، وعادوا إلى حلب وتخلف عنهم خجا سودون بعينتاب ، فاجتمع جانبك ومن معه على أن يكبسوه ، فلاقاهم ، فوقعت بينهم محاربة شديدة انجلت عن أخذ قرمش الأعور وجماعة معه ، وفر جانبك ، وسجن قرمش ومن أسر معه بقلعة حلب ثم جهزت رأس قرمش بعد قتله إلى القاهرة .

وفى رابع عشر من رمضان قدم « أسلماس بن كبك » التركمانى إلى القاهرة مراغما لجانبك الصوفى ، فأكرمه السلطان وخلع عليه ، وجهز إلى بلاده وقرر شاد بك فى نيابة الرها عوضا عن إينال الأجرود (٢) وأمر بإحضار إينال .

•••

وفى هذه السنة أكثر السلطان من النزول إلى الصيد ونزل غير مرة إلى الضواحى ومنها إلى جامع عمرو فصلى ركعتين ، وإلى خليج الزعفران مرة ، وغير ذلك .

وفى ثالث عشرى ربيع الآخر رسم بعقد مجلس للقضاة ليتشاوروا فى جمع المال لقتال اللنكى (٣) ثم أعفوا من ذلك . وأشار السلطان بأن من ينتسب إلى الغنى يجهز ما يقدر عليه من المقاتلة ، وقرر على القاضى الشافعى خمسة عشر ، وعلى الحنفى عشرة ، ونحو ذلك .

---

(١) فى هامش هـ بخط الناسخ « لعله تغرى بردى المؤذى » .

(٢) « وهو الذى ولى السلطنة سنة سبع وخمسين » راجع أيضا البقاعى « أظهار النصر لأسرار أهل العصر » (نسخة مصورة من مكتبة عارف بخط المؤلف ورقة ٢٣ ب وما بعدها ويعدها المحقق للنشر ، وأنظر أيضا الدليل الشافى ٢ / ١٧٥ برقم ٦٢٣ تحقيق فهيم شلتوت والنجوم الزاهرة ١٦ / ١٥٧ ـ ١٦١ وابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٧ / ٣١٤ .

(٣) المقصود بذلك شاه رخ بن تيمور لنك .

وفى أواخر ربيع الآخر شاع أن شاه رخ قاصدٌ البلاد الشامية ، فنودى فى أجناد الحلقة بالعرض ، فعرضوا عند الدويدار الكبير ، فحصل لهم مشقات كبيرة ، وخصوصاً لصعاليكهم واستمر التشديد عليهم .

•••

وفيه خلع على ولى الدين محمد بن تقى الدين بن قاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن عبدالقادر الشيشينى [1] نزيل المحلة ونديم السلطان بنظر الحرمين عوضاً عن سودون المحمدى ، وبشيخ الخدام بالمدينة عوضاً عن بشير التميمى ، وخلع على الصاحب كريم الدين بن تاج الدين كاتب المناخ بالنظر على الكارم بجدة ، وشُرع فى التجهيز صحبة ابن قاسم ، وخُلع على يَلُخَجا بشادِّية جدة عوضا عن نكار ، وخرجوا وصحبتهم جماعة لقصد العمرة والمجاورة ـ وهو الركب الرجبى ـ فى نحو أربعمائة جمل ، وساروا فى يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الآخرة ، ووصل نُكار إلى القاهرة محتفظا به ، ويقال إنه أهين وصودر على مال ، وكان نُكار المذكور توجه إلى جدة فلم ينجح كما نجح مَن قبله ، فسخط عليه لسوء تصرفه .

•••

وفى جمادى الأولى وصل الخبر من « أقْطُوه » الذى كان توجه رسولاً إلى شاه رخ بأنه وصل إلى حلب وصحبته رسل من شاه رخ ، فأجيب بالإذن لهم فى المجىء ، فلما كان فى جمادى الآخرة وصل أقْطُوَه سالما كما سيأتى .

•••

وفى ذى الحجة وصلت هدية ملك بنجالة إلى السلطان فغرقت المركب ، وقام الصاحب كريم الدين ومن معه إلى أن استخرجوا الشاشات من البحر وأصلحوها وجهزوها ، وفات ما عدا ذلك .

---

(١) ولد ابن قاسم الشيشينى بالمحلة الكبرى سنة ٧٨٣هـ وناب فى القضاء ببعض اعمالها ، اما سبب قرب مكانته من الأشرف برسباى فيرجع إلى ان الأخير ـ حين كان أحد المقدمين زمن المؤيد شيخ ـ نزل بالمحلة لكشف الجسور ، فخاف منه اهل « ريط » فقام ابن قاسم وكان إذ ذاك نائب القاضى بها فسكن خواطر الأهالى وبالغ فى خدمة برسباى وإكرامه فلما ولى السلطنة استقدم إليه ابن قاسم من مكة واشترى له دارا فى السبع قاعات واتخذه نديما فأثرى ابن قاسم منذ هذه اللحظة بصورة فاحشة - ونستفيد من الضوء اللامع ٨/٧٧٧ انه سعى فى مشيخة الخدم فأجابه الأشرف إليها كما اضاف إليه نظر الحرم بمكة ، وقد مات ابن قاسم سنة ٨٥٣ مطعونا .

وكان أصلها أن السلطان جهز هدية إلى ملك بنجالة [١] فمات فأرسل ولدُه أحمد أبو المظفر جواب الهدية بتحف كثيرة ، فاتّفق أن الريح ألقتهم بجزيرة قرب « ذيبة » [٢] فمات الطواشي الذى من جهة السلطان ، فاحتاط أصحاب « ذيبة » على موجوده وترك الهدية ، فوصلت إلى جدة فغرقت دون ذلك ، فبلغ السلطان فشق عليه وأمر بالقبض على كلّ من وصل مكة من بنجالة ، فقبض عليهم وعلى أموالهم حتى افتكوها بغرامة ما فسد من الهدية .

•••

ودخل فصل الشتاء فى يوم الاربعاء [٣] السابع عشر من كيهك وقد اشتد البرد بالديار المصرية جداً كأشد ما عهد فى وسط الشتاء ، وكان ذلك فى الثالث والعشرين من جمادى الأولى ، وكان ابتداءُ شدة البرد فى يوم العشرين منه قبل انفصال الشمس عن القوْس بثلاثة أيام .

وتزايد البرد مع عدم الهواء والسحب وما جرت به العادة فى الشتاء بمصر ، بل الهواء غير مزعج الهبوب مع شدة برده ، فأكثر ما تهب من جهة المشرق عن يسار القبلة .

وفى الحادى والعشرين من كيهك صار الماء الذى فى البرك وبقايا الخلجان جليدا فجمع منه شيء كثير جدا بحيث صار أصحاب المزابل يجمعونه فيبيعونه ، والناس يسارعون إلى شرائه والتناول منه ، ويظنون أنه من جملة الثلج ، وكثر ذلك جدا بحيث لم نسمع بنظير ذلك فى هذه الأعصار .

وكان الأمر فى العام الماضى ـ مثل هذه الأيام ـ بالعكس من استمرار الحر وعدم البرد ألبتة ، فسبحان من له الملك .

•••

---

(١) هو السلطان جلال الدين ابوالمظفر محمد بن فندو ، راجع عنه ما جاء فى السلوك للمقريزى (تحقيق زيادة ٤/ ٩٧ .

(٢) داب ناسخ هذه المخطوطة على كتابة هذه الكلمة برسم « ريبة » وقد صححنا هذا الأسم إلى ماهو وارد عليه فى المتن من اتحاف الورى ٤/ ٩٩ وكان العرب يعرفون هذا الموضع ، باسم « ذيبة مهل » وهى فى ارخبيل بالمحيط الهندى جنوب غربى الهند وتعرف حاليا باسم « ملديف » انظر اطلس العالم الاسلامى لحسين مؤنس خريطة رقم ٢١٢ (شلتوت) .

(٣) يطابق هذا التاريخ القبطى الاربعاء ١٤ ديسمبر ١٤٣٥م (٢٢ جمادى الأولى) انظر فى تحقيق التاريخ كتاب التوفيقات الالهامية ص ٤٢٠ .

وفى السادس عشر صُرِف خليل نائب الاسكندرية من الإمرة والنظر ، وذكر لنا خليل بن شاهين المذكور أنه فى ولايته أبطل ما كان مقرراً على الباعة لجهة الحسبة ، وهو فى كل شهر ثلاثون ألفاً تُحمل لديوان النيابة ، ونقش ذلك فى رخامات جعلت على أبواب البلد ، وأنه وجد ابن الصُّغَيِّر [١] ـ الناظر على الثغر ـ أخذ ما بالمجانيق التى بقاعة السلاح من الرصاص فعمر به حماما له ، فطالع بذلك السلطان فأمر بانتزاعه منه فانتزع ، وعمر المجانيق كما كانت ، وجدّد بها واحداً كبيراً ووضعه على برج يقال له « الضرغام » ، ووصف [خليل] لنا ما بالقاعة من العُدد فكان شيئا كثيرا وأمراً مهولا حتى قيل إنه فى بعض الكائنات احتيج إلى أخذ درق منها فأخرجت منها خمسة آلاف فلم يؤثر فى كثرتها .

•••

وفى العشرين منه استقر « سرور المغربى » ناظراً وقاضياً بالثغر ، ولبس الخلعة بذلك ، وبلغنى أنه عوتب فقال : « ان الجمع بينهما جائز ، لأن الذى ينظر عليه ليس مكسا بل هو زكاة أموال من المسلمين ، وما يؤخذ من الكفار فليس بمكس » ، ثم بعد يوم أهين وضرب على ما بلغنى ، وقرر آقباى اليشبكى الدويدار فى إمرة الاسكندرية ، ثم قرر خليل المذكور فى نظر دار الضرب بالقاهرة عوضاً عن ابن قاسم ، وكان قد استناب فيها أخاه ، فصُرِف .

•••

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرى جمادى الآخرة منها ، أو فى شهر رجب ، وصل « أقطوه » الدويدار الذى كان رسولاً [٢] إلى شاه رخ بن تمرلنك ، وصحبته رُسل منه ، فاجتمع بالسلطان فى يومه ، ثم وصل الرسلُ يوم الأربعاء وأنزلوا بالقاهرة ، ثم أخذ منهم الكتاب فقرىء وفيه إنكار لما يصنع بمكة من أخذ المكوس ، والتحذير من أمر اسكندر بن قرا يوسف ، والإذن له فى دخول هذه البلاد ، وأن يخطب له بمصر وتضرب السكة باسمه ، والتغليظ فى ذلك والتهديد ، وصحبة الرسول خلعة بنيابة مصر وتاج ، ثم راسله القاصد بأن معه كلاماً مشافهة ، فأحضر فى يوم السبت فأدّاه ، فأمر بضربه وضرب رفيقه ، فضربا ضربا مبرحا وغُمسا فى ماء البركة فى شدة البرد بكل ثيابهما حتى كادا أن يهلكا غما ، ثم أمر بإخراجهما فأعيدا إلى المكان الذى أنزلا فيه ، ثم أمر بنفيهما إلى مكة فى البحر فحجا وتوجها إلى العراق .

•••

(١) الضبط من البقاعى على هامش نسخة هـ حيث قال : « هو بضم الصاد المهملة وفتح العين وتشديد التحتانية ثم مهملة » .
(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥ ص ٧٣ .

وعزم السلطان على السفر إلى البلاد الحلبية بالعساكر ، وكاتب الأشرفُ ابنَ عثمان أن يكونا عونا على شاه رخ ، وجهز المراسم إلى بلاد الشام بتجهيز الإقامات ، وكتب إلى جميع المدن الكبار بتجهيز العساكر واستخدام جندٍ من كل بلد ، والله يختم بْخير .

وفيه أدير المحمل على خلاف العادة ، لكن أمِر مشايخ الخوانق أن يركبوا فى صوفيتهم بغير رمّاحة ، وأن يلاقوا المحمل من الجامع الجديد إلى الرُّمَيْلة ، ويرجع القضاة من هناك .

•••

وفيها وقعت بقُرب عسفان [١] بين سرية لأمير مكة وبين بعض العرب حرب ، فتحيَّل عليهم العرب وأظهروا الهزيمة ثم رجعوا عليهم وقتلوا منهم مقتلة وانهزم مَنْ بقى . وممِنّ قُتل الشريف مَيلب [٢] بن على بن مبارك بن رُميثة ، وغنموا منهم اثنين وثلاثين فرساً وجملةً من السلاح .

•••

وفى يوم الخميس السابع من شهر رجب استقر شيخ الشيوخ محب الدين محمد بن الشيخ شرف الدين عثمان المعروف بابن الأشقر فى كتابة السر الشريف عوضا عن القاضى كمال الدين بن البارزى ، واستقر شهاب الدين أحمد فى مشيخة الشيوخ بسرياقوس عوضا عن والده وباشر ، وهرع الناس للسلام عليه فركب هو مسرعا فطاف على كبراء الدولة فسلم عليهم ورجع ونظر فى الأمور ، ورَجَع من سلّم عليه يتوجّع للمنفصل على العادة .

•••

وفى رمضان نُقِل قانصوه إلى دمشق بتقدمة ألف عوضا عن جانبك المؤيدى لموته ، ونقل حسن ناظر القدس على إمرة قانصوه بدمشق .

وفى جمادى الآخرة صُرِف أمين الدين القسطلانى عن قضاء المالكية بمكة ، وأعيد أبو عبدالله النويرى .

•••

---

(١) ضبطها ياقوت بضم العين وسكون السين وهى على بعد مرحلتين من مكة على الطريق المؤدى إلى المدينة ، انظر كتاب على طريق الهجرة للبلادى ص١٩ .

(٢) ضبطتها نسخة هـ بكسر الميم ، والصحيح ما اثبتناه بالمتن من فتحها هى واللام وبينهما ياء ساكنة ، اما عن « ميلب بن على » فراجع الضوء اللامع ٨٢٣/١٠ وإن كان الوارد به أنه مات بخليص ليلة الجمعة ٢٦ رجب ٨٣٩ وحمل إلى مكة فدفن بالحجون . أما فيما يتعلق بالوقعة ذاتها فانظر اتحاف الورى ٩٠/٤ ـ ٩٢ .

وفى رجب أوقع تغرى بَرْمَش نائب حلب بالتركمان بمدينة مَرْعش (١) فقتل منهم جماعة ، وأسَرَ جماعة ، وغنم منهم غنيمة كبيرة ثم رجع إلى حلب سالما .

وفيها فى الخامس من جمادى الآخرة استقر جمال الدين بن الصفتى الكَرَكى كاتب سرّ دمشق عوضا عن يحيى بن المدنى بحكم عزله ، واستقر بهاء الدين بن حجّى فى نظر الجيش عوضا عن جمال الدين ، واستقر الشريف بدر الدين محمد بن على الدين محمد بن على بن أحمد الجندى (٢) فى قضاء الحنفية بدمشق عوضا عن الشريف [عبدالرحمن بن الدخان] (٣) .

وفيها نازل إسكندر بن قرا يوسف أرْزَن الروم (٤) فأخذها وفرّ منه قَرَايَلُك إلى آمدثم بعد ليلة إلى أرفنين (٥) .

•••

وفيها وقع بين طوائف من الافرنج حروب هائلة وأنجَد المنتصر صاحب تونس بعض الطوائف وكانت أمه منهم ، وكانت النصرة لهم على الباقين .

وفيها حاصر العرب مدينة تونس ، وكان المنتصر ضيق عليهم ومنعهم من دخول تونس فأنتهى إليهم ابن عمه زكريا بن محمد ابن أبى العباس ، وأمه بنت أبى فارس ، وكان المنتصر مريضا ، فأنجد عثمان ـ أخو ـ المنتصر أخاه ، وكانت بينهم مقتلة عظيمة .

•••

(١) « مرعش » من بلاد آسيا الصغرى القديمة ، وكانت تعرف قديما باسم MARASION وقد اهتم بها الخلفاء الامويون فشيد بها مروان بن محمد آخر خلفائهم سورا ضخما عرف بالسور المروانى ، كما زاد الاهتمام بها فى عهد الخليفة هارون الرشيد .

(٢) هو محمد بن على بن احمد الحنفى الدمشقى المتوفى سنة ٨٤٤ وإن لم يذكره ابن حجر فيمن مات فى هذه السنة ، وقد دفن بسفح قاسيون قرب المدرسة المعظمية بعد ان ناهز الثمانين ، ومما ذكره السخاوى عنه فى ضوئه ٤٠١/٨ انه ناب فى القضاء بدمشق مدة طويلة عن ابن الكشك ، ثم استقل به مسئولا ، وبذلك نائب عن ابن الكشك وليس عن الشريف ابن الدخان ، انظر الحاشية التالية .

(٣) ترك ابن حجر مكان اسمه بياضا ، وقد اضفنا ما بين المعقوفتين مما كتبه البقاعى بخطه فى هامش نسخة هـ حيث قال : « اظنه الدخان » وقد ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ٢٩٤/٤ .

(٤) ارزن الروم هو الاسم الذى اطلقه العرب على ما يعرف بارز روم التى يسميها الأرمن باسم كارن KARIN ويطلق عليها البيزنطيون اسم « تيودوسيوبوليس » THEODOSIOPOLIS وتسمى ايضا ارزنكان وكانت حافلة بالكنائس رغم انها المدينة الاسلامية فى اقليم « قاليقلا » واكبر مدنه ، راجع لى سترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(٥) بلد بالروم ـ انظر معجم البلدان ١٨٣/١ برقم ٤٦٦ .

وفيها عزل جمال الدين يوسف بن أبى أُصَيْبِعة من نظر الجيش بحلب وأضيف لزين الدين بن السفاح كاتب السر .

•••

وفى ذى الحجة خرجت طائفة من العرب من غزة على مبشّرى الحاج ففتكوا بهم وسلبوهم ، فمشوا حتى وقعوا على بعض ذوى الدّرك من جهينة فآووهم وكسوهم وحملوهم إلى القاهرة .

•••

وحج فى هذه السنة أمير ذيبة (١) وبلاد الهند ، واسمه حسن بن أبى بكر بن حسن الشهير بابن بدر الدين ، ويلقب بالناصر .

•••

وفيها وقع الوباء ببلاد كِرْمان (٢) ، وفشا الطاعون بهراة ، حتى سَمعْتُ أقْطُوَه ـ الذى كان رسولاً إلى شاه رخ ملك المشرق ـ يقول إنه سمع وهو عند شاه رخ أن عدّة من مات بهراة ثمانمائة ألف .

وتوجه شاه رخ فى جمع عظيم لقتال إسكندر بن قرايوسف ، والسبب فى ذلك أن إسكندر كان نازلا على قلعة شماخى (٣) من بلد شيرْوان ، وقاتل صاحبها خليل بن ابراهيم الدربندى (٤) مدة ، فاغتنم خليل غيبة إسكندر فى الصيد فهجم على عسكره فقتل منه ناسا ، وأسر ولد إسكندر وابنته وزوجته ، فبعث بالإبن إلى شاه رخ فسيَّره إلى سمرقند ، وأوقف خليلُ بنتَ اسكندر وزوجته فى الخرابات مع البغايا ، فلما عاد اسكندر غلب على « شماخى »

---

(١) راجع ماسبق حاشية رقم ٢ ص : ١٦ فى هذه السنة .

(٢) تقع ولاية كرمان شرقى فارس وكانت لها قصبتان زمن العباسيين هما « سيرجان » و« كيرمان » ـ ويشير لى سترانج إلى هذا الازدواج فيقول : اطلق اسم كرمان ـ ويقصد بها المدينة ـ فى الكتب القديمة على العاصمة الأولى : « السرجان » ثم اطلق فى العصور المتاخرة على كرمان الحالية . وقد تدهورت مكانة كرمان بسبب غزو تيمور لنك لها . انظر ايضا احسن التقاسيم للمقدسى ، ص ٤٦٠ ، ٤٦٤ والأصطخرى ص ١٣٥ ، ١٦٨ .

(٣) شماخى او « الشماخية » ، عاصمة إقليم شروان من مناطق « جيلان » التى يعرفها الجغرافيون العرب باسم « الجبل » وكانت هذه المناطق وما يتبعها مثل طبرستان وجرجان من اقاليم الديلم وذلك فى القرن العاشر الميلادى وتقع المدينة وقلعتها أسفل احد الجبال . وكان حاكم هذه الولاية يعرف بشروان شاه . وهو الاسم الذى اصطلح البلدانيون العرب والمسلمون على إطلاقه على خاقاناتها .

(٤) هو خليل بن إبراهيم المعروف بصاحب شماخى ، وقد اقام فى مملكته نحو اربعين سنة ، وكانت بينه وبين مراد بك العثمانى مودة حتى إن الأخير اوصاه بابنه محمد ، وامر ولده محمدا الا يخرج عن رايه ومشورته ، وكانت وفاة خليل هذا سنة ٨٦٨ . انظر الضوء اللامع ٧٢٧/٣ .

حتى خرّبها ونهب ما بها من الأموال ، وأفحش فى القتل والسبى ، فهرب خليل واستنجد بشاه رخ فخرج فى نصرته ، وظفر اسكندر ببنت خليل وامرأته فوقّفهما فى البغايا وألزم كل واحدة منهما أنْ تمكن خمسين رجلاً يزنون بها ، جزاءً بما فعل معه خليل .

وكان خروج شاه رخ فى ربيع الأول فنزل على قزوين فى رجب ، وأمر فيروز شاه أمير الأتراك أن ينزل ويتوجه إلى البلاد ما بين قزوين إلى السلطانية [١] إلى تبريز وسائر العراقين ، وينادى بعمارة ما خرب من البلاد ، وزراعة ما تعطل من الأرض وغرس البساتين ، وحط الخراج عمن زرع إلى خمس سنين ، وإعانة الزراع والفلاحين بالبذور والمال ، فلما بلغ أصبهان بن قرا يوسف خبره راسل شار رخ بأنه فى طاعته فكف عنه ، ثم أرسل شاه رخ ولده أحمد إلى ديار بكر [٢] فى ذى الحجة ، وأقام على قراباغ [٣] ، وجَدّ فى عمارة تبريز وأظهر العدل ، إلى أن كان ماسنذكره فى السنة المقبلة .

•••

وفى هذا الشهر نزلت الشمس برج الحمل فى يوم الأحد ثالث عشرى شعبان فى النصف من برمهات من أشهر القبط ، وانقضى فصل الشتاء والبرد أشدّ مِمّا كان حتى كان كنحو الذى كان فى طوبة من أشهر القبط ، وهو كانون من أشهر الروم ، ثم بعد ثلاثة أيام هجم الحر دفعةً واحدةً ، فدام على ذلك سبعة أيام ، ثم عاد البردُ على حاله واستمر فى رمضان ، إلاّ أنه فى العشر الأخير منه تناقص ووقع بعضُ الحرّ .

•••

وفى يوم الخميس سادس عشرى شعبان برز الأمراء ـ لمقدمة العسكر المجردين إلى حلب ـ إلى الريدانية ، وخرج آخرهم يوم الجمعة . وهم سبعة أمراء فيهم : الأتابك والدويدار الكبير والحاجب الكبير ، فتوجهوا ، فلما استهل شهر رمضان أشيع خروج بقية العسكر مع السلطات ، ثم فتر العزم .

---

(١) السلطانية من المدن الكبرى التى انشاها المغول ، وقد بدا ارغون خان فى وضع اساسها ، ثم كان تمام إكمالها على يد « الجايتو » سنة ١٣١٥م ، واصبحت عاصمة للدولة الإيلخانية نظرا لاتساعها وكثرة عمرانها ومرافقها ، وكانت هناك تسع مدن تدخل فى نطاقها ، كما كان يوجد على مشارفها بعض القلاع التى تجيىء الطرق المؤدية إليها والخارجة منها ، كما كانت هى الأخرى على ملتقى عدة طرق ، وقد جعلها المستوفى بداية تحديده الجغرافى ، ولهذا علق لى سترانج فى بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٦٣ على ذلك بقوله « ان المستوفى فى وصفه الممالك بدلا من ان يبدا من بغداد ويشرق منها وصف الطرق مبتدئا بها من السلطانية باتجاهها إلى بغداد » ..

(٢) هى احد اقاليم ثلاثة نزلتها ثلاث قبائل عربية قبل الاسلام وهى قبائل بكر وربيعة ومضر ، اما ديار بكر هذه فكانت تسقيها روافد دجلة ولكنها كانت فى الواقع اصغر من ديار مضر وربيعة وكانت عاصمتها « آمد » ، انظر فى ذلك لى سترانج ، بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٠ .

(٣) سبق التعريف بها ، راجع حاشية رقم ٣ صفحة ١١ .

وفى شهر رجب اجتمعت طائفة من عرب بنى حرب ومنازلهم حول عُسْفان بعد أن كانوا متفرقين فى أعمال [الحجاز] [١] ، فنبهوا غنما لبعض أهل مكة فقبض ابن عجلان على الغنم وردها لأصحابها وأنكر عليهم ، فاعتذروا بأنهم اتفقوا مع والده حسن بن عجلان أن لا حَرَجَ عليهم من قبله فيما يفعلونه فى غير الحرم ، فأنكر ذلك وأمر بالغارة عليهم ، فخرج إليهم طائفة من أهل مكة فيهم أخوه على بن حسن ووزيره شكر [٢] وميلب بن على بن مبارك بن رُمَيْثَة ، وخرج أرنبغا مقدّم المماليك المقيمين بمكة من قبل سلطان مصر ومعه عشرون مملوكا ـ وذلك فى الثالث عشر من شهر رجب ـ فأوقعوا بهم فقتلوا منهم طائفةً وانهزم الباقون ، واستاقوا إبلا كثيرة . واشتغل من غلب بالنهب فكمن لهم بعض من انهزم فى مضيق فأخذوهم على غرة فقُتِل مَيْلَب وفرّ أَرنبغا ، وقتل من أهل مكة نحو الثلاثين ، ومن الترك ثمانية أنفس ونهب جميع ما معهم ، ودخلـوا مكة فى أسوأ حـال وفاز العـرب بالغنيمـة وتوجهوا إلى بلادهم فصادفهم وصول الوزير ولى الدين بن قاسم ويلخجا الذى استقر شاداً على البهار بجدة ، فبلغهم طرف من القصة فأخذوا حذرهم ، فمروا بمكان الوقعة . ودفنوا بعض القتلى . وتوجهوا خائفين فلم يلقوا أحداً ودخلوا مكة سالمين فى أول يوم من شعبان ، فتوجه أرنبغا ومن بقى معه الترك إلى القاهرة فدخلوا فى أوائل العشر الثانى من شهر رمضان وذكروا أنه وصل إلى مكة ناس من التجار ومعهم بضائع من قبل شاه رخ بن اللنك أمر ببيعها بمكة ، وتفرقَةِ ثمنها صدقه على من عينه من أهلِ مكة ، وذكروا أن المتكلم على البضائع من قبل سلطان مصر أساء عشرتهم وأخذ منهم عُشُورَ ما معهم ، وكاتب السلطان يستأذنه فى تمكينهم من بيع ما أحضروه ومن تفرقته .

•••

وفى السابع من شهر رمضان قُرر خليل ـ الذى كان نائب الاسكندرية ـ فى الوزارة ، وصرُف تاج الدين بن الخطير ، وكان قد أظهر العجز ، فاتفق أن لحم المماليك الأجلاب تأخر فرجموه [٣] ، فسعى فى الاستعفاء ، فأناط [٤] السلطان الأمر بناظر الجيش فتروى فى الأمر ، ثم قرر هذا فباشر دون الشهر ، ثم عجز وقصر فَتَغَيَّظ السلطان ، فتلافى ناظرُ الجيش الأمرَ

(١) فراغ فى نسخ المخطوطة . وقد اضفنا مابين المعقوفتين من نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب للقلقشندى . ص ٢٣٢ عند إشارته الى قبائل بنى حرب . وذكر ان بعضهم كان يقطن الحجاز . انظر ايضا معجم قبائل العرب لكحالة . ونسب حرب للبلادى ص ١٥ ـ ٤٢ .

(٢) فى الاصول « سليمان » والتصويب من اتحاف الورى ٩١/٤ .

(٣) المقصود بهذا ان المماليك الأجلاب رجموا ابن الخطير .

(٤) هكذا فى الأصل وقد علق البقاعى على هذا فى هامش « ز » بقوله : « ناط : متعد بغير همزة . فلا يقال اناطه »

وآل الأمرُ إلى أن صُرِف خليل عن الوزارة ، وتكلم ناظرُ الجيش فى ذلك إلى أن يصل كريم الدين من جدة ، وأقام ناظر الدولة يَتصرّف ويراجعه ، واستمر الحال إلى أن قدم كَرِيمُ الدين .

واستهلّ شوال يوم الأربعاء فَلَبِس السلطان الأبيض وذلك قبل العادة القديمة بأسبوعين ، فإنّ العادة جرت أن يكون ذلك فى ثامن بَشَنْس ، فوقع هذا فى الثالث والعشرين من بَرمُودَة .

•••

وفى ليلة السبت ثانى ذى القعدة وُلد على بن محمد بن كاتبه ، أنشأه الله صالحاً فى دينه ودنياه ، وأمطرت [السماء] فى صبيحة هذا اليوم بعد طلوع الشمس واستمرّتْ طول النهار أحيانا ، وذلك فى رابع عِشْرِى بشنس ، وكان تقدَّم ذلك سموم حارة فى معظم النهار فى الجمعة التى قبلها وفى اللّيلِ ، وأضرُّ ذلك بكثيرٍ من الخضروات .

وفيه نودى بمنع ضرب أوانى الفضة وآلاتها ، وشُدِّد على من يحمل الدراهم المضروبة إلى الحجاز ، لأنّ التجار يستفيدون منها لرغبة الهنود فى الفضّة ، فلذلك قلّت بأيدى الناس . .

وفيه استقرّ شمس الدين الصفدى فى قضاء الحنفية بدمشق على مالٍ يحمله ، وكان قدم القاهرة ليخفف عنه فزيد عليه .

•••

وفى ليلة السبت خامس عشرى الشهر هبّ هواء بارد بحيث عاود الناسُ لِبْس الصوف وخصوصاً فى الليل وفى أوائل النهار ، وذلك عند انفصال فصل الرّبيع ودخول فصلْ الصّيف .

•••

واستهلّ شهر ذى الحجة بالسبت وكنّا تراءيناه فَتَعَسَّرت رُؤيته ، ثم ثبت فى اليوم الثانى .

وفى يوم الخميس سادس ذى الحجة نودِى على البحر ، وكانت القاعدة ستة أذرع وستة عشر إصبعاً .

وفيها وصل حمزة بن على باك بن ذُلْغادِر ، فوقف بين يدى السلطان فقُبض عليه وسُجِن .

وفيها وقعت بين خَجَا سُودُون ومَن معه من جيش حلب وبين قرمش ومَن معه من أتباع جانِبَك الصّوفى بَعْينتَاب وقعة كبيرة أمْسِك فيها قُرمُش وجماعة مِمَّن فرّ إلى جَانِبك ، وسُرَّ السلطان بذلك لمّا وصل إليه الخبر [١] .

•••

وفيها ـ على ما قرأت بخط الشيخ تقىّ الدين المقريزى ـ أنّه بلغه فى مجاورته بمكّة هذه السنة أن « أندراس » الحطّى ـ صاحب مملكة الحبش الكفرة ـ مات فى الطاعون العظيم الذى وقع فى بلاد الحبشة ، حتى مات بسببه مَن لايُحْصى من المسلمين والنصارى ، وأقيم بعده ولدُ له صغير ، فغزاهم شهاب الدين أحمد الملقّب بَدلاَى مَلِك المسلمين بالحبشة . فغنم وسبى وفتح عدّة قرى ، واستنقذ « البالى » وهى بلدة من بلاد المسلمين كان العدوّ غلب عليها ، فأنزل بها ألف بيتٍ من المسلمين ، وأقام أخاه خير الدين فى بلد « رَكْلَة » ونشر العدْل وأمِنَت الطريق فى زمانه ، ولله الحمد .

•••

وفى هذه السنة فشا الوباءُ فى بلاد اليمن : سَهْلِها وجبلها إلى صَعْدة وصنعاء ، وفى مقابلها من بلاد بَرْبَر والحبشة والزنج .

•••

ذكر من مات فى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة من الأعيان

١ ـ إبراهيم أمير زاه بن شاه رُخ صاحب شِيراز [٢] وكان قد ملك البصرة ، وكان ابراهيم فاضلاً حسنَ الخطّ جدًا ، مات فى رمضان .

٢ ـ أحمد بن شاه رُخ ملك الشرق ، مات فى شعبان بعد أن رجع من بلاد الجزيرة ثم

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٦٥ ـ ٦٧ .

(٢) « شيراز » كورة من كور فارس وقصبتها ايضا وقد مَصرّها العرب وقت الفتح الاسلامى زمن عمر بن الخطاب واتخذوها معسكرا لهم واذا اخذنا بما ورد فى معجم البلدان لياقوت فإن القاسم محمد بن القاسم الثقفى هو « اول من تولى عمارتها » وقد اخذت شيراز فى النمو والاتساع فى ظل العرب والمسلمين وبلغت شاوا كبيرا زمن الدولة الصفارية . كذلك اهتم بها البويهيون فبنى عضد الدولة البويهى فى جنوبها قصراً جعل حوله مدينة جديدة . واهتم المسلمون بتحصينها واقيم بها ثلاثة مساجد جامعة . ولشيراز اهمية خاصة عند الشيعة ففيها مشهد محمد واحمد ولدى الامام موسى الكاظم ، انظر فى تفصيل خبرها بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦ .

بلاد الروم ، فحزن عليه أبوه ، واتفق أنه مات له فى هذه السنة ثلاثة أولاد كانوا مُلُوكَ الشرق بشيراز وكرمان ، وهذا كان من أشدهم ويقال له أحمد جوكى [١] .

٣ ـ أحمد بن عبدالعزيز السبكى ثم الشيرازى ، الشيخ همام الدين ، قرأ على الشريف الجرجانى « المصباح في شرح المفتاح » وقدم مكة فنزل فى رباط رامشت [٢] ، فأتفق أنه كان يقرىء فى بيته ، فسقط بهم البيت إلى طبقةٍ سفلى ، فلم يُصَبْ أحدُ منهم بشىء وخرجوا يمشون ، فلما برزوا سقط السقف الذى كان فوقهم .

وكان حسنَ التقريرِ قليلَ التكلّف ، مع لطف العبارة ، وكثرة الورع ، عارفاً بالسلوك على طريق كبار الصّوفية ، وكان يَحَذّر من مقالة ابن عربى وينفِّرُ عنها . مات فى خامس عشرى رمضان .

٤ ـ أحمد بن محمد بن على بن إسماعيل بن على بن محمد بن محمد بن الزّاهدى ، المعمر العابد ، شهاب الدين خادم ضريح الشيخ رسلان بدمشق ، ذكر أنه ولد سنة ٧٣٧ وأنه سمع من زينب بنت الكمال وغيرها ، فقرءوا عليه بإجازتها ، ولم يظهر له سماع ، ومات فى تاسع جمادى الأولى وله مائةُ سنةٍ وسنتان [٣] .

٥ ـ إسماعيل [٤] بن عبدالخالق الأسيوطى ، مجد الدّين ، كان وقورا ملازما حانوتَ الشهود ، قليلُ الشرّ ، وله سماع وحضور وإجازة من ابن عبدالرحمن بن القارىء ، مات فى ثانى المحرم .

---

(١) الضوء اللامع ٣١١/١ ، وشذرات الذهب ، ٢٣٠/٧ حاشية رقم ١ :

(٢) فى الأصول « راسيثت » ، وقد اثبتنا ما بالمتن بعد مراجعة كل من الضوء اللامع ٣٤٨/١ ، والعقد الثمين ١١٩/١ ، واتحاف الورى ٢٩٩/٤ ، وقد لاحظ ابن العماد الحنبلى هذا الاختلاف فى رسم الكلمة عند كل من ابن حجر والسخاوى فاسقطها من شذرات الذهب ٢٣٠/٧ ، وهى الترجمة التى نقلها ـ كما نص على ذلك ـ من إنباء الغمر ، وقد افادنا صديقنا العلامة المحقق فهيم شلتوت بان هذا الرباط ينسب إلى الشيخ ابى القاسم رامشت عند باب الحزورة ، وقد اعتمد فى هذا التحقيق على ماجاء فى شفاء الغرام ٣٣٢/١ .

(٣) جاء بعد هذا فى ز الترجمة التالية « احمد » بن محمد الشهاب بن فتح الدين القوصى موقع الحكم ، نشا بقوص وقدم القاهرة فاقام بها نحو الأربعين سنة ، وباشر التوقيع وخدم فيه وما كان يخلو من غفلة ، مات فى أواخر ربيع الآخر سنة ٨٣٩ وقد اكتمل التسعين على ما كان يزعم ، استفدته من تذكرة المصنف ، ويلاحظ ان هذه هى نفس الترجمة التى ذكرها الضوء اللامع ٥٤٠/٣ وقال فى نهايتها « استفدته من تذكرة شيخنا ولم يذكره فى تاريخه » .

(٤) اورد السخاوى فى الضوء اللامع ٩٣٣/٢ ترجمة له مطولة ذكر فيها معظم الأسماء التى وردت فى ترجمة « احمد بن عبدالمحيى » الواردة فى إنباء الغمر ٥٥٤/٣ برقم ٢ .

٦ ـ أبوبكر [١] بن محمد بن على الخوافى ـ وخواف [٢] من قرى خراسان بالقرب من هراة ـ الهروى العجمى شيخُ العصر زينُ الدّين ، كان أحد أفراد زمانه [٣] ، مات فى يوم الخميس الثالث من رمضان بهراة فى الوباء ، ويقال إنه لا يُعَرف أعجمى يُسمَّى أبا بكر أو عَمر .

٧ ـ باى سنقر [٤] بن شاه رخ صاحب كرمان ، مات فى ذى الحجة . وكان ولىّ عهد أبيه وفيه شجاعة موصوفة .

٨ ـ التاج بن سيفا بن عبدالله الشُوَيْكى (بالشين المعجمة والكاف : مصغر ، نسبة إلى الشويكة مكان بظاهر دمشق) المعروف بالتاج الوالى ، وقديماً كان يعانى خدمةَ الأكابر فى الحاجة ، وذكر لى أنه كان يخدم شهاب الدين بن الجابى بدمشق ، وذكر لى مراراً ما يدلَ على أنّ مولده كان بعد الخمسين ، واتّصل بالملك المؤيد قبل سلطنته بعد أن اتّصل بالأمير الْطَنبُغا القُرْمَشى فخدمه ورَاجَ عليه ، فلما استقرَ فى الملك بالقاهرة ولّاه الشرطة فباشرها وفوّض إليه فى أثناء ولايته الحسبةَ ، فكان فى مباشرته ذلك الغلاء المفرطُ ، ثم فى آخر الدولة صُرِف عنها واستقر أستادارَ الصحبة ، وفى مرض موت المؤيد أعيد ، وحصل له فى أوائل دولة الأشرف

---

(١) خلت نسخة هـ من هذه الترجمة ، ويلاحظ ان الضوء اللامع ٩/ ـ ٦٨١ ترجم له لكن باسم « محمد بن محمد بن محمد بن على بن ابى بكر الخوافى » ، « ثم الهروى » دون ان يفصل بين كلمتى « على » و« ابى بكر » بكلمة « ابن » كما ذكر ايضا انه مات يوم السبت غرة شوال سنة ٨٣٨هـ بهراة فى الوباء الحادث بها وهذه إشارة من السخاوى إلى ملجاء هنا فى الإنباء .

(٢) فى الأصل « خاف » وهو خطا والصواب فيه ما اثبتناه بالمتن فخواف اسم يطلق على منطقة فى جنوب غربى « باخرزا » من إقليم « قوهستان » الذى اطلق عليه ماركو بولو اسم « تينوكاين » TUNOCAIN وكلها من اعمال خراسان ويكثر الأكراد بهذه المنطقة ، ولقد كانت « خواف » من اكبر مدن هذه الناحية وهى مذكورة بهذه الصفة فى ابن حوقل والمستوفى ، راجع لى سترانج بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣٩٧ .

(٣) الواقع انه كانت بينه وبين ابن حجر مودة وتقدير فقد نظم فيه ابن حجر شعرا يمدحه اذ قال :

قدمت لمصر يازين الخوافى	فوافتها الامانى والعوافى
وما سرت القوافل منذ دهر	بمثل سرى القوادم والخوافى

فرد عليه الخوافى بقوله :

ايا من فاق اهل العصر فضلا	وعلما فى الحديث بالاعتراف
تقدس سرك الصافى فاحيى	من الآثار مندرس المطاف
سألت الله ان يبقيك حتى	تفيض على القوادم والخوافى

انظر السخاوى الضوء اللامع ٦٨١/٩

(٤) وردت هذه الترجمة من قبل فى وفيات سنة ٨٣٨ من إنباء الغمر . ج ٣ ص ٥٥٧ ، برقم ١١ ، وانظر هناك حاشية رقم ١ ، ص ٥٥٧ .

انحطاط منزلةٍ وهو مستمر على الولاية ، ثم خدم الأشرف فراج عليه أيضاً ، واستقر معه ـ مضافا إلى الولاية ـ المهمندارِيّة ، وأستاداريةُ الصحبة ، وشاد الدواوين ، والحجوبية ، ونظر الأوقاف العامة . وغيرُ ذلك .

فامّا الشرطة فكان الذى باشرها عنه أخوه عمر غالباً ، ثم فى الآخر صار كالمستبدّ ، ثم صُرِف واستقر غيره ، ثم صرف وأعيد ابن الطبلاوى ، ثم صُرِف ومات وهو على هذه الوظائف كلها .

مات بعلّة عُسْر البول فى آخر يوم العشرين من المحرم ، وبلغنى أنه لقى منه شدائد وكان يعتريه قبل هذا بحيث إنه شَق عليه مرّة فخرجت حصاة كبيرة وأفاق دهرا ثم عاوده ، ثم كانت هذه هى القاضية .

وكان حسنَ الفكاهة ، ذَرِبَ اللسان لايبالى بقول ، وتُنْقَل عنه كلمات كفر مخلوطة بمجون لاينطق بها من فى قلبه ذرّة من إيمان ، فإن كان [1] . . . . مرضا نفعه فإنه كان كثير الصدقة والبرّ المستمرَ ، ولم يتعرّض السلطان لماله ، وترافع أخوه عمر وزوجته ، وقرّر عليها خمسةُ آلاف دينار ، ثم أعْفِيَتْ من ذلك باعتناء أهل الدولة .

٩ ـ جُلبان خَوَنْد الجركسية زوج السلطان ووالدةُ ولده يوسف الذى قُرّر أميراً كبيراً وهو مراهق ، وكانت من جواريه فأعتقها وتزوّجها وحَظيتْ عنده ، وحَجَّت سنة أربع وثلاثين ، وكانت فى عظمةٍ زائدة مفرطة ، وماتت بعلة الصّرع فى يوم الخميس ثانى شوال . . وقد أقْدم السلطانُ من أهلها عدداً كبيراً أحضرهم من بلاد الجركس وأقطعهم وخوّلهم ، وخَلَّفَتْ من الأمتعة والأقمشة والملابس والنقد شيئاً كثيراً جدا ، يقال يقرب من سبعين ألف دينار .

١٠ ـ الحسين ، الإمام العلامة المفتى الأمير ، ابن أمير المسلمين أبى فارس الحفصى ، وكان أخوه لمّا مات فى العام الماضى استقر ولده فى المملكة ، ثم أراد الحسين الثورة فظفر به فقتله ، وقتل أخوين له ، وعَمَّتِ المصيبة بقتل الحسين ، وكان فاضلا مناظراً ذكياً ، ذكر لى ذلك صاحبنا الشيخ عبدالرحمن البرشكى ، رحمة الله تعالى .

١١ ـ خُشْ قَدَم [2] الخصىّ الظاهرى ـ كان خازندارَ السلطان ثم صُرِف عنها . واستقرّ زماما إلى أن مات ، وخلّف مالاً جزيلاً يقال يقارب مائةَ ألفِ دينار ، منه غلال مخزونة قُوِّمَتْ

---

(١)بياض فى جميع النسخ بقدر ثلاث كلمات او اربع .

(٢) يلاحظ القارىء ورود هذا الاسم تارة بهذا الرسم وتارة اخرى برسم « خشقدم » ٢٨ س ٨ وكلاهما صحيح وسنورده كلما جاء برسم خشقدم .

بستة عشر ألف دينار . وصار للسلطان من تركته مالُ كبير ، وكذا من تركة خوند زَوْج يَلْبُغَا النّاصرى ، وقيل وصل ثمنها قدر عشرين ألف دينار ، وكان مرضه بالقولنج ، فى أوائل السنة ، فتعافى ثم انتكس مراراً إلى أن مات ، وكان شهما يحبّ الصيد ، وفيه عصبيّة ، وخُلقُه سيء إلى الغاية .

واتّفق أنه كان أنشأ مكاناً بالقرب من الأخفافيين [١] ليجعله مدرسةً وعجّل ببناء صهريج ، وابتدأ فى عمل سبيل لسقْى الماء ، فكمل فى مدة ضَعْفِهِ ، وجرت لشمس الدين الرازى بسبب إثبات وقفية داره فى مرض موته إهانة من جهة السلطان ، واستقر جوهر اللّالا زمّاما بعد موت خشقدم مضافاً لوظيفته .

١٢ ـ سعد بن محمد بن جابر العجلونى ثم الأزهرى الشيخ سعد الدين بن شمس الدين بن زين الدين ، أحدُ من كان يُعتقد بالقاهرة [٢] . مات فى شوال وقد قارب الثمانين [٣] . وكان خيّرا دَيِّناً سليم الباطن ، [٤] يحفظ القرآن ، ويلازم الذكر والعبادة ، ولكثير من الناس فيه اعتقاد ، وتُذْكر عنه كرامات ، وكانت بيده إمامةُ المدرسة الطيبرسية [٥] المجاورة للجامع الأزهر

١٣ ـ صالح بن محمد بن موسى بن أحمد بن إبراهيم بن على بن عبدالجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع المغربى الزواوى ، الشيخ الصالح ، كان خيراً ذاكراً لكثير من الفقه ، ملازماً لحضور مجالس العلم ، وجاور بالمدينة المشرفة مدة ، وحصلت له جذبة ، ثم قدم القاهرة وسكن قرية الظاهر بالصحراء ، وحَسُنَ ظنّ كثير من الناس فيه ، ثم سكن القاهرة وتنزّل بدرس الحديث بالمؤيّدية ، ورُتِّبَ له فى الجوالى ، ودخل فى وصايا

---

(١) هو من اسواق القاهرة الكبرى التى كانت موجودة زمن المؤلف ، وينسب إلى ماكان فيه من بيع اخفاف النساء ونعالهن ، وهذا السوق من إنشاء الأمير يونس النوروزى ، انظر الخطط للمقريزى ٤٧٨/٢ .

(٢) خلت نسخة هـ من عبارة « الشيخ سعد الدين بن شمس الدين بن زين الدين احد من كان يعتقد بالقاهرة » .

(٣) لم ترد فى هـ عبارة « وقد قارب الثمانين » .

(٤) لم ترد فى هـ عبارة « يحفظ القرآن ويلازم الذكر والعبادة » .

(٥) تنسب هذه المدرسة الى منشئها الأمير علاءالدين طيبرس بن عبدالله الوزيرى الخازندارى مملوك الخازندار الظاهرى نائب السلطنة ونقيب الجيوش فى مصر ، وقد جعل بها درسا للفقهاء الشافعية ، واشار المقريزى الى هذه المدرسة فى خططه ٣٤٨/٣ وذكر ان مؤسسها تأنّق فى رخامها وتذهيب سقوفها بحيث انه لم يقدر احد على محاكاة ما فيها من صناعة الرخام ، واشار إلى أن الفراغ من عمارتها كان سنة ٧٠٩ وكانت بها خزانة كتب ، اما فيما يتعلق بمؤسسها فقد كان نائب الصبيبة ثم استقدمه « لاجين » إلى مصر حين الت إليه مقاليد السلطة فيها ، وحينذاك ولاه نيابة الجيش بديار مصر وذلك سنة ٦٩٧ ، فباشر النقابة مباشرة مشكورة إلى الغاية من إقامة الحرمة واداء الأمانة والعفة المفرطة بحيث انه ما عُرف انه قَبل من احد هدية مع التزام الديانة والمواظبة على فعل الخير مع الغنى الواسع ، راجع ايضاً النجوم الزراهرة ٢٤٦/٩ ، والدرر الكامنة ٢٠٥٤/٢ .

كثيرة ، ولكنه لم يُسمع عنه سوء فى تَصرفه ، وكان [١] يصل إليه من سلطان الغرب كل سنة مبلغ . وكان شهماً يقوم فى الحقّ عند الظلمة ولايبالى بهم ، وذكر أنه سمع من [الشيخ محمد المراكشى] [٢] . وأجاز لأولادى .

ومولده تقريبا سنة ستين ، رأيْتُ بخطه : « وُلِدْت أوائل الستين وسبعمائة » ، ومات فى ليلة الأربعاء ثامن عشرى شهر رجب [٣] .

١٤ ـ عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن الفخر المصرى ثم الدمشقى زين الدين ، واسم الفخر محمد بن على ، تفقه قليلاً وأسمعه أبوه الكثير من مشايخ عصره ، فسمع على الكمال بن حبيب سننَ ابن ماجة ، وعلَى ابن المحب جزء العالى ـ أنا الحجار وعشرة الحداد ، أنا إبراهيم بن صالح ـ وعلَى الصّلاح ابن أبى عمر بعض مسند عائشة من مسند أحمد ، ومات فى جمادى الآخرة .

١٥ ـ عبدالرحمن بن على بن محمد الحلبى الحنفى ، الشريف ركن الدين المعروف بالدّخان [٤] ، اشتغل بدمشق [٥] وكان مشاركاً فى عدّة فنون وناب فى الحكم مدة ، ثم ولى القضاء استقلالاً بغير بذل ولاسعى بعد موت ابن الكشك فحمدت سيرته ، وكان ماهراً فى فروع مذهبه . مات فى ليلة الأحد ٢٧ من المحرم [٦] .

١٦ ـ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد العدنانى الشهير بالبرشْكى [٧] ، صاحبنا المحدث الرحال الفاضل زين الدين ، أخذ ببلاده عن جماعة ، ورحل إلى المشرق قديماً سنة ست عشرة فحجّ وحمل عن المشايخ ، وأجاز له الشيخ برهان الدين الشّامى قديماً ، وكان حسن الأخلاق ، لطيف المجالسة ، كريم الطباع ـ رحمه الله .

---

(١) ذكر البقاعى فى عنوان الزمان ، ترجمة رقم ٢٣٨ انه كان معضدا للمغاربة فى ضروراتهم .

(٢) فراغ فى الأصل والإضافة من ترجمته فى عنوان الزمان للبقاعى .

(٣) جاء تكملة لهذه الترجمة فى ز العبارة التالية : « وفى نسخة : سمع على الجمال الحنبلى والعز بن جماعة وعلى الشرف ابن الكويك مشيخة ابن عبدالدايم واشياء ، وعلى المراغى السنن للدارقطنى ، وعلى حماد التركمانى جزءا فيه منتقى من مسموعات ابى ذر وحدث . مات بعد العصر يوم الثلاثاء ٢٦ رجب ، ودفن من الغد » .

(٤) فى الضوء اللامع ٢٩٤/٤ « ابن الدخان » ، على ان شذرات الذهب ٢٣١/٧ اسقطت كلمة « ابن » واكتفت بالدخان كما جاء فى الإنباء اعلاه .

(٥) لم ترد فى هـ عبارة « وكان مشاركا فى عدة فنون » .

(٦) فى هـ « السابع » من المحرم ، وفى الضوء اللامع ٢٩٤/٤ « سابع عشر » .

(٧) الضبط من الضوء اللامع ٣٤٧/٤ .

وكذا (١) ماتت فى هذه السنة زوجته ابنة الفاسي وولده منها .

١٧ ـ عبدالعزيز ابن بدر الدين محمد بن محمّد بن على بن أحمد بن عبدالله بن عمر بن حياة بن قيس ، الحرانى الأصل ، الدمشقى نزيل (٢) . . . . ، عزالدين أبوالعز وُيْدعى محمدا ، كان كثير العبادة ملازماً للصلاة فى اللّيل ، وله اشتغالٌ بالعلم وتصانيف ونظمٌ ونثر ، وتُذكر عنه كرامات وكلام فى الرقائق ، مات فى ١٣ جمادى الأولى .

١٨ ـ عبدالملك بن على بن أبي المُنىَ البابى نزيل حلب (٣) ، ويُعرف بالشيخ عُبَيْد ، وُلِد فى حدود سنة سبعين (٤) ، واشتغل بالفقه والعربية والقرآن ، وكان حفظ المنهاج واشتغل على الشيخ بيرو ، والقاضى شرف الدين ، وشمس الدين النابلسى وكان يشتغل فى الجامع الكبير بحلب ، وأخذ عنه جمع جمّ ، وناب فى الخطابة بالجامع ولم يكن هيّناً . مات فى جمادى الآخرة ، وكانت جنازته حافلة جدا ، وعاش ستين سنة (٥) ، وتقدم فى العربية والقراءات ، وشغل الناس كثيراً ، وناب فى الخطابة والإمامة بالجامع مدة إلى أن مات .

١٩ ـ عبدالمولى بن محمد بن الحسن الخولانى ، الإمام ولىُّ الدين ، ولد بقرينا (٦) ، ولازم بتعز الإمام رضى الدين بن الخياط ، والإمام جمال الدين محمد بن عمر العوادى ، والفقيه أحمد بن عبدالله الحرازى ، والفقيه وجيه (٧) الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الزوقرى ، وقرأ عليهم الفقه ،

(١) من هنا حتى نهاية الترجمة وارد فى ز فقط لكن راجع الضوء اللامع ج ٤ ، ص ١٣٣ ، س ٥ ـ ٦ ..

(٢) بياض فى الأصول وكذلك فى الضوء اللامع ج ٤ ، ص ٢٣١ ، س ١٤ ، ولم نستطع الاستدلال على ما يساعدنا على إكمال النقص .

(٣) جاء بعد هذا فى هامش هـ بخط البقاعى « ابن عبدالملك بن عبدالله بن عبدالباقى بن عبدالله بن ابى المنى » . هذا وقد ترجم له البقاعى ترجمة قصيرة فى عنوان الزمان برقم ٣١٠ ، وكذلك فى مختصره عنوان العنوان ، ووصفه فى كليهما « بالامام العالم الفقيه النحوى » .

(٤) الوارد فى الضوء اللامع ٥/٣٢٠ وشذرات الذهب ٧/٢٣١ ، انه ولد فى حدود سنة ست وستين ، هذا ويلاحظ ان البقاعى ترك مكان ولادته وسنتها فراغا حين ترجم له فى عنوان الزمان ، برقم ٣١٠ .

(٥) علق البقاعى على هذا فى هـ بخطه فقال : « وعاش ستين سنة ، لايصح اما على قولى فواضح ، اما على قوله فعاش سبعين سنة تنقص قليلا والله أعلم » ويزيد المحقق هنا انه إذا كان « بيرو » الوارد اعلاه هو نفس « بيرو » المذكور فى الدرر الكامنة ٢/١٣٩٥ فإنه انتقل إلى بيت القدس وقطنه بعد السبعين وظل به حتى مات ولم يشر ابن حجر إلى سنة وفاته حتى نستدل منها على الوقت الذى اشتغل فيه صاحب الترجمة على الشيخ بيرو .

(٦) فى شذرات الذهب ٧/٢٣١ « ولد بقرب تعز » وفى الضوء ٥/٣٦٠ « ولد بقرين » .

(٧) فى هـ « وحيد »

ولازم الشيخ مجد الدين الشيرازى ، وأخذ عنه النحو واللغة ، وجاور معه بمكة وبالطَّائف . ومهر إلى أن صار مفتى تعزّ مع ابن الخياط ، ومات بالطاعون أيضا . .

٢٠ - عثمان بن قُطْلَبَك بن طُرْعَلى التركمانى المعروف بَقرايُلُك ، كان أبوه من أمراء التركمان بديار بَكْر ، وتأمّر هو بعده ، وكان شجاعاً أهْوَج [١] ، وله مع الترك والعرب وقائع ، ولمّا طرق اللنكُ البلادَ انتمى إليه ، ودخل فى طاعته ، فاستنابه فى بلاده ، وحضر معه فتح البلادِ الشامية ، ثم وقعتْ له وقعة مع جكم [من عوض] لمّا ولى السلطنة بحلب فقُتل جكم فى الوقعة وقوى قرايلك واستولى على ماردين وقتل صاحبها وهو آخر أهل بيته .

وكان بينه وبين حُدَيْثَة بن سيف بن فضل أمير العرب ، وبين حُمَيْدْ بن نُعَيْر عداوة ، فنصر قرايُلُك هذا فكبس حُديثة بالقرب من شَيْزَر ، وكاتب الملكُ المؤيّد قرا يوسف فى الغارة على قرايلك ، وسار المؤيّد من مصر ، فلما بلغ ذلك قرايلك ترامى على المؤيد وانتمى له ، فأرسل إلى قرا يوسف يَشْفَع فيه ، فرجع عنه ، ثم صار قرايُلُك يغير على بلاد قَرَا يوسف فحنق منه وكَبَسهُ ففرّ منه إلى حَلَب ، فتبعه فَجَفلَ أهلُ حَلَب من قرا يوسف وفرّوا على وجوههم إلى الشام . ثم إلى مصر ، ثم كبس قرايُلُك على بَيْرَم النائب بأرزنكان [٢] فقتله ، واتفقت وفاة قرا يوسف ثم المؤيد وغلب قرايُلُك على أرزِنكان ، وكانت له وقعة مع بَرْسْبَاى - قبل أن يلى السلطنة ، وبَرْسْبَاىُ يومئذ نائب طَرَابُلُس - انكسر فيها بَرْسْبَاى ، وبسبب هذه الوقعة غزا برسباى فى سلطنته آمد .

وكانت له وقعةُ أخرى مع بُرْهَان الدين قاضى سِيوَاس قُتِل فيها البرهان . واستمر قرايُلُك أمير آمد وملك ديار بكر . وشرع فى إيواء مَن هَرب مِن السلطان الأشرف ، فجهّز له عَسْكراً فى سنة ٣٢ فتوجهوا لجهة آمد فكبس هابيل بن قرايلك الرها - وهى فى طاعة السلطان - فأخذها عنوة واستباحها ، فوصل العسكر فأسروه ، ثم جهز للقاهرة فاتفق موته بالطاعون سنة ٣٣ ، ثم غزا الملكُ الأشرفُ آمد ففرّ قرايُلُك واستمر الأشرفُ يحاصر آمد ، واستمر قرايُلُك على حاله فى نهب القوافل وقطع الطريق ، ثم إنّ قرايلك جهّز مَن نهب

---

(١) امامها فى هامش هـ بخط البقاعى « الذى يذكر من وقائعه وحِيَله فيها يدل على انه ثابت عارف لا هوج فيه » .

(٢) وقد يقال لها « ارزنجان » ، وإن غلب النطق بالرسم الاول وهو الرسم الذى اتخذه ياقوت فى معجمه . وتقع ارزنكان فى منطقة الفرات الأعلى . ويُجْمِع ياقوت وابن بطوطة والمستوفى على امتداحها من حيث كثرة الخيرات وطيب الهواء والمعروف ان اغلب اهلها من الارمن . اما المسلمون الذين يعيشون فيها فيتكلمون التركية . وقد اهتم بها السلاجقة فجدد عمارتها السلطان علاء الدين كيقباذ السلجوقى فى اخريات القرن الثالث عشر الميلادى .

التركمانَ الذين حول حَلَب ، فتجهز له الأشرف نفسه فلم يتم له أمر وأذعن للصلح ، ثم اتفق أن إسكندر بن قرا يوسف فرّ من مِيران شاه وَلدِ اللنّك ، فبلغ خبرُه قرايُلُك فتبعه ، فلما تلاقوه كسره إسكندر كسرةً شنيعةً ، وانهزم قرايُلُك فوقع فى خندق البلد وهى أرْزَن الرُّوم [1] ، فنزل إليه جماعةٌ من جهته فاحتملوه ودَلَّى مَن بالقلعة لهم الحبال ورفعوه .

مات فى العشر الأخير [2] من صفر فى هذه السنة ، وقد بلغ التسعين أو زاد عليها ، وذكر لى الشيخ بدر الدين بن سلامة ، أنه لما استولى على ماردين استصحبه ، قال : « فوجدته فى عيشة نشطة [3] إلى الغاية ، وفى غالب زمانه يشتغل بالشر » وتفرق أولاده بعده فى البلاد وانكسرت شوكتهم جدا .

٢١ ـ على بن صلاح بن على بن محمد بن على بن أحمد بن الحسين الحسنى ، إمام الزيدية ، مات وأقيم ولده بعده فمات عن قرب بعد شهر ، فقام بقصر صنعاء عبْد من عبيد الإمام ، يقال له سنقر ، وأراد أن يجعلها مملكة بالشوكة ، فأنف الزيدية من ذلك وثاروا عليه ، وأقاموا مهدى بن يحيى بن حمزة قريب الإمام . وجدُّه حمزة هو أخو محمد جد صلاح ، ويقال إن أم الإمام راسلت صاحب زبيد الملك الظاهر تسأله أن يرسل إليهم أميراً على صنعاء ، ولم نتحقق ذلك إلى الآن . .

٢٢ ـ فيروز [4] ، قطب الدين فيروز شاه بن بهمن بن جردن شاه بن طغلق بن طبق شاه ، صاحب هرمز والبحرين والحسا والقطيف .

٢٣ ـ قصروه [5] [من تمراز الظاهرى] نائب الشام ، كان من بقايا مماليك الظاهر برقوق ، تقدم فى دولة الأشرف وولى أمير آخور فى أول دولته ، ثم ولاه نيابة طرابلس ، ثم نقل إلى حلب فى سنة ثلاثين فاستمر إلى سنة ٣٧ ، ثم نقل لنيابة دمشق بعد موت جار قطلى فى شعبان منها ، وكان عاقلا ، واستمر الى أن مات فى ليلة الأربعاء ثالث ربيع الآخر [6] .

---

(١) راجع ماسبق حاشية رقم ٢ ص ٣١ .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع ٥/ ٢٧٤ انه مات فى العشر الاول من صفر .

(٣) فى الضوء « شطة » ولعله يقصد انه كان يعيش بعيدة عن الحق انظر لسان العرب مادة « شطط » .

(٤) ورد اسمه فى الضوء اللامع ٦/ ٥٩٣ « فيروز شاه قطب الدين بن تهتم بن جردن شاه » ، وفى هـ « تهمتم » بفتح الثاء المثلثة وسكون الميم وكسْر التاء المثناة » .

(٥) سيعيد ابن حجر ترجَمته مرة اخرى فى ص ٦١ وفيات سنة ٨٤٠ ترجمة رقم ٢٢ .

(٦) فى بعض النسخ « ربيع الأول » ولكنا آثرنا ما بالمتن بناء على مافى الضوء ٦/ ٧٣٩ وماجاء فى جدول السنين فى التوفيقات الالهامية ص ٤٢ من ان السبت كان اول ربيع الاول وان الاثنين كان اول التالى له .

٢٤ ـ كُبَيْش بن جمّاز الحسينى ، كان قَصَدَ القاهرة ليتولّى إمرة المدينة فظفر به قوم لهم عليه ثأر فقتلوه قَبْل أن يدخلها .

٢٥ ـ مانع بن على بن عطيّة بن منصور بن جماز بن شيحة ، أمير المدينة النبوية مات فتنازع العجلُ بن عجْلان ، وعلى بن مانع فى الإمرة ، ثم استقرت الإمرة لأميان [١] بن مانع عوض أبيه ، وكان قتله فى جمادى الآخرة .

٢٦ ـ محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبى بكر [٢] الفوّى الأصل ، المكى : جمالُ الدين ، أبو المحامد المرشدى ، وُلد فى ربيع الأوَل سنة سبعين وسبعمائة [٣] وأُسْمِع على النشاورى وأبى الفضل النويرى والأميوطى وغيرهم ، ورحل إلى القاهرة فسمع بها الكثير ، وطلب بنفسه فسمع على التقى ابن حاتم ،

وقرأ الألفية على الحافظ زين الدين العراقى ، وأذن له ، وله إجازة من مسندى الشام كالصّلاح بن أبى عمر ، وابن أميلة وغيرهما ، وخرج له الشيخ الأقفهسى أربعين [من طريق أربعين من الفقهاء الحنفية] [٤] ، والجمال بن موسى فهرسْتا ، وصحب المجد الشيرازى وحفظ عنه من اللغة شيئاً كثيراً ، ثم صار يتعانى ذلك فى كلامه وفى مراسلاته ، ومات فى حادى عشرى شهر رمضان وقد قارب السبعين ، ولم يكن فى مكة ـ ممن له المعرفة بالفقة والنحو ، مع الديانة والصيانة ـ نظيره .

٢٧ ـ محمد بن أحمد بن عبدالعزيز [٥] بن الأمانة الأبيارى الأنصارى القاهرى القاضى بدر الدين ، وُلد فى حدود الستين وجاء القاهرة مع أبيه واشتغل ، فذكر لى أنه قرأ على الشيخ عبدالمحيى الأسيوطى ، وأن الأسيوطى أخبره بأن الشيخ سراج الدين البلقينى قرأ على الأسيوطى فى مبدء أمره ، وكان الأسيوطى قد عمر ، وهو والد إسماعيل وأحمد المقدم ذكرهما قريبا .

---

(١) هذا هو الاسم الصحيح كما نص عليه السخاوى فى الضوء اللامع ٢ / ـ ١٠٤١ وان قال ان المقريزى ذكره فى اكثر من موضع باسم « وميان » ، وكانت وفاته سنة ٨٥٥ . انظر شذرات الذهب ٢٨٥/٧ .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى « ابن عبدالوهاب بن احمد » .

(٣) فى هامش هـ بخط البقاعى « عندى سنة ست وسبعين » والله اعلم .

(٤) الإضافة من الضوء ٨٤٨/٦ للإيضاح .

(٥) فى هامش هـ بخط البقاعى « ابن عثمان » ، ولكن الضوء ذكره فى ١٠٥١/٦ هكذا « محمد بن محمد بن عبدالعزيز بن عثمان الأنصارى الأبيارى ثم القاهرى ويعرف بابن الأمانة » انظر الضوء اللامع ج ١١ ، ص ٢٣ .

سمع الشيخ بدر الدين المذكور من عبدالله الباجى ، ومن سراج الكومى وطبقتهما ، وأكثر عن شيوخنا ، ولازم الشيخ سراج الدين البلقينى وابن الملقن والعراقى ، واشتغل فى الفقه والحديث والعربية ومهر ، وسكن المدرسة الصالحية [١] ووقع فيها على الحكّام مدّة ، ثم ناب عن القضاة ، واستمر إلى أن كان كبير النواب فى آخر عمره ، وحجّ قبل موته بقليل ودرّس للمحدثين ، وولى عدة وظائف ، ودرس بالهكارية ، وتصدّى للفتيا والاشتغال بالفقه وغيره ، وأضيف إليه قضاء الجيزة مدة وغيرها .

وكان قليل الشرّ ، حسن المحاضرة والمذاكرة ، يستحضر كثيراً من أخبار القضاة الذين أدركهم وما جرياتهم ، وله نوادر ظريفة ، وحضر معنا سماع البخارى [٢] بالقلعة يوم الأحد إلى العصر ، ورجع إلى بيته فأقام يوم الاثنين وهو طيب ، إلى أن دخل الليل فصلّى العشاء ، ودخل الفراش وقال : « أجِد غماً » فلم يلبث أن مات فجأةً ، وقد قارب الثمانين ، رحمه الله تعالى .

واتفق أنّ بعض النّاس شكّك أهله وأولاده فى موته ، وقال لهم : « هذا به سكتة ، ويجب أن تختبروا أمره لئلا تدفنوه حيّا » فأحضروا طبيباً فجسّه وأمر بفَصْد ، فامتنع الفاصد حتى اجتمع ثلاثة من الأطباء وقالوا : إن ذلك لايضر ، ففصد فخرج منه دم كثير ، ثم فُصد فى الذراع الآخر فخرج منه أيضا دم كثير ، فتُرك إلى أن أمسى ثم إلى أن أصبح فاتفقوا على موته ، ودفن فى ثامن عشر شعبان ضحى يوم الأربعاء ، وخلف أربعة ذكور .

٢٨ ـ محمد بن أبى بكر بن محمد بن الخياط الحافظ الجِبْلى [٣] المفتى ، حافظ البلاد اليمنية جمال الدين بن الإمام رضىّ الدين ، وَلد سنة [سبع وثمانين وسبعمائة] [٤] وتفقه بأبيه [٥] وغيره حتى مهر ، ولازم الشيخ نفيس الدين العلوى فى الحديث ، فما مضى إلّا اليسير حتى فاق عليه حتى كان لايجاريه فى شىء ، وتخرج بالشيخ تقىّ الدين الفاسى ، وأخذ عن

---

(١) تنسب المدرسة الصالحية إلى بانيها الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى شيدها بخط بين القصرين من القاهرة ورتب فيها دروسا لفقهاء المذاهب الأربعة ، ولما كان عهد الملك المعز أيبك التركمانى أقام أيدكين البندقدارى الصالحى فى نيابة السلطنة بمصر فواظب الجلوس بهذه المدرسة وكثرت الأوقاف عليها وعلى مدرسيها الأربعة وكان لكل مدرس ميعادان وعدة طلبة ، انظر الخطط للمقريزى ٣٣٣/٣ .

(٢) فى هـ « الحديث » بدلا من « البخارى » .

(٣) نسبة إلى « جبلة » التى ذكر ياقوت انها من احسن مدن اليمن وانزهها ، وانها تسمى أيضا بذات النهرين .

(٤) الإضافة من الضوء اللامع ٤٥٦/٧ .

(٥) هو ابوبكر بن محمد بن صالح الهمدانى الجبلى المولود سنة ٧٤٢ والمتوفى سنة ٨١١ ، راجع عنه انباء الغمر ٤٠٨/٣ برقم ١٧ ، والضوء اللامع ج ١١ ص ٧٨ وشذرات الذهب ٩١/٧ .

القاضى مجد الدين الشيرازى ، واغتبط به حتى كان يكاتبه فيقول : « إلى الليث ابن الليث ، والماء ابن الغيث » .

ودرّس جمال الدين بتعزّ وأفْتى ، وانتهت إليه رياسة العلم بالحديث هناك ، ومات بالطاعون فى هذه السنة .

٢٩ ـ محمد بن عمر بن أبى بكر [١] ، تاج الدين بن الشرابيشى ، مات فى يوم الأحد تاسع عشر جمادى الآخرة ، ودُفِن يوم الاثنين العشرين منه، وقد أسَنّ، وتَغيّر عقلُه ،وسمع الكثير من الشيخ بهاءالدين بن خليل ، ورأيت قراءته عليه فى صحيح البخارى سنة سبعين ، وبلغ بضعا وثمانين سنة ، وطلب الفقه ، وكتب الكثير بخطّه الحسن المتْقن ، ولازم شيخنا ابن الملقّن ، وأكثر عن شيخنا العراقىّ ، وسمع الكثير من أصحاب السبْط والطبقة ، ثم من أصحاب أصحاب المحبّ ، ثم من أصحاب أصحاب الفخر ، ودار على الشيوخ وسمع معى كثيّراً ولم يمهر ، وكان يستحضر شيئاً كثيراً من الفوائد الفقهيّة والحديثيّة ، وكان يعلّق الفوائد التى يسمعها فى مجالس المشايخ والأئمة ، حتى حصّل من ذلك جملةً كثيرةً ، ثم تسلّط عليه بعض أهله فمزّقوا كتبه بالبيع تمزيقاً بالغاً ، لأنهم كانوا يسرقون المجلدات مفرقات من عدة كتب قد أتقنها وحرّرها فيبيعونها مفاريق ، وكذلك الكتب التى لم تجلد يبيعونها كراريس بالرّطل ، وضاعت كراريسه وفوائده .

وقد تصَدى للإسماع ، وأكثر عنه الطلبة من بعد سنة ثلاثين وثمانمائة إلى أن مات ، رحمه الله تعالى .

وأجاز لى فى استدعاء أولادى غير مرّة .

قال [٢] : التقىّ القلقشندى : وكان قد تغَير قبل موته بنحو ثلاثة أشهر ، ودَفن بالقرافة » ، وكان فاضلاً بارعاً يكتب الخط الحسن ، وكان مُمْلقاً ، وزاد عليه ذلك فى آخر عمره ، حتى أنّه صار يحدّث ويأخذ الأجرة على التحدث ، وحدّث بالكثير .

٣٠ ـ محمد بن أبى فارس المنتصر أبو عبدالله ، مات فى يوم الخميس ٢١ صفر بتونس ولم يتهَنّ فى أيام ملكه لطول مرضه ، وكثرة الفتن ، واستقرّ بعده شقيقه عثمان فقبض على الهلالىّ القائد ، وفتك فى أقاربه بالقتل ، فخرج عليه عمّه أبوالحسن صاحب بجَايَة .

---

(١) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى « ابن محمد بن على . الشيخ ابوالفتح ، ولكنه فى الضوء اللامع « محمد بن عمر بن بكر بن محمد بن على » .

(٢) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى هـ .

٣١ ـ يحيى بن يحيى بن أحمد بن حسن القبابى [(١)] ، محيى الدين أبوزكريا المصرى ، وُلد فى أواخر سنة ستين أوْ فى أول التى قبلها ، وقدم القاهرة فاشتغل بهـا ، وحفظ التنبيه ، والألفية ، ومختصر ابن الحاجب ، وحضر دروس البلقينى ، وابن الملقّن ، والأنباسى وغيرهم ، واشتغل فى علم الحديث على العراقى ، ولازم عزّالدين بن جماعة فى قراءة المختصر ، ومحبّ الدين بن هشام فى العربية ، وطاف على الشيوخ فى الدروس ، ثم ارتحل إلى دمشق وهو فاضل ، فأثنى شهاب الدين الزهرى على فضائله حتى قال : « ماقدم علينا من طلبة مصر مثله » ولازم الزُّهرى حتى قرأ عليه نصف المختصر وأذن له ، وتكلّم على الناس بالجامع ، وسكن بعد الفتنة العظمى « بيت روحا » فأقام بها ، ودخل إلى مصر حين دخل إليها مع الشاميين ، ثم عاد ولازم عمل الميعاد .

وكان فصيحا مفوّها ، فاجتمع عليه العامّة وانتفعوا به ، وقرأ صحيـح البخارى عنـد نوروز ، ثم ناب فى الحكم عن ابن حجى سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، واستمرّ فى ذلك ، ولم يكن فى أحكامه محموداً .

وكان فى بصره ضَعْف ، فتزايد إلى أن أضرّ ، وهو مستمر على الحكم ، وكان يُؤْخذ بيده فيعلّم بالقلم ، وتؤخذ عنه الفتوى ثم يكتب هو اسمه ، وكان فصيحا ذكياً مشاركاً فى عدّة فنون ، جّيد الذّهن ، ليّن العريكة ، سهل الانقياد ، قليل الحسد ، مع المروءة والعصبية ، وقد أقبل فى أواخر عمره على إقراء الفقه ، فدرّس فى المنهاج ، والتنبيه ، والحاوى بالجامع ، وكان قد درّس بالرواحية (٢) ، وناب فى تدريس الشامية البرانية ، واجتمع بى فى

---

(١) فى الضوء اللامع ١٠/٥١٠٥١ « القبابى : نسبة إلى القباب ، وهى قرية من اشموم الرمان من الشرقية فى مصر » « ولكن جاء فى الشذرات ٧/٢٣٢ « العبابى نسبة إلى عباب بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة » .

(٢) كانت المدرسة الرواحية من مدارس الشافعية وكانت تقع إلى جوار المسجد المعروف بمشهد على الملاصق للجامع الاموى وداخل باب الفراديس ، وقد جاء فى الدارس ١/٢٦٥ حاشية رقم ٥ ان هذه المدرسة قد تحولت للأسف إلى دار للسكن وكان تشييد الرواحية على يد التاجر زكى الدين بن ابى القاسم المعروف بابن رواحة هبة الله ابن محمد الأنصارى المتوفى بدمشق سنة ٦٢٣هـ على ارجح الاقوال ، انظر نفس المرجع ١/٢٦٥ ـ ٢٧٥ ، وقد اشار محقق الدارس الأمير جعفر الحسنى « ١/٢٦٨ حاشية رقم ١» إلى أن هذه المدرسة التى صارت سكنا قد اتى عليها الحريق عام ١٩١٠ فلم يبق منها سوى جدرانها ، أما الشامية البرانية فكانت هى الأخرى من مدارس الشافعية بدمشق وهى من إنشاء الخاتون ست الشام بنت أيوب ، واخت صلاح الدين التى قيل ان التقى ابن قاضى شهبة « صنف فيها كراسة » وكانت الخاتون معروفة بالبذل والسخاء على الفقراء واهل الحاجة ، وذكر النعيمى انها كانت تعمل فى كل سنة فى دارها اشربة وادوية وعقاقير =

ذى الحجة سنة ستّ وثلاثين بالعادلية الصغرى [(١)] ، وذكر أنه قرأ على شيوخنا كالعراقى والبلقينى وغيرهما ، وسمع من ابن المحبّ جزءً من فوائد أبى يَعْلى بن عبدالله الخليلى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، وسمعتُ عليه جزءاً من حديثه وسمع علىَّ شيئا ، ومات فى صفر [(٢)] .

نقلتُ غالب ترجمته من كتاب القاضى تقىّ الدين الأسدى إلىّ ، أبقاه الله تعالى .

٣٢ ـ أبوالطاهر بن عبدالله المراكشى ، الشيخ المغربى نزيل مكة ، مات بها فى شوّال ، وكان قرأ على عبدالعزيز الحلفاوى قاضى مراكش وغيره ، وكان خيّرا ديّناً صالحاً .

•••

=وتفرق ذلك على الناس ، وينعتها البعض بانها اخت الملوك وعمة اولادهم ، وانه كان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكا ، وكانت وفاتها سنة ٦١٦هـ ، وقيل فى هذه المدرسة ايضا إنها كانت تعرف بالمدرسة الحسامية ، نسبة إلى ابنها حسام الدين عمر لاجين فقد دفن فى هذه المدرسة فعرفها البعض به ، هذا وقد تولى التدريس فى الشامية البرانية او الحسامية طائفة من أكبر علماء الشام وجلة فقهائه وكان من شرط الواقف الا يجمع المدرس بها بينها وبين التدريس فى غيرها ، راجع ذلك كله بالتفصيل فى النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس جـ١ : ص ٢٧٧ ـ ٣٠١ .

(١) ذكر النعيمى (شرحه ١/٣٦٨ ـ ٣٧٣) ان العادلية الصغرى كانت فى الأصل دارا ثم اشترتها زهرة خاتون ، بنت الملك العادل أبى بكر بن ايوب ثم امتلكتها باى خاتون أسد الدين شيركوه وكان من شرط وقفها أن يكون بها مدرس ومعيد وإمام ومؤذن ونواب وقيِّم وعشرون فقيها وذلك سنة ٦٥٥هـ ، وكان ممن درس بها شهاب الدين الزهرى أحمد ابن صالح بن احمد بن خطاب المتوفى سنة ٧٩٥ .

(٢) اشار السخاوى فى الضوء اللامع ج١٠ ، ص ٢٦٤ ، س ١٢ إلى انه مات يوم السبت ١٨ صفر سنة ٨٤٠ ثم قال « ذكره شيخنا فى سنة تسع وثلاثين » ، وقد اوردته الشذرات ٧/٢٣٢ فيمن مات سنة ٨٣٩ اعتمادا على ابن حجر ، هذا وقد جاء فى هامش هـ بخط البقاعى « ثامن عشر ودفن تاسع عشره » .

سنة أربعين وثمانمائة

استهلّت ليلةَ الاثنين ، ووصل شاه رخ إلى السلطانية فنزلها ، وعَزَم على الإقامة بها حتى يبلغ غرضه من إسكندر بن قَرَا يُوسف .

وفى عاشر المحرّم أعيد لأجنادِ الحلقة ما كان أُخذَ منهم بسبب التّجريدة ، وقُبض على التاج بن الخطير ، وصُرف من أستادارية ولدِ السّلطان ، وقرر عوضه فى الوزارة ناظر الخاص .

•••

وفى حادى عشرينه طَرق ميناءَ الاسكندرية ثلاثة أغربة [1] من الكتلان أخذوا مركبين ، فخرج إليهم أقْبَاى النائب ، فرماهم حتى استعاد أحد المركبين ، وأحرق الفرنجُ الأخرى ، وتحارب مركب للجِنْوِيَّة مع مركب الكتلان فانهزم الكتلان .

وفيها حاصر أبوالحسن بن أبى فارس صاحبُ بجاية قسطينة ، فخرج صاحبُ تونس - عثمانُ - إلى قتاله ، وهو ابن أخيه .

---

(١) الغراب نوع من السفن وصفته الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها البحرية فى مصر الإسلامية ص٣٥٥ - ٣٥٦ بانه سفينة حربية على شكل طائر ، ونزيد على هذا انه كان معروفا منذ القدم ، اى انه يمكن إرجاعه إلى عهد القرطاجينيين والرومان ومن عاصرهم ، وقد جاء فى كتاب الإلمام بما قضت به الاحكام المقضية فى وقعة الاسكندرية للنويرى انه كان سائدا فى البحر الأبيض المتوسط ، ويفسر النويرى مرة اخرى الغراب بانه سمى بهذا الاسم لرقته « وطوله وسواده بالأطلية المانعة للماء كالزفت وغيره فصارت تشبه فى سوادها الغربان من الطير لسوداها وسواد مناقيرها » . وترد الإشارة إليه فى قوانين الدواوين لابن مماتى ص٢٤٠ إذ يقول « ان احفله (اى اكبره) ما كان يجره مائة وثمانون مجدافا ، وأصغره تجدف به عشرة ، وفيه المقاتلة والجدافون » وجاء فى كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ص٢٢٠ « انه قد عمرت بمصر ثلاثة اغربة ما بين كبار وصغار انضمت إليها اغربة مختلفة فى بيروت وطرابلس وذلك لخروجها إلى قبرص سنة ٨٢٧ » ، ثم يصف هذه الأغربة المختلفة فاكبرها كان بمائة وثمانين مجدافا واصغرها « بدون المئة » ، وقد وصفها الشعر فقال الخفاجى فى شفاء الغليل ص١٤٢ .

وركبت بحر الروم وهو كحلية والموج تحسبه جوادا ٠ يركض
كم من غراب للقطيعة أسود فيه ، يطير به جناح أبيض

وقال ايضا :

غربانها سود ، وبيض قلوعها يَصفَرّ منهن العدو الأزرق

وقد افاض النخيلى فى كتابه السفن الإسلامية فى الكلام عن الغراب وغيره .

وفى الثالث عشر منه أَوْفَى النيلُ ، وكُسر الخليج ، وصادف التاسع عشر من مسرى ، وباشر ذلك يوسف بن السلطان .

•••

ووصل رأس قُرْمُش [الأعور] وكَمَشْبُغَا ، فعُلقَتا بباب زويلة ، ثم أمر السلطانُ أن تُلْقَيَا فى السراب الحاكمى (١) ، وكان قُبض عليهما بيد خَجا سُودُون بعينتاب ، وكانا جَمعا عسكراً وكبسا العسكر المصرى .

•••

وفى هذه السنة رخص العسل النّحل إلى أن بيع بتسعمائة القنطار ، وعادتُه ألف وخمسمائة ، وكانت جميع الغلال وأصناف المطعومات والفواكه رخيصة ، وجاء الزرع فى غاية الخصب ، والنماء فى الزرع بالغ جدًّا .

واستمرّ وقوع الفناء فى عسكر اللنكية ، فرجعوا إلى بلادهم .

ووصل الحاج فشكوا من أميرهم كثيراً فلم ينجح ذلك ، ومن جملة قبائحه التى حكوها أنه طلب من التجار فى اليوم الثالث عشر من ذى الحجة مالاً يُجْبَى منهم فامتنعوا ، فرحل بالناس فى آخر الحادى عشر ليفوت عليهم البيع بمنى فى الثانى عشر والثالث عشر ، فكانت من أفحش الفعلات ، فأنه فوّت عليهم المبيت والرَّمْى .

•••

واستهل صفر ليلة الأربعاء ، واستهل ربيع الأول ليلة الخميس (٢) .

فى شهر ربيع الأول قام الشيخ ناصر الدين محمد بن على الطنباوى فى هدْم الدّير (٣) الذى فى بحرى ، وحضر المولدَ النبوىَّ وأخرج محضراً يتضمن أنّ النصارى يحجّون إليه فى كل

---

(١) سماه أبوالمحاسن فى النجوم الزاهرة ١٥ ص٨٠ بسراب الأقذار .

(٢) يتفق هذان التاريخان وما ورد فى جدول هذه السنة فى التوفيقات الإلهامية ، ص٤٢٠ .

(٣) سيرد خبر هذا الدير فيما بعد ص٧٠ ـ٧١ ، وهو المسمى بدير المغطس وكان موقعه بالقرب من بحيرة البرلس وله مكانة سامية فى نفوس اقباط مصر من الفلاحين واهل الصعيد حتى كانوا يحجون إليه حجهم إلى كنيسة القيامة بالقدس ، وترجع اهميته ومكانته إلى ما يقوله الأقباط من أن السيدة مريم العذراء تجلت به يوم عيد من الأعياد . انظر الخطط للمقريزى ٥٦٢/٣ ، وسيذكر ابن حجر فيما بعد ، ص٧١ ، انه دير رومانى كان موجودا قبل الإسلام .

سنة ، ويجتمع عنده من النصارى والمسلمين للفرجة والتجارة مالا يُحْصَى حتى صاروا يضاهون بذلك أهل الموقف بعرفة ، وأفتى العلماء بهدْم الدّير وإزالة تلك العادة ، ففوّض السلطان الأمر للقاضي المالكى فلم يتّفق أنه يقوم بذلك حقّ القيام حتى كان ذلك فى السنة المقبلة (١) ، فهدم ولله الحمد .

وفيه هرب سليمان [بن أرخن] بن عثمان (٢) مع جماعة من الروم والتركمان فى غراب ، وكان مقيما بالقلعة من سنة آمد (٣) ، فلما عرف السلطانُ ذلك شَقّ عليه وأرسل فى آثارهم ، فأتى بهم ، فحَبَس الصبىَّ وقطع أيدى قوم وقتل آخرين ، وكان السبب فى ذلك أن سليمان هذا ـ وهو ابن أرخن بك بن محمد بن عثمان (٤) ـ كان عمه مرادُ صاحبُ برصا قبض على والده أرخن وكحله وسجنه ، وكان له مملوك يقال له طوغان يقوم بخدمته ، فأدخل إليه جارية ، وهو فى السجن فحملت منه ، فلما مات أرخن فى السجن فرّ المملوك بسليمان هذا وأخذه شاه زاده إلى حلب ، فلما قدم السلطان إليها وقف بهما إليه وأخبره خبرهما فأكرمهما ثم صحبهما معه إلى القاهرة ، فأمر سليمان أنْ يمشى فى خدمة ولده يوسف ، وأقامت أخته فى القلعة لتكبر ويتزوجها السلطان أو ولده ، فلما كانت ليلة خامس ربيع الأول فرّ سليمان وأخته ومن انضم إليهما ، فركبا بحر النيل وتوجها إلى جهة دمياط (٥) لينزلا فى مركب إلى بلاد الروم ، فبلغ السلطانَ فأرسل فى آثارهما فقبض عليهما وعلى من فى المركب وعدّتهم خمسة وستون رجلاً ، فوُسّط طوغانُ مملوك سليمان وثمانية من مماليك السلطان [كانوا] صحبوهم ، وقطعت أيدى الباقين ، ولا ذنب لهم ألبتة لأنهم تجارٌ رافقهم أولئك .

فلما جاء الذين أرسلهم السلطان فى طلب المتسحبين خشى التجار على أنفسهم ، فدافعوا عنها من غير أن يعلموا الخبر لكونهم قصدوا الاستيلاء عليهم ونهبهم ، فظنوا أنّهم حرامية ، فلما دافعوا عن أنفسهم وقع بينهم الحرب ، فغلبوهم وأسروهم ، وكان ما كان .

---

(١) قال المقريزى نفس المصدر والجزء والصفحة فى صدد هدم هذا الدير انه هدم فى شهر رمضان سنة ٨٤١ بقيام بعض الفقراء المعتقدين .

(٢) سيرد خبر هروبه فيما بعد ، وقد اضيف ما بين القوسين بناء على ما سيرد بعد قليل .

(٣) اعنى منذ سنة ٨٣٦ .

(٤) هو ارخان بن عثمان جق كما ورد فى العينى : السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ، تحقيق الأستاذ شلتوت . ويتجلى لنا من نطق الأسم عند هذين المؤرخين المعاصركل منهما الآخر مدى الاختلاف فى نطق الأسماء غير العربية ورسمها .

(٥) فى هـ « رشيد » وفوقها إشارة لعبارة فى الهامش بخط الناسخ وهى « كان لهم هنك غراب مجهز توجهوا لينزلوا فيه فادركهم قراقر مملوك يوسف ناظر الخاص فى قوم كثيرين فاخذهم واحضرهم إلى القاهرة » . اما القراقر ومفردها قرقورة ، فاكثرها ما يكون استعمالها للقتال كما جاء فى ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص١٤٢ ، راجع معجم السفن الإسلامية للنخيلى تحت كلمة « قرقور » .

وفى السادس من شهر ربيع الأول استقر كريمُ الدين [عبدالكريم] بن الصاحب تاج الدين [بن كاتب المناخات] فى الوزارة على قاعدته ، فباشرها مباشرةً حسنةً وفرح الناس به ، واستقرّ امين الدين بن الهيثم ناظر الدولة على عادته .

وكانت الوزارة ـ منذ صُرف عنها خليل بن شاهين ـ لم يستقر فيها أحد ، بل عُذِقَ أمرُها بناظر الجيش ، فأقام فيها ناظرَ الدولة متحدثاً عنه ، وأحال عليه مصروف كل جهة من الجهات ، وكل جهةٍ لم يَفِ متحصّلها بها أكملها مِن عنده ، فاستمر الحال على ذلك إلى أن قدم .

•••

وفيه نودى بمنع لبس الزموط [1] الحمر وعملها ، وهى التى يلبسها العرب ويسمونه « الشّاشة » ، فنودى بذلك ، فوقف له جماعة ممَّن اشتروا الصوف لذلك فصمّم على المنع ، ثم رُفع له بعض الغلمان من الهجانة وغيرهم فأغلظ لهم القول ، واستقر على المنع ، ونودى ألّا يحمل أحد سلاحاً .

وفيه وصل العسكر المجرد إلى الأبُلُسْتَين فوصلوا إلى تجاه سيواس [2] ، فوجدوا ـ فى تاسع عشره ـ جانبك ومن معه ، فقدموا بهم .

وفيه قُتل جاسوس وُجد معه كُتُبٌ من جانبك الصوفى .

•••

وفيه وقع [3] قتال بين الهنود الذين يقيمون بظاهر المدرسة الصالحية لإصلاح شعور اللحى ، وَثَب رجل على رجلين فقتلهما قدام الصالحية ، وذلك أنه تقاتلَ مع واحدٍ فقتله ثم مرّ برجل يُصْلح شاربه فضرب الذى يصلح بسكين فى كتفه فوقع ميتا ، وحصل للرجل فزع فحمِل

---

(١) الزموط قلنسوة حمراء وقيل إنه لباس للراس للطبقات الدنيا ثم اصبح طابعا مميزا للعسكر الشركسى انظر ماير :الملابس المملوكية ص٥٨ ـ ٥٩٠ اما الشاش فقماش من نسيج رقيق قد يكون من الحرير ويلف على الزموط ومنه ما يكون مرقوما بالذهب ، انظر ماير نفس المرجع ، ص١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) سيواس هى المعروفة عند الغربيين فى العصور الوسطى باسم SEBASTIA وكان إنشاؤها على يد السلطان علاءالدين السلجوقى واستعمل فيها كلها الحجارة واصبحت من المدن التجارية الهامة واشتهرت بالثياب الصوفية تصدرها إلى الخارج ، كما عرفت بزراعة القمح والقطن ، ووصفها ابن بطوطة فى رحلته بانها « من بلاد ملك العراق وبها منزل امرائه وعماله ، وانها مدينة حسنة العمارة واسعة الشوارع واسواقها غاصة بالناس وبها دار مثل المدرسة تسمى دار السيادة » ، هذا وقد نقل هذا الوصف لى سترانج فى كتابه بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٧٩ ـ ١٨٠ .

(٣) إزاءها فى هامش هـ : « قصة الهندى فى القتل على باب الصالحية بعد صلاة الجمعة » .

إلى بيته فمات هو والقاتل [١] فصاروا أربعة ، فقبض عليه [٢] فقطعت يده ثم قتل ، ونودىَ بعد غدٍ أن لا يبقى أحد من الهنود بالقاهرة .

وعُيِّن خليل [٣] الذى استقر بالإسكندرية أن يكون شاداً على المكوس بجدّة ، وأميرا على المماليك المجرَّدين بمكة ، وأمر ابن المرأة بالسفَر فسافروا وسافر خليل ومن معه فى البَر ، ونُودى للناس بالسفر صُحْبَتَهم .

•••

واستهلّ شهر ربيع الآخر ليلة الجمعة ، وفى السادس عشر منه جمع الجـزّارين الجزّارين وأشهَدَ عليهم أنْ لا يشتروا اللّحْمَ إلّا من ذبائح السلطان ، فصار يَذبح لهم فى كل يوم ما يَحصل عند السّلطان من الغنم المحضر من البلاد .

•••

وفى الخامس من ربيع الآخر فُقِد سليمان بن أرخن بن كُرْجِى بن أبى يزيد بن عثمان ، وأخته شاه زاده ، وقد تقدّمَ [٤] خبر مجيئهما فى سنة ستّ وثلاثين ، وكان مملوكهما الذى أحضرهما اتفق معهما أن يسير بهما إلى بلادهما ، وواطئوا على ذلك جماعةً من تُجار الروم ، فأخذهما طوغان وتوجّه بهما إلى الغُراب فتوجهوا إلى رَشِيد ، فلما عَرَف الأشرف بالقصة كاتَبَ نواب البلاد يطلبهما ، فحاربهم شادُّ رَشِيد بحضرة قاصد السلطان [٥] . فحبسوا بالريح ، فاتفّق أنْ هبّت الريح عاصفة وصادف وصول نائب الاسكندرية فقبض عليهم وجهز جميع مَنْ فى الغراب من التجار وغيرهم ، ثم أمر بقطْع أيدى بقية التجار وهم نحو الخمسين ، وأدّب سليمان بالضرب تحت رجْليه ونظر [السلطان برسباى [٦]] إلى أخته فاستحسنها فعقد عقده عليها وابتكرها ، وقد تزوجها الملك الظاهر جقمق .

---

(١) امامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « لعله ، والمضروب » .

(٢) ازاءها فى هامش هـ بخط البقاعى : « اى على القاتل » .

(٣) امامها فى هامش هـ بخط الناسخ « لعله جانبك الطور » اما عن خليل بن شاهين الظاهرى فراجع الضوء اللامع ٣/١٩٥ برقم ٧٤٨ ، والسلوك ٤/١٠١٠ والنجوم الزاهرة ١٥/٥٨٣ والمنهل الصافى ١/٢٩١ برقم ١٠٠٠ وإتحاف الورى ٤/١٠٣ وانظر أيضا Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No 892

(٤) أنظر إنباء الغمر ، ج٣ ، ص ٤٩٩ ــ ٥٠٠ .

(٥) فى هـ بخط الناسخ « وهو قرابز الجمالى » .

(٦) اضيف ما بين الحاصرتين للايضاح .

واستهل جمادى الأولى ليلة السبت .

وفيه قدمت رُسل مُراد بك بن محمد بن بَايَزيد بن عثمان ابن ملك الروم بهديّة .

وفى سابع عشره قدم الأمراء الذين جُردوا لحلب فهرع الناس للسلام عليهم ، ثم طلعوا القلعة فخلع عليهم .

وفى صبيحة ذلك اليوم قدم الأمراءُ المجردون إلى البحيرة وصحبتهم الأمير حسن بك بن سالم الدوكارى التركمانى (١) ، ومحمد بك (٢) بن بكار بن رحاب وقد دَخَلَ فى الطاعة .

وفيه رُفِعَت يد القاضى الحنفى مِن وقف الطرحاء وأمر بأنْ يحاسَب على متحصله ، وأن يتحدث فيه جوهر الخزندار ، ثم بطل ذلك وأعيدت للقاضى .

•••

وفيها نودى « من له ظلامة فليحضر إلى باب السلطان فى يومى الثلاثاء والسبت » ، وأمر القضاة أن يحضروا مجلس الحكم فى المظالم ، فحضروا يوماً واحداً ثم أبطل ذلك .

وفى سابع جمادى الأولى خرج الركب الحجازى ـ وأميره خليل الذى كان نائب الاسكندرية ـ ومعه نحو السبعين من المماليك ليقيم بمكَة عوضاً عن الذى كان فيها ، ويخرج معه عدد كبير من الحجاج ، ورحلوا من خليج الزعفران فى التاسع منه .

وفى الخامس عشر منه وصل الأمراء الذين كانوا بحلب وفيهم جقمق الأمير الكبير الذى ولى السلطنة بعْدَ هذا بسنتين ، والدويدارُ الكبير أركماس الظاهرى ، وتأخر منهم خجا سودون فلم يحضر

•••

وفى يوم السبت تاسع عِشْريه حضر القضاةُ الأربعةُ بأمر السلطان مجلسَ حُكْمه ، وتكلّم الشافعى معه فى عدةِ حكومات بَيّنَ حُكمَ الشرع فيها ، ثم لما فرغوا أَمَرَهم السلطان أن يبطلوا الوكلاء من أبوابهم ، فأجابوا بالامتثال ، ثم تكلّموا فى الذين يعاملون بالرِّبا وما

(١) فى هـ « التلوى التركمانى » .
(٢) فى هـ بخط الناسخ « لعله » ، « مؤمن » .

الحكم فيهم ، فقال الشافعى : « الحيلة فى ذلك سائغة عندى وعند الحنفى ، فلنفوض أمرهم إلى المالكى والحنبلى » ، ثم سأل [السلطانُ] عن النوّاب فقال له الشافعى : « كان السلطان قبل السفر أمر بعشرين ، وهم الآن أربعون ، لكن كلّ اثنين فى نوبة » ، ثم سأل عن الرّسل وأمر أن لا يُعطى الرّسول إلا ثلاثين .

ثم انصرفوا ولم يعد يطلبون إلى مجلس حكم ، بعد أن كان شاع أنه أمر أن يواظبوه كل سبت وثلاثاء ، فبطل ذلك .

•••

واستهلّ جمادى الآخرة ليلة الاثنين .

فيه أرسل ناصر الدين بن دُلْغَادِرْ وَلَدَه سليمَان إلى مراد بن عثمان صاحب الروم يستنجد به على إبراهيم بن قرمان ، وكان ابن قرمان قد أخذ قيصرية [1] ونازل صاحب أماسية ، وهو من حاشية ابن عثمان ، فجهز مع سليمان عسكرا وندب معه صاحب توقات . وأمره بمحاصرة قيصرية وتسليمها إلى ابن دُلْغَادرْ ، وجهز عيسى ـ أخا ابراهيم ـ على عسكر آخر ليغير على بلاد أخيه إبراهيم ، فبلغ ذلك صاحب مصر فكتب إلى أمراء الطاعة من التركمان بمعاونة إبراهيم بن قرمان .

وفى يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة أرسل القاضى المالكى ورقةً إلى كاتب السرّ يستعفى من القضاء ، فقرأها على السلطان فأعفاه وأمره أن يُعَيِّن قاضياً غيره ، ويستمر بمعاليم القضاء له دون الذى يتعينّ ، فلما بلغ ذلك وَلَدَ القاضى قام وقعد وسعى عند علیبای الخزندار ، وأنكر أن يكون أبوه كتب الورقة ، وبلغ ذلك كاتبَ السّر فغضب عليهم نِسْبَتَهم إياه للكذب ، وأخرج الورقة فوجدوها بخطّه الذى لا يُرتاب فيه . ومع ذلك اعتنى بهم عَلَيْباى ، ولم يستطع كاتب السّر التوسع فى القضيّة كلاما رعايةً لخاطر الخزندار المذكور ، فإنه كان يومئذٍ من أقرب الناس منزلةً عند السلطان ، فاستقرّ الحال على أنه يتحيّل السلطانَ أن يعيد ولاية المالكى ، فأجابهم لذلك ، واستمرّ فى القضاء بعد ذلك إلى أن مات فى رمضان سنة اثنتين ، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) تقع قيصرية واماسية فى آسيا الصغرى ـ اما الاولى وتعرف ايضا بقيسارية فكانت من اكبر مدن السلاجقة وتعرف عند كتاب العصور الوسطى الغربيين باسم CAEṢAREAMAZAKA ، وكان حولها سور من حجر بناه السلطان علاء الدين السلجوقى ، ولاهمية هذه المدينة من الناحية الحربية فإن تيمور لنك وضعها نصب عينيه ووجه همته للاستيلاء عليها . اما اماسية فمن مستجدات السلطان علاء الدين وقد وصفها ابن بطوطة فى القرن الثانى عشر الميلادى بالاتساع والحسن وسعة الشوارع وكثرة الأسواق والانهار والبساتين ، انظر لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧٤ ، ١٧٩ .

وفيه رخص القمح إلى أن بيع بمائة وأربعين إلى مائة ، فأمر السلطان بشراء القمح وخَزْنِه فغلا السعر ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وفيه قدم شرف الدين بن الأشقر من حَلَب ، فلما كان فى الثالث من شعبان استقرّ ولدُه معين الدين عبداللطيف فى كتابة السرّ بحلب ، وخُلع عليه ، واستمر والده نائباً لكاتب السرّ على عادته .

وفيه توجّه الوزير وناظرُ الجيش ، وإينالُ الأجرود [١] ، ويشبك الحاجبُ لحفر خليج الإسكندرية [٢] ، ثم عادوا وقد قرّروا الأمر ، وفوّض السلطان لأسنبغا التمراوى أن يباشر حَفْرَه ، فتوجَّه وجهّز معه المال الذى جبوه من البلاد بسبب ذلك ،ومائتى قطعة من الجراريف والمقلقلات وستمائة بقرة .

•••

واستهل شهر رجب ليلة الثلاثاء .

فى أواخره ـ وهو العاشر من أمشير والطالع سعد ـ هبَّت الريح المريسيّة شديدة البرد اليابس مع شعث ، فكان البرد أشد ما وقعٍ فى هذا الفصل ، ودام ذلك إلى آخر الشهر ، ومضى طوبة معتدلا ليس فيه برد شديد أصلاً ، وهذا بخلاف العادة المعهودة ، ولم يزل البرد شديداً إلى يوم نَزَلت الشمسُ بالحوت ، وهو سابع عشر أمشير ، فخفّ قليلاً ، ثم فى اليوم الذى يليه كان الطالع سعد السّعود فوقع المطرُ وهبّت الريح الباردة ، ودام المطر ليلة الأربعاء وفى يومها إلى ليلة الخميس ، ثم صَحَتْ فى صبيحته عن أحوال فى البلد كثيرة ، وصلح الزرع ، ولله الحمْد .

•••

---

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « هو الذى ولى السلطنة فى سنة سبع وخمسين » انظر ما كتبه عنه البقاعى فى كتابه اظهار النصر ، ورقة ٢٣ ب وما بعدها وهو الذى يعدّه محقق الانباءللنشر . وكانت للبقاعى معرفة قوية بإينال الاجرود ترقى الى حد الصداقة ، وكثيرا ما حضر مجالسه .

(٢) اشار المقريزى فى الخطط ١ / ١٢٩ إلى خليج الإسكندرية فذكر ان ابن عبدالحكم نسب حفره إلى الملكة كليوباترا وانها ادخلته الإسكندرية ولم يكن يدخلها الماء وساق كذلك ما قاله الكندى من ارجاع حفره إلى زمن متاخر ونسب ذلك إلى الحارث بن مسكين قاضى مصر .

وفيه استقرّ خليل بن شاهين الذى كان أميرَ الإسكندرية ـ أميرَ الحاجّ .

وفى رجب توجّه جانبَك الدويدار ، والقاضى عبدالباسط إلى شبرا الخيام [١] فهدما الكنيسة المحدثة .

وفى يوم الجمعة ثانى شعبان توجّه القاضى كمال الدين بن البارزى إلى قضاء دمشق ، وسار معه من حاشيته جمع جمٌّ ، وتأخّر أهْلُه وصغارُ ولده بمنزلهم بالقاهرة ، ونزل عن قضاء دمياط لجوهر الخزندار ـ وكان ابن قاسم نزل له عنه ـ وتعوّض عنه فى مقابله خمسين ألف درهم فيما قيل ، فسأله جوهر أن ينزل عنه فلم يسعْه إلّا الإجابة ، ولا وسع القاضى الشافعى إلّا الإغضاء [٢] .

وسار جوهر فى ذلك سيرة أحسن من سيرة ابن قاسم ، وصار يكتب على الكتب التى يحتاج إليها إلى دمياط : « الداعى جوهر الحنفى » [٣] ، ولم يَلِ القضاء خصى قبله .

•••

وفى يوم الأحد ـ الرابع من شعبان ـ ابتُدِىء بقراءة البخارى بالقلعة على العادة . وحضر الجماعة كلهم ، وكان الأمير قدْ أفرد الأعيان من الجماعة على حدة ، ومَن عَدَاهم على حدة ، ليخفّ اللغط .

ثم بدا للسلطان أن يحضر الجميع وينصتوا لسماع الحديث ، ففعلوا ، ولم يتكلم أحدٌ ، إلّا أن الشافعى ردّ على القارىء مواضع من الأسانيد [٤] لا أسانيد لها ، أو يحرفها من سَبْق

---

(١) شبرا الخيام ضاحية القاهرة ، وتعرف أيضا بشبرا الخيمة ، وهى من القرى المصرية القديمة ، وقد أفاض محمد رمزى فى القاموس الجغرافى للمدن المصرية ، ق ٢ ، ج ١ ص ١٢ ـ ١٣ فى التعريف بها وأشار إلى أن أميلينو ذكر فى جغرافيته قرية صغيرة باسم « شبرا رحمة » SCHOUBRARAHIMAH وتعرف فى اللغة القبطية باسم « بروهيبو » ، وهى شبرا الخيمة ذاتها وهو الأسم الذى وردت به فى قوانين الدواوين لابن مماتى ، وكانت حافلة بالأسواق والمساجد والمتاجر والأفران ومعاصر الزيت الحار والسيرج ، وتقع بين منية الأصبغ ومنية السيرج بالقاهرة ، على أن المقريزى ذكرها باسم « شبرا الخيام » كما بالمتن وقد يقال لها « شبرا الشهيد » لوجود صندوق خشبى بها فى داخله إصبع شهيد نصرانى وكان الناس على اختلاف طبقاتهم يحتفلون سنويا بعيد ذكرى هذا الشهيد فينصبون الخيام على شاطىء النيل بشبرا ، ومن ثم عرفت بشبرا الخيام اما اليوم فتعرف باسم « شبرا » فقط ، وقد يقال لها شبرا البلد .

(٢) فى هـ : « الامضاء » .

(٣) فى ز « الخصى » وهو وإن كان صفة لجوهر إلا ان الأصح هو ما اثبتناه بالمتن ، فقد ورد فى الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٨٤ ، س ٨ ـ ٩ قول السخاوى عنه : « وكانت علامته فى مراسيمه لنوابه فى دمياط بخطه : « الداعى جوهر الحنفى » .

(٤) وردت هذه العبارة فى هـ على النحو التالى : « من الأسانيد أسماء بدلها » .

اللّسان ، وحضر فى المجلس الثانى القاضى علم الدين البقلينى بسعى شديد منه فى ذلك ، وكان يظنّ أن الأمر على العادة ليشغب كعادته ، فوجدهم لزموا السكوت ، فلما كان فى المجلس الثالث وقع فى الليل مطر غزير ، فكثر الوحل فى الطرقات .

•••

وفيه استقرّ إينال الأجرود أميرَ صفد عوضا عن يونس ، وأن يقيم يونس بطالا بالقدس ، واستقر قراجَا شادُّ الشرابخاناه فى إمرة إينال ، واستقر إينال الخزندار شَادّ الشر بخاناه ، واستقر على باى خزنداراً عوضاً عن إينال . وهذان الشابان نشآ عند السلطان نشأة حسنة ، فـأحبّهما وقَرّبَهُما ومَوَّلهما ، فصار لهما الجاه والحرية الوافرة ، وكان لهما بعده ما سنذكره فى الحوادث .

•••

وفى شعبان نودى بأن يجتمع الذين قُطِعَتْ أيديهم (١) من الذين كانوا رفقة سليمان ولد ابن عثمان ، فاجتمعوا ظنا منهم أنه ينفق فيهم توسعة فى رمضان ، فجعل كل اثنين فى قرمة خشب ، (٢) ، وأنزلوا فى مركب إلى البحر لينفوا إلى بلاد الروم ، فكثر ضجيجهم ودعاؤهم ، ولله الأمر .

وفى عاشر رمضان جاءت أخبار من جهة ابن عثمان ومن جهة جانبك الصوفى فعزم السلطانُ على السفر .

•••

واستهل رمضان ليلةَ الجمعة بعد أن تراءوه فلم يتحدّث أحد برؤيته ، وأوقد غالب أهل البلد المنائر بغير رؤية ، فنودى لهم بإطفائها ، فأصبح النـاس فأفـطر الكثير منهم ، ثم أرسـل السلطان ثلاث أنفس من المماليك ذكروا أنهم رأوا الهلال ، فلما تسامع الناس بذلك بادروا فما تعالى النّهار حتى ثبت عند ثلاثة من الحكام ، ونودى بالإمساك .

---

(١) راجع ماسبق . ص ٤٢ .

(٢) ذكر لى الأستاذ شلتوت انه لم يتيسر له تفسير واضح لهذه الكلمة وقال لعل المراد أن كل اثنين ربطا بأيديهما إلى قطعة خشب قصيرة بمثابة القيد حتى أنزلوا إلى السفينة .

واستمرّ البرد .

وفى يوم الاثنين الرابع منه نزلت الشمس الحَمَل ، واستمرّت الأيام رطبة ، ويأتى الحرّ أحيانا فى أثناء النهار وفى أثناء الليل .

•••

وفى عاشره عقد مجلس بسبب التوجّه إلى البلاد الشمالية من أجل ابن ذلغَادِر وجَانى بك الصوفى ، وشاع أن ابن عثمان قصدَ نصْرَتَهُمْ ، فاستقر الأمر على أن يتوجّه نواب الشام نجدةً لإبراهيم بن قرمان ، ويُطالعوا [السلطان] بما يتجدّد [1] .

•••

وفى يوم الأربعاء العشرين من شهر رمضان خُتِم البخارى على العادة ، وكان علاء الدين الرومى سَعَى فى مشيخة الشيخونية عوضاً عن باكير [2] ، وألَحُّوا على السلطان فى أمره ، فامتنع وقال : إنه كثير الشرّ ولا يحتمله أهل الشيخونية ، وأمر أن يرتب له فى الجهات السلطانية مرتبات ، وعند القاضى الشافعى فى الأوقاف ألف وخمسمائة ، وعند الحنفى النصف من ذلك ، فلم يقنع بذلك ، وشرع فى الحطّ على شيخها باكير ، فوقع منه قبل مجلس الختم أن بحث فى شىء ، فتكلّم باكيرُ ، فَرَدّ عليه ، ثم بالغ إلى أن كفّره ، فردّ عليه الشافعى ، ووافقته الجماعة ، ووافقهم السلطان ، فسكت الرومى على مضض ، ثم شرع فى كتابة أسئلة ودسها إلى السلطان ليجيب عنها الشافعى ، فأحضرها بعض الدويدارية وسلّمها للشافعى ، فقرأها وقال له : « يطلب الجواب » فذهب ولم يَعُدْ .

فذكر الشافعى [3] للحاضرين أن أوّل الورقة : « إنَّ أعْلَم أهل هذا المجلس لا يعلم معنى : « قال رسول الله ! » وكلاما آخر فيه عجرفة ولحن ، فأجمع من سمع ذلك على ذمّه .

---

(١) يستفاد من رواية النجوم الزاهرة ٦٢/١٥ انه ورد الخبر بزحف ناصر الدين بك بن ذلغادر ومعه جانبك الصوفى على بلاد ابن قرمان ولم ترد فيه الإشارة إلى انحياز ابن عثمان لهما .

(٢) هو ابو بكر بن اسحق بن خالد الكختاوى الحلبى ثم القاهرى الحنفى وقد ذكر السخاوى فى ترجمته له بالضوء اللامع ج ١١ ، ص ٢٦ ، رقم ٦٩ انه يعرف بباكير ، وكذلك فى نفس المرجع ج ٥ ، ص ٤٢ ، س ١١ . كما انه سيرد بعد بعد قليل فى تعليقات البقاعى على هذا الجزء من الانباء انه هو باكير . وقد كانت ولادته سنة ٧٧٧ بكختا وولى قضاء حلب على كبر ثم طلب إلى القاهرة حيث استقر شيخ الشيخونية وكانت وفاته سنة ٨٤٧ انظر فيما بعد ص ٢١٨ ، ترجمة رقم ٢ .

(٣) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « جمع شيخنا القاياتى وبعض رفاقه من اولى المعقول عنده غير مرة فى خلوة لينظروا له تلك الأسئلة ويسعوا فى اجوبتها ليكتبها موهما انها له فلا ينسب لعجز ، فإن الرومى كان يبالغ فى تقرير انه لا يحسن الجواب عنها وثبت ذلك فى ذهن السلطان واكابر دولته وافحش فى اسماع شيخنا السب حتى إنه قال له : « انت شيخ مفترى ، كل ذلك بإغراء العينى مع كون داعيه متوفر على الشر » .

ثم فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من شهر رمضان أمر السلطان بعقد مجلسٍ لسببِ منازعة إبراهيم السَفَّارِى مع جهة الحرمين فى جزيرةٍ من الصعيد وكانت هى بيد مستحقّى الحَرَمَين ، وشرف الدين السفارى مستأجرها منهم ، ثم ادّعى فى سنة أربع وثلاثين من أنها وَقْفُ أبِيه ، وسأل فى كتابة محضر ، ثم بطل ذلك فلما كان فى سنة ستٍ وثلاثين بعد موت شرف الدين قام إبراهيم هذا ـ وهو صهره ـ فأكمل المحضر المذكور عند المالكى قبل السّفر إلى آمد ، فلما عاد العسكر قام المستأجر على الأمراء إلى أن استمرّت فى يد مستحقى الوقف .

فلما كان فى السنة الماضية سأل إبراهيم السفارى فى عقد مجلس فرسم له عند كاتب السرّ ، فحضر القضاة الأربعة ، فحكم الحنفى بإبقاء الوقف فى يد مستحقّى الحرمين ، وبإلغاء ما يخالف ذلك ، فلما كان فى شهر رجب هذه السنة أحضر إبراهيم محضراً من الصعيد فيه حُكْمُ قاضى « هُوّ » بأنَّ الجزيرة المذكورة اشتراها السّفارى الكبير من بيت المال ووقفها على ذرّيته ، فنفذ ذلك الحنفى وضمنه حكماً بناه على حكم المالكى الأول ، فقام فى نقض ذلك زمّامُ الدور السلطانية جوهرُ نيابةً عن ناظر الحرمين ، وأوصل القصة للسلطان وأوضح له تناقض الحنفى فى المسألة ، فرسم بعقد مجلسٍ عنده فعُقِد ، فلمّا تبيّن له الحال قُطِّع المستند الذى بيد إبراهيم بحضرة الحنفى وغيره ، وأبقى الجزيرة المذكورة بيد مستحقّى الحرمين ، فلما انفضّ المجلس طلب باكير من السلطان الإذن للشافعى أن يأخذ له حقّه من علاء الدين الرومى ، فأذِنَ له فى ذلك .

وفى يوم السبت طلب شرف الدين أبوبكر[1] بن إسحق بن على الملطى شيخ الشيخونية علاء الدين على بن موسى الرومى[2] لمجلس الحكم وادّعى عليه أنّه كَفّره فى مجلس الحديث بحضرة السلطان والعلماء فى يوم الاثنين ثامن عشره ، ونسبه أنه قال : « الوجوب والإيجاب متحدان بالذات ، مختلفان بالاعتبار » فأنكر الرومى ذلك فخرج الملطى على البيان ، ثم عُقِد مجلس بحضرة السلطان فى القصر يوم الاثنين خامس عشريه فتنازعا قليلا ، فقام الحنفىّ فأصلح بينهما ، وذكر أن ذلك بإشارةِ من السلطان ، وانفصل الأمر على ذلك .

---

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « هو باكير » . انظر ما سبق ٤٨ حاشية رقم (٢) .

(٢) سيورد ابن حجر له فيما بعد ، ص ٨٤ ترجمة « رقم ٢٤ » لا تعدو سطرا واحدا ، لذلك نقول : إنه هو على بن موسى بن ابراهيم بن مصلح الدين الرومى الحنفى ، درس على ايدى جماعة من علماء سمرقند وشيراز وهراة ، وكان قدومه القاهرة سنة ٨٢٧ حيث اكرمه برسباى ، واستقر به فى مدرسته المستجدة ، ثم مالبث ان صرفه لوضعه يده على مال كبير لبعض من مات من صوفيتها وكان ذلك سنة ٨٢٩ فتوجه معزولا للحج ، ثم سافر إلى بلاد الروم ثم عاد وولى الشيخونية ، وكانت به خفة وطيش ومرارة لسان . انظر ابن تغرى بردى (طبعة بوبر) ٦/٨٥١ .

فرفع الرومى إلى السلطان أن الرسل الذين طلبوه إلى الشّرع أنزلوه عن فرسه وجرّوه على الأرض وقطعوا فرجيته ، وأحضروه وحوله نحو من مائتى نفرٍ من العامة يصيحون عليه : « يا رافض ، كفرت ! » فأمر بإحضارهم فأحضر منهم اثنان فضرِبا بحضرته ثم أطْلِقا ، وانفصل الأمر على ذلك ، وذلك فى يوم الأربعاء سابع عشريه .

وافتتح القاضى علم الدين البلقينى بالسّعى فدَس للحمصى الذى صُرِف عن قضاء الشام وحضر إلى القاهرة يسعى فى العود ، فكتب قصةً يطلب فيها تولّيه قضاء الشافعية بمصر وكتابة السرّ بها ، أو نظر الجيش بالشام ، فقال قائل : « لأى معنىً عُزِل عن الشام ؟ » فقال بعض من رتب فى القول أو وُعد بهذا العدل الكبير فغيره ببذل ذلك ، واستقر وهو أحقّ منه ، وهو كان صاحب الوظيفة ، فأصغى السلطان لذلك ثم بدا له فترك القول فى ذلك حتى انسلخ شهر رمضان .

وفى أول شوال جدّد الساعى للقاضى علم الدين [البُلقينى] السؤال ، فأمر السلطان بعض الخاصكية أن يتكلّم مع كاتبه (١) فى بذْلِ شىء فامتنع ، فلما كان فى يوم الخميس خامسه صُرِف كاتبُه عن القضاء واستقرّ القاضى علم الدين البلقينى .

وفى يوم السبت السابع منه رُسِم بعقد مجلسٍ بعلماء الحنفيّة بسبب شرط الشّيخونية ، وأحضرت أربعةُ كتب وهى : الهداية واليزدوى والمفتاح والكشاف ، وذَكَر السلطان للجماعة أن بعض الفقهاء قال له « إنّه لم يبْق أحد يعرف يقرر هذه الكتب » فوقع بينهم الكلام وبادر القاضى الشافعى فقال : « يا مولانا السلطان ، هؤلاء الجماعة هم أعيان العلماء ، وليس فى الدّنيا مثلهم ، وما منهم إلاّ مَن يقرّر هذه الكتب ، فمن ادّعى خلاف ذلك فليحضر حتى نسمع كلامه ونردّه عليه » ، فأعجب السلطَان ذلك وانفصل المجلس على أن القائل هو الحنفى ، فلمّا لم يجب عن ذلك كلّمه وظهر منه الرجوع عن ذلك ، فظهر للسلطان أنه تكلّم بغرض لأجل الرومىّ ، ففصل الأمر وانفضّ المجلس .

---

(١) يقصد ابن حجر بذلك نفسه ، ونستدل من هذه العبارة الموجزة على ما كان هو عليه من طبيعة تمنعه من ان يقضى امرا على غير وجه الحق مما ادى إلى عزله عن القضاء ، وهو امر تكرر حدوثه مما يوضحه كتاب السخاوى عنه وهو « الجواهر والدرر فى ترجمة الاسلام ابن حجر » الذى اصدر الجزء الاول منه صديقنا العالم الاستاذ المحقق حامد عبدالمجيد ، وهو الآن بصدد إصدار جزئه الثانى .

وفى يوم الأربعاء توجّه القاضى المستقر إلى مصر على العادة ، وكان الذى استقر فى نيابة الحكم شخص يقال له حسن الأَمْيوطِى [١] كان رسولاً فى الحكم فنقم عليه شىء ، وصار يتوكل فى المحاكمات ، ثم اتّصل بالقاضى المستقر .

فلما كان هذا اليوم طلع القلعة ومعه شىء من الذهب الموعود به ، فخلع عليه قباء مطرّز فاستمرّ لابسه وهو راكب قُدَّام القاضى من مصر إلى القاهرة فى الشّارع ، وتَعجّب الناس من ذلك .

•••

وفيه نزلت صاعقة بجُدَّة فأتلفت شيئاً كثيراً ، ووقع حريق ، وهلك نحو مائة نفس ، وتلف لبعض التجار مالُ كثير [٢] .

ومن العجائب أن البضاعة المتعلقة بالسلطان ظلت سالمة ، ويقال إن غالب الأبنية المتجددة فى جدّة احترقت . واحترق أيضاً مركبان بما فيهما من البضاعة ، ووقعت وقعة بين القوّاد وجَانِبك شادّ جُدَّة ، فجرح عدة أشخاص ، ثمّ أصلح بينهم مَن كان أمير مكة [٣] .

وفى العشر الأخير منه ـ وكان موافقا لأوائل بَشَنْس من أشهر القبط ـ زاد النيل زيادة كبيرة ، وشاهْدتُ المقياس واعتبرتُه فوجدت الماء فى نصف الذراع الثامن ، هذا وقد بقى للأمد المعتاد أكثر من أربعين يوماً .

وفى السابع عشر منه طيف بالمحمل وخَرَج الحاج ، وفى الظنّ أنهم قليل ، فاجتمع فى بركة الحبش [٤] خلائق بحيث أنهم صاروا ثلاثة ركوب ، وكان أمير الأول ولد الدويدار الكبير ، وأمير المحمل غرس الدين خليل الذى كان أمير الإسكندرية ، وتوجه جمعٌ كبيرٌ من الركبين صحبة جماعةٍ من الخاصكية . وسافر الأول يوم الأحد .

---

(١) انظر الضوء اللامع ٣/٣٩٧ .

(٢) انظر تفصيل هذا الخبر فى اتحاف الورى ٤/١٠١ ـ ١٠٢ .

(٣) راجع إتحاف الورى ج ٤ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ . اما امير مكة حينذاك فكان الشريف بركات بن حسن بن عجلان .

(٤) ربما اراد المؤلف ان يقول « بركة » الجب التى تسمى بُجب عميرة وهى التى صارت بركة الحجاج او بركة الحاج ، والتى يبرز إليها الحجاج عند خروجهم من مصر إلى مكة ، راجع خطط المقريزى ٢/١٦٣ اما بركة الحبش الواردة فى بعض النسخ الاخرى من الانباء فتقع قبلى الفسطاط بين الجبل والنيل وكانت فى الأصل ارضا مواتا فاحياها قرة بن شريك العنسى امير مصر ولذلك تعرف باسم اسطبل قرة . ثم صارت فيما بعد وقفا على الأشراف العلويين من بنى الحسن والحسين وذلك منذ سنة ٦٤٠ . ويذكر احد من شاهدوها فى القرن التاسع الهجرى انها كانت ابهى ما تكون منظرا ايام فيضان النيل ، انظر ما كتبه عنها بالتفصيل المقريزى فى الخطط ٢/٢٦٥ ـ ٢٦٨ .

وفى ثالث عشرى شوال قُتل شخص كان نصرانيا فأسلم ثم ارتد ، فعُرض عليه الإسلام فامتنع فقتل .

وفى أواخر شوال أحضر شخص ثلاث شعرات وذكر أن تاجرا أوصى أن يدفع ذلك للسلطان ومات بحلب ، فاستدعى النائب القضاة فسلمها لهم ، ففرح بها السلطان وأراد أن يبنى لها زاوية يتركها فيها لتزار كما تزار الآثار التى بمصر .

•••

واستهل شهر ذى القعدة بالاثنين ، وفيه اصطلح ابن عثمان وابن قرمان ، وعاد نائب حلب من مرعش .

ووقع بين حمزة وبين قرايُلُك صاحب ماردين وبين أصبهان بن قرا يوسف حرب وانهزم فيها أصبهان ومن معه ، وأقام شخصاً بقلعة فولاد .

•••

وفى يوم الأربعاء شهد جماعة برؤية الهلال تلك الليلة فلم يقبل القاضى شهادتهم وردّهم بينه وبين القاضى الحنفى ، فبلغ السلطان ذلك فذكر أن اثنين من المماليك أخبرا السلطان بذلك ، وأنه ارتقب الهلال ليلة الخميس فغاب قبل العشاء ، فاستدلوا بذلك على بطلان شهادة من شهد برؤية ليلة الأربعاء ، وقوّىَ ذلك عندهم أنَ أهل التقويم أطبقوا على أن رؤية الهلال الأربعاء غير ممكنة فى العادة لأنه يغيب على نحو ثلث ساعة ، واستمر الحال على ذلك إلى أن ضحى جماعة من الناس يوم الجمعة اعتمادا على من رآى ليلة الأربعاء ، وانتشر الأمر ، وكثر عدد من ينتسب إلى الرؤية ، وامتنع جماعة من صيام يوم الجمعة اعتمادا على من شهد ويتهم من اتهم الذين لم يقبلوا الشهادة المذكورة بأنهم فعلوا ذلك محاباةً للسلطان على ماجرت به العادة من تطيرهم بخطبتين فى يوم واحد ، فيُنقض عليهم بأن القاضى ولِىّ الدين العراقى خطب فى شوال سنة ٢٨ ، وهى أول سنة تقرر فيها الأشرف فى السلطنة ، ولم يـزل مقيمـا فـى مملكتـه إلـى الآن ، وكثـرت الشـنـاعة بسبـب ذلـك ، والله المستـعـان .

وعيّد جماعة يوم الجمعة وصلّوا فى بيوتهم العيد ، وأفطر جمهور الناس يوم الجمعة خشية أن يكون هو يوم العيد ، واتفق أهل الشام والقدس وما حولها ، على أن أول ذى الحجة يوم الأربعاء [١] .

ذكر من مات فى سنة أربعين وثمانمائة من الأعيان

١ ـ إبراهيم بن عبدالكريم الكردى الحلبى [٢] ، دخل بلاد العجم وأخذ عن الشريف الجرجانى وغيره ، وأقام بمكة ، وكان حسنَ الخلق كثيرَ البشر بالطلبة ، وانتفعوا به كثيراً فى عدة فنون ، وجُلّها المعانى والبيان ، وكان يقررّها تقريراً واضحاً تاماً . مات فى المحرم .

٢ ـ أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن سَلِيم بن قَايْماز بن عمر بن عثمان البوصيرى ، الشيخ شهاب الدين نزيل القاهرة ، وُلد فى المحرّم سنة ٧٦٢ واشتغل قليلاً وسكن القاهرة ، ولازم شيخنا العراقى على كِبَر فأخذ منه الكثير ، ثم لازمنى فى حياة شيخنا فكتب عنّى « لسان الميزان » و « النكت على الكاشف » ، وسمع علىّ الكثير من التصانيف وغيرها ، ثم أكَبَّ على نسْخ الكتب الحديثية وفى الآخر أكبّ على نسخ « الفردوسى » و « مسند الفردوس » ، وعلق بذهنه من أحاديثهما أشياء كثيرة ، وكان يذاكر بها ، واشتغل فى النحو قليلاً على بدْر الدين القدسى ولم يكن يشارك فى شىء منه ولا الفقه ، وكان كثير السكون والعبادة والتلاوة مع حدة الخلق ، وجمع أشياء منها « زوائد سنن ابن ماجة » على كتب الأصول الستة . وعمل « زوائد المسانيد العشرة » و « زوائد المسند الكبرى » للبيهقى ، وجمع من مسند الفردوس وغيره أحاديث أراد أن يزيد بها على « الترغيب والترهيب » للمنذرى ، ولم يبيضه ، وسماه : « تحفة الحبيب للحبيب ، بالزوائد فى الترغيب والترهيب » [٣] .

---

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص٤٢٠ ان أول ذى الحجة كان الخميس وهو يطابق يوم ٦ يونيو سنة ١٤٣٧ م .

(٢) نقل السخاوى فى الضوء اللامع ٦٩/١ هذه الترجمة بنصها ثم اردفها بقوله « قاله شيخنا فى إنبائه » ثم اضاف إليه ما جاء عنه نقلا عن ابن فهد وغيره . كذلك نقلتها الشذرات ٣٣/٧ عن ابن حجر . لكنها ذكرت ان صاحب الترجمة مات فى آخر المحرم .

(٣) اورد البقاعى فى عنوان الزمان ، ترجمة رقم ٧ عنوان هذا الكتاب المشار إليه فى المتن فسماه « تحفة النجيب للحبيب ، بما زيد على الترغيب والترهيب » وقال عنه : « جاء فى حجم الترغيب وليس فيه حديث عن المنذرى إلا إن كان فيه زيادة » .

ولم يزل مُكِبًّا على الاشتغال والنسخ إلى أن مات فى ليلة الثامن والعشرين [(١)] من المحرم بمدرسة السلطان حسن بالرميلة ، وله ثمان وسبعون سنة .

٣ ـ أحمد بن صلاح بن محمد بن محمد بن عثمان بن على بن السمسار [(٢)] المعروف بابن المحمرة ، شيخ الصلاحية شهاب الدين ، ولد فى صفر سنة سبع وستين وسبعمائة [(٣)] ، وحفظ القرآن صغيرا ، والعمدة والمنهاج .

وكان ذكيًّا ، ولازم الشيخ سراج الدين البلقينى ، والشيخ زين الدين العراقى ، ودار على الشيوخ وقتا ، وكتب بعض الطباق ثم تشاغل بالجلوس فى رحبة العيد ، وتقرّر فى المخبز بالخانقاه الصلاحية ، ولازم السالمى فقرأ له بنفسه على جمعٍ من الشيوخ عدةً من الكتب ، وسمع قديما من عبدالله بن على الباجى ، وتقى الدين بن حاتم ونحوهما ، ثم أكثر عن شيوخنامنهم : البرهان الشامى ، وابن أبى المجد ، ثم استنابه القاضى جلال الدين فى الحكم ، فأقبل على ذلك بكُلّيته واقتنى مالاً وعقاراً .

وكان كثير الدّربة فى الحكم ، حسنَ التجمل جدًّا ، فاتفق أن الملك الأشرف قرّر بهاء الدين بن حجى فى قضاء الشام بعد قتل أبيه فسار سيرةً سيئة ، فاتصل ذلك بالسلطان فعرَض ذلك على القاضى علم الدين البلقينى فاستعفى ، فذكر شهاب الدين [(٤)] للسلطان وعَرَّفه بحسن شَكْله فقرّرَه ، وذلك فى سنة ٨٣٢ ، فتوجه وسار سيرة حسنة ، فلم يزل على ذلك حتى وقع بينه وبين كاتب السرّ بدمشق القاضى كمال الدين البارزى ، فسعى عليه فاستقر فى القضاء وعاد إلى القاهرة ، ثم لم ينشب القاضى كمال الدين أن نقل إلى كتابة السر

---

(١) فى ز « الثامن عشر » وقد صححنا التاريخ بناء على ما ورد فى الشذرات والضوء اللامع ٢٥٢/١ وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٢٠٩/١٥ وعنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران . ترجمة رقم ٧ .

(٢) عرف بالسمسار لأن اباه كان من سماسرة الغلال بساحل بو ‌‌ق . كما عرف بابن المحمرة لأن امه نسبت إلى التحمير من الحمرة ، كذلك يسمى بابن الصلاح وهو لقب ابيه وجده . هذا وقد ورد فى نسخة هـ إشارة فوق كلمة « صلاح » وامامها فى هامشها بخط البقاعى قوله : « انما الصلاح لقب جده » كما اضاف فى الهامش ايضا قوله : « ويعرف ابوه بابن البحلاق » وقد وردت هذه التسمية ايضا فى شذرات الذهب ٢٣٤/٧ والضوء اللامع ٥١٥/٢ حيث سماه « احمد بن محمد بن عثمان » ، وانكر فى نفس المرجع ، ج١ ص٣١٩ ، س١٧ كلمة « صلاح » اما البقاعى فقد ترجم له فى عنوان الزمان برقم ٨٥ باسم « احمد بن محمد بن الصلاح محمد بن عثمان .. الشهير والده بابن البحلاق » .

(٣) جاء فوقها فى نسخة هـ بخط الناسخ « ٧٦٦ » ثم بخطه ايضا فى الهامش « يحرر » وجاء فى هامش هذه الورقة بنفس النسخة بخط الباعى « الصواب ما فى الاصل » يعنى بذلك سنة ٧٦٧ . وهذا هو التاريخ الوارد فى ترجمته فى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٢٣٤/٧ فقال « ولد ليلة خامس عشرى صفر سنة سبع وستين وسبعمائة . وقيل تسع . والاولى اصح » .

(٤) المقصود بشهاب الدين هنا شهاب الدين بن المحمرة صاحب الترجمة .

من دمشق إلى القاهرة ، واستمر شهاب الدين بالقاهرة إلى أن شغرت مشيخة الصلاحية فصرف الشيخ عز الدين القدسي عنها فسافر إليها فى ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ، فباشرها إلى أن مات فى يوم السبت ١٦ ربيع الآخر .

قال القاضى تقى الدين الشهبى : « ناب فى القضاء مدة ودخل فى قضايا كبار ففصلها ، وولى بعض البلاد فحصل منها مالاً ، وصار يتجر بعد أن كان مقلاً يتكسب من شهادة المخبز بالخانقاه الصلاحية » .

« ولما ولى قضاء دمشق سار سيرة حسنةً مرضية بحسب الوقت ولم يعدم من يفترى عليه ، إلاّ أنه كان متساهلا لا يتجنب عن القضايا الباطلة ، وكان لا يتولىّ الحكم بنفسه ولا يفصل فى شىء ، ولا ينكر على ما يصدر من نّوابه ، مع اطلاعه على حالهم »[1] .

٤ ـ أحمد بن[2] محمد بن أبى بكر بن سليمان الهيثمى ، شهاب الدين ، ولد سنة ثمان وسبعين ، وسمع من عمه الحافظ نورالدين ، والزين العراقى والأبناسى والزين ابن الشيخة ، وتكسب بالشهادتين فى حانوت برحبة العيد[3] ، وحدّث قليلا مات فى ليلة الثلاثاء سادس ذى الحجة ودُفن من الغد .

٥ ـ أحمد[4] بنْ محمد بن رمضان المكى ، الشاعر المعروف بالحجازى ، أو أبو

---

(١) جاء بعد هذا فى نسخة ز « ذكره ابن قاضى شهبة فى طبقاته فقال : الإمام العالم العلامة ، الجامع بين اسباب العلوم . بقية العلماء الاعلام قاضىْ القضاة ، مولده فى صفر سنة ٦٧ ، وسمع الحديث من اول سنة ٧٨ ، ثم قال : « وتفنن فى العلوم ودرس و افتى ، وناب فى القضاء مدة وولى بعض المعاملات على قاعدة فقهاء مصر ، وحصل منها ومن المتجر مالا كبيرا ، ومهر فى صنعة القضاء ، وولى تدريس الشيخونية ومشيخة خانقاه سعيد السعداء ، ثم ولى قضاء دمشق مسئولا فى جمادى الآخرة سنة ٣٥ وباشر بعفة » . ثم ذكر ما قاله عنه المؤلف ثم قال : « وعزل فى شعبان سنة ٣٨ وعاد الى القاهرة واعيبت اليه جهاته . وفى اوائل سنة ٣٨ عرض عليه قضاء دمشق فابى . ثم فى آخر السنة ولى تدريس الصلاحية بالقدس فقدم القدس واقام به إلى ان توفى وكان فاضلا فى الفقه والحديث والنحو ، يحفظ كثيرا من تواريخ المصريين ووفياتهم ، حسن المحاضرة لطيف المفاكهة يكتب على الفتاوى كتابة مليحة . كان شكلا حسنا . توفى فى ربيع الآخر وخلف دنيا طائلة » انتهى . وكانت وفاته ليلة السبت سادس عشر ربيع الآخر ومولده فى ٢٨ صفر .

(٢) خلت نسخة هـ من هذه الترجمة

(٣) فى السخاوى : الضوء اللامع ٢/٣١٢ والبقاعى : عنوان الزمان رقم ٠٥١ « حبس الرحبة » .

(٤) ترجم له الضوء اللامع ٢/٢١٧ باسم احمد بن محمد بن احمد بن جبريل بن احمد ، يضاف إلى هذا انه جعل وفاته سنة ٨٤١ ولم تفته الإشارة إلى ان ابن حجر ذكره فى وفيات سنة ٨٤٠ من إنبائه ، كما ان البقاعى قال عنه فى عنوان الزمان ، برقم ٥٨ ، إنه ولد « قبل سنة خمسين وسبعمائة تقريبا » ، وكذلك جاء فى هامش هـ بخط البقاعى التعليق التالى : « الذى ذكره لى انه ولد سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، وذكر لى نسبه [فقال] : احمد بن محمد بن احمد بن جبريل بن احمد . هكذا املاه على ، والذى ظنه شيخنا فى شعره ظهر لى انا من قبل ان اسمع من شيخنا شيئا من ذلك بل كنت اقطع به ، والله اعلم وسنة موته بعد هذه فإنه مات سنة احدى واربعين بمارستان القاهرة . رحمه الله » .

العباس ، ذكر لى أنه وُلد سنة إحدى وسبعين وسبعمائة تقريبا بجياد [١] من مكة ، وتولّع بالأدب ، وقدم الديار المصرية فى سنة ستٍ وثمانين وسبعمائة صحبة زكىّ الدين الخرّوبى وتردّد إليها ، ثم استقر بالقاهرة وتكسب فيها بمدْح الأعيان .

وكان ينشد قصائد جيدةً منسجمة ، غالبا فى المديح ، فما أدرى أكان ينظم حقيقة أو كان ظفر بديوان شاعر من الحجازيين وكان يتصرف فيه ، وإنما ترددتُ فيه لوقوفى فى بعض القصائد على إصلاح فى بعض الأبيات عند المخلص أو اسم الممدوح ، لكونه فيه زحاف أو كسر ، والله يعفو عنه .

وأظنه كان مخطئا فى سنة مولده فإنّه كان اشتدّ به الهرم وظهر عليه جدا ، والله أعلم .

٦ ـ أحمد [٢] بن محمد نجم الدين البابى ، شهاب الدين ، نسبة إلى « باب » ، وكان يصحب القاضى صدْرَ الدين المناوىّ ، وتقدم فى ولايته القضاء ، ثم ولى تدريس الشريفية بالقرب من الجودريّة ، وسكن بها إلى أن مات وقد جاوز الثمانين .

٧ ـ أرغون شاه النيروزى ، وكان ولى أستادارية السلطان بدمشق ، وولى الوزارة بمصر ثم الأستادارية ثم عاد إلى دمشق على إمرة .

مات فى حادى عشر رجب .

٨ ـ أقباى اليشبكى ، كان من مماليك يشبك ، واستقر بعد ذلك دويداراً صغيراً وولى نيابة الإسكندرية فى العام الماضى [٣] ، وكان متواضعاً بشوشا كثير الحرص على التحصيل ، ولم يُحْمد فى ولايته المذكورة .

مات فى يوم السبت ٢١ ذى القعدة [٤] ، واستقر زين الدين عبدالرحمن بن علم الدين بن الكويز فى نيابة الاسكندرية .

---

(١) الوارد فى كل من الضوء اللامع وعنوان الزمان « شعب جياد » اما جياد ـ وقد يقال اجياد ـ فجبل بمكة ومحلة بها . انظر مراصد الاطلاع ١/٣٣ ، ٣٦٤ .

(٢) ورد اسمه فى هـ هكذا : « احمد الباب شهاب الدين ، بباء موحدة نسبة إلى البـاب من قرى حلب » انظر ياقـوت ١، ص ٤٣٧ ، ٦٠٣ والدمشقى : ٢٠٥ وراجع ايضا Le - Strange : Palestine Under The Moslems, PP . 406, 426.

(٣) يقصد بذلك سنة ٨٣٩ ، على انه ولى نيابة الاسكندرية سنة ٨٣٧ ، وراجع ايضا الضوء اللامع ٢/٣٤ برقم ٩٩٩ ، والسلـوك للمقريـزى ٤/١٠١٥ والنجـوم الـزهـرة ١٥/٢٠٧ ، Wiet : Op . Cit ., 480

(٤) بعد ان ذكر الضوء اللامع ٢/٩٩٩ هذا الشهر قال « وقيل فى اخر شوال سنة ٤٠ » .

مات فى يوم السبت ٢١ ذى القعدة ، واستقرّ زين الدين عبدالرحمن بن علم الدين بن الكويز فى نيابة الاسكندرية .

٩ - أبوبكر [١] بن معتوق بن أبى بكر السوهاجى ، زكىّ الدين الشاهد بمصر ، سمع فى سنة تسع وسبعين على ناصر الدين محمد بن على بن يوسف بن إدريس الحراوى [٢] الطبردار قطعة من كتاب الخيل للدمياطى بسماعة لجميعه منه ، ومات فى سنة أربعين .

١٠ - برْدْبَك [٣] الإسماعيلى الظاهرى برقوق ، أحد أمراء العشرات ، مات فى جمادى الأولى .

١١ - حمزة بك بن على بن ناصر الدين بن ذُلغادر ، مات مسجوناً بقلعة الجبل فى ليلة الخميس السابع والعشرين من جمادى الأولى .

١٢ - سَلِيم بن عبدالرحمن الجنَانى ، [٤] الشيخ سليم ، أصله من عسقلان ، ويقال له الأزهرى لسكناه بالجامع الأزهر وهوَ أحدُ مَن كان يُعتقَد بالقاهرة ، وكان شهما جاوز السِتين بأربع ، وحجِّ مرات ، وكانت جنازته مشهورة .

ومات أخوه الشيخ على الجنَانى قبله بقليل ، وكان خيِّراً ديِّناً ، وأظنه جاوز الثمانين [٥]

---

(١) كلمة « ابو بكر » غير واردة فى هـ .

(٢) ولد الحراوى الطبردار بدمياط فى اخريات القرن السابع الهجرى او السنة الاولى من القرن الذى يليه ، والارجح ان مولده كان سنة ٦٨٧ . يؤيد هذا ما يذكره ابن حجر فى الدرر الكامنة ٤١٢٦/٤ من انه عمر ، وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٧٨١ .

(٣) لم ترد هذه الترجمة فى هـ ، ولكن راجع عن صاحبها النجوم الزاهرة ٢٠٧/١٥ والضوء اللامع ١٩/٣ ، هذا ويلاحظ ان الصيرفى فى نزهة النفوس والابدان ، اعتبره احد الأمراء العشرينات ولكن المنهل الصافى عدد مراتبه بانها كانت « امير طبخاناه ، ثم امير عشرة » .

(٤)وذلك نسبة لقرية بالشرقية وهى تقع على الشاطىء الشرقى لبحر حمادوت ، وقد اشار القاموس الجغرافى (ق١ من البلاد المندرسة ، ص٢٢٠) إلى ان اسمها الصحيح هو « منية جنان » وذكر فى موضع آخر من نفس الجزء ، ٤٣٩ اختلاف المراجع والكتب العربية المتاخرة فى رسمها ما بين « منية حسان » عند ابن مماتى ، و « منية خيار » فى تحفة الإرشاد « ومنية حيان » فى التحفة والاستبصار . وليس من شك فى ان هذه الصورة الإملائية تصحيف لكلمة « جنان » وسهو قلم من النساخ ، وقد اشار المرحوم محمد رمزى مؤلف القاموس الجغرافى إلى ان احد اصدقائه اخبره ان صاحب الترجمة الواردة فى المتن يرجع اصلا إلى هذه القرية وانه لا صحة لما ذكره المرحوم على مبارك فى الخطط التوفيقية ٦٨/١٠ من نسبته إلى « جنان » الواقعة قرب ما يعرف الآن بكفر صقر .

(٥) المقصود هنا الشيخ على الجنانى وليس صاحب الترجمة كما نص على ذلك الضوء الامع ٧٩٩/٥ فى ترجمته اياه مشيرا إلى ما ذكره ابن حجر هنا .

١٣ ـ عائشة[١] ست العين بنت القاضى علاء الدين الحنبلى ، ولدت سنة إحدى وستين [بالقاهرة] [٢] ، وحضرت فى الثانية على جَدها [لأمها] فتح الدين القلانسى أكثر الغَيْلانيّات [٣] وذلك فى خمسة مجالس من ثمانية ، [٤] وبقى الثّانى والثالث والرابع والسادس والسابع فى ربيع الأول سنة اثنتين وستين وسبعمائة وغيرها ، ومكعب من القاضى عز الدين بن جماعة ، والقاضى موفق الدين الحنبلى جزءيْن من حديث أبى الحسين بن بشر ، ومن ناصر الدين الحرّاوى المجلس الأول من فضل الخيل للدمياطى .

ولها إجازة من محبّ الدين الخلاطى ، وجماعةٍ من الشاميّين والمصريين ، وأكثر عنها الطلبة بأخرة .

وكانت خيِّرة تكتب خطا جّيداً ، وهى والدة القاضى عز الدين بن قاضى المسلمين برهان الدين إبراهيم بن نصر الله الحنبلى [٥] .

١٤ ـ عبدالرحمن بن محمد بن سليمان [٦] بن عبدالله ، المَرْوزى الأصل ، زين الدين بن الخراط ، نزيل القاهرة ، الأديب الشاعر ، موقّع الدست ، اشتغل على أبيه وغيره بحلب ، ووُلد بحماة فى سنة سبع وسبعين ، [٧] وقدم مع والده إلى حلب ، فنشأ بها واشتغل بالفقه ثم تولّع بالأدب واشتهر ، وأكثر من مدْح الأكابر من أهل حلب ، ومدح جكم بقصائد طَنانةٍ

---

(١) جاء امام ترجمة عائشة بنت الحنبلى هذه فى نسخة هـ بخط البقاعى : « على بن محمد بن على بن سعد الله بن ابى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم بن نصر الله بن احمد » ثم تلاها مباشرة بخطه ايضا : « الكاتبة الفاضلة الصالحة أم عبدالله وام الفضل الكنانية العسقلانية الأصل ، المصرية ، الحنبلية ، سبطة ابن القلانسى » .

(٢) الاضافة من الضوء اللامع ١٢/٤٨٢ .

(٣) قراها ناشر الشذرات ٧/٢٣٥ ، « العلامات » والغيلانيات ـ كما هو معروف ـ اجزاء حديثية تقع فى أحد عشر جزءا تنسب لأبى طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البغدادى البزاز ، المتوفى سنة ٤٤٠ هـ انظر سير أعلام النبلاء ١٧/٥٩٨ ، والرسالة للكتانى ، ص٦٩ (شلتوت) .

(٤) خلت نسخة هـ من عبارة « وذلك فى خمسة مجالس .. والسابع فى ربيع الأول سنة ٧٦٢ » .

(٥) ازاء هذا الكلام فى هامش نسخة هـ وبخط البقاعى « ثم ولى ولدها العز ابراهيم بن نصر الله قضاء الديار المصرية سنة سبع وخمسين حفظة الله » هذا وقد ترجم البقاعى فى عنوان الزمان لابراهيم بن نصر الله الحنبلى واثنى عليه الثناء المستطاب ، راجع عنوان الزمان ، ترجمة رقم ٤ .

(٦) اجمع كل من البقاعى والسخاوى على انه « سلمان » فقال اولهما فى تعليق له بهامش نسخة هـ من الإنباء : « إنما هو سلمان من غير ياء » وقال ثانيهما فى موضعين من كتابه الضوء اللامع ٤/٣٤٣ اولهما فى من « سماه شيخنا سليمان سهوا » وثانيهما ٩/٢٣٤ فى ترجمة اخيه محمد فذكره باسم « سلمان » . على أن ابن العماد الحنبلى تابع الانباء فى تسميته بسليمان ، انظر شذرات الذهب ٧/٢٣٥ .

(٧) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « ان مولده سنة تسع بتقديم التاء » وربما كان هذا هو التاريخ الأرجح لا سيما وان ابن حجر يقول فى نهاية الترجمة اعلاه إنه مات وقد قارب السبعين مما يرجح أن مولده كان سنة ٧٧ .

، فأجازهُ ، واختص به ونادمه ، ثم بعد إقامته بمصر مدح ملوكها ورؤساءها ، وقدم أخوه شمس الدين محمد [١] إلى القاهرة صحبة القاضي ناصر الدين بن البارزي ، فسعى لأخيه في كتابة السر بطرابلس ، فوليها ، ثم قدم الديار المصرية ابن البارزي فقطنها وقرّر في كتابة الإنشاء ، ثم ولى وظيفة الإنشاء بعد ابن حجة ، وكانت بيده وظائف تلقاها عن أبيه فاستمرت معه .

وولى قضاء الباب بعد والده فاستمر معه إلى أن مات واعتراه في آخر عمره انحراف بعد أن كان في غاية اللطافة والكياسة .

سمعْتُ من نظمه ، وطارحني بلغز في النعام نثراً من إنشائه فأَجَبْتُه . وكان كثير النّفور من الناس جدا .

بلغني أنه قارب السبعين ، ومات في ليلة الثلاثاء [٢] ثاني المحرم ، وقد تقدمّ ذكر أبيه [٣] .

١٥ ـ عبدالرحمن ، القاضي نور الدين ، ابن الشيخ جلال الدين نصر الله البغدادي [٤] أخو قاضي القضاة محب الدين ، كان ينوب في الحكم عن أخيه وناب قبل ذلك عن ابن المغلي ، وكان في ابتداء أمره حريريا بحانوت على باب النصر [٥] ، ثم جلس في الشهود إلى أن ناب عن أخيه فحكم فيه ، ثم ولى قضاء صفد استقلالاً ، فأقام بها سبع سنين ، ثم حجّ في أواخر شعبان سنة سبع وثلاثين وجاور سنة ثمانٍ ، ورجع إلى القاهرة في أوائل سنة تسع وثلاثين فأقام بها ينوب عن أخيه إلى أن مات في يوم الجمعة تاسع شعبان ، وكان الجمع في جنازته وافراً ، ولم أُصَلِّ عليه ، لأنه أخْرج وقت صلاة الجمعة ، وأنا صليْتُ في جامع القلعة بالسلطان .

ومولده سنة ٧٨٢ ، وقدم مع أبيه بعد التسعين وهو أصغر الإخوة ، وله سماع من بعض شيوخنا ، وكان حسنَ المودّة كثير البشاشة ، وفي كثير من أحكامه مغال ، والله يعفو عنه .

---

(١) انظر الضوء اللامع ٢٣٤/٩ .

(٢) في هامش هـ بخط البقاعي : « إنما مات يوم الإثنين مستهله » . راجع ايضا الضوء اللامع ، ٣٤٣/٤ وشذرات الذهب ٢٣٥/٧ .

(٣) راجع عنه إنباء الغمر ٢٨٤/٢ برقم ٣٦ والضوء اللامع ٦٤٣/٧ .

(٤) قال السخاوي عنه في الضوء اللامع ٤٠٩/٤ « التستري الاصل » وذكر ان مولده كان ببغداد سنة ٧٧١ .

(٥) في الضوء اللامع ٤٠٩/٤ « باب القصر » .

وأجاز له فى استدعاء - بخط أخيه - القاضى محب الدين بن المحب ، وجماعة من شيوخ الشام سنة ستٍ وثمانين وسبعمائة ، وذكر لى أخوه أنه سمع معه على تقى الدين بن حاتم كتاب « الشفا » ، ولم يخلف ولداً ، وقرأتُ بخط أخيه أنه مات له ثلاثة عشر ولداً .

١٦ - عبدالرحمن الحلبى [١] ، القاضى تاج الدين المعروف بابن الكركى ، مولده [سنة ٧٧١] [٢] ، وسمع من [ابن صدّيق وابن أيْدُغْمُش] ، وولى قضاء حلب مدةً ثم ترك ذلك واستمرتْ بيده جهات قليلة ينتفع منها إلى أن مات فى ٢٢ من شهر رمضان ، وكان يسكن القاهرة مدَة ، وناب عنىّ ، ثم حَجّ .

ولقيتُه بحلب لما توجَّهْت إليها صحبة السلطان ، [٣] وأجاز لأولادى ، رحمه الله تعالى .

١٧ - عبدالوهاب ، تاج الدين ابن الحافظ عماد الدين بن عمر بن كثير . مات فى ثانى ذى القعدة بدمشق .

١٨ - على [٤] بن على بن محمد بن منصور بن حجاج بن يوسف الحسينى العلوى الشريف، صاحب صنعاء ،الإمام نجاح الدين ، أقام فى الإمامة بعد أبيه ستًّا وأربعين سنة وأشهراً ، وأضاف لصنعاء وصَعْدَة عدّة حصون . [٥] .

ومات فى سابع صفر [٦] واستقرّ بعده بعهد أبيه الناصر صلاح الدين ، فمات بعد ثمانية وعشرين يوما ، فاجتمع الزيديَّة على رجل يقال له صلاح بن على بن محمد بن أبى القاسم ، وبايعوه ولقبوه بالمهدى ، والجميع زيدية .

١٩ - عيسى بن قرمان بن قمارى ، قتل فى محاربته مع أخيه إبراهيم .

٢٠ - قُرْمشُ الأعور ، كان من مماليك الظاهر برقوق وتنقّلت به الأحـوال وتأمّـر ، كان مع تَنِبَك البجَاسىّ لمّا خامَر على السلطان ، ثم ظهر مع جَنبك الصُوفى فى السنة الماضية ، فلمّا كان العسكر المجرّد بحلب وصلٍ خَجَا سُودُون إلى عينتاب فطرقه قُرْمُش ، وكانت بينهما

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « عبدالرحمن بن عمر بن محمود بن محمد » ، وهو الاسم الوارد به فى كل من الضوء ٣٠٨/٤ والشذرات ٢٣٥/٧ وعنوان الزمان برقم ٢٦٨ ، وإن اكتفى الأخير بذكر اسمه ولقبه وكنيته واصله ومذهبه .

(٢) فراغ فى الأصول والإضافة من هـ بخط البقاعى وكذلك الضوء ٣٠٨/٤ .

(٣) اى توجه إلى حلب وذلك فى حملة برسباى على آمد سنة ٨٣٦ .

(٤) خلت نسخة هـ من هذه الترجمة .

(٥) لمعرفة الحصون التى اضافها للاسماعيلية انظر : الضوء اللامع ١٠٧١/٥ .

(٦) تتفق النجوم الزاهرة ٢٠٩/١٥ مع النص اعلاه فى جعل سابع صفر هو تاريخ وفاته ، لكن الضوء اللامع ١٠٧١/٥ يجعله «٢٧ منه» .

وقعة ، قبض فيها على قرمش ، فقتِل وحُمِلتْ رأسه إلى القاهرة فطيف بها [١] ووصل العسكر المجرّد إلى سيواس فلم يظفروا بجانبك ولا بابن ذلْغادر بل انهزما أمامهم إلى بلاد الروم .

٢١ - كَمَشْبُغا الظاهرى [٢] [برقوق ويسمى] أمير عشرة ، كان هو أيضا ممن قام بنصر جَانِبَك الصّوفى إلى أن أخذ فى هذه السنة .

٢٢ - قصْرُوَه [٣] [من تمراز] كان من مماليك الظاهر برقوق ، وتنقلّت به الأحوال إلى أن استقر فى إمرة آخور الكُبْرَى فى أول دولة الأشرف ، ثم نقل إلى نيابة طَرَابُلُس فى سنة خمس وعشرين [٤] ، ثم نُقل إلى نيابة حلب سنة ثلاثين ، فلماّ كانت سَفْرةُ آمد ، وعاد الأشرف إلى القاهرة ولاّه نيابة دمشق ، ونقل منها جَارْ قُطلى إلى القاهرة ، ونُقل قَصْرُوَه إلى حلب فى شعبان سنة سبع وثلاثين ، فسار فيها سيرة حسنة ، وعَمّرَ قبةّ كبيرة فى مقام الأنصارى ، ووقف عليها وقفا .

٢٣ - محمد بن أحمد بن محمود ، القاضى شمس الدين الحنفى ، المعروف بابن الكشك ، قاضى دمشق ، مات بدمشق ، معزولاً عن القضاء فى يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الأول .

٢٤ - محمد بن إسماعيل بن أحمد الضّبىّ الشافعى ، صاحبنا الشيخ شمس الدين ، كان خطيباً بجامع يونس [٥] بالقرب من قنطرة السباع بين مصر والقاهرة ، وكان ديّناً خَيّرا

(١) انظر ترجمته فى كل من الدليل الشافى ٥٩٣/٢ برقم ٣٠٣٧ والنجوم الزاهرة ٦٠٢/١٥ والسخاوى . الضوء اللامع ١٠٦/٧ ترجمة رقم ٢٢٩ .

(٢) خلت نسخة هـ من هذه الترجمة ولكن ترجمت له النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٥ .

(٣) راجع ماسبق ص٣٢ ترجمة رقم ٢٣ وحاشية رقم (٥) .

(٤) يستفاد مما ذكر فى ترجمته الواردة بالضوء اللامع ٧٣٩/٦ انه تولى نيابة طرابلس فى سنة ٨٢٦ لأن ذلك كان بعد سنة من استقراره امير اخور كبير . كما يستفاد ايضا مما جاء فى نفس المرجع من انه ظل فى نيابة دمشق حتى مات بها فى ربيع الآخر . ويلاحظ ان ابن حجر ترجم له فى وفيات سنة ٨٣٩ راجع الحاشية السابقة .

(٥) ربما كان المقصود بذلك المسجد الذى اشار إليه المقريزى فى الخطط ٤٦٢/٣ باسم مسجد القاضى يونس وذكر انه من بناء الشيخ عدى الملك بن عثمان صاحب دار الضيافة ، ثم صار بيد قاضى القضاة بمصر الموفق كمال الدين أبى الفضائل يونس بن محمد بن الحسين خطيب القدس . على أن هناك مسجدا آخر لكنه يعرف باسم مسجد يانس وكان تجاه باب سعادة خارج القاهرة وقد اشار إليه المقريزى فى خططه ٣٩٦/٣ - ٣٩٧ وهو منسوب إلى ناظر الجيوش يانس الأرمنى . ثم هناك زاوية تعرف بالزاوية اليونسية وكانت هى الأخرى خارج القاهرة بالقرب من باب اللوق . انظر الخطط ٤٣٥/٣ .

مقبلا على شأنه . . لازمنى نحو الثلاثين سنة ، وكتب أكثر تصانيفى ، منها « أطراف المسند » وماكمل من « شرح البخارى » ، وهو أحد عشر سفرا ، و « المشتبه » و « لسان الميزان » وكتب « الأمالى » وهى قدْر أربع مجلدات بخطه وتخريج الرافعى وعدّة تصانيف .

وكتب لنفسه من تصانيف غيرى .

واشتغل بالعربية ، ولم يكن له نهمة فى غير الكتابة ، وكان متقلّلا من الدّنيا ، قانعاً باليسير ، صابراً ، قانتاً ، قليل الكلام . كَثُرَ الثناءُ عليه من جيرانه ، مات فى يوم الثلاثاء ثانى عشر رمضان [1] ، وتأسفوا عليه ، رحمه الله .

٢٥ ـ محمد بن محمد بن أحمد ، المناوى الأصل ، الشيخ شمس الدين الجوهرى المعروف بابن الريفى [2] . مات فى يوم الخميس خامس شوال ، وكان قد حصلت له ثروة من قِبل حواشى الناصر فرج من النساء ، وأكثَرَ من القراءة على الشيخ برهان الدين البيجورى ، فقرأ عليه فى « الرّوضة » وفى « الرافعى الكبير » وفى « الرافعى الصغير » وغير ذلك . ولازم دروس القاضى ولىّ الدين العراقى ، وكان كثير التلاوة والإحسان إلى الطلبة ، وكانت جنازته مشهودة .

٢٦ ـ محمد بن محمد بن على بن إدريس بن أحمد بن محمد بن عمر بن على بن أبى بكر بن عبدالرحمن ، مجد الدين أبوالطاهر ، العلوىّ ، نسبة إلى بنى على [3] من بَلى بن وائل ، التعزّى الشافعى ، ولد فى أواخر شوال سنة ست وثمانمائة [4] ، وقرأ القرآن وشدا شيئا من العربيّة ونظم الشعر ، وأحبَّ طَلَبَ الحديث ، فأخذ عن الجمال بن الخيّاط بتعزّ وحضر عند الشيخ مجد الدين الشيرازى [5] وأجاز له ، وحجّ سنة تسع وثلاثين فسمع بمكة ، ثم قدم القاهرة فأكبّ على السماع ليلاً ونهاراً ، وكتب بخطه كثيراً ثم بَغتَهُ الموتُ فتوعَّك أياما ، ومات [6] يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة ، وكان ينظم سريعا .

(١) هذا هو التاريخ الوارد ايضا فى الضوء اللامع ٣٢٨/٧ ، ولكنه «٢٢ رمضان» فى شذرات الذهب ٢٣٦/٧ .
(٢) هكذا بالفاء ايضا فى كل من الضوء اللامع ١٢٢/٩ وشذرات الذهب ٢٣٦/٧ .
(٣) وقيل بل نسبة لعلى بن راشد بن بولان ، راجع الضوء اللامع ٣٦٨/٩ .
(٤) اشار السخاوى فى الضوء اللامع ٣٦٨/٩ إلى ان مولدهكان يوم الثلاثاء مستهل شوال سنة ٨٠٦ ، وبهذا ايضا اخذت الشذرات ٢٣٦/٧ .
(٥) فى الشذرات « الفيروز ابادى » لكن راجع الضوء اللامع ٣٦٨/٩ .
(٦) كان موته بالبيمارستان المنصورى .

٢٧ ـ محمد بن موسى بن عمر بن عطية ، شرف الدين اللُّقّانى الأزهرى المالكى ، وُلد فى شعبان سنة ٧٧٢ ، [١] ، كذا بخطّه ، ونشأ مع أبيه وحفظ القرآن وقرأ به فى الجوق ، وكان حسنَ الصَّوت .

ثم طلب الحديث وقتاً . وكتب أسماء السامعين ، واعتمدوا عليه فى ذلك ، ثم اتصل بشرف الدين الدماميني حين وَلِى نظر الجيش . ثم بفتح الله حين ولى كتابة السرّ ، فلازمه إلى أن استقرّ شاهد ديوانه وغلب عليه . ثم لمّا زالت دولته واستقر ابن البارزى خَدَمَه ولازمه إلى أن غَلب أيضا عليه ، واستقر فى ديوانه لايقطع أمراً دونه إلى أن مات . فخدم ابنَه ثمّ ابنَ الكَويْز . ثم انفصل عنه وباشر فى عّدة جهات .

وكان كثير التودّد والإحسان للفقراء والمحبّة فى أهل الخير والصلاح .

مات فى يوم الاثنين خامسِ شعبان بمنزله بجوار الأزهر ، ودُفن ثانىَ يوم وكانت جنازته حافلة ، وصلوا عليه بالجامع الأزهر ، وكان الجمْعُ كثيراً ، ثم مشوا إلى مُصَلّى باب النصر فصلّيْتُ عليه ، وحضر جميعُ مباشرى الدولة وناظر الجيش فمَنْ دونه .

٢٨ ـ محمد بن يوسف بن أبى بكر بن صلاح ، القاضى شمس الدين الحلاوى الدمشقى [٢] ، وكان يذكر أنّ أصلهم من حلب وأنهم نُسبُوا إلى المدرسة الحلاوية بها ، وكان كثير من الناس يذكرون أن والده كان يبيع الحلوى الناطف فى طبق ، ووُلد [٣] له هذا فى سنة ٧٦٥ ، وكان للناس فيه اعتقاد [٤] ، فنشأ ولدُهُ بين الطلبة ، وأسمعه من جماعة من الشيوخ ، وكان يذكر أنه سمع من الحافظ عماد الدين بن كثير ، وابن أميلة ونحوهما من أهل ذاك العصر ، فوجد سماعه لبعض الصحيح من ابن الكشك وحدَّث به ، ثم قدم القاهرة

---

(١) هكذا ايضا فى نسخة ز وفى الضوء ١٠/١٠٣ ولكنه سنة ٧٧٤ فى نسخة هـ .

(٢) اشار السخاوى فى الضوء اللامع ١٠/٢٩٢ إلى ان الحلاوى إما ان تكون نسبة إلى المدرسة الحلاوية بحلب لكون اصل المترجم منها كما كان يقول هو ذاته عن نفسه ، وإما لكون والده كان يبيع الحلوى الناطف فى طبق ، وذكر المقريزى انه كان من باعة أهل دمشق واراذلهم يبيع شقات البطيخ تحت القلعة ويجعل الفلوس فى عبه .

(٣) كان مولده بدمشق .

(٤) اشار السخاوى ، شرحه ١٠/٢٩٢ إلى انه نقل عن ابن حجر فى إنبائه قول إنه : « كان كثير المجازفة فى النقل ، ثم اورد ثلاثة ابيات فى ذمه . انظر الحاشية رقم٢ ص ٦٤ .

وتوصّل إلى خدمة الأمير يشبك ، وصَحب ابن غراب ، وعمل التوقيع عند يشبك ، وولى نظر الأحباس مدةً ، والحسبة غير مرة ، ثم ولى وكالة بيت المال سنة سبع وعشرين بعد موت ابن التبّانى إلى أن مات ، وكان قد مرض مرضاً طويلاً نحو خمسة الأشهر يعالج فبطل نصفه ، وتنقلت به الأمراض إلى أن مات فى ليلة الخميس [١] سادس شوال ، وكان كثير المجازفة فى القوْل ، واستقرّ بعده فى وكالة بيت المال القاضى نور الدين بن مُفْلح ناظر المرستان [٢] .

٢٩ ـ محمد شاه ، ابن الشيخ شمس الدين الفنارى الحنفى الرومى ، كان ذكيا وحجّ فى سنة بضعٍ وثلاثين ، ودخل القاهرة ، ثم رجع إلى بلاد ابن قرمان فمات [٣] .

٣٠ ـ محمد المغربى الأندلسى النحوى [٤] ، الشيخ شمس الدين الذى ولى قضاءَ حماة ، وأقام بها مدّة ، ثم توجّه إلى الروم فأقام بها ، وأقبل الناس عليه ، وكان شعلةَ نارٍ فى الذكاء ، كثير الاستحضار ، عارفاً بعدّة علوم خصوصا العربيّة ، وقد قرأ فى علوم الحديث علىَّ ، وكان حسن الفهم . .

---

(١) هكذا ايضا فى حوادث الدهور ٨٤٥/٦ ولكنه « الجمعة » فى الضوء اللامع ٢٩٢/١٠ وكذلك فى هـ .

(٢) جاء بعد هذا فى نسخة ز :

وفيه قيل :

ان الحلاوى لم يصحب اخا ثقة ... إلا محا شؤمه منهم محاسنهم

السعد والفخر والطوخى لازمهم ... فاصبحوا لاترى إلا مساكنهم

يعنى بالسعد سعد الدين بن غراب واخاه فخر الدين وبالطوخى بدر الدين الطوخى ، فزاد عليهم المصنف رحمه الله :

وابن الكويز وعن قرب اخوه نوى ... والبدر والنجم ، رب اجعله ثامنهم

يعنى صلاح الدين بن الكويز واخاه علم الدين وبدر الدين بن محب الدين المشد والنجم ابن حجى .

ثم جاء امام هذا فى هامش هـ بخط البقاعى : « البيتان الاولان لشمس الدين الهيثمى ـ والذى فى حفظى ان أولهما :

إن الحلاوى ماقوم يصاحبهم ... الامحا شؤمه عنهم محاسنهم

(٣) جاء فى هامش هـ بخط غير خطى الناسخ والبقاعى العبارة التالية نثبتها من باب الأمانة العلمية : « رحمه الله رحمة واسعة . لقد اصاب فيما اجتهد احياه الله تعالى حياة طيبة » ثم اضاف سطرا فيه سفه .

(٤) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى التعليق التالى : « هو محمد بن محمد بن يحيى بن محمد بن عيسى بن عيسى بن محمد بن احمد بن عيسى ، ابوعبدالله الحكمى الأندلسى المالكى ، الإمام العلامة المحقق المشهور باللبسى ، بفتح اللام ثم الموحدة الخفيفة وتشديد المهملة المكسورة نسبة إلى : لبسة حصن من معاملة وادى اش ولد سنة ست وثمانمائة » ، ثم جاء بعد هذا بخط البقاعى الترجمة التالية :

مات فى شعبان ببرصا من بلاد الروم .

٣١ ـ محمد بن . . . . . . (١) بن الشيخ عبدالقادر الكيلانى ، الشيخ شمس الدين . مات فى رابع عشر .

٣٢ ـ محمد المعروف بالبلدى (٢) ، والشيخ شمس الدين ، كان خَيِّراً وبيده نظر المرستان بمكة ، وكان يخدم الفقراء ويبالغ فى ذلك بنفسه ، وكان دأبُه المشى بين الناس للإصلاح بينهم وتأليف قلوبهم فتألموا لفقده ، وكانت وفاته فى يوم الخميس سلخ ربيع الأول .

٣٣ ـ موسى بن أحمد (٣) بن موسى بن عبدالله بن سليمان ، الشيخ شرف الدين السبكى (٤) ، مات فى سابع عشر ذى القعدة (٥) ، وكان متصدياً لشغل الطلبة بالفقه جميع نهاره ، وأقام على ذلك نحو العشرين سنة ، ولم يخلف بعده فى ذلك نظيره ، وأظنّه بلغ

= « محمد بن .... الشيخ شمس الدين البصروى المشهور فيها بابن بقيقة مصغرا ، الشافعى النحوى ، اظنه ولد فى حدود سنة سبعين ورحل الى القدس الشريف فلازم ابن الهائم واشتغل عليه فى النحو ثم رجع إلى بلده بصرى قال : فلما رجعت تحدث اهلها بفضلى فخافنى قاضيها فحضر عيد الاضحى فقال لى شخص : عندى جدى من الماعز عمره سنة فهل يجزى عنى ان اضحى به فانفت ان اقول له لا ادرى ، فقلت له : نعم . فنقل ذلك إلى القاضى فانكره فعلمت ان القالة فى ذلك تتسع ، فبادرت بالرحيل من ليلتى إلى دمشق علما انى ما حصلت شيئا ، ثم لازم شيخنا التقى ابن قاضى شهبة مدة ، غير انه لم يشهر بغير النحو وكان يؤدب أولاد الرؤساء كابن حجى وغيره وكانت له حلقة فى النحو لايحضرها غالبا الا الاحداث وكان مفرطا فى المجون وله فى ذلك نوارد كثيرة وكان مشهورا بحب المرد ولكن الاغلب على الظن انه لم يكن منه إلاّ النظر ولم يكن يتدنس بغيره واستمر فى دمشق إلى ان مرض وانشد فى مرض موته :

ولما راتنى فى السياق تعطفت	علىَّ وعندى من تعطفها شغل
دنت وحياض الموت بينى وبينها	وجادت بوصل حين لاينفع الوصل

ومات فى مرضته هذه فى هذه السنة او التى قبلها او التى بعدها ، وكان يسكن الباسطية فى صالحية دمشق وكان اعزب لم يتزوج قط فيما اظن ...» .

(١) فراغ فى الاصول بقدر كلمتين .

(٢) ورد اسمه فى الضوء اللامع ٢٤٨/٧ ترجمة رقم ٦٠٩ محمد بن سالم بن محمد البلدى . وانظر ترجمته فى اتحاف الورى ١٠٥/٤ .

(٣) خلت نسخة « ز » من عبارة « احمد بن موسى بن عبدالله بن سليمان » ، لكن راجع الضوء اللامع ٧٥٤/١٠ وشذرات الذهب ٣٣٦/٧ .

(٤) عرف بذلك لانه ولد بسبك العبيد التى تسمى ايضا بسبك الحد « اى بسبك الأحد » وهى بلدة قديمة بمركز اشمون وقد اطال القاموس الجغرافى ق٢ ، ج٢ ، ص١٦٠ ـ ١٦١ فى التعريف بها فاشار إلى ان اميلينو ذكرها فى جغرافيته باسم SIP وسماها ابن حوقل بسبك العبيد وكذلك ابن مماتى فى قوانين الدواوين اما تسميتها بسبك الحد فترجع لعقد سوقها الاسبوعى كل يوم احد ، وزاد المرحوم محمد رمزى فى قاموسه بان قال إنه يقال لها سبك العويضات نسبة إلى جماعة من اهلها يقال لهم « العويضات » وهم اسرة رجل يقال له « العويضة » ..

(٥) جاء امامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « يوم الخميس بمرض السل » .

السبعين [١] ، وكان سفًّاطا [٢] .

٣٤ - نعمة الله بن الشيخ شرف الدين محمد بن عبدالرحيم [٣] الجرهى [٤] - بفتح الجيم والراء الخفيفة - مات وله دون الثلاثين سنة [٥] ، وُلد بشيراز [٦] وسمع الكثير وحُبِّبَ إليه الطلب ، وسمع من أبيه وجماعة بمكة ، ثم قدم القاهرة فأكثرَ عنيّ وعن الشيوخ ، وفهم وحَصل كثيراً من تصانيفى ومهر فيها ، وكتب الخَط الحسن وعَرف العربية .

ثم بلغه أن أباه مات فى العام الماضى [٧] فتوجّه فى البحر فوصل إلى البلاد ورجع هو وأخوه قاصدين إلى مكة ، فغرق نعمةُ الله فى نهر الحسا ونجا أخوه ، فلما وصل إلى اليمن ركب البحر إلى جّدة فاتفق وقوع الحريق بها فاحترق مع من احترق لكنه عاش وفقد رجليه معاً فإنّهما احترقتا ، وعاش هو بعده ، وذلك فى شوال منها .

وكانت وفاة نعمة الله فى رجب [٨] أو شعبان ظنًّا .

---

(١) فى هامش نسخة هـ بخط البقاعى : « بل جاوزها فإنّه ولد سنة اثنتين وستين تقريبا فى سبك العبيد .

(٢) جاء بعد هذا فى ز فى نفس الترجمة « هو ابن احمد بن موسى بن عبداللّه بن سليمان الشافعى ، ولى تدريس مدرسة ابن غراب والطيبرسية برحبة الشرفى يحيى بن العطار ، وكان عالما بالفقه مشاركا فى الأصول والعربية دينا خيرا متواضعا ، انتفع به خلائق لا يحصون وتفقه بالابناسى وغيره وأذن له الابناسى ويقال أنه استخلفه فى حلقته لما اراد الحج ، وكان فى كل سنة يقرىء واحدا من المختصرات الثلاثة : التنبيه والحاوى والمنهاج تقسيما بالجامع الأزهر ، وغالب الفضلاء الآن من طلبته . قال ابن القوطية (سفطا : لم يكن له لحية فهو « سفاط » ، والسفط بفتح الفاء فى اللغة وعاء كالقفة او الجوالق) وقال فى الصحاح أيضا « السفاط العوسج لا لحية له أصلا وكذلك السفوط والسفيط » . على انه يستدل من بعض ما ورد فى هذه الاضافة على انها ليست من قلم ابن حجر . زد على ذلك أن الضوء فى ترجمته أياه قال ، ج١ ، ص١٧٨ س ١ - ٣ : « ذكره شيخنا فى إنبائه باختصار » ، ثم نقل من قوله كان متصديا لشغل الطلبة .. ما يؤكد أن ما جاء بعد ذلك ليس مما كتبه ابن حجر . لكنها وردت فى ترجمته فى الضوء اللامع ٢ / ٦٤٨ لأحمد بن موسى بن عبداللّه بن موسى (وهذا غير والد صاحب الترجمة أعلاه لاختلاف الجد الخامس عند صاحب الترجمة عن الرابع فى « احمد » ، يضاف إلى هذا ان وفاة احمد كانت سنة ٨٥٨ اى بعد الثمانى عشرة سنة ممن ترجم لهم ابن حجر .

(٣) فى هامش هـ بخط البقاعى « ابن عبدالكريم بن نصراللّه بن سعداللّه بن أبى حامد عبداللّه بن عبيداللّه ، ابو الخير شهاب الدين البكرى » .

(٤) هكذا أيضا فى الضوء اللامع ١٠/٨٦٢ وقال ان بعض الفقهاء ذكر له بكسرهما معا » اى بكسر الجيم والراء ، ولكنه وارد فى الشذرات ٧/ ٢٣٧ « الجرهى بكسر الجيم وفتح الراء الخفيفة » ، وجاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « بل هو بكسرها » .

(٥) ذكر السخاوى فى الضوء اللامع نفس الجزء والرقم انه ولد فى صفر سنة ٨٠٥ وبذلك يكون عمره حين وافته منيته خمسا وثلاثين سنة فقط .

(٦) جاء بعدها فى هـ بخط البقاعى : « سنة خمس عشرة وثمانمائة » .

(٧) اى سنة ٨٣٩ .

(٨) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « فى تعاليقى انه فى ليلة الجمعة رابع شهر رجب » ، وفى السخاوى : « فى رجب » فقط .

سنة إحدى وأربعين وثمانمائة

قرأت بخط القاضي الحنبلي : « لم يُرَ الهلال ليلة الجمعة [١] ، إلاّ أن شخصاً يقال له العلائي يقرأ المواعيد ذكر أنه رآه ولم يوجد من يوافقه ، وفي يوم الجمعة صُلّي بجامع الحاكم بعد الصلاة على ميت » .

وفيه فُرِّقت كتب للحجّاج وفيها أن الوقفة يوم الجمعة ، وكان قدوم الهجان بذلك بعد العصر يوم الخميس قبل ذلك ، ولم يحضر المبشّر على العادة خشيةً مِن العرب الذين يقطعون الطريق .

وفي يوم الاثنين استقر سراج الدين عمر الحمصي في قضاء طرابلس ، وخُلع عليه ، وركب مع القاضي الشافعي وناظر الحِسْبة .

وفي العاشر منه ثار جماعة من المماليك الأشرفية الجلبان وقصدوا نهب بيت ناظر الجيش فأنْذِر بهم ، فاحتَرزَ وتحوّل من بركة الرطلي [٢] ، ونقل أمتعته فهجموا منزله ببركة الرطلي . ونهبوا ما فيه ، وهم دون المائة ، ورجعوا ، وخشي الوزير من النّهب فاختفى ، ثم صارا [٣] يحضران مع المركب ، ويرجعان متخفيَيْنْ ، فراسلهم [٤] السلطان بالمنع عمّا فعلوه فلم يجُيبوا [٥] ، وراموا أن تُزاد جوامكهم واللحمُ ، ثم سكنت القضية .

---

(١) الوارد في جدول سنة ٨٤١ بالتوفيقات الإلهامية ان اول المحرم من هذه السنة كان يوم الجمعة .

(٢) كانت هذه من جملة ارض الطبالة بالقاهرة وكانت تعرف ببركة الطوابين لعمل الطوب بها ، ثم عرفت ببركة الحاجب إذ عهد الناصر محمد بن قلاوون إلى الأمير بكتمر الحاجب ان يجعل حفر الخليج الناصري على الجرف حتى يمر بجانب بركة الطوابين ، ومن ثم عرفت بذلك ، ثم كان في شرقيها زاوية بها نخل كثير وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة ما يبيعونه فنسبها الناس إلى صانع الارطال وسموها بركة الرطلي ، ثم صارت متنزها . وقد ادرك المقريزي من سنة ٧٧٠ حتى ٨٠٠ هـ بها اوقاتا « رقدت عن اهاليها اعين الحوادث .. ثم بقي فيها صبابة ومعالم انس » على حد قوله . فيها يقول احد الشعراء .

في ارض طبالتنا بركة	مدهشة للعين والعقل
ترجح ميزان عقلي على	كل بحار الأرض بالرطل

راجع خطط المقريزي ٢/ ٥٨١ - ٥٨٢ .

(٣) يقصد بذلك الوزير وناظر الجيش .

(٤) الضمير هنا عائد على المماليك الجلبان .

(٥) اشار ابوالمحاسن في النجوم الزاهرة ١٥/ ٨٣ إلى ان السلطان الأشرف برسباي اخذ يتوعدهم ويدعو عليهم بالطاعون « فلم يلتفت منهم احد إلى كلامه .. ونزل عدد كبير منهم إلى دار عبدالباسط وإلى بيت جانبك الأستادار ودار الوزير كريم الدين وافحشوا إلى الغاية ، ولم يعرضوا لأحد في الطرقات خوفا من العامة » .

وفيه وصل بدوى فأخبر أنّ الحاجّ حصل لهم فى الذهاب عطش ، ومات منهم كثير من الجمال ، ولم يحضر معه من كتبهم إلاّ اليسير ، فحصل لجماعة - مِمن له معرفة من الحاج - اضطراب إلى أن وصل فى السادس عشر جماعة سبقوا من « العيون » [١] ، فذكروا أن بنى لام خرجوا على شاهين الذى كان توجّه لعمارة البئر بالعيون فقتلوه ، ونهبوا الإقامة المجهزة من القاهرة ، و [ذكروا] أن الحُجاج بخير ، ثم وصل من سطح العقبة جماعةٌ فى يوم العشرين فأخبروا أنّ الركب الأول يدخل يوم السبت ، وأن المحمل يتأخر بسبب احترازهم من العرب .

•••

وفى سابع عشر صفر وقع لعزّ الدين ابن القاضى جمال الدين البساطى تغيُّظ على بعض العامة فعزّره ، فشكاه للسلطان ، فتعصب أمير آخور الصغير ، فأدّب العامّىَّ ، وضربه ضرباً مبرحاً ، فحمله أخوه على حَمّال وزعم أنه أشرف على الموت ، فآل الأمر إلى أن أَمَر السلطان بضرب البساطىّ فضُرب ضربا مبرحا ، وشقّ ذلك على غالب الناس .

وفى يوم الأربعاء - ثالث عشرى ربيع الأوّل - نُودى على النيل بما كان نقص وهو إصبعان ، ثم نودى يوم الخميس بإصبع بتكملة أربعة عشر من إحدى وعشرين ذراعاً ، وكان ذلك موافقاً لتاسع عشرى [٢] توت من الأشهر القبطية ، وانتهت الزيادة فى سلخه إلى خمسة عشر إصبعاً من إحدى وعشرين ذراعا ، واستمرّ ثابتاً مدة ، واشتد الحرّ إلى نحو العشرة أيام إلى أن طلع نجم السماك يوم السبت رابع شهر ربيع الآخر الموافق لِبَابه من الأشهر القبطية فهبَّ الهواء البارد وسكن الحرُ .

•••

وفيها غلب على صنعاء اليمن سنقر [٣] مَوْلى على بن صلاح ملكها الذى انتقل بالوفاة ، فعصى سنقر المذكور على الإمام الذى استقر بعد علىّ بن صلاح بصعدة ، فسار

---

(١) اى من عيون القصب .

(٢) ورد فى جدول سنة ٨٤١ فى التوفيقات الإلهامية ان أول ربيع الأول كان يوم الاثنين الموافق للخامس من توت ١١٥٤ ، اما رابع ربيع الثانى فيوافقه الثامن من شهر بابه القبطى .

(٣) انظر الضوء اللامع ٠٤٣/٣ وقد كان سنقر هذا عبدا من عبيد إمام الزيدية بصنعاء على بن صلاح بن على بن محمد المتوفى سنة ٨٣٩ . أما الذى استقر مكانه فولده ، ويستفاد من السخاوى نفس المرجع ٧٨١/٥ ـ نقلا عن الأنباء سنة ٨٣٩ (راجع ما سبق ص٣٢ ، ترجمة رقم ٢١) انه مات بعد شهر وإذ ذاك استبد بالامر سنقر العبد هذا واراد ان يقيم لنفسه مملكة ، بها لكن الزيدية انفوا من ذلك فثاروا عليه واقاموا مهدى بن يحيى ابن حمزة مكانه .. وهذا يخالف ما هو وارد بالمتن .

الإمام لمحاربة سُنْقُر المذكور كما سيأتى بيانه فى السنة التى بعدها ، وآل الأمر إلى أن صارت المملكة لسُنْقُر وصَيَّرها مُلكاً .

وفيها ورد كتاب صاحب الحبشة يذكر فيها أن البَطْرَك الذى عندهم من قبل البَطْرَك الساكن بمصر مات ، ويلتمس من السلطان أن يأمر البطرك أن يجهّز إليهم مِن عنده بَدَلَهُ ، ويذكر فيه مودّته ومحبته ، ويوصيه بمن بمصر وأعمالها من النصارى ، فتقدم الأمر إلى البطرك بذلك فعَيَّن نصرانيًا يسمى ميخائيل ، وجهّز معه قاصداً من جهته كان ينوب عنه يسمى « صدقة » ومعه تقليد ميخائيل .

ومن قبل أن يسافر حضر عندهما جماعة من الحبشة النصارى ، فشكوا أنهم كانوا فى دَيْر وأنّ قطاع الطريق نزلوا عليهم فقتلوا منهم ثلاثةً وهرب من بقى ، وسألوا فى ترميم كنيسة كانت قديمة ببساتين الوزير [1] ، وتركها أهلها من أجل تخريبها ، فرفعوا القصّة إلى السلطان ، فأذن فى ذلك ، ورفعوا أمرهم إلى القاضى الحنفى - وهو حينئذ بدر الدين العينى - فكتب لبعض مَن ينوب عنه بالتوجّه لتلك الجهة وإعادة الكنيسة على ما كانت عليه بأنقاضها من غير مزيد على ذلك ، ففعل فى سنة ٨٤٤ ما سأذكره .

•••

وفى شهر ربيع الآخر قُبض على جانى بك الصوفى بعد أن كان تحوّل من عند مِرْزا بك إلى جهة ابن قرايلك ، فمازال تغرى بَرْمَش - النائبُ بحلب - يُكاتبهُ فى أمره إلى أن اتفقا على خمسة آلاف دينار ليقبض عليه ، فبلغ ذلك جَانى بك ففر بمن معه ، فتتبعوه فَجُرِح فى المعركة فقُبض عليه ، فكُوتب النائب فجهّز المال ومعه سرية تحمله إلى حلب ، وكاتب السلطانَ فى ذلك فاتّفقت وفاته ثانى يوم القبض عليه ، فوصلت السرية فقبض المال وحُزَّ رأسه [2] وجُهّزَت إلى حلب ثم إلى القاهرة .

---

(١) تقع بساتين الوزير هذه قبلى بركة الحبش وتنسب إلى الوزير ابى الفرج محمد بن جعفر بن محمد المغربى البصرى الاصل ، انظر المقريزى الخطط ٢/٥٧١ - ٧٥٤ .

(٢) يستدل من رواية ابى المحاسن فى النجوم الزاهرة ١٥/٨٧ - ٨٩ ما يشكك فى الصورة التى كانت عليها نهاية جانبك الصوفى فهو يشير إلى انه غادر ابن ذلغادر نائب « دوركى » فى محرم سنة ٨٤١ بعد انكسارهما ومضى جانبك إلى محمد ومحمود ولدى قرايلك فاكرماه ، ولكن تغرى برمش نائب حلب نجح فى استمالتهما ووعدهما بجملة كبيرة من المال فطمعا فى ذلك فلما علم جانبك بهذا الامر فر ولكنهما قصاه فادركاه فاصابه سهم سقط منه عن فرسه فاخذاه وسجناه فمات يوم ٢٦ ربيع الاخر فقطعت راسه وحملت إلى القاهرة .

وهناك قول آخر هو ان ولدى قرايلك لم يستجيبا لإغراء تغرى برمش وإنما استمرا فى إكرام الثائر حتى اذا ما مات بالطاعون اخفيا خبر موته وقطعا راسه وبعثا بها إلى تغرى برمش الذى بعث بها إلى السلطان . على ان ابا المحاسن يرجح الراوية الأولى انظر الدليل الشافى لأبى المحاسن ١/ برقم ٨١٧ .

ووصلوا بها فى أول جمادى الأولى ، وطيف بها فى القاهرة ، فاستقرت [١] النفوس وحصل لمن كان يهوى هواه مالا مزيد عليه من الخوف ، وبطلت الملحمة ، وتبين كذب من افتراها ، والأمر كله بيد الله تعالى .

وفى يوم الخميس سابع عشره رفع جماعة أن نور الدين بن سالم ـ أحد نوّاب الشافعى ـ حكم عليه فى قضيةٍ فطلبه السلطانُ فحضر ، فسأله عن الشهود : « لِمَ لَمْ تكْتُبْ أسماءهم فى الحكم ؟ » فأجاب بأنّ ذلك ليس شرْطا ، فعارض بعضُ مَن حضر ، فأمر السلطان بضربه [٢] فضُرب بحضْرته وأخِذَ شاشه [٣] ، وأهين إهانة صعبة ، فخرج وهو مكسور الخاطر لكونه مظلوماً وكَثُر التأسف عليه ، ولم يكن إلاّ اليسير حتى وعك السلطانُ وتمادى [٤] أمره إلى أن مات كما سيأتى مفصلاً .

•••

وفيها وقع الطاعون فى نصف الشتاء فى البلاد الشامية ، فكثر بحماة وبحلب وبحمص ، ثم تَحوّل إلى دمشق فى أواخر الشتاء ، ودخل الدّيار المصرية فى أوائل شهر رمضان ، فكان فى ابتدائه يموت فى اليوم نحو العشرين [٥] ، ثم بلغ فى أواخره نحو الثمانين .

ثم بلغ فى أول شوال إلى المائة ، ثم إلى المائتين فى العشْر الأول منه .

•••

وفى العشر الأخيرة من شهر رمضان توجّه جَكم ـ ختن السلطان ـ بإذْنِه ـ إلى الوجه

---

(١) هكذا جاء فى هـ ولكنها « اسعرت » فى ز .

(٢) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى قوله : « سمعت ان سبب الضرب انما كان ان السلطان كلم بعض من كان حاضرا فى اثناء القضية بلسان الترك كلاما يتعلق بذلك الامر ، فاجابه ابن سالم عن ذلك الكلام بالتركى فشق ذلك على السلطان واستقل ادبه وكان ابن سالم جديرا بالاهانة وان كان فاضلا فانه ما كان يروج نفسه إلا بالسخف والهزء والسخرية ، ولم يكن صينا . واخبرنا العلامة الخير برهان الدين ابراهيم بن خضر العثمانى وكان لايزال بينه وبين ابن سالم شحناء ومشاققة من حسد ابن سالم له سوء عشرته انه لقيه يوما قرب بيت ابن سالم فسلم عليه وهش له ودعاه إلى منزله والسرور ظاهر عليه قال : فاجبته رجاء إن يكون ذلك قاطعا للشحناء ، فلما استقريت فى بيته خرج فظننت انه دخل إلى المرحاض او غيره فبقيت وحدى فجاءنى عبد كبير له فقال : من اذن لك ان تجلس ها هنا ؟ فاستعظمت ذلك . ثم ظننت انه يعنى غيرى . فقلت : لمن تقول ؟ فقال : « لك يا معرص يا كلب ، يا كذا . يا كذا » . « واستمر فى نحو ذلك فلم اشك فى انه هو الذى سلطه فخشيت مما بعد ذلك فخرجت وما كدت اصدق انى اخلص سالما » . ويعلق السخاوى فى الضوء اللامع ٥/٧٥٣ على ذلك ان الاشرف « اهانه ظلما » . هذا وقد مات ابن سالم سنة ٨٥٢ .

(٣) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى « لا اصل للشاش فى كلام العرب بمعنى العمامة » .

(٤) وقد استقر ابن سالم فى الجمالية والحسينية والسابقية بعد موت برسباى .

(٥) اشار ابوالمحاسن فى النجوم الزاهرة ١٥/٩٢ إلى أنّ الطاعون اول ما بدا كان فى الأطفال والإماء والعبيد والمماليك انظر حسن حبشى : الاحتكار فى العصر المملوكى واثره فى الحياة العامة ، بحث نشر فى حوليات جامعة عين شمس . سنة ١٩٥٧ .

البحرى ، فهدم دير المغطس ، وهو دير رومانىّ من قَبْل الإسلام ، لكنهم يبالغون فى تعظيمه ، ويخصصون له يوماً معيناً كالعيد ، يجتمع فيه من جميع أقطار الإقليم ، مشاةً وركباناً ، يتشبّهون بالحاجّ ، ويجتمع حوْله من الباعة ما جرت به العادة فى المواسم الكبار ، ويعلنون فيه سبَّ أكابر المسلمين كالصحابة خصوصاً خالد بن الوليد .

وقد تقدّم (١) فى حوادث شهر ربيع الأول من السنة الماضية قيام الشيخ ناصر الدين الطنباوى فى أمره وسعْيُه فى هدْمه فلم يتفق ، فقيّضَ الله فى هذا الشهر هذا الرجل ، وهو جركسى قريب العهد بالإسلام ، لكنّ إسلامَه قوىّ ، فعرّفه بعضُ الصلحاء بالقضيّة ففهمها ، فقام فيها إلى أن أذن السلطان للقضاة بالحكم فى هدمه بعْد أن كان المالكى فى تلك المرة قد بالغ فى تثبيت مقتضيات هدمه ، وأشرف على الحكم ، فدسُّوا عليه من أخافه بأن للسلطان غرضاً فى ترْكِ هَدْمه وإبقائه مغلقاً فجبن ، وركن لمن زعم له أن السلطان حكم بإطلاقه إلى أن يَسّر الله فى هذا الوقت بهدمه ، ولله الحمد .

•••

وفى أواخر شهر رمضان سأل السلطانُ مَن يحضر مجلس الحديث عن سبب الطّاعون ، فذكر له بعضهم فشُوَّ الزنى ، فأمر بمنع النساء من الخروج من بيوتهنَّ إلا العجائز والجوارى لقضاء الحوائج اللائى لا بدّ لهنّ ، وشدَّد فى ذلك (٢) .

وفى الثانى والعشرين من رمضان صُرِف كاتِب السرّ إبن نصْر الله عن الحسبة واستقرّ دُولَات خَجَا الذى كان وَلِى الشرطةَ فى سنة سّتٍ وثلاثين فى سفرة آمد .

وفيه أخْرِجَ الشيخ سرور المغربى (٣) من القاهرة بأمْر السلطان إلى الإسكندرية .

وفى هذا اليوم ظهر جراد كثير جدّا بعد العصر جاء من قبل المشرق حتى كاد النهار يظلم ، فدامَ ساعةً وسار نحو الغرب فلم يبْق له أثر من قَبْل المغرب ، ثم فى اليوم الذى يليه وقع نظير ذلك فى وقته ، ثم انقضى أمره .

---

(١) راجع ما سبق ص٣٩ ـ ٤٠ .

(٢) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « استمرت النساء فى هذا الامر مدة لا تخرج منهن امراة من بيتها ، وكان حصل بذلك خير كثير فلما مات السلطان انتقض ذلك » .

(٣) هو سرور بن عبدالله بن سرور المغربى التونسى المالكى ولد بالقسطنطينية ثم قدم القاهرة وسمع من ابن حجر ، وذكر السخاوى فى الضوء اللامع ٣/٩٢٠ انه امتحن دون ان يذكر لماذا كان امتحانه فى سنة ٨٤٤ وبقى مسلسلا فى بعض المراكب ، وقيل إنه مات مقتولا فى شعبان سنة ٨٤٥ .

وفى أواخر شهر رمضان كُتِبَ مرسوم بإضافة المواريث الحشريّة من النصارى إلى بيت المال بعد أن كان البطرك يتناولها بمراسيم يقرّرها له الكتابُ من قديم الزمان ، وكلما أبطله أعادوه ، وتكرر ذلك مراراً .

•••

شهر شوال

أوله الخميس (١) .

فى أوله اشتدّ البرد جداً بحيث إنه كان أشدّ مما كان فى فصل الشتاء ، وعاد الناس إلى لبس الفراء ونحوه ، وفشا الطاعون فزاد على المائة ، وصلّينا فى الجامع الحاكمى بعد الجمعة على خمسة أنفس جملة ، وكان أوّل ما ابتدأ اشتدّ فى نواحى الجامع الطولونى ثم فى الصليبية ، ثم فشا فى القاهرة ـ ولله الأمر .

ثم بلغ المائتين فى العشر الأول منه كل يوم ، ثم فى العُشْر الأوسط ثلاثمائة .

•••

وفى السادس منه استقرّ كاتبهُ فى الحكم بالدّيار المصرية على عادته (٢) .

وفى النصف منه توجّهت ليلى لزيارة أهلها بحلب فأكْمَلَتْ فى عصمتى خمس سنين سواء ، ووقعت الفرقة وعادَتْ فى رجب ، ثم أعيدت إلى العصمة .

•••

وفى العاشر منه عاود السلطانَ ضعفهُ بالقولنج وسوء المزاج وفساد المعدة ، فانقطع عن الموكب والخدمة .

وأدير المحمل فى يوم الاثنين تاسع عشره وأميرهم آقبغا [من مامش الناصرى التركمانى] وبطل جماعة من الناس السفر لاشتغالهم بالطاعون .

وكان فطر النصارى فى الثامن عشر .

وأمطرت السماء فى التاسع عشر مطراً خفيفاً ، ثم فى اللّيل ، وأرعدت وأبرقت ، ونزل الماءُ كأفواه القرب . وهو اليوم الثالث من نزول الشمس بالثور ، وأصبحت المدينة ملآى بالوحل وبِرَكِ الماء ، وقد تقدّم نظير هذا فى مثل هذا اليوم من سنِة ستّ وعشرين وثمانمائة .

---

(١) الوارد فى التوفيقات الالهامية ص ٤٢١ ان أوله كان الجمعة وهو يوافق الثامن والعشرين من مارس سنة ١٤٣٨م .

(٢) هذه هى المرة الرابعة التى اعيد فيها ابن حجر إلى القضاء . راجع : رفع الإصر عن قضاة مصر ١/ ٨٨ .

وفيه أمِر بكَسْر أوانى الخمر ، فأخبرنى المحتسب دُولَات خَجَا أَنَّهُ كَسرَ فى يوم واحد ثلاثة وستين ألف جرّة ، وأنّه سئل بمالٍ جزيل للإعفاء من ذلك فلم يستطع مخالفة الأمر لشدّة فحص السلطان على ذلك .

وفى أواخره توجّه العسكرُ من حَلَب إلى جهة الروم .

•••

وفى يوم السبت الرابع والعشرين منه غضب السلطان على رئيسَىْ الطب شمس الدين أبى البركات بن عفيف بن وهبة بن يوحنا بن وفا الملكى الأسلمى ، وزين الدين خضر الإسرائيلى لاتهامه إياهما أنهما غلطا عليه فيما وصفاه له من الأدوية ، فأمر بتوسيطهما فوُسِّطا بالحوش [(١)] .

وذُكر أن ابن العفيف استسلم [(٢)] وتشهد ، وأن الآخر مانَع عن نفسه وسأل أن يفدى نفسه بخمسة آلاف دينار فلم يُجَبْ وقُتلا .

وفى صبيحة يوم الأحد سُلّما لأهلهما فدفنوهما ، وعُدّ ذلك من الأعاجيب .

وفيه غضب على عمر وَالى الشرطة ، وصودر عَلَى مال ، ثم أعيد .

واشتد على السلطان الضعف لعدم تناول الغذاء ، وساءت أخلاقه ، وصار يأمر بأشياء فيها ضرر لبعضِ مَن يلوذ به ، فيظهر المأمورُ الامتثال ولا يفعل .

واتفق أن ناظر الجيش القاضى زين الدين عبدالباسط انقطع يوماً بسبب طلوع فى ذراعه ثم عوفى وركب ، ففرح به الناس .

واستمرّ كاتب السر صلاح الدين ضعيفاً منقطعا من يوم الجمعةِ ، ولم يظهر فيه الطاعون [(٣)] إلا أن مرضه شديد الحدة ، فلما كان يوم الثلاثاء الرابع من ذى القعدة طلب السلطانُ الخليفةَ والقضاةَ والأمراءَ والأجناد ، وعهد بالسلطنة لولده ، وكَتَب عهده ، ولُقّب

---

(١) الوارد فى ابى المحاسن النجوم الزاهرة ١٠١/١٥ . انهما وسطا عند « الحدرة » عند باب الساقية من قلعة الجبل » .

(٢) هكذا ايضا فى ابى المحاسن : المرجع السابق ص١٠١ ، ١٠٢ ولكن لم يتبعها بكلمة « وتشهد » ومن ثم فهى صحيحة لغويا وان كانت بعيدة عنه باقترانها مع كلمة « التشهد » عما كان موقفه اذ ذاك . ومما يؤكد صحة رواية ابى المحاسن انه لا معنى لكلمة « تشهد » هنا من ان خضرا الاسرائيلى لم يستسلم بسهولة بل مانع واخذ يدافع عن نفسه بكل ما تصل إليه قدرته .

(٣) اى لم يظهر الطاعون فى كاتب السر ولكن ابا المحاسن فى المرجع السابق ص١٠٢ يقول إنه اصيب بالطاعون .

« الملك العزيز جمال الدين »[١] ، وأشهد السلطانَ على نفسه بذلك برضاء أهل المملكة وأمضاه* الخليفة ، ثم أشهد على نفسه أنه جَعَل الأميرَ الكبيرَ جقمق نظامَ مملكة ولده ، وكتب له بذلك ورقةً مفردة ، وشهد فيها على السلطان بالتفويض ، وعلى الخليفة بالإمضاء .

وأنْفِق على المماليك السلطانية ، فجُعل لكل شخص ثلاثون ديناراً ، وانفضّ المجلس .

وخلع[٢] على نورالدين الإمام السويفى بوظيفة الحسبة عوضاً عن دوُلَات خجا ، فهرع الناس للسّلام عليه .

•••

وفى الرابع من ذى القعدة تناقص البرد وتزايد الحرّ ، وخفّ الموت عن ضواحى القاهرة إلّا من الجهة البحريّة والشرقية فتزايد فيهما ، كما كان فى الغربية والقبلية ، فيقال جاوز الألف من كل يوم ، ومعظمهم أطفال ورقيق من جميع الأجناس .

وفى النصف من ذى القعدة بدأ الطاعون فى النقص ، وصار ينقص فى كل يوم نحو الأربعين والخمسين والثلاثين ، وتمادى على ذلك إلى أن كان فى العشرين منه ، فكانت عدة الأموات بمصلىّ باب النصر مائةً بعد أن كانت بلغت الخمسمائة ، ثم تناقص إلى ستين فى ثانى عشرى ذى القعدة ، وكانت بلغت بمصلى المؤمنى نحو الثلاثمائة ، ثم تناقص ذلك إلى ثلاثين .

•••

وفى العاشر من ذى القعدة نازل العسكر المصرى الأبلستين ، ثم توجّهوا إلى مدينة أقْشَهْر فنازلوها وأميرها سالم بن حسن ، وكان يقطع الطريق على التجار ، فهدموا بعض قلاعها ، وكان مُعَدًا لقطّاع الطريق .

وتوجّه العسكر المصرى منها[٣] فى أواخر الشهر وقرروا بها نائبا .

وفى السادس والعشرين من ذى القعدة هبّت ريح شديدة وأثارت تراباً كثيراً بحيث ملأت البيوت والشوارع ، ودامت من الليل إلى آخر النهار .

•••

---

(١) جاء فى هامش هـ بخط الناسخ : « الملك العزيز ابو المحاسن يوسف بن الملك الاشرف » .

(٢) ذلك لان دولات خجا كان قد مات بالطاعون هو الآخر .

(٣) اى من اقشهر .

وفى العشر الأخير من ذى الحجة [١] - وكان أوله الاثنين - قصد العسكر المصرى أرْزَنْكَان الروم ، فأرسل إليهم صاحبُها يعقوب بك بنُ قرايُلُك ولده وزوجته وقضاة بلده ببذل الطاعة ، وصُحْبَتُهم دراهم مضروبة باسم الأشرف لكنهم حين مَرُّوا ودخلوا البلد زيّنوها لهم ، فنزلوا بالمرج وأتَتْهم الضّيافة ، واستقر بها نائباً من قبل السلطان ابن أخيه جَهَانْكير بن على باك بن قرايلك ، ورحل العسكر عنها فى أول يوم من شهر المحرّم .

•••

ذكر من مات فى
سنة إحدى وأربعين وثمانمائة
من الأعيان

١ - إبراهيم بن عبدالكريم بن بركة ، الكاتب سعد الدين بن كريم الدين بن سعد الدين المعروف بابن كاتب جكم ، مات فى ليلة الجمعة ثامن عشر شهر ربيع الأول ولم يبلغ الثلاثين [٢] وكان استقر فى نظر الخاص السلطانى ووكالة السلطان الخاص عقب موت والده [٣] فباشرها إلى أن مات ، وكانت عِلّتهُ مرض السّل ، وعرض له فى أثناء ذلك قولنج ، وحصل له صرع ولم يكثر ، واتهم طبيبه بأنه دسّ عليه سمًّا ، وكانت جنازته حافلة ، وصُلّىَ عليه بالرّميلة ، ونزل السلطان ، وكثر الثناء عليه .

وكان قليل الأذى ، كثير البَذْل ، طَلْق الوجه ، نادرةً فى طائفته ، واستقر بعده فى وظيفته أخوه جمال الدين يوسف يوم السبت وهرع الناس للّسلام عليه .

٢ - إبراهيم [٤] بن محمد بن خليل ، الطرابلسى الأصل ، الحلبى ، سبط ابن العجمى ، الحافظ برهان الدين ويعرف بالقوف [٥] كان مولده فى ثانى عشرى رجب سنة

---

(١) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى « وفى الثالث عشر من ذى الحجة مات السلطان » .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع ج١ ص١٦٩ انه ولد « قبل سنة ٨٢٠ » ولم يزد على ذلك شيئاً وهكذا ايضا فى المنهل الصافى انظر Wiet : Op. Cit. No. 50 .

(٣) وكان ذلك سنة ٨٣٣ اما اخوه يوسف الوارد اسمه بعد قليل فقد تاخر موته إلى سنة ٨٦٢ ، انظر عنه السيوطى : حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة ٢ / ١٣٠ . وانظر ايضا ما جاء فى Van Berchem : Materiaux Pour un Corpus Inscrip. t.I,P. 402 et seq.

(٤) خلت نسخة هـ من هذه الترجمة لكن انظر عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والاقران للبقاعى ، ترجمة رقم ١٢٣ .

(٥) اشار الضوء اللامع ج١ ، ص١٣٨ إلى ان هذا لقب لقّبه بـه بعض اعدائـه وكان هو يغضب منه ، وكذلك تضمنت ترجمته فى عنوان الزمان رقم ١٢٣ الاشارة إلى مثل هذا الامر . ويلاحظ ان كلا من هذين المؤرخين اطال فى ترجمته له .

٨٥٣ (١) ، واشتغل وحصل وتميز ومهر فى فنون كثيرة ، وأقبل على الحديث فصرف همته إليه وقرأ بنفسه ورحل ، ومات فى يوم الاثنين ٢٦ شوال (٢) .

٣ ـ أحمد بن صالح ، شهاب الدين الشطنوفى العامل بمودع الحكم بالقاهرة ، وكان يجيد الكتابة والضبط ، وللجهة (٣) ، به جمال ، فتلاشى الأمر بعده جدا ، ولله الأمر .

ذكر لى ولده شمس الدين محمد ـ وهو من النجباء (٤) ـ أن مولد والده فى . . . . (٥) وذكر لى غيره أنه جاوز الثمانين .

مات فى ليلة الجمعة حادى عشر (٦) الحجة .

٤ ـ أحمد (٧) بن قرطاى الشهابى ، سبط بكتمر الساقى ، مات فى الطاعون ليلة الاثنين عاشر ذى القعدة ، ومولده فى شعبان ٧٨٦ . وكان ناظما حسن الكتابة ، حُلو المحاضرة ، جيِّد المذاكرة ، سمينا جداً .

ومن شعره :

حِبّى المعذّر وافى ... من بعد هجر بوصل
وقال : صف لى عذارى ... فقلت : يا حبّى نملى

٥ ـ أحمد (٨) بن محمد بن عبدالرحمن ، شهاب الدين المادح المعروف بالقُرْدَاح (٩) الواعظ وكان قد انتهت إليه رياسة الفن ، ولم يكن فى مصر والشام فى هذا الوقت مَن يُدانيه ، فإنّه كان طيّب النغمة عارفاً بالموسيقى ، يجيد الأعمال ويتقنها ، ولا ينشد غالباً إلا معربا .

---

(١) فى ز « سنة ٧٨٣ » ، وهو خطا يصححه ما ورد فى كل من عنوان الزمان والضوء اللامع .
(٢) هكذا ايضا فى شذرات الذهب ٢٣٨/٧ ولكنه ١٦ من شوال فى الضوء اللامع .
(٣) فى الضوء اللامع ج١ ص٣١٦ ، س ١٢ « وللجهد به جمال » .
(٤) أشار السخاوى فى الضوء اللامع ١٠٣٦/٦ إلى وصف ابن حجر اياه بالنجابة وذلك فى معرض كلامه عن أبيه .
(٥) بياض فى الأصول بقدر أربع كلمات .
(٦) فى الضوء اللامع ج١ ص٣١٦ « حادى عشرى ذى الحجة » ، وفى هـ « ذى القعدة » .
(٧) هذه الترجمة غير واردة فى هـ .
(٨) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : هو محمد بن محمد بن على بن أحمد بن عبدالرحمن ، وبهذه الصورة ايضا أورده البقاعى فى كتابه عنوان الزمان ، ترجمة رقم ٦٨ .
(٩) الضبط من الضوء اللامع ٤٠٧/٢ وعنوان الزمان رقم ٦٨ .

ومهر فى علم الميقات ، وكان ينظم نظمًا وسطاً ، سمعْتُ منه ومدَحَنى مرارا ، وكان يعمل الألحان وينقل كثيرا منها إلى ما ينظمه ، فإذا اشتهر وكثر العمل به تحوّل إلى غيره ، وهو أحد مفاخر الديار المصرية ، ولم يخلف بعده مثله ، وذكر لى أن مولده سنة ثمانين .

وكان قد أسرع إليه الشيب والهرم ، وخلّف كتبا كثيرة تزيد على ألف مجلّد ، وخلّف مالاً جزيلا خفى غالبه (١) على ورثته .

مات فى يوم السبت (٢) ١٥ ذى القعدة .

٦ ـ أرْكَماس ، دويدار الأمير الكبير ، وكان خَدَم دويدارا عند يَلْبُغَا المظفرى قبل أن يلى وظيفة الأمير الكبير ، ثم خدم عند يشبك (٣) الأعرج الساقى بعد أن كان أميرًا كبيرًا ، وكان حسن السياسة ، عارفاً بالأمور ، مشكور السيرة ، قليلَ الشّر ، وولى نظر الأوقاف بعد موت (٤) قَطْلُوبغا حجى ، ومات فى المحرَم .

٧ ـ إسكندر (٥) بن قرا يوسف صاحب تبريز . مات مشَتتا عن بلاده مذبوحا (٦) ـ ذبحه الله ـ فى ذى الحجة .

٨ ـ أبوبكر بن عبدالله بن أيوب بن أحمد الملّوى ، ثم المصرى الشاذلى ، الشيخ زين الدين ، ولجَدِّه أيوب زاوية بملّوى ، وكان معتقداً ، وأما هذا فوُلِدَ سنة ٧٦٢ وصحب الفقراء وتُلْمِذَ للشيخ حسين الحبار ، ثم لازم صاحبه صلاح الدين العلائى ، وصار يتكلّم على الناس بزاوية الحبار (٧) بقنطرة الموسكى ، ويفسر القرآن برأيه على قاعدة شيخه ، فضبطوا عليه أشياء ، ورفع للقاضى جلال الدين ، فمنعه من الكلام إلاّ إن قرأ من تفسير البغوى

---

(١) كان مما اشار إليه السخاوى فى الضوء اللامع ٢/٨٤ انه كان شديد الثراء لكن ركبه الدين لكثرة اقتنائه الكتب النفيسة بالخطوط المنسوبة والجلود المتقنة .

(٢) فى ز « ١٨ ذى القعدة » والتصويب من كل من الضوء اللامع وعنوان الزمان .

(٣) كان موته سنة ٨٣١ راجع انباء الغمر ٤١٧/٣ برقم ٢١ .

(٤) راجع انباء الغمر ، ج٣ ، ص٥٢٨ ، برقم ١٥ .

(٥) هذه الترجمة غير واردة فى هـ ، ولكنها مذكورة فى ز .

(٦) كان ذبحه على يد ابنه « قوماط » وهو يحاصره من قبل اخيه « جهان شاه » بقلعة النجاء ، انظر الضوء اللامع ٨٨٥/٢ ، وعباس العزاوى : العراق بين احتلالين ج٣ ، ص١٠٠ ـ ١٠٤ وانظر أيضا Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No. 430 et 431.

(٧) لم أجد ذكرا لما سماه ابن حجر بزاوية الحبار فى الزوايا التى اشار إليها الخطط ٤٢٨/٣ ـ ٤٣٧ . اما قنطرة الموسكى فكانت تقع على الخليج الكبير ويخطىء من يظن ان تسمية منطقة الموسكى الحالية بالقاهرة ترجع إلى عهد الحملة الفرنسية لان هذه القنطرة والناحية نفسها من إنشاء الأمير « عزالدين موسك » احد اقارب صلاح الدين الأيوبى ، وقد مات عزالدين موسك هذا فى دمشق سنة ٥٨٤ هـ . انظر خطط المقريزى ٥٥٤/٢ .

وشبهه ، واجتمع بى بسبب ذلك ، فوجدته حسنَ السّمت إلاّ أنّه عَرِىٌّ عن العلم . وكان فيما ذكر لى هو أنه رأى أن فى قوله تعالى ﴿ كذبت عَاد المرسلين اذْ قالَ لَهُمْ أخوهُم هُود ﴾ (١) أن الضمير فى قوله « أخوهم » للمرسلين ، قلت : بل « لعاد » ، قال : « لا يليق بالنبىّ أن يوصف بأنه أخو الكفرة » قلت : قد قال فى الآية الأخرى ﴿ وأذكر أخا عاد ﴾ (٢) فسكت . وله نظائر لذلك .

إلاّ أنه كان كثير الذكر والعبادة ، يتكسّب فى التجارة فى الغزل ، ولجماعةٍ من النّاس فيه اعتقادٌ كبير .

مات فى ليلة الجمعة الخامس من ذى الحجة ، وكانت جنازته حافلة ، وهو أخو شمس الدين رئيس الأذان بجامع ابن طولون الذى يقال له : المستحل (٣) .

•••

٩ ـ بَرْسْبَاى ، السلطان الملك الأشرف ، مات فى عصر يوم السبت بعد أن قام أكثر من عشرين يوماً ملقًى على قفاه لا حَرَاك به ، إلاّ فى بعض الأحيان يحرّك يدَهُ كالغائب وينطق بمالا يُفْهم ، وصار يجرع السويق ونحوه بالمسعط فلا ينزل إلى جوفه من ذلك إلاّ اليسير . وكان قبل ذلك قد أفرط به الإسهال حتى انحطّت قواه ، ثم عرض له الصرع فأقام فى أوّل أمره زماناً طويلاً بحيث أُرْجِفَ بموته ، ثم أفاق منه مختبلاً ثم عاوده بعد سبعة أيام فازداد انحطاطه ، واستمرّ يعاوده حتى يئِسَ منه كل مَن حوله من النساء والرجال والولدان والأطباء ، وفى كل نوبة من الصرع يرجف بموته ويتهيأ الناس لذلك ثم يتحرّك .

وكان فى غضون ذلك ـ فى أوائل ذى الحجة ـ خرج على لسانه مع بعض الحاشية يأمرهم أن يحلفوا لولىّ العهد ولده يوسف الملك العزيز ، فكان أوّل من حلف ممّنْ حضر تَمُرْ باى الدويدار ، ثم إينال المشدّ ثم على باى الخزندار ، ثم تواردوا على الأيمان لولىّ العهد ولنظام الملك ، فعرضوهم طبقة بعد طبقة إلى أن تعالى النهار جدّاً ، ثم انصرفوا واصبحوا على ذلك ، فأرسل كل قاض نائباً من عنده حَضَر التحليف ، و[كان] المباشر للتحليف القاضى شرف الدين سبط ابن العجمى نائب كاتب السّر ، فاستوعبوا فى يومين آخرين من بقى .

(١) قرآن كريم ، الشعراء ١٢٣/٢٦ .

(٢) قرآن كريم ، الاحقاف ٢١/٤٦ .

(٣) راجع هذا اللقب فى ترجمته الواردة فى الضوء اللامع ١٦٨/٨ وقد تكرر بهذا الرسم مرتين فيما بعد .

وكان مِنْ تَأخرِ الأمراء عن الصلاة بالجامع ثم اجتماعهم وصلاتهم يوم الجمعة[(١)] الخامس من هذا الشهر وهم على حذر ، ثم اجتمعوا لصلاة العيد ، وخَلَع وليّ العهد على الأمير الكبير ومَنْ جرتْ له عادةٌ بالخلع ثم اجتمعوا لصلاة الجمعة ثانى عشر الشهر وقد اطمأنت نفوسهم .

فلما كان يوم السبت الثالث عشر من ذى الحجة مات السلطان قبل العصر ، فاجتمعوا بعد العصر بباب السّتارة وجلس ولىُّ العهد وطلب القضاةَ والأمراء والجند فاجتمعوا كلهم فعقدوا له البيعة بالسلطنة ، ولُقّب « الملك العزيز » كما تقدم ، ثم أُلْبس خلعة الخلافة ، وأركِب الفَرس ، ورُفِعَتْ على رأسه القبّة ، ومشى الأمير الكبير بالغاشية[(٢)] إلى أن أُدْخل القصرَ الكبيرَ ، فأجلس على الكرسى ، وجلس حوله الخليفة والقضاة ، ثم وقف جميع الأمراء وأهل الدولة من المباشرين وغيرهم ، وقرأ كاتب السرّ عنوان التقليد ، وادَّعى كاتب السرّ عند الشافعى أن الخليفة فوض إليه السلطنة على قاعدة والده ، وسأل الحكم فى ذلك ، فاستوفيت فيه شروط الحكم وحَكَم ونفّذه القضاة ، وركب السلطان إلى أن دخل الدور .

وخرج الخليفة والقضاة والجند أجمعون إلى باب القلعة ، وأخرج الأشرف فى التابوت فوضع على المصطبة الكبرى ، وتقدم الشافعى للصلاة عليه فلماً أكملوا الصلاة توجّهوا به إلى تربته التى أنشأها بالصحراء فدُفِن بها قبل أن تغرب الشمس ، ولم يتوجّه معه من حاشيته إلاّ عددٌ يسير . وكَثُر ترحُم العامة عليه ، وبالغوا فى سبّ الخزندار لَمّا رأوه فى الجنازة ، ورموه بكل سوء فبات [الخزندار][(٣)] بالتربة ، ورجع إلى القلعة سَحَراً فدخلها أوّل ما فُتحِت ، وحضرنا الصُّبحة فوجدْنا عدداً يسيراً من الجند وبعض الفقهاء ، فلما ختموا وانصرفْنا اجتمع الأمراء ورؤساء الدولة عند السلطان ، وقرروا مَنْ يسافر بخلع النواب للبلاد .

فلما كان يوم الاثنين النصف من الشهر شرعوا فى تجهيز القُصّاد إلى البلاد لتحليف أمرائها والإذن للأمراء المجرّدين فى الرُّجوع .

---

(١) فى هـ « الخميس » وهو مالا يتفق والتواريخ الواردة فى هذه الترجمة بشان الايام الاخيرة فى حياة برسباى، ويؤكد صحة التاريخ الوارد بالمتن اعلاه ما جاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص٤٢١ من ان اول ذى الحجة كان الاثنين .

(٢) فى هـ بخط الناسخ « لعله القبة والطير كعادته فإنها وظيفته » اما الغاشية فغطاء منسوج من الحرير المزركش وتحمله الركابدارية بين يدى السلطان او الاميرالكبير ،ويعلق الاستاذ شلتوت على هذه الاضافة بقوله : « إن الامير الكبير اعظم من ان يحمل الغاشية . وعادته ان يحمل القبة والطير فى المواكب الرسمية » .

(٣) اضيف ما بين الحاصرتين للإيضاح .

وكان بَرْسْبَاى يخدم دقْماق الذى مات أخيراً بحماة ، ودُقماق كان من مماليك الظاهر برقوق ، فيقال إنه هو الذى أعتق برْسْبَاى ، ثم صار برسباى من أتباع نَوْروز ، ومن قبل ذلك كان مع جكم ، ثم صار مع شيخ بعد قتل النّاصر ، وحضر معه إلى مصر ، فولّاه نيابة طَرَابُلُس ، ثم غضب منه فاعتقله عند نائب دمشق ، فلما دخل ططر الشام بعد المؤيّد استصحبه إلى القاهرة وقرره دويدارًا كبيرا فباشر .

وكانت سلطنته فى ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ، وأكرم الصالح وقَرَنَه بولده ، ، فكانا يركبان جميعا إلى أن مات بالطاعون سنة ثلاثين .

واتفق فى أيام سلطنته من السعد فى حركاته مالا يوصف ، بحيث إنه لم يقم عليه أحد إلّا وقُتل من غير أن يجهز له عسكرا ويباشَر له حربا .

وفتحت فى أيامه قبرس وأُسِرَ ملكها ، وقد سُقْتُ خبرها فى الحوادث .

١٠ - بلقيس (١) بنت بدر الدّين محمد بن شيخنا سراج الدين البلقينى ، ماتت فى ذى القعدة ، وكانت لها شهرة تُغْنِى عن ذكرها ، وهى لسان أهل بيتها ، وسلكت من أكثر من عشر سنين طريقَ التصوف ، ولبست الخرقةَ من جماعه ، وتسمَّت بالشيخة ، ووقع فى ذلك أضحوكات والله المستعان . وأظنها جاوزت الستين .

١١ - تِمْراز (٢) المؤيدى نائب صفد ثم غزة . مات مخنوقا بسجن إسكندرية فى ٢٣ جمادى الآخرة .

١٢ - جانِبك السيفى (٣) : أحد أمراء الطبلخاناه والحاجب الثانى ويعرف بالثور ، مات بمكة فى ١١ شعبان . وكان والى بندر جدة .

١٣ - جانِبك الصوفى (٤) الظاهرى صاحب الوقائع والحروب . مات فى يوم الجمعة ١٨ ربيع الآخر ، واختُلف فى سبب قتله .

١٤ - دَوْلَت (٥) خجَا [الظاهرى] الذى استقر فى الحسبة وكان والىَ القاهرة . مات فى يوم الأحد ثانى ذى القعدة بالطاعون .

---

(١) نقل الضوء اللامع ٧٤/١٢ هذه الترجمة من الإنباء ولم يحاول الزيادة فيها .

(٢) لم ترد هذه الترجمة فى هـ ، ولكن انظر النجوم الزاهرة ٢١٣/١٥ .

(٣) الضبط من النجوم ٢١٤/١٥ .

(٤) لم ترد هذه الترجمة فى هـ . وانظر النجوم الزاهرة ٢١١/١٥ .

(٥) لم ترد هذه الترجمة ايضا فى هـ ولكنها فى النجوم الزاهرة ٢١٧/١٥ والاضافة منه .

١٥ ـ سودون [١] من عبدالرحمن نائب الشام ثم أتابك العساكر ، مات بطالا بثغر دمياط فى يوم السبت العشرين من المحرم ، ولم يخلف مثله .

١٦ ـ عائشة [٢] ، أخت الحافظ جمال الدين ، ولدت سنة [٣] . . . . ، وسمعت على ابن أميلة « السنن » لأبى داود ، والجامع للترمذى والمشيخة ، وعلى الأخوين إبنَىْ الخطيب محمد بن عبدالرحيم بن عبدالوهاب السلمى سنة ٧٦٩ صحيحَ البخارى ، أنا الحجار ، وعلى أبى العباس بن عبدالكريم بن ا لحسين البعلى صحيح مسلم ، أخبرتنا زينب ابنة كندى ، وعلى محمود المنبجى بعض السنة الطاهرة ، وأكثَرتْ عن الحافظ أبى بكر بن المحب ، وحدثت . وسمع منها الحُفّاظ كالمؤلف وابن ناصر الدين والرحالة . وكانت خيّرة صالحة . ماتت فى الطاعون العام .

١٧ ـ عائشة [٤] ، ويقال لها آى مَلَك ابنة إبراهيم بن خليل بن عبدالله بن محمود بن يوسف البعلية ثم الدمشقية المعروفة بابنة الشرائحى ، أخت الحافظ .

١٨ ـ عبدالله [٥] بن محمد بن أبى بكر بن سليمان بن عمر بن صالح الهيثمى المسند جمال الدين بن أخى الحافظ نصر الدين الهيثمى . ولد سنة ٧٦١ ، [٦] وسمع بإفادة عمه وهو فى الخامسة على التبانى : [٧] الأول من فوائد الصقلى . وأجاز له العز بن جماعة فهرست

---

(١) خلت نسخة هـ من هذه الترجمة ولكن انظر النجوم الزاهرة ٢٢١/١٥ .

(٢) خلت نسخة هـ من هذه الترجمة والارجح ان هذه الترجمة إما ان تكون دخيلة على الانباء بدليل ماجاء فى ختامها من القول : « سمع منها الحفاظ كالمؤلف ، يعنى ابن حجر ، ولم يكن ابن حجر يستعمل كلمة (مؤلف) حين يقصد نفسه بل كان يستعمل كلمة « كاتبه » ، وإما ان تكون الترجمة صحيحة حتى قوله (وحدثت) ص٨١ س٨ .

(٣) بياض فى الأصول يسع ثلاث كلمات .

(٤) خطأ السخاوى فى الضوء اللامع ج١٢ ص١١ شيخه ابن حجر فى إيراده اسمها على هذه الصورة الواردة بالمتن فقال س٢٦ : « اى ملك ابنة إبراهيم بن خليل بن عبدالله ذكرها شيخنا فى معجمه وقال « هى عائشة وهو سهو بل هما اختان ، وترجم السخاوى شرحه ج٥٧/١٢ ، س١٧ ـ ٢٦ لاى ملك ابنة ابراهيم بن خليل بن عبدالله ولكن فاته النص على سنة وفاتها فقال : « سمع منها شيخنا كما ذكر فى إنبائه وارخ وفاتها فيه فى ربيع الآخر ، وارخها غيره فى جمادى الاولى سنة خمس عشرة ولم يشر إلى السنة وإن كان الأرجح ان ذلك كان بعد سنة ٨٣٦ ، ثم عاد السخاوى فى نفس المرجع ٤٥٠/١٢ فترجم لعائشة بنت إبراهيم بن خليل بن عبدالله وجعل وفاتها فى ٢٦ صفر سنة ٨٤٢ .

ويلاحظ ان وفيات هذا القرن كله فى الجزء السابع من شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى خلت من عائشة المشار إليها فى سنوات الظن او الترجيح كما خلت نسخة هـ من ترجمة لها .

(٥) خلت هـ من هذه الترجمة .

(٦) ذكر البقاعى فى عنوان الزمان ترجمة رقم ٢٩٧ انه ولد سنة ٧٦٠هـ .

(٧)البيان « فى الضوء اللامع ١٧٩/٥ .

مروياته ، كان شيخا حسنا خيرا دينا ساكنا حسن السمت منور الشيبة . وحدّث وسمع منه الفضلاء .

مات فى يوم الاثنين ١٨ جمادى الآخرة ودفن فى الغد [١] وكان أجاز فى استدعاء إبْنِى محمد .

١٩ ـ عبدالرحيم [٢] بن محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى ، القاضى تاج الدين أبو محمد بن قاضى القضاة شمس الدين ، وَلِىَ أبوه قضاء الحنفية وناب عن أخيه فى الحكم واستمر ينوب عَمن ولى بعده [٣] إلاّ إبن العديم وولده فلم ينب عنهما رعاية لأخيه .

وولى [٤] إفتاء دار العدل ، وكان يصمم فى الأحكام ولا يتساهل كغيره . وأقعد فى أواخر عمره وحصلت له رعشة فى يده [٥] ثم فلج فَحُجب فأقام على ذلك نحو سنتين إلى أن مات ليلة الثانى والعشرين من المحرم .

وكان قد سمع من ابن منَاع [٦] الدمشقى بعض الأجزاء الحديثية بسماعه من عيسى المطعم ، وسمع معنا على البرهان الشامى وغيره ، وحدث قليلا قبل موته ، وكتب فى الاستدعاءات .

٢٠ ـ عبدالملك بن محمد بن عبدالله بن محمد الزنكلونى ، الشيخ عبدالملك ، الرجل الصالح ، وكان يسكن بدار مجاورة لجامع عمرو بن العاص ويؤدب الأطفال ويكثر من تلاوة القرآن والصيام . وتذكر عنه مكاشفات كثيرة . مات فى ليلة الرابع والعشرين من جمادى الأولى ولم يجاوز الستين فيما قيل . وهو ابن خال برهان الدين الزنكلونى أحد نواب الحكم ودفن فى ذلك اليوم بجوار مشهد الست زينب خارج باب النصر ، وكان صالحا وللناس فيه اعتقاد .

---

(١) جاء بعد هذا فى ترجمته بنسخة ز : « وذكره المؤلف فى الثانى من معجمه وكان اجاز فى استدعاء ابنى محمد » .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى : « هو عبدالرحيم بن محمد بن احمد بن ابى بكر بن صديق » .

(٣) اى بعد اخيه امين الدين .

(٤) كذلك درس بالمدرسة العاشورية كما ورد فى الضوء اللامع ، لكن يلاحظ ان المقريزى فى خططه ٣٢٣/٣ اشار إلى ان هذه المدرسة كانت معطلة فى ايامه وصارت طول الأيام مغلوقة لاتفتح إلا قليلا فإنها فى زقاق لايسكنه إلا اليهود ومن يقرب منهم فى « النسب » ، وكانت هذه المدرسة تقع بحارة زويلة من القاهرة وكانت فى الأصل دارا للطبيب اليهودى ابن جميع كاتب قراقوش فاشترتها منه السيدة عاشوراء بنت ساروج الأسدى ووقفتها على الحنفية .

(٥) فى هـ « بدنه » .

(٦) هو حسين بن عبدالرحمن بن على بن مناع التكريتى الاصل الدمشقى ، انظر عنه الدرر الكامنة ١٥٩٢/٢ .

٢١ ـ على بن محمد بن عبدالرحمن ، نور الدين الصهرجتى [١] ، مات فى شوال عن نحو السبعين وهو من قدماء الطلبة الشافعية ، وكان مشهورا بالخير ، ويتكسّب بالشهادة .

٢٢ ـ على [٢] بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد البخارى العجمى الحنفى ، علامة الوقت علاء الدين . كان مولده فى سنة ٧٧٩ ببلاد العجم . ونشأ ببخارى فتفقه بأبيه وبعمه العلاء عبدالرحمن ، وأخذ الأدبيات والعقليات عن الشيخ سعد الدين التفتازانى وغيره ، ورحل إلى الأقطار ، واجتهد فى الأخذ عن علماء عصره حتى برع فى المعقول والمنقول والمفهوم والمنظوم واللغة العربية وصار إمام عصره ، وتوجه إلى الهند فاستوطنه مدة ، وعظم أمره عند ملوكه إلى الغاية لما شاهدوه من غزير علمه وزهده وورعه ، ثم قدم مكة فأقام بها ، ثم دخل مصر فاستوطنها وتصدّر للإقراء بها ، فأخذ عنه غالب من أدركناه من كل مذهب ، وانتفعوا به علما وجاها ومالا . ونال عظمة بالقاهرة مع عدم تردده إلى أحد من أعيانها حتّى ولا السلطان ، وكان الكل يحضر إليه ، وكان ملازما للإشغال والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام بذكر الله ، مع ضعف كان يعتريه .

وآل أمره إلى أن توجه إلى الشام فسار إليها [٣] بعد أن سأله السلطان فى الإقامة بمصر مرارا فلم يقبل ، وسار إليها فأقام بها حتى مات فى خامس رمضان ولم يخلف بعده مثله ، لما اشتمل عليه من العلم والورع والزهد ، والتحرّى فى مأكله ومشربه ، وعدم قبوله العطاء من السلطان وغيره .

ولما سافر السلطان [الأشرف برسباى] إلى آمد سنة ٨٣٦ ركب إليه وزاره أول مادخل دمشق .

٢٣ ـ على بن مفلح الحنفى ، نور الدين ناظر المرستان ووكيل بيت المال . مات يوم الجمعة ٢٢ ذى القعدة عن نحو السبعين ، وكان عارفا بصحبة الرؤساء كثير الخدمة لهم ،كثير التودد لأصحابه ، والإعانة لهم ، وفيه لبعض الطلبة خير وبر ، وكان قد ولى مشيخة الجامع الجديد [٤] بمصر مدة .

(١) نسبة إلى « صهرجت » وتوجد قريتان بهذا الاسم فى الوجه البحرى من مصر تعرف إحداهما بصهرجت الكبرى والاخرى بصهرجت الصغرى . راجع على مبارك : الخطط ١٧/١٣ ، ومحمد رمزى : القاموس الجغرافى .

(٢) ترجمت له الشذرات ٢٤١/٧ ـ ٢٤٢ باسم « محمد بن محمد » وجاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « إنما اسمه محمد وسياتى فى المحمدين على الصواب وكذا تقدم على الصواب فى سنة إحدى وثلاثين فى الحوادث فى موضعين لكن انظر ماسبق انباء الغمر جـ٣ ص٤٠١ .

(٣) الضمير هنا عائد على الشام .

(٤) يقصد بذلك الجامع الجديد الناصرى الذى عمره القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١١ راجع عنه المقريزى : الخطط ٢١٠/٣ ـ ٢١٥ .

٢٤ - على[1] بن موسى بن إبراهيم ، الشيخ علاء الدين الرومى ، صاحب الوقائع المشهورة فى هذه السنة .

٢٥ - محمد ، ولد شهاب الدين البنهاوى التاجر ، مات فى ذى القعدة ، فاستولى المتحدث عليه على موجود أبيه ، ولعله يزيد على عشرين ألف دينار ، فقام اثنان فادّعيا أنهما ولد عمه عَصَبِيَّةً فصالحهما على شيء ، وصالح ناظر الخواص على شيء آخر ومجموع ذلك لايجيء على قدر الثلث من الموجود ، وكان المخبر بذلك من باشر عرْض الموجود وبيعه وضبطه ، ومع ذلك فلم يلتفت المذكور لذلك ، وركب طرف الإنكار ، وأن الذى خَصَّه هو الذى استولى عليه من غير زيادة .

٢٦ - محمد ، صلاح الدين ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ، مات بالطاعون وتمرّض خمسة أيام ، وولى أبوه فى يوم الخميس وظيفته وهرع الناس للسلام عليه وباشر ، واتفق انحطاط السلطان فى المرض إلى أن ثقل فيه وكان ماتقدم .

وكان صلاح الدين يلَقب أوّلاً غرس الدين[2] ، واسمه خليل ، ثم غيرّه أبوه فى الدولة المؤيّدية واستمر ، ونشأ صلاح الدين فهما يقظا فتعلم الخط المنسوب وولى شادّ المرستان وباشر عن أبيه فى وظائفه لنظر الجيش ونظر الخاص والوزارة نيابة ، وولى إمرة طبلخاناه ، ثم ولى الأستادارية بتقدمة ألف ثم استعفى ، ثم نادم السلطانَ بعد ابنِ قاسم فولاه الحسبة ثم كتابة السر فلم يقم بها إلا دون السنة ومات .

وكان كثير البشاشة وحلاوة اللّسان ، ويُنْسب إلى التزيّد فى القول ، عفا الله عنه[3] .

---

(١) ترجم له الضوء اللامع ١١٨/٦ ترجمة مطولة وقد وردت ترجمته فى هـ ، لكن سبقتها الترجمة التالية وعلق عليها البقاعى بقوله : « هو الذى يليه » وجاءت ترجمته على هذه الصورة التالية : « على بن موسى بن إبراهيم الرومى الحنفى ، العلامة علاء الدين ، تخرج بالشريف الجرجانى والتفتازانى الى ان برع وتصدر للاقراء ودخل مصر فاستقر فى مشيخة الاشرفية الجديدة وجرت له مع علماء مصر مناظرات ، وبالجملة فكان عالما محققا يستخف بكثير من علماء مصر ، مات يوم الأحد ٢٠ رمضان » ووردت فى هامش «هـ» امام هذه الترجمة بخط البقاعى قوله : « وكان كثير الشر ، قال لى الشيخ علاء الدين البرلسى الضرير إنه سمع ببلاد الروم ان الشريف الجرجانى قال له : يامولانا علاء الدين ماهذا الاتحاد بينك وبين الأمير تمرلنك فانى ماالجتمعت به قط إلا واوصانى بك ؟ فقال : والله مابيننا جامع الا خباثة الارواح ، وهذه من طرائف الشيخ علاء الدين الرومى ولكن الظاهر من حاله انه كان كذلك .

(٢) فى هامش هـ بخط الناسخ : « ماعرفنا : قط منذ عاصرناه من الدولة الناصرية فرج الا ان اسمه صلاح الدين محمد ، وخليل لانعرف انه سمى به أبدا » .

(٣) جاء فى هامش ز عقب ذلك مباشرة العبارة التالية : « وفى نسخة بالهامش : مات فى ليلة الأربعاء خامس ذى القعدة بالطاعون ومولده فى رمضان سنة تسعين وسبعمائة وولى فى آخر عمره كتابة السر ولبس لبس الكتاب بعد ان كان بزى الجند ، واستمر فى الوظيفة حتى مات فاستقر بها ابوه وولى الحسبة ايضا فى الأيام الأشرفية برسباى وكذلك الحجوبية الصغرى فى دولة الناصر فرج واعطى إمرة طبلخاناه فى دولة المؤيد شيخ وكانت ولايته الاستادارية فى دولة الظاهر ططر وقرره الأشرف برسباى . ايضا فى استادارية الصحبة .

٢٧ ـ محمد (١) بن الحسن بن مسعد بن محمد بن يوسف الفاقوسى ، الرئيس ، ناصر الدين كبير الموقعين بديوان الإنشاء ، وكان قديم الهجرة فإن (٢) مولده بين العشاءين من ليلة الجمعة سادس(٣) عشرى صفر من سنة ٧٦٣ بالقاهرة .

وحفظ القرآن وعِدَّة مختصرات ، وقرأ على جُويرية (٤) وابن حبّ الله والباجى والنشاورى وابن مغلطاى وابن الكويك وجامعة بمصر ، وبالشام من أبى هريرة ، ومن الذهبى والسراج بن الملقن .

وبحث على الزين العراقى فى علوم الحديث لابن الصلاح ، وكتب له بخطه أنه سمعه عليه سماع نظر وتأمُّلٍ وتحرير واستيضاح لُمشْكِلِه ، وبعضه بقراءته ، وأذن له بَقيْده .

وقرأ على العمارى الفصول لابن معطى فى النحو ، وكتب له أنه قرأها قراءة شافية سنة ٧٩٧ .

وتفقه على جماعة من علماء عصره .

وكان خّيرا ديّناً ملازما للعبادة ، صبورا على التحديث ، محبا فى الخير ، حدّث بالكثير وباشر الوظائف الكبار ، وَوَقَّعَ عن القضاة أوّلاً ثم فى الدّرج ، ثم فى الدّست ، ثم ولى نظر الديوان الخاص بخاصّ السلطان ، وديوان المستأجرات والذخيرة السلطانية مدّة ، وعلت منزلته فى الدولة الناصريّة ، ثم انحطت فى الدولة المؤيّدية ولكنه متماسك ، ثم انحطت فى الدولة الأشرفية ، وانقطع عن الخدمة فى أواخر عمره .

وكان رئيسا جليلا ، سمع الحديث الكثير ، وحدث بأخرة ، وله حكايات فى ضيق العطن ، مع سماحة نفس وصدقة ، وكان ينظم (٥) نظما وسطا وكذلك إنشاؤه ، وخطه أجود من إنشائه .

مات فى يوم الثلاثاء سابع عشرين شوّال رحمه الله تعالى (٦) .

---

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « هو محمد بن حسن بن سعد بن محمد بن يوسف بن حسن ، ناصر الدين بن بدر الدين » .

(٢) العبارة من هنا حتى « حدث بالكثير » س١٤ ، غير واردة فى نسخة هـ .

(٣) فى الضوء اللامع ٥٥٣/٧ « خامس عشرى صفر » .

(٤) راجع ترجمتها فى الدرر الكامنة ١٤٧٢/٢ .

(٥) فى هامش هـ بخط البقاعى : « مارايته قط نظم بل اطلعت على انه لايعرف يزن الشعر اى ليس فى طبعه الوزن » .

(٦) جاء بعد هذا فى ز : « وفيه مات للامير الكبير ثلاثة اولاد : ذكر وبنتان فدفن البنتين فى يومه ، ودفن الصبى صبيحة هذا اليوم . وفيه مات للقاضى الحنفى بنت اخرى » .

٢٨ ـ محمد بن الخضر بن داود بن يعقوب بن يوسف بن ابى شديد [١] الحلبى ، شمس الدين بن أخى الرئيس سليمان بن داود الأديب الشهير بابن المصرى .

ولد [٢] بحلب قبل السبعين ، وأسمع على الكمال بن حبيب والظهير بن العجمى وعمر ابن أيْدَغْمُش وغيرهم ، ونشأ بها ، وتكسب بالشهادة ثم بالتوقيع .

وكانت له فضيلة ، ويرجع إلى ديانة ، وقدم القاهرة بعد اللنك فأقام بها دهراً ، وعمل التوقيع عند جمال الدين ، ثم فى ديوان الإنشاء عند ناظر الجيش ، ثم تحوّل إلى بيت المقدس واستقرّ شيخ المدرسة الباسطية به ، ومات هناك ، وله نيّفٌ وسبعون سنة .

سمع منىّ وكتب فى الإملاء من شرح البخارى ، وقرأ علىَّ المقدمة وكثيرا من الشرح ، ومن كتابى فى الصحابة ، وأجاز لى فى استدعاء أولادى ، وطارحنى بأبيات ـ وهو فى بيت المقدس ـ فأجبتهُ وأنشدنى لغزاً لغيره فى المسك وسألنى جوابه ففعلت ، والله يرحمه .

٢٩ ـ محمد بن عرب [٣] بن محمد ناصر الدين الطبناوى ، بفتح المهملة والموحدة وتخفيف النون ، نسبة إلى طبنا [٤] من عمل سخا ، ذكر لى أنه وُلد سنة ٧٥٤ وكان أبوه مدركا يقال له ركن الدين ، فنشأ فى محبّة الفقراء وتقدمَ فيهم ، وكان مطاعاً [٥] عند الأمراء والأكابر ، وقد ذكرت قصته فى هدم الدير المعروف بالمغطس وأنه قام فى ذلك سنة أربعين فاتفق تخذيل السلطان عند الأمر بهدمه بعْد أن كان انصاع لذلك ، لكنه أمر بإغلاقه ثم قُدّر أن أذن بهدمه فى هذه السنة فبادر الشيخ وأعوانه إلى ذلك فهدم [٦] .

وقدم الشيخ مراراً إلى القاهرة وله أتباع ، وهو على طريقة حسنة من العبادة والتوجه والرغبة فى الخير ، وكان اجتماعى الأخير به فى أول ذى الحجة من هذه السنة وذكروا لى أن والدته كانت من الصالحات ، ويؤثر عنها كرامات ، ولها شهرة فى تلك البلاد .

---

(١) فى هامش بخط البقاعى : « الذى عندى فى تعاليقى : ابن ابى سعيد وكذا هو فى المائة الثامنة » ، يعنى بذلك كتاب الدور الكامنة لابن حجر . ويلاحظ انه وردت عبارة « ابن ابى سعيد » كذلك فى البقاعى فى الترجمة المذكورة فى السخاوى : الضوء اللامع ٦٩٨/٣ لابنه خضر بن محمد .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى : « فى احد الجمادين من سنة ثمان وستين وسبعمائة » .

(٣) فى هـ « عمر » .

(٤) قال محمد رمزى فى القاموس الجغرافى ، المجلد الأول ، ص٣١٠ « طبنى : وردت فى تاج العروس وهى قرية من اعمال سخا » .

(٥) فى ز « مذكور » .

(٦) راجع قصة هذا الدير فيما سبق .

٣٠ ـ محمد بن [1] محمد بن محمد ، الشيخ علاء الدين البخارى الحنفى ، كان من أهل الدين والورع وله قبولٌ عند الدولة ، وأقام بمصر مدة طويلة وتُلْمذ له جماعة ، وكان يُتْقِنُ فنّ المعانى والبيان ، ويذكر أنه أخذه عن الشيخ سعدالدين [الديرى] [2] ويقرّر الفقه على المذهبين ، وانتفعوا به كثيراً ، ثم تحوّل إلى دمشق فاغتبطوا به ، وكان كثير الأمر بالمعروف .

مات بدمشق رحمه الله وبلغنى أنه قارب السبعين ، وقرأتُ بخط الشريف تاج الدين عبدالوهاب الدمشقى : « مات شيخنا علاءالدين البخارى نزيل دمشق صبيحة يوم الخميس ٢٣ رمضان سنة ٨٤١ بالمزة » .

٣١ ـ محمد بن عمر الميمونى الشافعى ، الشيخ شمس الدين بن الشيخ سراج الدين ، ولد فى حدود السبعين واشتغل بالفقه ، وكان أبوه نقيب الزاوية المعروفة بالخشابية ، ومات وهو صغير وتنزّل فى الوظائف ثم ترك وسلك طريق الفقراء وجلس فى زاوية ، ثم ترك ذلك وأكثر الحج ، وكان يديم التلاوة .

وقعت له مع القاضى الحنفى كائنة ذكرت فى حوادث سنة تسع وعشرين ونجا منها بعد أن حُكم بإراقة دمه وعاش إلى هذه الغاية فمات بالقولنج بالمرستان .

٣٢ ـ شمس الدين العَمارى ، بفتح المهملة وتشديد الميم ، أحدُ نوّاب الحكم الحنفى ، وكان سار مع نائب الشام سودون من عبدالرحمن إماماً فناب فى الحكم بالشام ورجع بعد أن انفصل المذكور ، ولم يكن بالمحمود ، عفا الله تعالى عنه .

٣٣ ـ يحيى بن سعدالله بن عبدالله الكاتب المعروف بابن بنت الملكى ، سعدالدين [3] صاحب ديوان الجيش . مات فى ذى القعدة بالطاعون ولم يكمل الخمسين ، واستقر أخوه عبدالغنى فى وظيفته مشاركاً لأولاده .

•••

---

(١) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « تقدمت تسميته عليا وهماً ، وترجمته هناك اوسع من هذه الترجمة والصواب نقل ما هناك إلى هاهنا راجع ص٨٣ ، ترجمة رقم ٢٢ .

(٢) المقصود بذلك الشيخ سعدالدين محمد بن محمد الديرى المقدسى مولدا ومنشا ، القاضى الحنفى . وقد اثنى عليه ابن حجر فى رفع الإصر تحقيق د. حامد عبدالمجيد ٢٤٦/٢ ووصفه بانه كان مفرط الذكاء وفلق الأقران واشتهر بمعرفة الفقه حفظا وتذييلا واستحضارا .. وقد ولى القضاء فى اول سنة ٨٤٢ فباشر بمهابة وحرمة وعفة .. واطال البقاعى الحديث عنه فى مخطوطته اظهار النصر التى يقوم محقق الانباء بتحقيقها .

(٣) فى هـ « شرف الدين » .

سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة

شهر الله المحرم : أرّخوه على عادة العدد يوم الأربعاء ، ثم تبين بعد ستة أيام أن أوله الثلاثاء (١) .

وفى يوم السبت خامسه استقر إينال [الأبوبكرى الأشرفى] الشادّ : دويداراً عوضاً عن تمُرْباى [السيفى] ، واستمر تمرْباى من الأمراء المقدّمين ، واستقر (٢) بعد ذلك على باى [الساقى الأشرفى] شادّا عوضاً عن إينال ، واستقر جكم - خالُ السلطان - خزندارًا عوضاً عن على باى ، واستقر فى وكالة بيت المال شهاب الدين بن النسخة شاهد القيمة ، وعينت وظيفة نظر المرستان لولىّ الدين السفطى ثم لمحبّ الدين بن الأشقر ثم لسراج الدين العبادى فقيه الملك العزيز ، ثم لم تتم لواحد منهما إلى أن استقرت لابن الأشقر .

وفى يوم السبت خامسه استقرّ فى ولاية القاهرة واحد من الخاصكية يقال له دمرداش واستقر علاء الدين بن الطبلاوى فى شهر ربيع الأول . .

•••

وفى يوم الاثنين الرابع عشر من المحرم استقر الشيخ سعد الدين بن الديرى شيخ المؤيّدية فى قضاء الحنفية عوضاً عن القاضى بدر الدين العينى بحكم عزله ، وركب الناس معه ، ولم يركب (٣) معه أحد من الأمراء ولا من المباشرين ، إلاّ أنّ ناظر الجيش وكاتب السرّ وناظرَ الخاص الأستادار لحقوه بالمهامزيين (٤) ولم يسيروا معه بل وقفوا عند الصّالحية على العادة ، ودخل القضاة ، وتوجّه

(١) الوارد فى جدول سنة ٨٤٢ بالتوفيقات الإلهامية ان اول هذه السنة كان يوم الثلاثاء ويوافقه ٣٠ بئونه ١١٥٤ ق = ٢٤ يونيو ١٤٣٨ م . هذا وقد نصت النجوم الزاهرة ١٥ / ٢٣٠ ، على ان الثلاثاء كان اول السنة الهجرية ثم عادت فاشارت فى نفس الجزء والصفحة إلى ان الاثنين هو ١٥ من المحرم وبذلك يكون الاثنين اوله .

(٢) ادرجت النجوم الزاهرة ١٥ / ٢٣٠ خبر استقرار (على باى) لشد الشربخاناه بدلا من إينال الابوبكرى يوم الاحد ٢٨ ذى الحجة ٨٤١ هـ .

(٣) ذلك لانه كان قد اشترط لقبوله القضاء الا يقبل رسالة لاحد ما من اكابر الدولة والا يتدخلوا فى احكامه .

(٤) سوق المهمازيين من الأسواق المستجدة بعد الدولة الفاطمية وقد اشار المقريزى فى الخطط ٢ / ٤٦٤ إلى انه كانت تباع به البدلات الفضة التى كانت برسم لجم الخيل وكذلك سلاسل الفضة وسكاكين الاقلام ، وكان تجاره يعدون من بياض الناس .

ناظر الجيش ومَن معه ورجع المستقرّ إلى منزله [١] ، وهرع الناس للسّلام عليه وحصل للمنفصل [٢] قَهْرٌ عظيمٌ لأنه لم يكن يظن أن ذاك يقع .

ووقع لناظر [٣] الجيش فى هذا اليوم إساءة من مملوك من مماليك السلطان ، ثم تكرر ذلك وصار لا يركب إلا مع جماعة يحمونه من معرّته ، وانخرمت تلك الحرمة ، واتضعت تلك الكلمة ، وجرى من جوهر الخزندار مع بعض الخاصكية كلام أغلظ له فيه ، ، ونسبَه إلى أنه كان السّبب فى تلك المظالم ، وانحطّت منزلته جدّا ، وعظم قدْرّ جوهر الزمام ، ولم يتأثر الخزندار لما قيل فيه ومشى على طريقته ، وتسلّط كثيرٌ من الجند على ناظر الجيش وكرّروا الإساءة عليه بالقول والفعل والتّهديد ، وكلما رام تلك الصفة التى كان عليها فى زمن الأشرف عورض ، ولله الأمر .

وفى أوّله تصدّى الأمير الكبير نظام الملك للحكم بين النّاس فى كل يوم ، فبسط العدل ولم يمنع أحدًا طَلَب الشّرع من التوجّه حيث أراد من الحكّام ، سواء أكان نائباً أو مستقلاً ، واستقرّ عنده شهاب الدين بن العطّار دويدارا ، وكان عند تمر باى الدويدار ـ وهو مشكور السيرة كثير التودّد والعقل .

•••

وفيها خَرج على الحاج عرب [٤] بلىّ فأخذوا نحوًا من ألَفَىْ جمل كانت مع العرب من جُهَيْنة وغيرها ، منها كثير من الحاج الغزاوى والشامى ، ومعهم الكثير من بهار المصريّين وأمتعتهم وهداياهم ، وذلك عند الأزلم ، فأخذوا الجمال ورموا ركّابها وأخذوا نفائس ما معهم ، فوصل الكثير منهم حفاة عراة إلى بئر بالأزلم فمات الكثير منهم هناك [٥] .

---

(١) الوارد فى الحوادث ٧/٩ س ١٤ ان داره كانت بالمؤيدية ذاتها ، وانظر ترجمته فى رفع الإصر ٢/٢٤٦ .

(٢) يعنى بذلك بدر الدين العينى .

(٣) جاء امام هذا فى هامش هـ بخط البقاعى التعليق التالى : « كان أول امره كذلك فلما طالت مدته بالنظامية واستقرت قدمه فى العظمة تغير فمنعنى انا من التوجه إلى الشرع فى مخاصمة جرت بينى وبين منصور الطبلاوى والى مصر فى ولاية النظر على مسجد إلى ان خلصت منه بالحيلة على يد ابنه الناصر محمد » ، ويقصد البقاعى بذلك السلطان جقمق . اما النظامية » الواردة فى كلامه فيعنى بها وظيفة « نظام المملكة » . ولا نرى داعيا لهذه الاضافة التى اضافها البقاعى فى الهامش .

(٤) بلى حى من اليمن وقال الجوهرى عنه إنه قبيلة من قضاعة وانظر الحاشية التالية .

(٥) لم ترد الاشارة عند أبى المحاسن فى حوادث هذه السنة إلى ما فعله عرب بلى وانما اشار اليها فى حوادث شهر جمادى الأولى من السنة التالية حيث ذكر أن السلطان جهز سودون المحمدى وخلع عليه بنظر مكة وندبه « لقتال عرب بلى الذين فعلوا بالحجاج ما فعلوه فى موسم السنة الحالية » ، راجع النجوم الزاهرة ١٥/٢٣٢ . على انه وردت اشارة دون تفسير تذكر فى نفس المرجع ١٥/٢٣٢ انه قدم امير الحجاج اقبغا من مامش الناصرى التركمانى بعد أن حصل بالحاج من الغلاء مالا مزيد عليه .. « وقد فعلت الأعراب بهم ما فعله التمرية مع أهل البلاد الشامية » ، أما هؤلاء الاعراب فقد نص ابن حجر فى المتن اعلاه على أنهم عرب بلى الذين وردت الاشارة إليهم فى القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ١٨٠ فذكر أنهم بطن من قضاعة فى القحطانية وانظر فى هذه الحوادث : إتحاف الورى ، ١١٧/٤ ، ١١٨ . واخبار سنة ٨٤٣ فى مخطوطة عقد الجمان .

وسئل أمير الركب آقبغا التركمانى أن يقيم بالأزلم حتى يتكامل الذين سلموا من الموت فامتنع ورحل من أوّل النهار ، فهلك الذين وصلوا بعدهم إذ لم يجدوا من يرفدهم ، ومات أكثرهم ، فكانت قصّةً شنيعة ، وتوصّل بعضهم إلى عيون القصب فركب البحر من جزيرة [١] عينون ودخل الحاج أولا فأوّلا .

وأول من وصل : الترك الذين كانوا بمكة فى العام الماضى ومعهم جمعٌ كثير فى الحادى والعشرين ، وكان وَصَل قبلهم طائفة فى السابع عشر فقدموا من المويلحة ، ووصل جماعة تقدّموا من نَخلى [٢] فى الثانى والعشرين .

ودخل الركب الأول فى الثالث والعشرين والمحمل فى الرابع والعشرين ، وانطلقت ألسنتهم بِذمّ أمير [٣] الركب ، وأنه كان السبب فيما صنع عرب بَلِىّ ، لكونه أرسل أحدَ الرئيسينْ مبشرا ، وزنجر [٤] الآخر ، فغضب قومُه وفعلوا مافعلوه ، ولم [٥] يعاتَبْ أميرُ الركب فضلاً عن أن يعاقَبْ ، ثم تبينَ أن العرب الذين حملوا البهار سَلِمُوا ، ووصل معهم جمْعٌ كثير من الحجاج ، وذكروا أن بقيَتهم ركبوا البحر ، وأنه لم يمت منهم إلاّ القليل .

وفيه استقر كل من عبدالرزاق الطرابلسى [٦] وسراج الدين العبادى إمامين للسلطان فصاروا خمسة ، وكان عبدالرزاق إمامه قبل السلطنة .

---

(١) الوارد فى مراصد الاطلاع ٢/٩٧٩ ان « عينون » قرية من وراء البثينية من دون القلزم فى طرف الشام كذلك فى ياقوت الحموى الذى زاد فى « التعريف » بها نقلا عن البكرى حيث قال :« هى قرية يطؤها طريق المصريين إذا حجوا » ، ولكنه لم يشر الى انها جزيرة .

(٢) عرفه مراصد الاطلاع ٣/١٣٦٥ بانه واد فى حدود ينبع .

(٣) كان امير حاج المحمل يومذاك هو اقبغا من مامش الناصرى المعروف بالتركمانى .

(٤) اى وضعه فى الحديد ، وليس فى اللغة العربية الفصحى مايحمل هذا المعنى ، فقد ورد فى الوافى للبستانى « زنجر » الرجل اى قرع ظفر إبهامه بظفر سبابته وان الزنجير والزنجيرة البياض الذى على اظفار الأحداث وقد ذكر لنا صديقنا الاستاذ شلتوت ان « الزنجير او الزنجار لفظ فارسى يعنى السلسلة من الحديد توضع فى العنق او اليدين عقوبة ويحرف فيقال الجنزير والفعل منها جنزره اى وضع الجنزير فى عنقه . وانظر استعمال هذا اللفظ فى النجوم الزاهرة ١٥/٣٨٩ ، ٤١٤ ، ٤١٨ ، ٤٢١ وفهرس الألفاظ الاصطلاحية به والمنجد : جمزر وزنجر ، »

(٥) فسرت النجوم الزاهرة ١٥/٢٣٢ هذا السكون بان كل واحد من كبار رجالات الدولة يومذاك كان فى شغل بما يرومه من الوظائف والاقطاعات .

(٦) الوارد فى ترجمة عبدالرازق بن حمزة الطرابلسى بالضوء اللامع ٤/٤٨٩ انه عمل إماما لجوهر اللالا ، ولم يرد قط فى هذه الترجمة ما يشير إلى انه كان إماما لجقمق سواء قبل السلطنة او بعدها .

وفيه توجه جماعة لتقليد أمراء البلاد على ماكانوا عليه .

وفيه استقرّ فارسٌ (١) الخادمُ الرومى شيخَ الخدام بالمدينة الشريفة عوضا عن ولى الدين بن قاسم ، وتوجّه من جهة البحر إلى الينبع ليسير منها إلى المدينة .

•••

وفى آخره وصل الخبر من العسكر المصرى أنهم رجعوا من أرزنكان فى أول يوم من المحرم ووصلوا مدينة جريب فى الخامس ، وجَهَّزوا القاصد بأخبارهم وتوجّههم إلى جهة حلب بعد أن لم يلقوا فى الجهة التى قصدوا إليها أحدًا عاصيا ، وكلّ ذلك قبل أن يبلغهم خبر موت السلطان .

•••

وفيه وثب نائب حلب تغرى (٢) برمش على ثَقَل بعض الأمراء المجرّدين فنهبه ورجع إلى جهة ملطية خارجا عن الطّاعة ، ووصل الخبر من بقية الأمراء بذلك إلى القاهرة فى الثالث من صفر ، ثم تبينّ فساد ذلك النّقل المذكور واستمرار المذكور على الطاعة .

•••

وفى هذا اليوم نزل ناظر الجيش من القلعة فلاقاه جماعةٌ من المماليك نحو العشرة فأساءوا عليه بالسَب ، ثم سلّ أحدهم الدّبوس وقصده ليضربه فلاقاه عنه الأستادار ـ وهو مملوكه جانى بك ـ ، فأجتمع من المماليك آخرون وتكاثروا ، فركس (٣) فرسه لجهة القلعة ونزل عنه ودخل الجامع فتفرّقوا ، ثم توجّه إليه الوزير وغيره فأخذوه معهم إلى بيته فأقام به ، وحصل بذلك من كَسْر حُرْمَته ماحصل له من القهر العظيم ، ولكنه تدارك ذلك وألبس خلعة صبيحة يوم الجمعة ، ونزل إلى بيته ، وهرع الناس للسلام عليه .

---

(١) هو فارس الاشرفى الرومى الطواشى وكان استقراره فى مشيخة الخدام بالمدينة سنة ٨٤٢ واستمر بها حتى عزل سنة ثم اعيد واستمر حتى عزل سنة ٨٥٤ .

(٢) كان اسمه حسين بن احمد ، ويدعى بتغرى برمش ، اما حقيقة هذا الخبر فهو ان الامير إينال الجكمى نائب الشام كان قد كاتب السلطان بتاخر تغرى برمش عن الانضمام إلى القوات المملوكية لما بلغه خبر موت الأشرف برسباى ، ولم يكن لذلك حقيقة فقد ارسل كتابا لمصر يبين فيه سر تخلفه عن اللحاق بالامراء المصريين ، لكن انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٣٣، ٢٣٤ .

(٣) ركس الشىء اى رده مقلوبا وقلب اوله على آخره ، اما المقصود بالركس فى المتن اعلاه فهو انه رد فرسه نحو القلعة .

وفى ليلة الجمعة ثانى صفر [١] أمطرت السماءُ مطراً غزيراً فنزل البحر[٢] ، وكان له من يوم السبت السّادس والعشرين من المحرّم مازاد شيئاً وإنما ينادَى بإصبع وإصبعين تطميناً للناس ، فلم ينادَ يومَ الجمعة بشيء .

فلما كان بعد دخول الشهر زاد قليلاً وتمادى ذلك إلى الرابع عشر من صفر الموافق الثالث عشر من مسرى ، وكان فى صبيحته فى العام الماضى قُطِع البحر وأوفى ، وزاد من الذراع السابع عشر ، وكان انتهاؤه فى مثل هذا اليوم من هذا العام إلى ثلاثة عشر ذراعاً وعشرين إصبعا ، فالنقص بينهما ذراعان وربع ذراع .

ثم مَنّ الله بالوفاء يوم الاثنين سادس عشرى صفر ، وقطع البحر فى صبيحَتِهِ على العادة ، وكان فى العام الماضى فى هذا اليوم ثمانية عشر ذراعا سواء .

•••

وفى يوم الخميس نصف الشهر بلغ الأتابك جقمق والأمراء وغيرهم أن المماليك الجلب قصدوا الفتك بهم بغتةً ، ونمّ عليهم بعضهم ، فلبسوا السّلاح وحذّروا ، وراسلَ الأتابكُ السلطانَ فى ذلك والتمس أن تجهز إليه رءوسهم ـ وهم أربعة ـ سمّاهم ، منهم : جكم خال السلطان .

فتردّدت الرّسل فى ذلك فلم تقع الإجابة ، وأرسل إلى القضاة وأشهدهم ومَن حضر أنّه باقٍ على بيعَتِهِ فى طاعة السلطان ، ولكنه يلتمس مِمَّنْ كان عند السلطان أن يقفوا عند اليمين التى حلفوها فى حياة الأشرف بأنهم يكونون بعده فى طاعة ولده والأتابك نظام الملك .

ثم أرسل السلطانُ إلى القضاة فى يوم الجمعة ، فراسل الأتابك يسأله عن مراده فعادوا له بما ذكر ، وتقرّر ذلك فلم تقع الإجابة ، ونشبت الحرب بين الطائفتين ، فعَمد الأكابرُ إلى الأتابك فتحوّل معهم إلى بيت نوروز ، ثم لمّا وقع التّرامى دخل أولئك المدرسة الحسنية بالرميلة ، وعلوا على سطحها ونصبوا المجانيق ورموا بالسهام ، وحَصَروا المماليكَ فى الإسطبل ، وبادروا إلى الماء الذى يصل إلى القلعة فى القناة التى تمتدّ من النيل فقطعوه فباتوا فى ضيق .

---

(١) ويعادله اول مسرى ١١٥٤ ق ، و٢٥ يوليو ١٤٣٨ م .

(٢) يقصد بذلك نهر النيل .

فأعاد السلطانُ المراسلة إلى أن حصلت الإجابة إلى ماطلبه الأتابك ، وجهّزوا له أربعةً فحبسهم ، ونزع الطائفتان السّلاح ورجعوا إلى بيت الأتابك ، فأحضر القضاة فى يوم الأحد وشرعوا فى تحليف الجند أجمع على أنهم فى طاعة السلطانُ والأتابك ، وجهّز أربعة أنفس كانوا رؤساء فى مقابلة أولئك ، فخلَع السلطانُ عليهم ، واستمرّ الحال على ذلك إلى يوم الخميس فصعد الجميع إلى خدمة السلطان ، وسكنَ الأتابك الإسطبل .

فلما أصبح يوم الجمعة اجتمع عَدَد من المماليك الجلب ونازعوا الأتابك فى ذلك وأنكروا سكناه الاسطبل . ونسبوه إلى أنه يروم السلطنة فتنصّل من ذلك ، واتّفق أنّه لم يُصَلّ الجمعة مع السلطان من الطائفتين إلاّ النّادر ، ولم يجتمعوا فى الخدمة يوم السبت ولا الأحد ولا الاثنين ، وكثر تأذّى العامة بالجلب فأمسِكَ منهم اثنان وضُربا وجُرّسا ، فسكن شرّهم قليلاً .

●●●

شهر ربيع الأول

أوله السبت .

فى الرابع منه دخل يشبك [السودونى] الحاجبُ الكبير ضعيفاً فى محفّة ، فنزل إلى بيته أوّل النهار ، وهرع الناس للسلام عليه ، فأقام أياماً يسيرةً ثم تعافى .

وفى خامسه دخل سائرُ الأمراء فبادروا إلى الإصطبل ، فخرج إليهم الأمير الكبير فوقفوا جميعاً تحت القلعة ، وتقدّم الأمير الكبير فقبّل الأرض والسلطان فى القصر يشاهدهم ، وقبّل بقية الأمراء واحداً بعْدَ واحد ، فأمر للقادمين بالخلع ، فخلع عليهم ونزلوا إلى بيوتهم ، وهرع الناس للسلام عليهم .

●●●

وفى يوم الخميس قبض [١] على جماعة من الأمراء القادمين وغيرهم ، منهم جَانَم [الأشرفى] أمير أخور ، وجَكم [خال العزيز] والثلاثة الذين كانوا معه ، وعلى باى ويخشباى [٢] [الأشرفى] ، ومقدم المماليك خشْقَدم [الطواشى الرومى] ونائبه [الطواشى

(١) كان الذى قام بالقبض عليهم قرقماس امير سلاح وذلك من تلقاء نفسه ، وكان هدفه « نفع نفسه فنفع غيره » على حد قول ابى المحاسن إذْ لم يدر « ان القلوب نفرت منه لتحققهم مايظنونه من جبروته وبطشه ، وقد اعتادت لين الامير الكبير » اى جقمق ، ومع ذلك فقد اخذ جقمق فى مداهنة قرقماس وتصافيا فى الظاهر وما كانت مطالبة قرقماس بتولية جقمق السلطنة إلا « لينفر عنه من كان من حزبه من المماليك الاشرفية » راجع النجوم الزاهرة ١٥ / ٢٣٩ ـ ٢٤٨ .

(٢) كان اصله من كتابية المؤيد شيخ وقد اعتقه برسباى وتدرج فى الوظائف حتى صار من الطبلخانات ، وكان جقمق كارها له لما فعله فى هذه الموقعة ، لاسيما إغلاقه باب السلسلة ، فلما وقع فى يده سجنه واثبت كفره وضرب عنقه يوم ٨ ذى الحجة من هذه السنة .

فَيْرُوز الركنى الرومى] وتمام ثمانية عشر[١] نفسا ، ومنهم تانى بك الجقمقى نائب القلعة ، وسفّروهم إلى الإسكندرية ، وأنْزِلوا صبيحة يوم السبت فى القيود إلى شاطىء النيل فأنْزلوا فى المراكب حيث أمر بهم إلى الاسكندرية .

واستقر تُمُرْباى نائب الاسكندرية وسافر على البرّ ، وتانى بك فى نيابة القلعة كما كان أولاً ، ووُكل بالزمام وبالخزندار ثم أفْرِج عنهما .

وفى تاسع [٢] عشرة جمع [جقمق] الخليفة والقضاة والأمراء ، فلما اجتمعوا بالقاعة داخل الإسطبل عند الأمير نظام الملك قال [٣] الأمير قرقماس [الشعبانى الناصرى المعروف بأهرام ضاغ] للجماعة إنّ جماعة الأمراء اجتمع رأيهم على تقرير الأمير النظام فى السلطنة لعجْز الملك العزيز عن ترتيب المملكة ويترتب على ذلك الفساد الذى لاخفاء به .

فأجابه الخليفة : « إننى أعلم هذا ، وأشهدكم أننى خلعْت الملك العزيز من السلطنة وصيَّرْتُ الأمير الكبير جقمق فى السلطنة » ، وبايعه فى الحال وأُلبِسَ الخلعة وصعد إلى القصر وجلس على الكرسى وبايعه [٤] الأمراء ، وحمل الأمير قرقماس القبة وخلع عليه على العادة .

وقدّم للخليفة الفرس والخلعة فلبس وركب ورجع إلى منزله ، ثم صعد القضاة فسلّموا على السلطان وقرّرهم فى وظائفهم ، وتوجّهَ كلٌّ إلى بيته .

وكان ماسنذكره .

•••

وفى صبيحة يوم الأربعاء [٥] المذكور أمطرت السماء مطراً خفيفاً ، وكان النيل بلغ تسعة عشر إصبعا من تسعة عشر ذراعاً ، فلما كان عند الثلث الأخير من ليلة السبت الثانى

---

(١) وردت اسماؤهم جميعا فى المرجع السابق .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى : « وهو يوم الاربعاء وجمعهم فى بكرته » .

(٣) الوارد فى النجوم الزاهرة ١٥ / ٢٥٦ ان قرقماس قال : « السلطان صغير والأحوال ضائعة لعدم اجتماع الكلمة فى واحد بعينه ولابد من سلطان ينظر فى مصالح المسلمين وينفرد بالكلمة ولم يكن يصلح لهذا الامر سوى الامير جقمق هذا، فقال جقمق : « هذا لايتم إلا برضاء الامراء والجماعة » ، فصاح الجميع : « نحن راضون بالأمير الكبير » .

(٤) الضمير هنا عائد على جقمق ولذلك جاء فى هامش هـ بخط الناسخ « الملك الظاهر ابوسعيد جقمق » .

(٥) اى التاسع عشر من ربيع الأول وهو عاشر سبتمبر ١٤٣٨ م .

والعشرين من ربيع الأول وهو السادس عشر من توت توقف ، ونقص فى يوم الجمعة نقصاً فاحشاً وأمطرت السّماء برعْد وبرْق وظهر النقص ظهورًا بيّناً .

•••

وفى يوم الخميس خُلِع على الدويدار الكبير [أركماس الظاهرى] (١) على عادته وكذا إينال الدويدار الثانى وهو الذى يباشر الأمر الكبير .

واستقر تغرى بردى البكْلمشى فى الحجوبية الكبرى بدل يشبك [السودونى] ، واستقرّ يشبك أميرَ سلاح (٢) بدل آقْبغا التمْرَازى ، واستقرّ آقْبغَا التمرازى أميَر مجلسٍ بدل قَرْقماس [الشعبانى] ، واستقر قرقماس أتابكَ العساكر ، وأنْعم على قرقماس بتقدمة زائدة على التقدمة المتعلقة بالأتابكيةّ ، وأذن له فى الحكم بين الناس ، وصار على بابه رأس نوبة ونقباء ، وتعاظم وتشاهَم إلى الغاية القصوى .

واستقرّ تمراز [القرمشى] أميَر آخور واستقرّ بدله رأسَ نوبة قَراقجاَ الحسنى ، وخلع على الجميع ، ووُكِّلَ بالزمام جَوْهَر [الجلبانى الحبشى] وسجن بالبرجِ ، واستقر عوضه فيروز [الجاركسى الرومى] الذى كان ساقياً وغضب عليه الأشرف ، ثم خُلع على جوهر الخزندار على عادته .

•••

وصَعَدتْ ليلة الجمعة مُغْل (٣) بنت البارزى - زوج السلطان - من بيتهم بالخرّاطين إلى القلعة فى محفّةٍ عند غروب الشمس ، وَحَوْلها المشاعل والشموع ، ونحو من خمسين من الطواشية ، وجمع كثير من النساء على الحمير ، واستقرتْ خوندَ الكبرى .

وأسْكِن الملك العزيز بالقاعة البَرْبرِيّة ووكل به نحو خمسين نفسًا ، فلما كان بعد أيام فُرّج عنه واستقر داخل الأدُر ، وقرر له ما يكفيه ، ثم أفرج عن جوهر الزمّام ونزل إلى بيْته وهو ضعيف ، وشرع فى بيع موجوده ليوفى مالَ المصادرة .

---

(١) اضيف مابين الحاصرتين للايضاح .

(٢) فى « ز » والنجوم الزاهرة ١٥/ ٢٦٢ « امير مجلس » .

(٣) هى مغل بنت محمد بن محمد بن عثمان بن البارزى المولودة سنة ٨٠٣ ، وقد تزوجها العلم داود بن الكويز رغم إرادة ابيها وانصياعا لامر المؤيد شيخ ثم تزوجها السلطان جقمق وكانت وفاتها سنة ٨٧٦ . انظر الضوء اللامع ١٢ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ، ترجمة رقم ٦٦٦ ، ٧٧٦ وابن الصيرفى : انباء الهصر (تحقيق حسن حبشى) ج٤ ، ص ٤٦٤ - ٤٦٧ .

وفى ليلة الجمعة الثامن والعشرين منه عُمل المولد النبّوى ، وحضر الأمراء والأعيان والقرّاء على العادة .

•••

وفيه ثَقُل سمع القاضى موفقّ الدين النّاشرى قاضى الأقضية بزبيد من بلاد اليمن ، وضعفت قوّته ، فقرّر الظاهرُ صاحبها (١) عوضَه (٢) ولدَ أخيه أبا المظفّر محمد ابن الفقيه العالم شهاب الدين أحمد بن محمد الناشرى وهو (٣) الآن كبير البيت وعمه فى الأحياء وهو المشار إليه فى الفقه ، وقد قارب التسعين فإنّ مولده سنة ٧٥٤ .

•••

شهر ربيع الآخر : استهلّ بيوم الأحد .

فى يوم الثلاثاء خُلع على القاضى محبّ الدين بن الأشقر الذى ولى كتابة السر بنظر المارستان عوضاً عن ابن مفلح بحكم وفاته .

وفى يوم الأربعاء رابعه ثار جماعة من اجْلبَند (٤) وطلبوا زيادةً فى النفقة الشّهرية فلم يُلْتفت إليهم ، فاجتمعوا إلى قرقماس [الشعبانى] فمازالوا به حتىّ ركب معهم ، ولم يركب معه من الأمراء إلاّ القليل (٥) ، وصعد معظم الأمراء والجند إلى القلعة ، ووقع بينهم الترامى بالنشاب ، وقُتل جماعة من الفريقين .

وفى آخر النهار انهزم قرقماس ومَن معه ، فنُهب بيته (٦) ، ونودى لمن أحضره بإمرةٍ

(١) اى صاحب زبيد وهو الظاهر يحى بن إسماعيل بن العباس الرسولى ـ وقد توفى فى آخر سنة ٨٤٢ كما جاء فى غاية الأمانى فى اخبار القطر اليمانى ، « تحقيق سعيد عاشور » ٢٧٨/٢ .

(٢) اى عوضا عن موفق الدين الناشرى .

(٣) المقصود به الموفق على بن ابى بكر بن على بن محمد بن ابى بكر الناشرى الشافعى ، وكان مولده بزبيد سنة ٧٥٤ ، وعمر حتى قارب التسعين عاما إذ كانت وفاته سنة ٨٤٤ فى تعز . انظر الضوء اللامع ٦٨٢/٥، هذا.ولم يترجم له ابن حجر فى هذه السنة فى انبائه .

(٤) نعتهم ابوالمحاسن بالمماليك المرشحين للامرة . راجع عنهم النجوم الزاهرة ١٩٩/١٤ ، ٣٢٧ ، جـ١٥ /١٩ وانظر ايضا Ayalon : The Structure of the Mamlook Army (B.S.O.A.S) 1952 .

(٥) كان ممن ركب معه يومذاك ازبك السيفى قانى باى نائب الشام المعروف بازبك خجا ، والامير الاشرفى المعروف براس نوبة سيدى ، اما قراجا الاشرفى ومغلباى الجقمقى فواعداه بالملاقاة فى الرميلة ووفيا بوعدهما ولكنهما مالبثا ان خذلاه انظر النجوم الزاهرة ٢٦٦/١٥ .

(٦) كان بيته بالقرب من المدابغ خارج باب زويلة . انظر النجوم الزاهرة ٤٠/٧ .

وخلعة ، ورَجع جماعة (١) ممن كان معه إلى الطّاعة قبل الهزيمة ، وكان السلطان عزل والى الشرطة ، وولّى على بن الطبلاوى ، فجمع له الزّعر ، فبالغوا فى القتال مع جماعةِ السّلطان إلى أن تمتّ الهزيمة ، وفرّق السلطان فيهم جملةً من الذهب والفضة رماها من أعْلَى المكان ، فتناهبوها وجَدُّوا فى القتال ، ولم (٢) يكن فى القلعة إلاّ اليسير من الجند .

ثم بعد مدّة جاء الأمراءُ المقدّمون ومن انضمّ معهم فزحفوا إلى أن وقفوا تحت القلعة فقوى أمر السلطان بهم قليلاً ، ثم بعد ذلك تزايدتْ قوّته وضعف أمر قرقماس وأتباعه إلى أن اضمحلّ وهُزم وسكنت الفتنة .

وفى صبيحة يوم الخمس (٣) قُبض علَى قرقماس ، وأرسل إلى الإسكندريّة ، وتُتُبع جماعةٌ ممْن كانوا معه ، فسُجن بعض ونُفُى بعض .

وفى التاسع منه قرىء تقليد السلطان بالقصر ، وجرى كلام يتعلّق بالقضاة فقال الشافعى : « عزلتُ نَفسى » ، فقال له السلطان : « أعَدْتُك ! » فقبل ، وخُلع عليه وعلى رفقته ، ورسم بإعادة الأوقاف التى خرجت عن الشافعى ، وهى : وقف قراقوش فى ولاية العراقى ، ووقف بيبغا التركمانى فى ولاية البُلْقِينى ، ووقْفُ الأسْرَى فى ولايته ، فأُعيدت بتوقيع جديد .

•••

وفى السابع عشر منه استقرّ القاضى كمال الدين البارزى فى كتابة (٤) السرّ بالقاهرة عوضاً عن الصاحب بدر الدين بن نصر الله ، واستقرّ برهان (٥) الدين الباعونى فى قضاء الشافعية بدمشق عوضاً عن القاضى كمال الدين ، ثم ورد الخبر فى أوائل جمادى الأولى بأن

---

(١) هذا من خلق هذه الجماعة .

(٢) من هنا حتى قوله « سكنت الفتنة » س٧ غير وارد فى هـ .

(٣) « الجمعة » فى النجوم الزاهرة ١٥/٢٧٣ .

(٤) كانت هذه هى ولايته الثالثة لكتابة السر ، وقد صاهر السلطان فى هذه المرة .

(٥) امام هذا الخبر فى هامش هـ بخط البقاعى ، « حدثنى الشيخ برهان الدين إبراهيم بن قاضى القضاه شهاب الدين احمد الباعونى المذكور قال : مما استحسنته من كلام شمس الدين محمد البصروى النحوى قوله : رؤية الشيخ علاء الدين محمد البخارى تذكر بالأنبياء . قال الشيخ برهان الدين : ولقد صدق لعمرى فى ذلك .. وكان لى من الشيخ علاء الدين حظ وافر واتفق انى اجتمعت به يوما فطال الكلام بيننا فكان مما قاله لى : ياشيخ برهان الدين إن سئلت بولاية القضاء فلا تقبل ، فالموت خير من ذلك ، قال : ولم يجر فى ذلك المجلس ذكر للقضاء ولا إشارة إليه فعجبت من ذلك ، فلما ولى الظاهر جقمق السلطنة سنة اثنتين واربعين وثمانمائة طلب صهره الكمال البارزى وكان قاضى الشافعية بدمشق فاشار عليه بالشيخ برهان الدين فولاه ، فلما وصلت الخلعة والمرسوم صادف ان نائب الشام إينال اليشبكى كان فى المزة متوجها إلى=

الباعونى امتنع عن قبول الولاية فقرر القاضى تقى الدين ابن قاضى شهبة ، وسار القاضى بخلعته وتقليده [١] .

•••

وفى يوم السبت الثانى والعشرين منه استقرّتتم الذى كان خزنداراً صغيراً فى وظيفة الحِسْبة عوضا عن نور الدين السويفى .

= بعض البلاد ، وكان بالقرب من قبر الشيخ علاء الدين البخارى فطلب الشيخ برهان الدين وحضر المباشرون والقضاة والأمراء وجميع الأعيان فاعلمه بأن السلطان فوض إليه امر القضاء فابى فالحوا عليه فاصر على الامتناع ، وطال بينهم الكلام فى ذلك واشار بعضهم على النائب ان يلبسه الخلعة غصبا فابى وقال : بل نترفق به ، ثم قال له :

« ياسيدى ما الذى رايت منى من النقص الذى أوجب لك النفرة من الولاية فى ايامى ؟ » فقال الشيخ : والله مارايت منك ولا سمعت عنك شيئا اكرهه ، ولكن الصدق فى الأمور اولى من غيره ، والله مادع ذلك زهدا فى دنيا ولا ورعا ولكنى اضعف من ذلك ولا اصلح له . وانا والله عاجز عن إصلاح امورى فكيف بامور الناس . وقد قال لى صاحب هذا القبر (واشار الى قبر الشيخ علاء الدين) ان سئلت فى ولاية القضاء فلا تقبل فالموت خير من ذلك ، قال الشيخ برهان الدين : فرايت دموع النائب تتقاطر على لحيته ثم قال : قبلنا ذلك منك ولكن يجب أن تلبس الخلعة ونكاتب السلطان ونساله ان يقيلك من ذلك . فقال ليس فى لبسى اياها فائدة بل يراجع من غير لبسى لها ثم انصرف . فلما بلغ السلطان ذلك سال عمن يصلح . فقيل : الشيخ تقى الدين بن قاضى شهبة ، فولاه ، فلما عصى الجكمى على السلطان امره ان يخطب باسم الملك العزيز فلم يجسر على مخالفته ففعل فى تلك الجمعة التى امره فيها ثم اختفى واستمر حتى اخذ الجكمى فذكره للعزيز ولم ينفعه اختفاؤه واستمر الظاهر حاقدا على ذلك ولما اخذ الجكمى ودخل اقبغا التمرازى إلى دمشق وحضر عنده الناس والقضاة تنمر على الشيخ تقى الدين بن قاضى شهبة وحمل عليه الطبر ولم يفده الاعتذار ، وقصد النائب جميع اعيان اهل دمشق للسلام عليه الا الشيخ برهان الدين الباعونى ـ وكان اذ ذاك ناظر الأسوار .. فارسل اليه مع بعض الاتراك يامره ان يعمر ماتشعث من الأسوار او يرسل له خمسمائة دينار .

فلما سمع كلامه لم يملك نفسه ان اضرط بفمه ، فقال له ذلك التركى : « بارك الله فيك ، لقد احسنت فى جواب ملك الامراء » ، ثم رجع اليه فاخبره بذلك فاستشاط غضبا فامر بان يحضر مهانا فى جماعة مستكثرة ، فاخبره من كان حاضرا من الاعيان بترجمته وان ذلك لايليق به ويشق على الجميع ، فقصد الى الشيخ برهان هو بنفسه وتادب معه ثم حصلت بينهما مصادقة كبيرة ، فقال الشيخ تقى الدين بن قاضى شهبة : « هذا ببركة الزهد فى المناصب حماه الله من تلك الفتنة ، ثم جعل ملوك الشام تتردد اليه وان قبلت فوقعت فى الفتنة واصبحت يحمل على بالاطبار فوا اسفاه ، يالله » ..

(١) جاء فى هامش هـ امام هذا الخبر بخط البقاعى التعليق التالى : « اخبرنى العلامة زين الدين عمر الغزاوى ـ بمعجمتين مخففا ـ العجلونى الشافعى ان شيخنا العلامة تقى الدين بن قاضى شهبة صلى الجمعة لما ولى القضاء فقرا « هل اتاك حديث الغاشية » ، فغلط فى قوله تعالى « والى الجبال كيف نصبت » ، وما بعدها ، فلما كانت الجمعة الثانية اعادها ليستدرك ذاك فعاد له الغلط ، فبينما هو قاعد يوما فى درسه جاء شمس الدين محمد بن محمد بن عرب شاه المجنون ـ اخو الشيخ شهاب الدين ـ وكان المذكور من ظرفاء المجانين فإنه كان فاضلا فى علوم ويحفظ شعرا كثيرا وصوته حسن فلما سلب صار يخلط ما يعرفه خلطا عجيبا فياتى بالبدائع . وله اجوبة فريدة فلما راه ابن قاضى شهبة مقبلا قال : « اللهم سلمنا » ، قال الشيخ زيد الدين فقلت السلامة منه ان اعطيه درهما ، فقال : لا حتى ياتى فلان : (يشير الى شخص من غلمانه) وتعطيه ، فسلم وطلب شيئا فقال الشيخ : حتى ياتى علاء الدين ويعطيك !! ، فالتفت الى بعض الحاضرين وقال : اليس هذا ابن قاضى شبهة الذى صلى الجمعة فخفض السماء ورفع الأرض وساطح الجبال ؟ ثم مضى وقد زاد خجل الشيخ » ..

وفيه أمر السلطان القضاة بالتوجه إلى الكنيسة [١] المعلّقة والكنيسة المعروفة بشنودة وكُشفَتَا ، وهدم من المعلقة أشياء جُدِّدت ما بين شبابيك مخروطة ومكفتة مطعمة ودُفيسيّات وألزموا بتكملة هدْم البناء المجدّد الزائد عما سبق لهم مِمّا حكم نائب الحنفى بترميمه .

•••

وفيه ادّعى على بطرك النصارى أنه يتناول مال الموتى الحشرية من النصارى ، فادّعى أن معه مرسوماً من السلطان ، فاستفتى السلطان القضاة فاتفقوا على أنها أموال بيت المال ، فخلع على فتح الدين المحرقى بنظر سعيد السعداء والنظر على التركات الحشرية من أهل الذمة وشرع فى استخلاص ذلك ، وطَلَبِ ما سبق لاستعادته مِمّن تناوله ، ولحق النصارى من ذلك شدّة شديدة .

•••

وفيه نازل الإمام صاحبُ صعدة بعساكر صنعاء فقاتل المتغلّبَ عليها وهو سنقر التركى ، وكان سنقر قد تحكّم فى البلاد بالشوكة ، وأقام هذا الإمام وزوّجه بنتا لعلىّ بن صلاح ، فبلغ سنقر أنه يريد القبض عليه ، وبادر هو فقبض عليه وسجنه ، فتَحيَّل إلى أن خلص من محْبسه بصنعاء ، وتوجّه إلى صعدة فجمع العسكر ونازل سنقراً فقوى عليه سنقر بمن أطاعه من أهل الشوكة ، فأنكر الإمام وتحصّن بقلعة يقال لها « تلّىٌ » ، فلما بلغ ذلك زوجته استولت على صعدة وأطاعها أهلها .

ثم كاتب سنقر الملك الظاهر صاحب زبيد يطلب منه عسكراً ليسلمه صنعاء ويكون هو أحد الأمراء ، فبادر الظاهر لذلك وأرسل له أميرين ، فلما وصلا بمن معهما إلى ذمار بلغهما موت الملك الظاهر فرجعوا ، وذلك فى رجب [٢] .

•••

شهر جمادى الأولى

أوله الثلاثاء .

حضرت للتهنئة عند السلطان ـ يوم الاثنين سلخ ـ الشهر الماضى ـ فسألتُ السلطان أن يشهد على نفسه بما فوض [٣] لى من الولاية والأنظار وغيرها ، فأشهد على نفسه ذلك بحضرة

---

(١) اشار المقريزى فى الخطط ٣/٥٦٩ إلى كنيستى المعلقة وشنودة الموجودتين فى مصر القديمة فذكر ان الأولى تقع فى قصر الشمع وسميت باسم السيدة العذراء اما كنيسة شنودة فتنسب إلى ابى شنودة الراهب .

(٢) انظر الخبر فى غاية الامانى ٢/٥٧٥ .

(٣) راجع ما سبق ، ص ٩٧ ، س١١ ـ ١٤

القضاة ، وشكوْت له بعد ذلك ما انتزعه منى الملك الأشرف ووهب بعضه أو أكثره للقاضى علم الدين البلقينى ، فرسم بعقد مجلس بذلك بحضرته ، فتوسط ناظر الجيش بينى وبينه إلى أن أعاد النصف وتركت له النصر .

وفى أوائله (١) طلع الشيخ حسن العجمى لتهنئة السلطان بالشهر ومعه جماعته على العادة فأمر بالقبض عليه وضَربه بِحضْرته بالمقارع (٢) ضرباً مبرحا ، وأمر بنفيه ونودى عليه : « هذاء جزاء من يقتنى كتب الكفر ويدور بها » وشهر فى البلد ، وحُبس بحبس الجرائم ، ثم ادُّعى عليه عند المالكى أنه وقع فى حق الجناب الرفيع ، فشهد عليه إمام التربة الأشرفية الجديدة ، فسُجن ليكمل البيِّنَة ، وقُرِّر فى زاويته شمس (٣) الدين الكافياجى ، وتعجب الناس من كون الذى شهد عليه ، والذى أخذ مكانه منسوبان إلى الذى كان يقرّره ويهذى به .

•••

وفى أوائل العشر الأوسط منه ضُرب كاتب مِن كُتّاب الوزير بسبب مالٍ صار فى جهته ، فقُدّر أنه أصبح ميتا بعد الضرب ، فاستغاث أهله ، فأمر السلطان بإحضار المقدّم فضُرب بحضرته بالمقارع ، وأرسله إلى القاضى المالكى ، فعفا بعض أولياء الميت عن الدّم وبقى حق البنت ، فحبس بسبب ذلك .

•••

وفيه قدم شخص من حلب بسبب الحروفية (٤) ونجزت له مراسيم بالقيام عليهم ، وقد نَبَّهْتُ على ذلك فى حوادث سنة ٢١ .

وفى الرابع والعشرين منه شكا حسن بن حسين الأميوطى (٥) نقيب ابن البلقينى ونسب إليه أمورًا ، وكان الذى قام فى أمره ولىّ الدين بن تقى الدين البلقينى وساعده ابن عمّ أبيه

---

(١) كان ذلك فى الخامس عشر من جمادى الأولى .

(٢) يرجح ابوالمحاسن ٥٤/٧ ان ذلك الموقف من جقمق يعود إلى ان العجمى هذا كان يدخل إلى اكابر الامراء ولايتحشم معهم ولايكترث بهم ، ولايستبعد ان يكون قد فعل ذلك مع جقمق ايام برسباى فاسرها جقمق فى نفسه ، وقد اكتفى الضوء اللامع ٥٣١/٣ فى ترجمته بان قال عنه إنه شيخ زاوية بباب الوزير وممن كانوا يصحبون شاهين الغزالى ، ثم ساق له بعض ابيات من الشعر .

(٣) فى هامش هـ بخط البقاعى : « صوابه محيى الدين » .

(٤) جاء فى هامش هـ بخط غير خطى الناسخ والبقاعى التعليق التالى : (قصة الحروفية بحلب : لم يتقدم فى سنة إحدى وعشرين ذكر لشىء من ذلك غير انه ذكر ترجمة احمد بن الرداد المالكى بها . وانه افسد بلاد اليمن ببدعة الاتحادية : ثم رايت ما اشير اليه هنا ذكر فى سنة عشرين غلطا » .

(٥) يستفاد مما جاء فى ترجمته بالضوء اللامع ٣٩٧/٣ ان الناس كانوا يتزاحمون عليه لخدمته فى القضاء . ولما احس هو بذلك راح يزدرى اقارب استاذه البلقينى لاسيما قاسم بن اخيه .

قاسم وتبعها جماعة ، وكتب فيه محضر شهد عليه فيه بأمور معضلة ، بعضها يتقضى الزندقة والاستهزاء بالشريعة وأهلها وغير ذلك من ارْتكاب الكبائر من اللواط وشُرْب الخمر ، فبلغه ذلك فاستجار بعبدالرحمن بن الكُوَيز ، فسعى له ثم قبض عليه بعضُ الأعوان وجَمْعٌ من الشرطة وذلك فى أوّل الليل ، ففرّ إلى بيت ابن الكويز .

وأصبح القوم فرفعوا أمرهم ثانياً فأمر السلطانُ الوالى ونقيب الجيش بالجدّ فى طلبه ، فلم يقدروا عليه ، واستمرّ فى تواريه إلى أن كان فى يوم الأحد ثانى شعبان فشفع فيه الأمير الكبيـر تَنَـم المحتسب والأمير دَوْلت باى أمير آخور عند ناظر الجيش ، فتكلّم معى فى سماع الدّعوى عليه ، والحكم بحقن دمه ، فأجبتهم ، فأمن على نفسه وظهر ، ولم يقع له ولا عليه حكم إلى أن وقع من البعض على ناظر الجيش فى أواخر السّنة ما وقع ، فتحرّك حسن المذكور وساعده ولىّ الدين السفطى وكيلُ بيت المال وجليسُ السلطان ، فأوقفه للسلطان ، وادّعى أنّ ولىّ الدين ابن البلقينى تعصبّ عليه بجاهه وماله ، وأن الذين كتبوا فى حقه رجع أكثرهم ، وأظهر خطوط بعضهم بذلك . فأمر السلطانُ أن يُعقَد له مجلس بالقضاة والعلماء ، ويفصل الأمر بينهم ، فوقع ذلك فى المحرّم كما سيأتى بيانه إن شاءَ الله تعالى .

•••

شهر جمادى الآخر

أوله الاربعاء بالرؤية .

فى الثالث منه عَزل السلطانُ ابنَ النَقّاش من الخطابة بجامع طولون ، وقرّر فيه برهان الدين بن الميلق ، وذكر أنه كان يصلى خلفه أحياناً وهو أمير فلا يفصح فى الخطبة ولا فى القراءة فى الصلاة .

وفيه حكم بهاء الدين الإخنائى بحضرة مستنيبه القاضى المالكى بقتل يَخْشَبَاى الأشرفى حَدًّا ، لكونه لعن أجداد حسام الدين بن حريز قاضى منفلوط بعد أن قال له « أنا شريف ، وجدّى الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ! » ، وكان سبق له أنه ادّعى عليه عند بعض الشافعية بأنه شتم ناساً فيهم أشراف ، وحكم النائب الشافعى بقبول توبته وحقن دمه ، فلما ادّعى الحسام بذلك عند المالكى طلب صورة الحكم السابقة وذكر أنها لا تمنع من سماع هذه الدعوى ، وفوّضها لنائبه المذكور ، فسمع البيّنة على الغائب وحكم ، وبقى له الحجة .

وفيه أشيع مَوتُ الشيخ عزالدين عبدالسلام [١] بن داود بن عثمان المقدسى شيخ الصلاحية ببيت المقدس ، فَعُيِّنَ شهاب الدين أحمد بن الكورانى [٢] التبريزى عوضه بشرط ثبوت موته . فلمّا كان بعد قليل حضر شرف الدين يحيى بن العطار - الذى كان استقر فى مشيخة خانقاه ناظر الجيش عوضا عن شهاب الدين بن المصرى - إلى القاهرة ، فأخبر أن ضعف عزالدين لايقتضى الموت ، وأنه فارقه وهو فى قيد الحياة .

•••

وفى التاسع من جمادى الآخرة كان أول كيهك [٣] وهو أول الأربعينية عند المصريّين ، فوقع فيه مطر يسير وكذلك فى الليل ، ثم أرعدت [٤] وأبرقت فى يوم الجمعة ، ثم وقع المطر الغزير وتواتر ، وانتفع به أصحاب الزرع انتفاعا جيدا .

•••

وفيه استقرّ فى قضاء الشام القاضى تقى الدين أبوبكر [٥] بن قاضى شهبة ، وكان ناظر الجيش عَيّنَ لوظيفة القضاء برهانَ الدين الباعونى وجُهِّزَت له الخلعة والتوقيع ، فجاء كتابُ النائب يذكر أنه امتنع وأصرّ على الامتناع ، فجهز توقيع المذكور .

•••

وفيه حضرنا عند السلطان بسبب محاكمة ، فذَكر أنّه بلغه أن الشيخ زين الدين أبا هريرة بن النقاش بنى بيته الذى بجوار جدار الجامع الطولونى من داخل السّور الذى للجامع بغير حق ، وأنّهم حكموا قديما بهدْمه .

وكان السلطان أمر أوّلاً أن يتوجّه القضاة الأربعة إلى الجامع ويكشفوا حال البيت المذكور ، فكشفوه وأعادوا له الجواب بأنه حكم على أولاده بسدّ الباب الذى فتحه فى جدار

---

(١) راجع ترجمته فى كل من عنوان الزمان للبقاعى برقم ٢٨٠ والسخاوى : الضوء اللامع ٣/٥١٤ حيث اطال فيها بصورة ملحوظة ، وكانت وفاته بالقدس سنة ٨٥٠ .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى : « احمد بن اسماعيل بن عثمان ، وبهذا ايضا سماه حين ترجم له فى معجمه عنوان الزمان رقم ١١ وإن لم يشر إلى كلمة « التبريزى » ، وإنما اكتفى بقوله « ولد - كما اخبرنى - فى قرية هلولا من معاملة كوران » . ونضيف الى ذلك ان ولادته كانت سنة ٨١٣ ووفاته سنة ٨٩٣ انظر ايضا الضوء اللامع ، جـ ١ ص ٢٤١ - ٢٤٣ .

(٣) يطابق هذا التاريخ ما ورد فى التوفيقات الالهامية ، ويوافقه اليوم الثامن والعشرون من نوفمبر ١٤٣٨ م .

(٤) جاء فى هامش نسخة هـ بخط البقاعى : « انما يقال رعدت وبرقت ثلاثيين مجردين » ، وجاء بعد هذا فى الهامش بغير خطى الناسخ والبقاعى التعليق التالى : « تقدم ان فيها الفناء » .

(٥) انظر فى ذلك ابن طولون : قضاة دمشق ص ١٦٨ - ١٦٩ .

الجامع ، وكذلك المناور التى فوقه فوجدوها قد سُدَّت وبُيِّضَتْ ، فقال فى هذا اليوم ماذكر ، فقلت له : « إن كان ثبت عند مولانا السلطان فليحكم بهدمه ونحن ننفذ حكمه » ، فتوقف .

فبلغ ذلك علمَ الدين البلقينى ، وكان وقع بين أخيه القاضى جلال الدين وبين ابن النقاش منازعة بسبب نظر وقف فى مجلس الأمير الكبير يشبك ، فاستطال ابن النقاش على الجلال ، فغضب وقال : « حكمت بِفِسْقِك ، وعزلتك من وظائفك لكوْنك بنيْتَ بيْتكَ فى رحاب الجامع » ، فلم يلبث أن أعاده بعد ثلاثة أيام ، ولكن سطّر هذا المجلس وبقى عندهم فتوجّه البلقينى إلى العينى واجتمعا بالسلطان ونصحا له بذلك فأصغى لهما وأعجبه .

فلما كان عند التهنئة برجب أظهر لى المحضر المذكور فعرَّفْتُه أنه لا يفيد ، وكان تاريخه سنة خمس وثمانمائة ، فسكن إلى أن كان ما سنذكر .

رجب : أوله الجمعة،ثم ثبت أنه رئى ليلة الخميس [1] وأدير المحمل فى النصف منه وكان حافلاً والجمع وافرا .

وفى يوم الاثنين الخامس منه عقد مجلس بالقصر وادّعى فيه نور الدين بن أقْبَرس نائب الحكم ـ بطريق الوكالة عن السلطان ـ عند القاضى المالكى عند قرقماس بحكم غيبته بالاسكندرية فى السّجن بأنه بايع السلطان وحلف له ثم خرج عليه وشقّ العصا وشهر السّلاح ، وقتل بسببه جماعة ، فقامت البينة،وحكم القاضى بموجب ما شهد فيه فسئل عن موجبه فقال : « يجوز للسلطان قتلُه » ، فضبطوا عليه هذا الجواب .

وجُهّز بريدى إلى الإسكندرية بقتله بعد أن يقرأ عليه المحضر ويقرر له ، فَقُرىء عليه ، فاعترف بما شهدت به البيِّنة فقُتل [2] .

---

(١) هذا هو التاريخ الصحيح طبقا لما جاء فى جدول سنة ٨٤٢ فى التوفيقات الإلهامية .

(٢) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى التعليق التالى : « اخبرنى القاضى ناصر الدين محمد بن القاضى شمس الدين محمد الزفتاوى امام النائب بالاسكندرية إذ ذاك تمربای انه حضر ضرب عنقه ، وان السياف ضربه ضربة فلم تصبه شيئا ، ثم ضربه اخرى فلم يخلص رقبته ، فاكمل قطعها بسكين ، وذلك وفق مادعا به عليه شيخنا العلامة الصالح شمس الدين محمد بن علامة الإقراء سيف الدين ابى بكر بن الجندى الحنفى ، كما حدثنى به القاضى الفاضل شمس الدين محمد بن الأمشاطى الحنفى ، وذلك أن قرقماس كان يبغض الفقهاء ويحب ان يوصف بالحذق بالأحكام والعظمة وكل ماينشا عنه رعب فى القلوب ، فادعى على الشيخ شمس الدين عنده بدعوى كان فيها مظلوما فاذاه . قال القاضى شمس الدين : فلما انفصل منها جئت إليه فاخبرنى بذلك وقال : اللهم لاتمت قرقماس إلّا مضروب الرقبة ممن لايحسن ذلك ليزداد عذابه ، إن فى ذلك لعبرة » .

وكان [(١)] [قرقماس] قدم مع المجهزين إلى قرايلك فى سنة ٣٢ إلى البلاد الحلبية ، ثم ولى النيابة سنة سبع وثلاثين ، ثم خرج فى العسكر لدفْع قرايلك فأقام بألْبيرة ، ثم أرسل إليه حمزة باك بن على باك بن دُلْغَادر يطلب منه نجدة على عمه وهو بمرْعَش ، فوصل إليه مع طائفة ، فلما وصل إلى مَرْعش جاء فياض بن ناصر الدين بك ومعه أميران من التركمان فَجُهِّزَ إلى القاهرة ، ثم خرج بأمر السلطان ليتسلّم : قَيْسَاريّة من ناصر الدين بك بن دُلْغَادر ، ثم وصل الخبر بتأخير ذلك فرجع إلى حلب فى رمضان سنة ٣٨ ، ثم شاع ظهور جانى بك الصوفى فجاء الأمر بتوجّه قرقماس إلى مصر ، فحضر واستقر أمير سلاح ، واستقر إينال الجَكَمى فى نيابة حلب بعده ، وأطلق السلطان فيّاضاً وولّاه إمرة مَرْعَش.

وكان قرقماس الشعبانى من مماليك الناصر فرج ثم تنقلت به الأحوال واستقر دويداراً صغيراً فى أوائل دولة الأشرف ، ثم ولى إمْرةَ مكة شريكاً لحسن بن عَجْلان ، ثم عاد إلى القاهرة وولى الحجوبية الكبرى ، وباشرها بشهامة وصرامة ، وكان مهيبا ويميل إلى الفقهاء ويجالسهم ، ويطالع كتب العلم ، ثم ولى إمرة حلب بعد رجوع السلطان من آمد ثم صرُف عنها واستقر بالقاهرة أمير سلاح . [(٢)]

ثم اتّفق أن الأشرف مات وهو مع المجرّدين فى البلاد الشمالية ، فلما عادوا كان [هو] القائم فى سلطنة الملك الظاهر وخَلع العزيز وحبس الأمراء الذين من جهته ، ثم لم يلبث أن ثار على الظاهر ومعه المماليك الأشرفية ، فحاربه الأمراء الذين كانوا بدولة الظاهر فانكسر ، وجرح جماعة وقتل جماعة ، ثم أُحضِروا فى اليوم الثالث فأرسلوا إلى الإسكندرية ، وكان ما تقدم .

•••

وفى اليوم الرابع من رجب حضر الجماعة لقراءة صحيح البخارى بالقصر ، وحضر معهم السلطان ثم انقطع ، وصار يحضر أحيانا وشرط عليهم عدم اللّغط .

واستقر برهان الدين إبراهيم [(٣)] بن حسن البقاعى قارئا عوضاً عن نور الدين السُّويفى إمامِ الملك الأشرف ، واستمعوا قراءته وفصاحته .

---

(١) من هنا يبدا ابن حجر فى ترجمة قرقماس الشعبانى .
(٢) فى نسخة هـ امير «مجلس»
(٣) فى هـ بخط البقاعى « ابن عمر » .

شهر شعبان

أوله السبت .

فى الثانى منه عُقد مجلس بسبب بيت [١] الشيخ أبى هريرة بن النقاش المجاور لجامع ابن طولون ، فأُحضر ولداه وادّعى عليهما ولىّ الدين السفطى ـ بطريق الوكالة عن السلطان وعن الناظر ـ فأجاباه بأنّ والدهما استأجر المكان المذكور ، وحَكَم بالإجارة القاضى ولىُّ الدين العراقى ، فأظهر له بذلك مثبوتاً فحضر المجلس المذكورَ ناصرٌ الدين الشنشى نائب الحكم ، وذكروا عنه أنه كان فى سنة ٣٥ حكم بهدْمه فسُئل عن ذلك فقال : « الذى ثبت عندى أن الأرض المذكورة من رحاب الجامع وأنّه لايجوز فيها البناء » .

فسألتُه فى المجلس : « أنت تقدّم لك حكم بهَدْم بناء ابن النقّاش أم لا ؟ » .

فأعرض السلطان عنه ، وانفصل المجلس على أنْ أمَرَ السلطانُ القاضىَ المالكى أن ينظر فى الإجارة التى بيدهما ويعمل فيهما بما يقتضيه مذهبه ، فادّعى عليهما السفطى صبيحة ذلك اليوم أن الإجارة التى بيدهما انقَضَتْ ، وأن الناظر يختار الهدم ، فحكم المالكى بهدْم الدار المذكورة .

وكان ابن النقاش وَقَف الدارَ المذكورة على صهريج بناه مجاورها ، فحكم المالكى ببطلان الوقف بانقضاء الإجارة ، ومكّنهما من نَقْل الأنقاض وتملّكها وتسوية الأرض .

ثم توجّه المالكى بأمر السلطان صبيحةَ اليوم المذكور فحضر هدْم الدار المذكورة ، وذلك فى صبيحة يوم الأربعاء خامس شعبان . .

وفيه عصى [٢] تغري بَرْمُش التركمانى نائبُ حلب وأراد القبض على الأمراء بحلب وأن يملك القلعة . ففطنوا له فحاربوه وأغلقوا القلعة فحاصرهم فيها . وجاء الخبر بذلك إلى السلطان فى الحادى عشر من رمضان ، فأمر بتقليد نائب طرابلس النيابة بحلب ، وأرسل إليه تقليده وخلعته مع هجّان وأمره بالمسير مع العسكر إلى حلب ، والقبض على تغرى بَرْمُش ، وكتب إلى الحاجب [٣] بحلب ـ وكان قد فرّ من حلب إلى حماة ـ بنيابة حماة ، وأمر نائب حماة أن يتحوّل إلى نيابة طرابلس ، واستشعر من نائب [٤] الشام فوافى كتابه فى آخر اليوم

(١) وردت الاشارة اليه من قبل .

(٢) راجع الخبر فى احداث السنة الماضية .

(٣) كان حاجب حلب إذ ذاك هو الامير بردبك العجمى .

(٤) هو إينال الجكمى ، وكان قد اشيع انه هو الذى اغرى تغرى برمش بالتمرد والعصيان والخروج على السلطان الظاهر جقمق .

المذكور بما يدلّ على استمراره [١] على الطاعة ، فاطمأن لذلك ، ثم أظهر العصيان وكاتب النّواب فما أطاعة أحد ، وواطأ بعض أهل القلعة ورشاهم بجملة من المال ، ففطن بهم نائب القلعة [٢] فقبض عليهم وقتلهم ، وهرب واحد منهم فأعلمه ، فاستغاث أهل القلعة بالعوامّ وسألوهم النصر فانتحوا واجتمعوا ورجموا [٣] من يحاصر القلعة بالحجارة ، وخربوا المكان الذى صعده رماتُه ليرموا على القلعة فهزموهم ، وهجموا على دار العدل فهرب [٤] النائب لايلوى على شيء ، ونهبوا ما وجدوا ، ولم يَصِلْ معه سوى مائة فارس ، فخرج من باب أنطاكية ليس معه إلّا ماهو لابسه ، وأُخِذ له ولأتباعه من الأموال ما يفوق الوصِف ، وظهرت له ودائع كثيرة فاستخرجت ، واستمر هو فى ذهابه ، إلى أن وصل الى شَيْزَر ، فنزل علَى عَلِي بن صقلسيز التركمانى فآواه ، وجَمع له جمعا وتوجّهوا إلى طَرابُلس ، وكان نائبها جلبان استشعر من تغرى بَرْمش أنه يشاققه ، فأخلى له طرابُلس وتوجّه إلى الرَّمْلة ، فدخل تغرى بَرْمُش طرابلس وأخذ منها أموالاً وخيولاً ، وتوجّه قاصداً إينال الجكمى بدمش فحاصروا حماة ، وانضم إليهم جَمْع من التركمان [كانوا] مع عَلِي يار ، وجَمْع من العرب مع العادية ، ثم اجتمع رأيهم على الرجوع إلى حلب ، فنازلوها وحاصروها فى العشرين من شوال فاستعدّوا للحصار .

وجَدَّ تغرى بَرْمُش ومن معه فى حصار أهل حلب ، وجدّوا هم فى مدافعته ، وعاث مَنْ معه فى القرى فانتهبوها ، وفى غالب الأيام يستظهر أهل حلب ويقتلون من عدوّهم جماعة ، ثم حاصر المدينة من جهة الميدان سواء ، ولكن خُربت أماكن وأحرقت بَانْقوسَا [٥] ، ولم يزالوا كذلك إلى أن خرج أهل حلب فصدقوهم الحملة فانهزموا واستمرّوا إلى جهة الشمال فنزلوا مَرْج دَابق :

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « لعله تغرى برمش » .

(٢) كان نائب قلعة حلب اذ ذاك هو الأمير خطط .

(٣) فى هامش هـ بخط البقاعى : « هذا الكلام اوله فى الجكمى ، وآخره فى تغرى برمش فكانه سقط شيء » .

(٤) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى التعليق التالى : « اخبرنى القاضى محب الدين كاتب السر ان هرب تغرى برمش كان يوم الاربعاء عاشر شهر رمضان وان فى ذلك اليوم اتفق ان اهل سرمين جمعوا على أستاداره وهجموا عليه فى مكانه الذى هو فيه وكان فى بلدهم وقد ظلمهم ، وكان ذلك ليلا فوقف بعض جماعته يكلمهم ويسالهم عن مرادهم ولم يزل يشغلهم بالكلام حتى وجد الأستادار فرصة فاجرى فرسا سابقا اعده للهرب ففاتهم لانهم ظنوه غيره ثم عرفوا انه هو بعد حين فاجروا وراءهم ففاتهم . وفى ذلك اليوم بعينه اتفق ان اهل ملطية قاموا على اخى تغرى برمش وكان نائبا عندهم فطردوه من البلد فلم يسمع باغرب من هذا الكلام . فسبحان من هو على كل شيء قدير » .

(٥) انظر ياقوت : معجم البلدان ومراصد الاطلاع ١/ ١٥٨ حيث وردت الاشارة إلى ان كلمة « بانقوسا » تطلق على جبال فى ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال وكانت هذا التسمية تطلق فى القرن الرابع عشر الميلادى (الثامن الهجرى) على محلة كبيرة . انظر ايضا . Le - Strange : Palestine Under the Moslems , p . 417

وكان قد استولى على عَينتْاب وأسكن بها جماعةً من مماليكه وأتباعه ، ولما بلغ أهلَها هزيمتهُ من الحلبيينّ وثبوا على مَن عندهم فانتزعوا منهم القلعة والمدينة ، فلم يفجأهم إلاّ الخبر بانهزام إينال الجكمى ومَن معه ، فاجتمعوا على حماة ، فلما أصبحوا ليقتتلوا انجفل العرب ورحلوا ، واستمر تغرى بَرْمُش ومن معه .

فلما تراءى الجمعان انهزم تغرى بَرْمُش ومن معه ، فاحتووا على وطاقهم ، واستمرّت هزيمتهم إلى صِهْيون ثم إلى الثغر ، ولم يَبْقَ منهم سوى مائتين أول أقّل ، ثم استمروا إلى أنطاكية فاجتمع عليهم جمع من الفلاحين ورموا عليهم بالسّهام وهجموا عليهم فأسروهم ، وصادف ذلك وصول الخبر إلى العسكر السّلطانى وهم على خان طومان خارج حلب ، فطلبوا المأسورين فأحضروهم إلى الأمير قُطُج فقيّدهم ، واجتمع هو وبقية العسكر فى حلب فى العشر الأخير من ذى القعدة وكاتبوا السّلطان ، فوصل الأمر بقتلهم ، فقتلوا تغرى بَرْمُش وابن سقلسيز [1] فى سابع عشر ذى الحجة ثم ظهر لتغرى بَرْمُش مال آخر غير ما كان أخِذ لَه لما هرب أولاّ ، فقيل إن جملة ما أخذ له من العين خاصة أكثر من سبعين ألف دينار .

وكان أصل تغرى بَرْمش من أوْلاد التركمان ببهَسْنا ، وكان أبوه من الأجناد يقال له أحمد بن المصرى ، فَوُلد له حسن خجا وحسين بك وثالث [2] ، فلما وقعت الفتنة العظمى اللَّنْكية مات أبوهم ، وفر حسين فدخل حلب وهو مراهق أو حين بلوغه ، فاستخدمه بعض الأمراء . ثم انتقل بعده إلى الأمير طوخ ، وكان سَمَّى نفسه لمّا تقررّ فى الخدمة تغرى بَرْمُش ، فلما قُتل طوخ فى وقعة شيخ مع نوروز بدمشق اتصل تغرى بَرْمُش بخدمة جقمق الدويدار واستمرّ عنده إلى أن رجعوا إلى القاهرة ، ثم كان فى خدمته لماّ ولى نيابة دمشق وكان دُوَيْدَارًا عنده .

فلما أمسك جقمق الأمير برسباى ـ الذى ولى بعد ذلك السلطنة ـ قام تغرى بَرْمُش بأمره وخدمته وهو فى الاعتقال وواصله بالبرّ ، فرعى له ذلك ، ولماّ صار سلطاناً استدعى به من الشام فأمّره ، ثم نقله فصار أمير آخور كبيرًا وكان جرده إلى حلب سنة ٣٢ ، ثم قررّه فى نيابةحلب لما نُقل إينال الجكمى إلى نيابة الشام فقدمها فى سنة تسع وثلاثين فكان من أمره ما كان .

---

(١) واسمه طرعلى سقلسيز ، ويرسم ايضا « صقلسيز » بالصاد عوض السين الأولى .

(٢) هذه الكلمة غير واردة فى نسخة هـ .

ولما جَهّز الأشرف [بِرْسْبَاى] الأمراء وفيهم جقمق - الذى تسلطن بعد ذلك - إلى الأبلُسْتَيْن لإخراج ناصر الدين بن ذلغادر وهو الذى صاهره جقمق بعد السلطنة على ابنته وقدم بها إلى القاهرة ، فلما أحسّ بهم نزح عن البلاد وعادوا إلى حلب ثم توجّهوا إلى مصر ، ثم راسل نائبُ حلب المذكورُ الأشرفَ بأن يجّهز إليه عسكراً لأخذْ أرزنكان وما يليها من القلاع ، فجهز ثمانية أمراء مع نُوّاب الشام [1] وطرابلس وصفد وحماة ، فاجتمعوا فافتتحوها فى السنة المقبلة ورجعوا إلى حلب ، فبلغتهم وفاة الأشرف فوقعت الوحشة ، وتوجّه الأمراء إلى بلادهم ووصل المصريون إليها .

فلما تسلطن الظاهر جَقْمَق وصلت الخلعة من جهته إلى نائب حلب فلبسها وأظهر الطاعة ، ثم أخذ فى العصيان وطمع فى المملكة .

•••

وفيه جاء الخبر بقتل ابن جنقر التركمانى ، وكان فاتكا يقطع الطرقات بين دمشق وحلب ، وفرح الناس بذلك .

وفيه فتك الأشرفُ إسماعيلُ صاحبُ اليمن بجماعةٍ مِن جنده ، وأسرع فى سفْك دمائهم ، وجرى - فى أمر التجار والباعة فى البلاد التى تحت نظره - على سيرة الجوْر والظلم الفاحش من قبح المصادرة ونحو ذلك .

•••

وتراءى الناس الهلال ليلة الأحد وكانت بالعدد الثلاثين من شعبان فلم يروه ، فلما كان بعد صلاة العشاء بثلث ساعة حضر كتاب من نائب الحكم - وهو المحبّ البكرى - وفيه أنه ثبت عنده ، فنودى بالصّيام .

ووصل كتاب من نائب الحكم ببلبيس - فى أولِ النهار - بمثل ذلك ، وفى أثناء النهار من نائب الحكم بمنوف [2] العليا كذلك . وكثر بعد ذلك من يخْبر برؤيته ويعتذر .

وحضر السلطان سماعَ الحديث فى أوّل يوم من شهر رمضان .

•••

(١) فى هـ بخط البقاعى « دمشق » .

(٢) منوف العليا من المدن المصرية القديمة وقد عرف بها محمد رمزى فى القاموس الجغرافى ق ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ فذكر انها وردت فى قاموس جوتييه باسم Panoufris وان املينو اوردها فى جغرافيته باسم NANOUFRIS ثم اشار إلى اسمها عند ابن خرداذبة الذى سماها « بكورة منوف العليا » وهى تعرف اليوم باسم محلة منوف مركز طنطا .

وفيه صُرِف معين الدين بن شرف الدين ـ موقّعُ الدست ونائبُ كاتب السّر ـ عن كتابة السرّ بحلب وأذن له فى الرّجوع إلى القاهرة ، واستقر فيها زين الدين عمرُ بن السّفاح نقْلاً من نظر الجيش ، واستقر فى نظر الجيش سراج الدين عمر الحمصى الذى كان ولى القضاء بدمشق فى أيام الاشرف بعد طرابلس ، وكان أوّلاً ينوب فى الحكم بأسيوط بالصعيد ، وسيرته مشهورة غير مشكورة ، ثم صُرِف عن ذلك .

•••

وفى العشر الأول من رمضان عصى نائب الشام إينال الجكمى ، وقَبض على الحاجب الكبير بدمشق ، وحَصَر القلعة بمن فيها ، وأظهر الإنكار على السلطان فى قتْله قرْقماس القَتْلَةَ الشنيعة . وكان قبل ذلك وصله كتاب [1] من تغرى بَرْمُش النائب بحلب أنه عصى وهجم على الحاجب ليقبضه ففرّ منه إلى حماة فحصر القلعة ، ورام الاستيلاء عليها ، فأظهر النائب بالشام الإنكار على نائب حلب وجهّز كتابه إلى السلطان خداعاً ، فلما حضر عنده الأمراء ليشاورهم على التوجّه إلى حلب للقبض على النائب بها ظنّوا ذلك على ظاهره ، فحضروا بغير أهبة ، فقبض عليهم ، وبلغ ذلك نائبَ القلعة فرضى عليه .

ولمّا قبض على الأمراء أطلق مَن وافقه على مراده وحلّفه ، وسَجن مَن امتنعَ ، وكلّ ذلك فى العشر الأول من شهر رمضان ، ثم جَمع من أموال المقبوض عليهم جملةً ، وقبض على جماعة من التجار الأكابر ، وأخذ منهم أموالاً اقترضها وشرع فى استخدام العساكر ، وفرّ منه يونس أحد الأمراء وتشاوروا ، فاقتضت الآراء التوجه لجهة الأمير الكبير ، كما سيأتى ذكره .

•••

(١) اشار ابوالمحاسن فى تاريخه ٦٣/٧ إلى هذا الكتاب وانه مؤرخ بثانى رمضان متضمنا انه فى الثالث والعشرين من شعبان لبس الامير حطط نائب القلعة ومن معه بالقلعة السلاح وقاموا على سور القلعة ونصبوا المكاحل وغيرها ، وامروا من تحت القلعة من ارباب المعايش وسكان الحوانيت بالنقلة من هناك وانه لما راى ذلك بعث يسال حطط عن سبب هذا فلم يجبه ،إلى أن كان ليلة التاسع والعشرين منه (أى من شعبان) ركب الامير قطج اتابك العساكر والامير بردبك الحاجب فى عدة امراء لابسين السلاح ووقفوا تحت القلعة فبعث إليهم جماعة من عسكره فكانت بين الفريقين وقعة هائلة انهزم فيها قطج .

وفى يوم الاثنين ثالث عشرى رمضان استقر الأمير الكبير آقبغا التمرازى فى نيابة الشام ، وخُلع عليه بالقصر ، وعيّن جماعة من الأمراء والجند للسفر إلى قبالة نائب الشام ، ثم وصل الخبر بأنّ الذى كان فى إمرة طرابلس تركها لما وصل تَغْرى بَرْمُش نائبُ حلب إليها ، وجاء فيمن أطاعه إلى الرِّملة ، فكاتب السلطان يستحثه على الوصول بالعساكر لتمهيد البلاد الشامية .

•••

وفى ليلة الاثنين الثلاثين من شهر رمضان تراءى الناس الهلال على العادة وحضر القضاة الأربعة بالمدرسة [١] المنصورية فلم يروا شيئًا وأصبحوا صائمين ، وشاع أنّ العزيز هرب من قاعة محبسه من القلعة ، وهرب معه الطواشى الذى كان يخدمه والجارية [٢] ، فقلق السلطان بسبب ذلك واتّهم به جماعةً من مماليك أبيه [الأشرف بَرْسْبَاى] ، فبلغ ذلك إينال [الأبوبكرى الأشرفى] فخشى على نفسه فوزّع قماشه [٣] وتسحّب فى الليل ، وبات جماعة من الأمراء لابسين بالرُّمَيْلة ، وشاع أن الفتنة تقع يومَ العيد ، فصلّى السلطانُ العيد بالقصر الكبير وحضر الأمراءُ كلّهم ، فصلّى بعضهم بالجامع ومعظمهم بالقصر . وخَطَبْتُ [٤] بهم بعدَ الصلاة على منبر لطيف ، وخُلع علَى من له عادة من الأمراء والقضاة وانصرفوا إلى منازلهم .

•••

شهر شوال

أوله الثلاثاء .

فى يوم الخميس ثالثه استعفى أرْكماس الظاهرى الدويدار الكبير من الخدمة ، وكرر ذلك فأعفاه السلطان ، وطرَد الشرطة من بابه ، وأخرج إقطاعه . فلما كان يوم الخميس

---

(١) تقع هذه المدرسة بخط بين القصرين بالقاهرة ، وهى من إنشاء الملك المنصور قلاون الالفى وكان يدرس بها الفقه على المذاهب الاربعة ، كما كان فيها درس للطب ودرس للحديث النبوى وآخر لتفسير القرآن . انظر المقريزى : الخطط٣ / ٢٤٢ .

(٢) هى دادته سر النديم الحبشية اما طواشيه فكان رجلا هنديا اسمه « صندل » وسنه دون العشرين وكان من عتقاء أمه خوند جلبان .

(٣) القماش ـ كما يقرر ماير فى تعبير هذا العصر هو الملابس المتنوعة الثمينة ، وغالبا ماكان يطلق هذا اللفظ على الملابس الرسمية . انظر الملابس المملوكية ترجمة الأستاذ صالح الشيتى ص١٣٣ ، وقد أورد ملحقا عن كلمة القماش . (شلتوت) .

(٤) كانت صلاة العيد يومذاك بجامع القلعة اما فيما يتعلق بقصة هرب العزيز فهى واردة بالتفصيل فى النجوم الزاهرة ، ج١٥ ص٢٥٤ ، ٢٥٥ .

عاشره استقرّ تَغْرِى بَرْدِى [البَكْلَمُشى المعروف بالمؤذى] الحاجب فى وظيفته [(١)]

وعُيِّن أَسَنْبغا الطيارى الدويدار الثانى تقدمةً ، وقُرِّر فى وظيفته رأسَ نوبة كبيراً ، وأخرج تَمْرَاز من الإسطبل على إمْرته وقرّر شاهين كُرْت [(٢)] فى وظيفة دولت باى .

وقُرِّر سيدى [(٣)] محمد ـ ولدُ السلطان [جقمق] فى إمرة قراجا ـ [الأشراف] بعد القبض عليه وحبْسه بالإسكندرية وخرَج الأمراء إلى الريدانية وهم : الأمير الكبير نائب الشام أقْبَغا التمرازى وقراخجا الحسنى وتَمُرْباى ومن انضمّ إليهم من الجند ، وبَقِيَتْ وظيفة الأمير الكبير شاغرةً ثم عُيِّنَتْ ليشبك أمير سلاح .

وجاء الخبر بأن الأمراء بالشّام تسحَّبوا من الشّام هرباً من النائب ، ووصلوا إلى الرّملة وكاتبوا بذلك ، واستحثّوا على حضور العساكر إليهم ، وكان السبب فى ذلك أنهم ندموا على طواعية نائب الشام ، فاجتمعوا وحاربوه ، فحاربهم ، وكسرهم . وفرّ إينَال الشَّشْمانى إلى القلعة فتحصّن بها ، وخرج الباقون إلى الرملة ، واغتنم بهاء الدين بن حجىّ ـ كاتبُ السرّ إذذاك ـ الفرصةَ فخرج من دمشق مسرعاً على الخيل إلى صفد ، ثم إلى الرملة ، ثم قدم القاهرة فى اليوم العشرين من شوال .

وفى هذا اليوم وصل طُوغان [الأشرفى الزرْدَكاش] ، وكان قد توجّه إلى الصّعيد لإفساد الجند الأشرفيّة على السلطان . فأعلمهم بأن الملك العزيز خلص ، وأن الجند اجتمعوا عليه ، ووصلت إليهم [(٤)] كُتُبُ نائب الشّام بأنّه واصلٍ ، وأطمعهم بأنهم إذا توجهوا إلى القاهرة يوافيهم نائب الشام بعساكره ، وينضمّ إليهم بقيتّهم المقيمون بالقاهرة ، فأصغوا إلى ذلك ، ثم ظهر لهم بطلان ذلك ، وأن الملك العزيز هرب ولم يُعرف له مقر ، فرجعوا عما همُّوا به .

وقبض يشبك على طوغان [الأشرفى] المذكور وجُهّز فى مركب مقيدًا فوصل إلى القلعة فى هذا اليوم .

---

(١) اى فى الدويدارية الكبرى .
(٢) فى هـ بخط الناسخ « لعله يشبك » .
(٣) كان تقريره فى إمرة قراجا الاشرفى يوم الثلاثاء ثامن شوال .
(٤) اى إلى المماليك والجند الاشرفية بالصعيد .

وكان السلطان ـ قبل ذلك ـ قبض على قانباى اليوسفى ، لأنه قيل له إنه صديق طُوغان فضربه به فلم يقرّ بكبير أمر ، فسجنه حتى وصل طُوغان فعُصِرَا جميعا فأقرَّا بالواقعة ، وأنّ قانباى كان رأسا فى هذه الفتنة ، وهو الذى أطمع السلطان العزيز وأعلمه بخبر النوّاب ، وأنه لم يصل إلى القاهرة حتى اتفق الجميع على العصيان .

وذكر طوغَان أنه فارقَ العزيز بضواحى الشهداء[1] بغَلَس ، ثم ظهر كذبه ، وأنه أقام فى مشهد ذى النون ثلاثةَ أيّام ، وبمصر فى قاعة بين المطابخ بنواحى سوق شنودة سبعة عشر يوماً ، فلما بلغه إمساك طُوغان [الأشرفى الزردكاش] وإحضارُه خرج .

•••

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشريه رحل [الركب] الأول من بركة الجب .

وفى يوم الأربعاء رحل الركب مع أمير المحمل تامى بك أحد الأمراء المقدّمين ، وقد استقرّ فى الحجوبية الكبرى قبل سفره ، وكان الحاج كبيرًا جدًّا حتى كانوا خمسة رُكُوب : الأول ، والمحمل ، والتكاررة ، والمغاربة ، والينابعة .

وفى يوم الجمعة خامس عشرى شوّال لبس السلطان الأبيض ، ووافق ذلك نصف برمودة من الأشهر القبطية[2] ، فسبق العادة قبل شهر ، واستمرّ البرد فى أوّل النهار بقوّة ، وابتدأ الموت بالطاعون .

•••

وفى هذا اليوم[3] قُبض على إينال الجَكمى نائب الشام ، وأُصْعِدَ إلى القلعة بدمشق مقيدّاً وكان السبب فى ذلك أنّ نائب الشام أقبغا التّمرازى رحل من غزة فى النصف من

---

(١) « الشهداء » من البلاد المصرية القديمة بمركز شبين الكوم وكان قد قتل فيها انصار عبدالله بن الزبير امام مروان بن الحكم وجنده سنة ٦٥هـ . فاطلق عليها اسم مقابر الشهداء فى بادىء الأمر . انظر محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٢ ، ج٢ ، ص١٨٥ وهى حاليا بندر لمركز الشهداء بمحافظة المنوفية .

(٢) التاريخان الهجرى والقبطى مطابقان لما ورد فى جدول سنة ٨٤٢ بالتوفيقات الالهامية ، ويوافقهما العاشر من ابريل سنة ١٤٣٩م .

(٣) يستدل من ورود هذا الخبر فى اعقاب الخبر السالف على ان القبض على إينال الجكمى وحبسه بقلعة دمشق كان يوم ٢٥ شوال وهذا ماليعود ابن حَجر لتاكيده فيما بعد . لكن النجوم الزاهرة ٧/ ٩٠ تؤكد ان قتال عسكر مصر مع جند الشام وانهزام إينال الجكمى كان يوم الاربعاء مستهل ذى القعدة .

شوال ، ثم تلاحق به الأمراء واجتمعوا جميعاً يوم الأربعاء ثالث عشرى شوال بالخربة [(١)] واجتمعوا بالنّوّاب الذين كانوا مقيمين بالرّملة .

وتقدّم نائب الشام ومَن معه من النوّاب وتأخّر بقيةُ الأمراء ومَن معهم من المماليك السّلطانية ، ولم يكن بينهم إلاّ قدْر ميلين ، فالتقوا بإينال الجكمى ومن معهم ، فحمل عليهم إينال بمن معه فقُتل صَرْغتمْش دويدار جلبان ، ووقع طوخ [مازى] نائب غزة عن فرسه ، وقتل جماعة ، وتمّت عليهم الكسرة حتى وقع سنجق نائب الشام ، وكان قاصدًا نائب الشام ، ثم وصل إلى الأمراء والمماليك السلطانية قبل أن يلحقوا به ، فصادف لحوقهم به ما وقع لمن كان معه من الهزيمة ، فرجع بهم وحمل على إينال ومن معه ، فألفوا كثيرًا من الجند الذين كانوا مع إينال الجكمى ، وقبضوا على ولد قَانْصُوه ، وانهزم إينال الجكمى وتمزّق جمعه ، ونزل العسكر كله فى شَقْحبَ .

واتّفق أن جَانى بك دويدار بَرْسْبَاى الحاجب أدرك إينال الجكمى وهو منهزم وقد أصابْتهُ فى يديهْ عدّة جراحات وضعف من كثرة ماسال منه من الدّم ، فالتجأ إلى ضيعةٍ فنزل فى بستان منها ، فهجم عليْه فقبض عليه وأركبه فرسه وهو لايستطيع الدّفع عن نفسه ، وساقه إلى أنْ أدخله قلعةَ دمشق ، ورجع العسكر وهم نزول بشَقْحَب يوم الخميس ، فأعلمهم بذلك ، فطلبوا ودخلوا الشام يوم الجمعة خامس عشرى شوال فى أبّهة عظيمة وجُهّزَ المبشر إلى السلطان بالخبر .

قرأتُ هذا الفصل فى كتابٍ من بعض المماليك السلطانية إلى بعض أصدقائه .

ووسِّط طوُغان بعد أن ضُرِب ، فأقَرَّ أن أركماس الدويدار الكبير كان معه قانباى اليوسفى وقرمان ، وضرب قانباى وقَرْمَان ضرباً مبرّحا ، وذكر لِى ولى الدين السفطى أنّ السّلطان أرسله إلى ابن الدّيرى يستفتيه فى أمر طوغَان وما صدر منه من الفساد ، فأفتاه بجواز قتله ، وأرسلِ له معه النقل بذلك من عدّةِ مواضع ، فأمر بتوسيطه لذلك .

ثم اشتدّ الخطبُ على كثيرٍ من الناس ممّن اتّهمُوا بإخفاء الملك العزيز فكُبِسَت بيوتهم ونُهب بعضها ، وكان منهم ناظرُ الدولة أمين الدين بن الهَيْصَم ، فلما كان فى ليلة الأحد

(١) هى خربة اللصوص بارض البقاع بين دمشق وبيسان ، انظر ياقوت ومراصد الاطلاع ، وملجاء فى Le Strange: Palestine Under The Moslems, PP.41,422.

الخامس والعشرين من شّوال ظُفر بالملك العزيز ومعه جندىٌ واحدٌ ماشِيين قاصدين مكاناً يأويان إليه من شدّة ماوقع من الطلب ، وذلك بين العشاءين ، فأحضِرا إلى الإسطبل ، وطلع بهما ولدُ السلطان إليه [(١)] فأكرمه [(٢)] وبَيَّته عنده [(٣)] وهرع الناس لتهنئة السلطان بالظفر به ، ثم تبيّن أن العزيز كان آوى إلى شخص من مماليك أبيه فعمل عليه الحيلةَ حتىّ أطلعه للسلطان ليحظى بذلك عنده .

وفى التاسع والعشرين من شوّال أحضِر إينال فقُيد وأرسل إلى السّجن بالاسكندرية ، وتوجّه شهاب الدين بن العطّار إلى الاسكندرية بسبب مايتعلّق ببيع البهار السلطانى .

•••

وفى سلخ شوّال ورد الخبر بقتل إينال الأجرود نائب صفد فى معركة وقعت لنائب الشام إينال الجكمى ، ثم ظهر أن ذلك كَذب من بعض الأشرفية [(٤)] ، وتحقق أن الجكمى خرج من دمشق ، وأن العساكر الظّاهرية رحلوا بأمر السلطان من الرّملة فى النصف من شوال قاصدين نائب الشامَ ، فترك الشام ومضى نحو تَدْمُر .

•••

واستهلّ شهر ذى القعدة يوم الخميس ، وتحدّث الناس برؤيته ليلة الأربعاء .
واستقرّ جوهر الخزندار زماما عوض فيروز .

---

(١) اى إلى السلطان .
(٢) اى اكرم السلطان الملك العزيز المخلوع .
(٣) تختلف هذه الرواية كل الاختلاف عن رواية ابى المحاسن طبعة بوبر ، ج ٧ ، ٨٧/٧ - التى تذهب إلى ان العزيز ضاق ذرعا من كثرة تنقله لشدة فحص السلطان عنه واضطر العزيز فى النهاية لان يرسل إلى خاله الامير بيبرس الأشرفى برغبته فى المجىء إليه ليلا والاختفاء عنده ، لكن خاله خاف مغبة الامر وكره فى الوقت ذاته ان يسلم بيده ابن اخته إلى السلطان ، ومن ثم احتال بان اخبر جاره يلباى الاينالى المؤيدى بخبره واعلمه بمكان مروره فترصده يلباى بخط زقاق حلب فمر به العزيز ومعه ازدمر فى هيئة رجلين مغربيين ، وعلى العزيز جبة صوف من لبس المغاربة وهو حافى القدمين فامسكه وذهب به إلى السلطان الذى ادخله إلى زوجته خوند البارزية بقاعة العواميد وامرها ان تتولى امره حتى نقله يوم ٨ ذى القعدة الى مكان بالحوش منفيا مضيقا عليه ، ثم ارسله إلى سجن الاسكندرية . ولم ترد فى هذه الرواية اشارة قط إلى الناصرى محمد بن السلطان جقمق .
(٤) فى هامش هـ بخط البقاعى : « ثم تولى هذا المكذوب عليه السلطنة سنة سبع وخمسين وكانت سعادة الأشرفية على يده بالاطلاق فى السجون والامرة وعظم الشان » .

وفى أول يوم منه استقرّ بهاء الدين بن حجّى فى قضاء الشام مضافاً [١] لكتابة السرّ ، ولبس الخلعة بذلك ، وسافر يوم الجمعة رابع عشرى الشهر المذكور .

وفى الثامن منه طُلِب القاضى بهاءُ الدين ابنُ القاضى عز الدين عبدالعزيز بن عز الدين محمد بن البُلقينى إلى حضرة السلطان بسبب جاريةٍ أفسدها عَبْدُه ، فغابت عن سيدّتها قدر سبعة أيّامٍ ثم وَجدَتْها سيدتها فتسلمتها بشاهدين منه ، ثم هرب العبد فاتهم بهاء الدين سيِّدةَ الجارية ، فاتّصل الأمر بالدويدار الصغير ، فطلبه ليوفقّ بينهما فتعاظم ، فأوصل الأمر للسلطان ونسب المذكور إلى أمور معضلة ، وأنه هو الذى أفسد الجارية المذكورة ، إلى غير ذلك من القبائح المنكرة ، فلما وصل أمَرَ بتجريده وضرْبه بالمقارع فجُرِّد ، فشفع فيه ناظر الجيش ، فبُطح وضُربَ نحواً من مائة عصاً ، وسُلم للدويدار الكبير ، وأمر أن يصادره على مال فتسلّمه ونقله إلى منزله وأهانه ، واستكتبه خطه بثلاثة آلاف دينار ، ثم شُفع فيه إلى أن انحطّت إلى ألف واحدة ، وأنعم بها على الدويدار .

وكان ممّا أهين به أنه أُركِب على حمار ، وفى عنقه باشه [٢] وهو مكبوب على وجهه إلى بيت الدويدار ، وكانت كائنة شنيعة ، وكثرت القالة فيه مع ذلك .

وبلغنى أنّه مع هذه الشدّة كان فى بأو عظيم ورقاعة مفرطة ، وأصرّ على عدم الإعطاء ، وكرّرَ تهديده ، فلما طال عليه ذلك أذعن لبذل الألف دينار فبذلها وبذل معها أشياء أخرى . وخلص بعد سبعة أيام ، وعُزل من نيابة الحكم ، وكنتُ كلّمتُ السلطانَ فى أمره بعد صلاة الجمعة فقال : « والله لولا أنت لكنت حرقْتُه بالنار لما صنع [٣] » وكأنّهم قرروا عنده أنه كان

(١) ذكر ابن طولون فى قضاة دمشق ، ص١٥٨ نقلا عن الاسدى انه كان ايضا خطيب الجامع وشيخ الشيوخ وكاتب السر وانه ولى القضاء مسئولا فى ذلك بعد ما امتنع وهو بمصر فى مستهل ذى القعدة سنة ٨٤٢ ، ولكنه يشير إلى أن دخوله دمشق كان ثانى جمادى الآخرة سنة ٨٤٣ .

(٢) الباشة قيد كالجنزير يوضع فى اليدين او فى الرقبة كما هنا ، وانظر فى اصل هذه الكلمة ما جاء عنها فى الجزء الأول من قاموس Dozy : Supp . aux Dicionnaires ,

(٣) عرفه السلطان ــ كما يقول ابوالمحاسن ــ قبل سلطنته فكان ينقل اليه اخباره السيئة اولا فاولا وماهو عليه من البخل المفرط والتكبر الذى لايصلح للادب مع عدم موجب من موجباته وعدم التخلق بشىء من اخلاق الرئاسة ومكارم الاخلاق والكرم فى الناس وتناول الرشوة إلى غير ذلك من الدنايا مع ادعاء المعالى . فلما وقعت قصة الجارية كانت مذاكرته له بتلك الأمور فنشا عنها مانشا من تشديده فى اهانته .

هو المفسد للجارية ، والله يأخذ بحقه ممّن افترى عليه ورماه بهذا البلاء حتى تمّتْ عليه هذه المحنة .

وبلغنى أنّ قريبه لم ينفعه فى هذه الكائنة بشىء ، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله .

•••

وفى التاسع منه وصلت بطاقة [١] بالوقعة بين إينال الجكمى والعسكر المصرى . وأنّه انهزم ، فهرع الناس لتهنئة السلطان بذلك وقد شرحتها قبل فى حوادث الشهر الماضى ، وحصل عند المتعَصِّبين للأشرفية قَلق كبير وهَمٌّ بهذه النكاية .

•••

وفى السابع عشر من ذى القعدة كانت الوقعة يوم الجمعة بين تغرى بَرْمُش ـ الذى كان نائب حلب ـ وبين العسكر المصرى ، وكانوا بعد أن أمسكوا الجكمى توجهوا إلى جهة حماة وبها نائب وقد جمع بها جمعاً جما فكانت الكسرةُ عليه ونُهِبَ هو ومن معه . وفَر هو إلى أن التجأ إلى قلعة شَيْزَر ، ووصل الخبر بذلك فى الخامس والعشرين يوم السبت .

•••

وفى العشرين من ذى القعدة ـ وهو التاسع من بشنس من أشهر القبط والرابع [٢] من أيار من أشهر الروم ـ فشا الموت بالطاعون بالقاهرة بعد أن كان فشا فى قُرَى مصر البحريّة ، وكثر بالاسكندرية ، وترّوجة ، والبحيرة ، والغربية ، وبمنوف ، والمحلة ، وعدة قرى ، ووصل فى اليوم بالقاهرة إلى الثلاثين .

ثم وصل فى اليوم إلى الخمسين ، ثم إلى السّتّين ، ثم تناقص إلى الأربعين فما دونها ، ثم رجع إليها ، وأكثره فى الرّقيق والأطفال ، ثم تناقص إلى العشرين فى أوّل ذى الحجة .

---

(١) البطاقة هى الرسالة ، وجرت العادة ان يحملها الحمام الزاجل « الهوادى » انظر صبح الاعشى ٧/٢٣١ ـ ٢٣٥ ، ١٤/٣٨٩ .

(٢) التواريخ القبطية والعربية والجريجورية مطابقة لما جاء فى جدول سنة ٨٤٢ بالتوفيقات الالهامية .

وفى السابع والعشرين من ذى القعدة وصلت رأسُ إينال الجكمى وطيف بها على رمح ، واتفَق قبلَ بيسير الوقعة بين العسكر المصرى وتَغْرى بَرْمُش نائب حلب ومن انضم معه بالقرب من حماة ، فانكسر النائب وهَرب إلى الجبل الأقرع ، فظفر به بعض التركمان فكبسه وأسره هو ومن معه ، ووصل الخبر بذلك فى أوَّل يوم من ذى الحجة يوم الجمعة ، وفرح الناسُ بذلك لحصول الأمن ورفع الحرب والطمأنينة فى الطرقات ، وتوجَّه العسكر المصرى لتمهيد أمور البلاد الشاميّة ، وكان من أمره أنه فى شهر رمضان حاصر القلعة ، وأظهر العصيان ، لكنه لم يقطع الخطبة باسم الظاهر . وبها[1] قَانِباى البهلوان ، وبَرْسبَاى الحاجب وفارس نائب القلعة ، واختلف عليهم التركمان .

ثم استشعر نائب القلعة بأنّ أهل القلعة وافقوا النائب على العصيان ، فقبض عليهم وقَتل بعضهم ، واسترجع منهم المال الذى رشاهم به النائب ، ثم جدَّ النائب فى الحصار حتى استغاث أهل القلعة بالعوامّ من جيرانهم ، فاجتمعوا ورجموا المقاتلة بالحجارة ، فتسامع بقية أهل البلد فاجتمعوا وتساعدوا ، فانكسرت جماعةُ النّائب وبلغه الخبر فركب جريدة[2] وخرج من البلد ولم يصحبه أحد بفرس ولا خيمة ، و ليس معه سوى ثياب بدنه .

وقرأتُ كتاباً كتبه إلىَّ القاضى علاء الدين بن خطيب الناصريّة من حلب يذكر فيه قصة تَغْرى بَرْمُش نائب حلب ، ملخصه إنّه أظهر العصيان فى يوم الجمعة الثامن عشر من شعبان وحاصر القلعة ليملكها ، فامتنع عليه نائبها ، فألحَّ عليه بالحصار إلى يوم الثلاثاء عاشر شهر رمضان ، فركب أهل حلب عليه ، ونزل الأمير حطط نائب القلعة ومَن معه وساعدهم من بالبلد من الجنْد والعامّة ، ووقع بينهم قتال شديد ساعةً من نهار أفضى فيه الأمرُ إلى خذلان تَغْرِى بَرْمُش ، فخرج من حلب على جرائد الخيل فى نحو مائة فارس ، واستمر هو فى هزيمته حتى دخل شَيْزَر ، فنزل على طُورْ على بن سَقَلْسِيز ، فجمع جمعاً من التركمان والعرب وسار إلى طرابُلُس ، ففرَّ منه نائبها ، ودخل هو فأقام بها أياماً ، واستخرج من أهلها ، مالاً كثيراً ، ثم رجع ومعه ابن سَقَلْسِيز وعَلِي يَار التركمانى وأمير العرب ونزل بالميدان ظاهر حلب ، وأعلن بالدعاء للملك العزيز بن الأشرف ، وكاتَب أهل حلب بالدّخول معه ، فأعلنوا مخالفته ، وقفلوا دونه الأبواب ، وصمموا على طاعة الملك الظاهر [جقمق] فحاصرهم ، واستحضر

---

(١) اى بالقلعة .

(٢) اى ركب مسرعا بدون اثقال ، والجريدة فرقة من الخيالة لاتحمل اثقالا .

آلات الحصار من مكاحل وسلالم وغيرها ، واشتدّ الخطب يوم الثلاثاء ثانى عشرى شوال ، فحصل من جماعته من الفساد مالا يُعَبَّر عنه ، فأحرقوا الزروع ، وأخربوا القرى من شَيْزر إلى حلب ، ونودى بقتاله ، ونشبت بينهم الحرب فقُتل من الطائفتين جماعة ، وفى جميع ذلك كانوا ظافرين عليه ، واستمروا على ذلك إلى يوم الأحد رابع ذى القعدة ، فرحل عن حلب بعْد أن أيس من الظفر بها ، وخرج أهلها فى إثْره فنهبوا آلات الحصار ، وسار هو إلى أن نزل مَرْج دابق ، وأقام به إلى يوم الجمعة تاسع ذى القعدة ، وعاد إلى ناحية حلب ، فرَمى شرقيها يوم السبت ولم يقاتل ، ونزل من الجهة القبلية .

ثم بلغه طروق العسكر المصرى فرحل يوم الأحد إلى ناحية حماة ، فالتقى العسكران قرب حماة فلم يلبث أن انكسر هو وابن سَقَلْسِيز ، ففرَّ إلى الجهة الغربية ، وانهزم العربُ إلى الجهة الشرقية ، وذلك فى السادس عشر من ذى القعدة ، ثم توجه إلى جهة بالس ثم استمر إلى الشغر ثم إلى الجبل الأقرع ، فنزل على ابن حيوص التركمانى - وكان معه - فأضافه ثم باطن عليه الفلاّحين بتلك النواحى فأمسكوه وأمسكوا معه « طرْعَلِى » وجماعة ، فوصلوا إلى حلب وأدخل طرعلى على جمل ، وذلك فى يوم الخميس ثانى عشرى ذى القعدة ، فأودع هو وتغرى بَرْمُش بالقلعة » .

انتهى ملخصا .

•••

وقرأت بخطّه أيضا أن النائب المذكور فى هذه الكائنة ظهر منه من سوء الطوية مالا يُعَبر عنه ، وأنّه ومَن معه أفسدوا من زروع الناس ودورهم شيئاً كثيراً بالحريق وغيره بحيث أنه أفحش فى غالب ماحولها من القرى ، وأنّه لما كُسرَ الكسرة الأخيرة غنم العسكر المصرى من المواشى مالا يدخل تحت الحصر ، بحيث بيع الجمل بثلاثين درهماً ، والشاةُ بخمسة دراهم .

وفيه أن المذكور لما نزل بالجبل الأقرع بات ليلته وتوجّه بكرة الأحد تاسع عشر ذى القعدة قاصداً أنطاكية ، فوصل إلى دربند [1] هناك فاجتمع عليه وعلَى مَن معه جماعة من

(١) الدربند مضيق بين جبلين كانه باب الطريق .

الفلاحين فقاتلوهم ، فأمسكوا عليهم المضايق إلى أن قبضوا عليهم ، فسلبوا جميعَ من معه ورحلوا إلى حلب وتركوهم ، وأما النائب وطرعلى بن سقلسيز فإنهما راسلا أهل حلب فبادر قُطُج الأمير الكبير بحلب والحاجب ونائب حماة فتسلموهما من الذين أسروهما ورحلوا إلى حلب ، فوصلوا فى ثالث عشر ذى القعدة ، فسجنا إلى أن وصل الأمر من السلطان بقتلهما ، فضُربت عنق تَغْرِى بَرْمُش بحضرة نائب القلعة ووُسِّط طرعلى تحت القلعة ، وذلك فى السابع عشر من ذى الحجة .

•••

ومن خَطّه [١] أيضاً : أن الخطبة بحلب استمّرت فى طول هذه الفتنة باسم الملك الظاهر .

•••

شهر ذى الحجة

أوله الجمعة .

فى أوائل هذا الشهر شكا القاضى علم الدِين البُلقينى إلى السلطان أن الملك الأشرف كان قد أنعم عليه بألفى دينار ، وأنّه بعد موت الأشرف استيعدَ منه أحدُ الألفين ، فأنعم عليه بإعادتها له ، فلما قبضها استأذنه أن يحضر عنده فى كلّ أسبوع يوم الأحد ، ويعمل بحضرته ميعاداً ، فأذن له ، فعمل فى السابع عشر منه ميعاداً على طريقته فى مدرسة والده فلم يعجبه ، فلما حضر فى الأحد الذى يليه مُنع من ذلك فرجع خَائبًا ، وكان فى أثناء ذلك أظهر زهواً عظيما ، وهرع النّاس إليه ممن يؤثرون ولايته ، وظنّوا أن الإذن فى ذلك يوصله الى الغرض ، فانخرم ما أمّلوه وبطل ولله الأمر .

•••

وفى [٢] صبيحة يوم الخميس ثامن عشرين ذى الحجة قبض على ناظر الجيش زين الدين عبدالباسط بن خليل بن يعقوب الشّامى ، وكان قد عظم قدرُه فى دولة الأشرف جدًّا ، بحيث صار هو مدبر المملكة ، ثم لما مات الأشرف قام فى سلطنة ولده ، ثم صار بعض الخاصكية يذمّه ، فقاموا عليه مرارا ليؤذوه وهو ينتصف منهم إلى أن تغيرت الدولة ، فحظِىَ عند الملك الظاهر واستمرّ على طريقته فى الاستبداد بالأمور ، ومخالفة الملك فيما يرومه ،

(١) اى من خط ابن خطيب الناصرية .
(٢) جاء فى هامش هـ امام هذا الخبر بخط غريب « نسب عبدالباسط » .

فلم [١] يحتمل له ذلك ، وأحاط به لما طلع إلى الخدمة ، وأحاطوا بمنزله فقبضوا على والده وبعض حريمه ، وصعدوا إلى القلعة ليقروا على أحواله ، وفرّ غالبُ أتباعه ، ومنهم : القائم بأموره شرف الدين بن البرهان ، وقبض على بعضهم ، وبرز فخرالدين التوريزى له ساعة القبض عليه فادّعى عليه أنه يستحق فى ذمته ثلاثين ألف دينار فأنكر ، فرُسم عليه ، ويقال إنه ذكر له أنه كاتب نواب الشام الذين عصوا ، فأنكروا ذلك ، فعُوّق فى قاعة الحوش السلطانى .

وفى يوم الجمعة جعل أربعة من أتباعه فى برج وهم : موسى بن البرهان كاتبه ، وموفق الدين كاتب الجيش ، وإبراهيم كاتب الباب ، وولد قاضى أذرعات [٢] ويقال له ضفدع [٣] .

وجعل ولده فى طبقة ، والأستادار جانبك عند أستاذه ، وأرغون دويداره معه ، ثم طلب منهم المال ، فقرر على موسى عشرة آلاف دينار ، وعلَى موفّق الدين خمسة آلاف دينار ، وأطلق إبراهيم الكاتب وضفدع بعد أيام ، ثم أحضر الشريف حسن الاسكندرانى من الاسكندرية بسبب أنه يتاجر لناظر الجيش فعُوّق فى البرج أيضا ، ثم أطلق موسى وموفق الدين وسُلّما لشهاب الدين بن العطار الدويدار ، فشرعا فى بذل المال ، وشرع ناظر الجيش فى بيْع موجوده ، وباع على السلطان ما فى ملكه من الفلفل ، وهو ألف حمل بأربعين ألف دينار ، وحمل من النقد قريبا منها ، وباع أشياءَ كثيرة من نفائسه .

---

(١) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى التعليق التالى : « ليس هذا سبب القبض عليه بل سببه انه كان يبغضه قبل سلطنته لما كان عليه عبدالباسط من الجبروت والازدراء.لعباد الله لاسيما مثل الظاهر فيما كان من التماوت وإظهار الصلاح والتواضع فكان لايرفع به راسا اصلا . فلما ولى السلطنة ما تركه إلى هذا الحد إلا ليتمكن وترسخ قدمه » . ويؤيد قول البقاعى قول ابى المحاسن فى النجوم الزاهرة ١٥ ص ٣٢٧ إنه كان غير محب للناس حتى ولا لاصحابه لبادرة كانت فيه من سوء خلق وبطش ، مع سفه وبذاءة لسان » . كذلك ما اورده نفس المؤلف فى المرجع ذاته ص ٥٥٤ س ١٢ مما قاله السلطان بحضرة ابى المحاسن نفسه من حرصه الشديد على الانتقام من عبد الباسط « والله اشنكله بشنكال مثل ما كان تعمل الجغتية ، هذا اخرب مملكة مصر وكان إذا حكمه احد من اعيان الأمراء صفر له بفمه فى وجهه » .

(٢) يذكر ابن جبير فى رحلته ، ص ٢٥١ انها على بعد ست ساعات من منبج واذرعات هذه هى الواردة فى سفر العدد ٢١/٣٣ باسم « اذرعى » اذ جاء فيه « خرج عوج ملك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب فى اذرعى » وتعرف فى المراجع الغربية باسم EDREI راجع عنها معجم البلدان والمقدسى احسن التقاسيم ص ١٦٣ ، وانظر عنها ايضا : : Le Strange op. cit. pp. 39–40,383

(٣) علق البقاعى على اسمه فى هامش هـ بقوله : « اسمه بدرالدين محمد . وضفدع لقب نبذه به عبدالباسط على عادته مع جميع جماعته » .

ومن نوادر [١] ما يُحكى أن الحاج لمّا قدموا فى العُشْر الأخير من المحّرم أخبر جماعة منهم أنه شاع وهم بالينبع فى يوم الخميس ثامن عشرى ذى الحجة أنّ السلطان قبض على ناظر الجيش وهو اليوم المذكور بعينه . وممن أخبرنى بذلك القاضى ظهير الدين الطرابلسى [٢] .

ذكر من مات فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة من الأعيان

١ ـ أحمد [٣] بن محمد بن أحمد بن على الدميرى المالكى ، القاضى شهاب الدين بن تقى الدين المعروف بابن تقىّ ، وكانت أمُّه أخت القاضى تاج الدين بَهْرَام ، وكان ينتسب إليها ولاينتسب لأبيه ويكتب بخطّه فى الفتاوى وغيرها : « أحمد ابن أخت بهرام » ، وكذلك يسجّل عليه ولايُذكر أبوه ، وسألْتُ مرارًا عن ذلك فقيل لى إنه كان لايُحمد فى شهادته .

وكان الشهاب المذكور فاضلاً ، يستحضر الفقه والأصول والعربية والمعانى والبيان وغيرها مشاركاً فى جميع ذلك ، فصيحاً عارفاً بالشروط والأحكام ، جيّدَ الخّط ، قوى الفهم ، ولكنه كان زرىَّ الهيئة مع ما يُنسب إليه من كثرة المال .

---

(١) جاء التعليق التالى بخط البقاعى فى هامش هـ « ذكر شيخنا المصنف فى سنة ست وسبعين وسبعمائة امر خنثى وقع فى تلك السنة وامراً اخر وقع فيما قبل ذلك ، ووعد انه يذكر فى سنة اثنتين واربعين هذه امر شخص خنثى وقع فى السنة ، ثم لم يذكر شيئا فكانه نسيه ولعله ما حدثنى به الفاضل جمال الدين محمد بن الناصر بن محمد بن اسماعيل بن القضامى انه اخبر مرة ـ وهو فى القاهرة ـ ان بها خنثى له حديث عجيب ، قال فدخلت عليه فإذا إنسان له لحية كبيرة وحوله ست رجال فسالته عن حاله فقال : « انا خنثى وهؤلاء اولادى ، ثلاثة منهم من ظهرى وثلاثة من بطنى » . فإذا كان هذا فهو امر غريب بعيد جدا ، لايثبت مثله بالآحاد لتوفر الدواعى على تحريره ، والله اعلم » ، ثم جاء بعد هذا بخط غير خط البقاعى ما يلى : « قال كاتبه محمد بن العتال : وفى سنة خمس عشرة وتسعمائة توجه إلى القاهرة رجل اظهر الصلاح وهو وابوه نساج الحرير السالفورى بمحلة ميدان الحصن فتزوج من رجل آخر ودخل عليه ولما انكر عليه قال انه خنثى فوجد كما ذكر فامر السلطان الملك الأشرف قنصوه الغورى بقتله بعد ان يدار به على ثور فى القاهرة ففعل به ذلك وما وصلوا به حتى مات ، قيل من الضرب وقيل من غير ذلك » ، وهذه القضية التى ذكرها البقاعى ذكر قريبا منها ابن حجر فى هذا الكتاب بل ذكرها اول سنة خمس وعشرين وثمانمائة فى هذا الكتاب فقال : وفيها ولدت فاطمة بنت القاضى جلال الدين البلقينى ولدا خنثى له ذكر وفرج انثى إلى اخره ، تراجع فيه » .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى « اخبرنى بذلك بدرالدين بن الحلاوى » .

(٣) ورد اسمه فى عنوان الزمان للبقاعى ، ترجمة رقم ٧٤ هكذا « احمد بن محمد بن على » بإسقاط جدّه : احمد .

وخلف ولدين : عبدالقادر [١] وعبدالغنى ، وأنثى .

وقد عُيِّنَ للقضاء مرارًا فلم يتّفق . مات فى الثانى عشر من ربيع [٢] الأول وما أظنّه بلغ الستين ، ثم قيل لى إنه ولد سنة ٧٨٤ وأوّلَ ماناب فى الحكم فى سنة أربع وثمانمائة ، وكان فى صباه آية فى سرعة الحفظ ، بحيث إنه كان يحفظ الورقة الواحدةَ من مختصر ابن الحاجب من مّرتين أو ثلاثٍ بغير درس ، واشتهر عنه ذلك .

٢ ـ أحمد بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن محمد ، القاضى تاج الدّين بن القاضى علم الدين بن القاضى كمال الدين بن القاضى برهان الدين الإخنائى القاضى المالكى ، مات فى ليلة الأربعاء خامس عشرى رمضان مطعونا ، وكان من أعيان نواب القاضى المالكى ، ورامَ ولايةَ القضاء فلم يتّفق له ذلك ، وكان ضعفه عقب وفاة البساطى واستقرّ ابن التنسى ، وقد ثقل فى الضعف .

وكان مولده قبل التسعين فجاوز الخمسين ، وكان قد تعانى الآداب ، وتوَلَّعَ بالنظم وصحب تقىَّ الدين بن حجة مدة .

٣ ـ تغرى برمش نائب حلب ، تقدّم ذكرُه فى الحوادث [٣]

٤ ـ جوهر اللآللا [٤] عتيق أحمد بن جُلبان ، وكان قبَله لعمر بن بَهادر ثم اتّصل بخدمة الملك الأشرف وهو أمير ، فتنقل معه وقرّره « لَا لَا » ولدِه الأكبرِ محمد ، ثم ولده يوسف ، ثم تقرر زمّاما بعد موت خُشقَدم مضافاً للوظيفة الأخرى ، فلما تسلطنِ العزيز فخم أمره ، وشمخت نفسه ، وظنّ أنّ الأمور تئول إليه ، فانعكس عليه الأمر ، وقُبض عليه فى

---

(١) اما عبدالقادر فقد ولد سنة ٨٢٤ بالقاهرة وحفظ القرآن واشتغل بالفقه وناب فى القضاء عن الولوى السنباطى واستقر فى تدريس المالكية بالشيخونية وبالبرقوقية وكانت وفاته سنة ٨٩٥ . اما اخوه عبدالغنى فقد ولد بعده بست سنوات وتلمذ على ابن حجر ودرس بالحجازية والالجيهية ، انظر عنهما الضوء اللامع ٤/٦٨٧ ، ٦/٦٤٢ .

(٢) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى التعليق التالى ، إنما هو صفر وذكر (بفتح الذال) لى أن مولده سنة خمس وثمانين تقريبا ، وهى نفس عبارته فى معجمه الكبير عنوان الزمان وتشبهها عبارة السخاوى فى الضوء اللامع ٢/٢٣٦ من انه ولد بفوة سنة ٧٨٥ او قبلها ، هذا وقد اخطا البقاعى فى ترجمته التى اوردها فى عنوان الزمان حيث جعل وفاته سنة ٨٠٢ .

(٣) بالإضافة إلى ما ورد عنه فى الأحداث فانه يمكن مراجعة السخاوى : التبر المسبوك فى ذيل السلوك (طبعة احمد زكى باشا بالقاهرة ١٨٩٦) ص ٤٣ ، ٦٥ وكذلك .

Sauvaire : Description de Damas (in Journ. Asiat.) 1895, P.230 ; Sobernheim, Materiaux Pour un Corpus Pour Syrie du Nord, xxv,p 64 .

(٤) نقل الضوء اللامع ٣/٣٢٨ هذه الترجمة دون الإشارة إلى نقله اياها من انباء الغمر .

أوّل الدولة الظاهرية ، وسُجِن بالبرج ، ثم أفرج عنه وهو ضعيف بمرض القولنج ، ثم حصل له الصّرع إلى أن مات فى الحادى والعشرين من جمادى الأولى ، وعمَّر مدرسة حسنة بالمصنع ودفن بها .

٥ ـ حسن بن محمد بن أحمد بن على بن حجر ، مات فى صبيحة يوم الأحد ثالث عشرى شعبان وله دون السنة .

٦ ـ حسن الكشكى [١] الكركى ، بدر الدين ، مات فى الرابع والعشرين من ذى الحجة بالقاهرة ـ وقد باشر نظر القدس والخليل مدة فى أيام المؤيَّد وغيره . وكان عارفا بالمباشرة مشكورا .

٧ ـ داود بن على بن بهاء الكيلانى التاجر بالإسكندرية ، شرف الدين ، مات فى الرابع من ذى القعدة وأوصى عَلَى أولاده ولده الكبير عليًّا ، فمات بعد أيّام قلائل ، وكان علىٌّ هذا قد ولى قضاء جدّة ، ولم يكن بالمتصّون ، وماأظنّه أكمل الثلاثين ، وأما أبوه فمن أبناء السبعين ، وكان وجيهاً فى التجارة . وقد رأيت فى بعض السنين أنه ولى ـ فى سلطنة الأشرف ـ شَدَّ جُدّة .

٨ ـ عبدُالله ، الملك الظاهر بن الملك الأشرف اسماعيل صاحب اليمن ، مات فى سلخ شهر رجب ، واستقّر ولُده اسماعيل بن الظاهر وله حينئذ نحو العشرين سنة .

٩ ـ على بن عبدالرحمن [بن محمد] [٢] الشيخ نور الدين الشلقامى [٣] ، وهو أسنّ مَنْ بَقى من الفُقهاء الشّافعية ، وذكر لى أنه حضر دروس الشيخ جمال الدين الإسنوى [٤] ، وكان من أعيان الشّهود ، وله فضيلة ونظم ، ومات راجعًا من الحجّ بالقرب من السّويس ، وكان خرج مع الحجاج فقوى عليه الضعف فعجز عن ركوب الحمارة فركب البحر من السّويس إلى الينبع ، وعجز عن التوجّه صحبة الحاجّ ، فأقام به حتى رجعوا فعاد معهم فى

(١) « الشكلى » فى الضوء اللامع ٥١٧/٣ .
(٢) الإضافة من هامش هـ بخط البقاعى ، وانظر ايضا عنوان الزمان للبقاعى ترجمة رقم ٣٤١ .
(٣) نسبة إلى « شلقام » وهى من البلاد المصرية القديمة بمركز بنى مزار فى الصعيد . انظر محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٢ ، ج٣ ، ص٢١٨ .
(٤) ولذلك فإنه يعتبر خاتمة من تفقه عند الأسنوى كما ذكر ذلك السخاوى .

البرّ . فمات قبل دخوله القاهرة ، وقد بلغ اثنتين وتسعين سنة ، فإنه ذكر لى أن مولده [١] فى الطاعون الكبير سنة ٧٤٩ أو فى حدودها .

١٠ ـ على [٢] بن عبدالكريم ، نور الدين الكتبى ، مات وقد قارب السبعين أو جاوزها ، وكان عارفاً بالكتب وأثمانها ، وكان أبوه آخر مَن بقى بسوق الكتب ، ومارأيْت أحسن منه فى الإحسان إلى الطلبة ، وأما ولده هذا فما سلك طريقة أبيه بل تشاغل غالباً بغير الكتب ، وقد ناب فى الحكم مرةً وترك ، وتَعَلَّل عدة سنين .

١١ ـ على بن محمد بن قُحْر ، بضم القاف وسكون المهملة بعدها راء ، الزبيدى الفقيه العالم الفاضل موفق الدين ، وُلد سنة ٧٥٨ واشتغل بالفقه فمهر فيه وتقدم إلى أن صار مفتى زَبيد وفقيهها والمرجوع إلى فى ذلك [٣] مات فى الثانى من شوال .

١٢ ـ فاطمة [٤] بنت أحمد بن عبدالله . أم الخير بنت شهاب الدين بن القمّاح ناظر الأهراء بمصر ، بنت أخت التاجِ الشرابيشى ، وُلِدتْ سنة ٧٧٤ تقريبا وسمعت على [الزين] ابن الشيخة والسويداوى بعضَ « دلائل النبوة » للبيهقى ، وأجاز لها الحراوى ، وماتت فى سنة ٨٤٢ ظنا ، قال ابن القلقشندى : « أجازت لى » .

١٣ ـ قُرْقماس الشعبانى [٥] ، تقدَّم ذكره فى الحوادث .

١٤ ـ محمد [٦] بن أحمد بن عثمان بن نَعِيم [٧] بن مُقَدِّم بن محمد بن حسن بن تمّام بن محمد بن على البساطى المالكى ، القاضى شمس الدين ، وكان يكتب بخطه « الطّائى » وظهر

---

(١) اورده الضوء فيمن ولد سنة ٧٤٦ تقريبا وإن كان البقاعى قد ترجم له فى عنوان الزمان تحت رقم ٣٤١ وجعل ولادته سنة ٧٤٩ كما بالمتن .

(٢) فى هامش نسخة هـ بخط البقاعى : « هو ابن إبراهيم بن احمد » وكذلك اورده السخاوى فى الضوء اللامع ٥/٨٣٠ .

(٣) كما يلاحظ انه اول من ولى من الشافعية إمامة مسجد الأشاعرة بها سنة ٧٧٩ انظر الضوء اللامع ٥/١٠٣١ .

(٤) لم ترد هذه الترجمة فى هـ .

(٥) راجع عنه ايضا السخاوى : التبر المسبوك ص ١٣٩ وابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور (القاهرة ١٨٩٦/ ٢٤/٢ ـ ٢٧ ، والضوء اللامع ٦/٧٢٩ .

(٦) امامها فى هامش هـ بخط احد القراء واسمه محمد الكيال جاء التعليق التالى : « قال محمد بن الكيال : وفيها توفى حافظ دمشق ناصر الدين محمد بن ابى بكر بن عبداله بن محمد ، مات فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين واربعين وثمانمائة كما فى ترجمة ابن حجر للسخاوى فإنّه عده فى مشايخ ابن حجر وفى تلامذته » .

(٧) الضبط من الضوء اللامع ٧/٧ .

أنها نسبة لبعض قرى (١) بساط . مات بعد العصر يوم الخميس الثانى عشر من شهر رمضان ، أصابه صرع فغشى عليه ، فصرخوا عليه ثم تحرّك ، فأمرهم الطبيب أن لايسرعوا فى جهازه ثم أصبح ميتا ، فأخرجت جنازته ، وكان له مدة طويلةً متمرّضاً بالقولنج يثور به فينقطع أياماً ، ثم يسكن عنه فيفيق ، وكان فى أوائل رجب قد نصل وركب وتصرّف وحكم وحضر مجلس السلطان ، ثم انقطع قليلاً ، ثم عوفى وركب أول يوم من رمضان إلى القلعة ، وحضر سماع الحديث ، وسلم على السلطان مع الجماعة عقب الفراغ من صلاة العصر ، وفرح السلطان بعافيته ، وحضر معنا مجلساً بالصالحية بأمْر السلطان يوم الثلاثاء ثالث عشر رمضان ، وهو فى عافيةٍ تامة وقد صام ، واستمرّ متماسكاً يكتب على الفتاوى ، ويسمع الدّعاوى ، ويعلّم على القصص وغيرها للنوّاب إلى صبيحة يوم الخميس إلى أن ثار عليه الوجع فى آخر النهار فقضى .

وكان (٢) مولده فى جمادى الأولى سنة ستّين وسبعمائة فأكمل اثنتين وثمانين سنة وأشهراً وأياما .

وكان فى شبيبته نابغاً فى الطلبة ، واشتهر أمره وبَعُد صيتهُ ، واشتغل فى عدّة فنون ، وذكر لى أنه سمع الحديث على عبدالرحمن بن البغدادى وغيره ولم يكثر بل لم يطلب أصلا ولا اشتغل به ، وكان عارفاً بفنون المعقول والعربيّة والمعانى والبيان والأصلين ، وصنّف فيها تصانيف ، وفى الفقه أيضا ، وولى تدريس الفقه بالشّيخونية ، ودام فيه أكثر من ثلاثين سنة ، ثم قايض بها التدريس بالظاهرية البرقوقية ، وناب فى الحكم عن ابن عمه جمال الدين يوسف البساطى وغيره مدّة .

وكان بحالة هينة من قلة الشىء ، ثم نوّه به الأمير ططر فذكره عند الملك المؤيّد فولّاه مشيخه التربة الظّاهرية - عقب موت حاجى فقيه - سنة تسع عشرة ، ثم ولّاه القضاء عقب وفاة جمال الدين الأقْفَهْسى (٣) فى جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وعشرين ، فأقام فيه نحو عشرين

---

(١) اشار الضوء اللامع فى ترجمته إلى انها من قرى الغربية ولكن الوارد فى القاموس الجغرافى ، ق٢ ، ج١ ، ص١٥٨ انها من اعمال محافظة الدقهلية .

(٢) اشار السخاوى فى الضوء اللامع ٧/٧ الى الاختلاف فى شهر مولده ، فهو عند البعض فى المحرم ، وعند اخرين سلخ جمادى الأولى ، ثم اشار إلى ان صفر هو المعتمد .

(٣) راجع وفيات سنة ٨٢٣ . انظر إنباء الغمر ٢٢٩/٣ ، ترجمة رقم٦ .

سنة متوالية بقية مدّةِ المؤيّد وولده ، والظاهر ططر وولده ، والأشرف برسباى وولده ، وهذه القطعة من سلطنة الظاهر . ورافقه من القضاة : خمسة من الشافعية وهم البلقينى والعراقى ، وصالح ، وكاتبه [(١)] والهروى ، ومن الحنفية أربعة وهم : ابنُ الدّيرى [(٢)] والتفهنى ، والعينى [(٣)] ، وابن الدميرى [(٤)] ، ومن الحنابلة ثلاثة وهم : ابن المغلى ، والمحب البغدادى ، وعز الدين المقدسى . ومن هؤلاء من صرُف ثم عاد غير مرة . .

وجاور بمكة سنة كاملة فى دولة الأشرف ، وهو على ولايته ، وعين ابن تقى مَرّة للولاية فى كائنة علاء الدين البخارى المذكورة فى الحوادث ، فلم يتم له أمر ، واستعفى فى السنة الماضية ثم ندم ، واستمر به الأشرف بعناية على باى الخزندار .

وكانت وفاته فى الليل وصُلّىَ عليه وقت ربع النهار بمصلّى باب النّصر ، ودُفن بتربة بنى جماعة بالقرب من تربة سعيد السعداء ، وأمطرت السماء بعد الفراغ من دَفْنِه مطراً غزيرًا .

وعَيّنَ السلطان للقضاء بعده الشيخ عبادة الزرزارى [(٥)] و[عيَّن] ولدَ الميّتِ فى وظائفه التى كانت معه قبل أن يلى القضاء ، فأجيب إلى بعضها ، كمشيخة التربة الظاهرية بالصحراء ، ودعى الشيخ عبادة إلى تولية الحكم فامتنع وتغيّب ، فلما كان يوم السبت الخامس والعشرين من الشهر المذكور خُلع على القاضى بدر الدين بن القاضى ناصر الدين بن التنسى ، وركب القضاة معه والمباشرون إلى الصالحية واستقر فى الوظيفة .

١٥ ـ محمد بن أبى بكر المالكى الكُتَامى ، بضمّ الكاف وتخفيف المثنّاة ، نسبة إلى حارة كتامة من القاهرة ، شمس الدين ، مات فجأةً على ماقيل فى الثانى والعشرين من ذى القعدة ، وكان نقيبَ الحسبة عند القاضى بدر الدين العينى ، ثم صار نقيبَ الحكم عنده إلى

---

(١) يقصد ابن حجر بذلك نفسه .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى « شمس الدين » .

(٣) كلمة « العينى » غير واردة فى هـ .

(٤) فى هـ « الديرى » وفوقها بخط البقاعى « صح سعد الدين » .

(٥) فى ز « الزويرانى » والتصحيح من ترجمته فى الضوء اللامع ٦٦/٤ حيث ذكر انه ولد فى « زرزرا » من قرى مصر ، اما البقاعى فقد قال فى عنوان الزمان ترجمة رقم ٢٤٩ « الزرزائى نسبة إلى زرزرا بمجتمعين وراءين مهملتين ثم الف ممدودة ، من ضواحى القاهرة » . وكانت وفاته فى شوال ٨٤٦ ، وقد وصفه السخاوى بانه لم يأت بعده فى المالكية مثله .

أن عُزِل ، فاستمرّ يتردّد إليه وهو معزول إلى أن أدركه الموت ، وكان قد شارف الثمانين وهو جلد ، وكان يكثر تلاوة القرآن ، ويقال خلّف مالاً كثيراً ، عفا الله عنه [١] .

١٦ ـ محمد بن زين الدين بن عبدالله ، شمس الدين بن زين الدين المرساوى الأصل الجرائحى المعروف بابن الريغى [٢] القبابى [٣] ، اشتغل فى علم الجراحة وتحول إلى الديار المصرية قديما فسكن التبّانة ، وتقدم فى صناعته واستقر فى الرياسة وطعن فى السن ، وفى شعر لحيته السواد الكثير ، وكان يَدّعى أنه جاوز المائة ، وقرائن الحال تُشْعر بأنها دعوى من المحال .

١٧ ـ محمد [٤] بن سعيد بن كَبَّن ، بفتح الكاف وتشديد الموحّدة الثقيلة بعدها نون ، جمال الدين ، مات بعدن من بلاد اليمن وكان قاضيها . مات فى السابع من رمضان ، وكان فاضلاً ، وولى القضاءَ بعدن نحواً من أربعين سنة ، تخلّلتها ولاية القاضى عيسى اليافعى بعدن مُدَدًا مفرقة ، وكان جمال الدين فاضلاً مشاركاً فى علوم كثيرة ، وأسف الناس عليه لما

---

(١) جاء بعد هذا فى نسخة ز مايلى : « وجد بالهامش : محمد بن أبى بكر بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن مجاهد ابن يوسف بن محمد بن احمد بن على العبسى الدمشقى عرف بابن ناصر الدين ، محدث الشام فى زمنه . مات فى ربيع الأول سنة ٤٢ وترجمه شيخنا فى معجمه فى القسم الثانى مطولا ، وقال غيره : ولد فى العشر الأول من المحرم سنة ٧٧ بدمشق ، وقرأ القرآن وحفظ مختصرات وسمع على البلقينى وأبى هريرة من الذهبى وابن صديق ورسلان بن أحمد الذهبى ، وفاطمة وعائشة ابنتى عبدالهادى وخلائق ، واشتغل وحصل وتفقه ومهر فى الحديث وخرج وافاد ودرس واعاد وتكلم على الناس وشارك فى الفضائل ، والف عدة مؤلفات وصار مرجع الناس إليه بدمشق وما حولها فى علم الحديث . سئل المؤلف عنه وعن البرهان الحلبى فقال : « البرهان نظره قاصر على كتبه وأما هذا فنحوى » . مات فى يوم السبت ٢٨ ربيع الآخر سنة ٨٤٢ مسموما فإنه خرج مع جماعة يقسم قرية من قرى دمشق فسمه أهل تلك القرية وحصلت له الشهادة رحمه الله تعالى » .

هذا وقد ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع جـ ٧ ص ١٧٧ فقال محمد بن ابى بكر بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن ناصر الدين هكذا نسبه بعضهم وهو غلط فابو بكر كنية عبدالله لا ابنه » . ثم ترجم له فى « محمد بن عبدالله بن محمد بن احمد بن مجاهد بن يوسف » واطال فى ترجمته ج ٨ ص ١٠٣ ـ ١٠٦ ثم عاد فنص فى ص ١٠٥ ، س ٢٣ على ان ابن حجر اغفل ايراده فى انبائه . هذا والارجح ان هذه الترجمة منظور فيها لما جاء فى السخاوى فقد تشابهت بعض العبارات حيث جاء فى الضوء ج ٨ ص ١٠٥ س٢٠ ـ ٢١ قوله : « وقد سئل شيخنا عنه وعن البرهان الحلبى فقال « ذلك نظره قاصر على كتبه وأما هذا فنحوى ، وإن وردت فى الضوء « فيحوش » بدلا من « نحوى » وهو خطأ لم ينتبه إليه الناشر فى مصر ولا فى طبعته ببيروت .

(٢) وردت هذه الكلمة بالفاء فى الضو اللامع ج٧ ، ص٢٤٥ ، اخر سطر .

(٣) فى ز « القبانى »

(٤) أطال السخاوى فى ترجمته الواردة بالضوء اللامع ، ج ٧ ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢ وسماه بمحمد بن سعيد بن على بن محمد بن كبن .

كان فيه من المدارة ، وخَفْض الجناح ولين الجانب ، والإصلاح بين الخصوم ، ولعلّه قارب الثمانين .[١]

١٨ ـ محمد بن القاضى بهاء الدين البرجى ، بدر الدين ، مات فى ذى الحجة فى الحمّام ، وكان أبوه قد ولى الحسبة مراراً ووكالة بيت المال ، والكسوة ، وصاهر البلقينى ، ثم ولده بدر الدين ، وصارت له وجاهة ، ثم خمل ، ثم نَبُه قليلاً فى دولة المؤيد بعناية ططر ، فجعله ناظرَ العمارة بالمدرسة المؤيّدية ، وعظّمه لما تسلْطن ، ثم لم تطل مُدَّتُه واستمر حتى مات بعد يسير .

وكان بدر الدين هذا قد تزوّج ببنت بدر الدين البلقينى ثم فارقها ، وكان كثير الصَّلف ، وباشر فى عدّة جهات ، وكان يُلَقب ببعيزق ، بمهملة وزاى وقاف ، مصغر ، لقّبه بذلك ناصر الدين بن كليب ، وكان جارهم ، وكان قد جاوز الخمسين .

١٩ ـ موسى بن على بن جميع الصنعائى الأصل ، العدنى ، شرف الدين بن نور الدين ، كان قد استقرّ فى وظيفة أبيه بعدن ، وهى الرياسة على التجاّر والمتجر السلطانى ، وكان حاذقا عارفاً بالمباشرة والكتابة ، فصيحاً لسناً ، وقد قدم القاهرة فى وسط دولة الناصر من نحو ثلاثين سنة أو أكثر ، ولم يكن صَيّنا . مات فى شعبان .

٢٠ ـ يحيى ،[٢] الملك الظاهر بن الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل صاحب تهامة اليمن ، مات فى يوم الخميس سلخ رجب ، وأقيم بعده ولده الأشرف إسماعيل فى يوم الجمعة مستهل شعبان منها ليلاً ، فقتل أكابر أهل الدولة ، ومنهم برقوق وكان كبير المماليك الأتراك ، وعدة من رؤساء الجند ، وعدّة من الأجناد يُدْعون « السقاليب » حتى أضعف المملكة ، وأثر ذلك حتى خرجت الأعراب العازبة ـ بالعين المهملة والزاى ـ من الطاعة وضعف أمر تلك البلاد جدّاً .

---

(١) اشار السخاوى فى نفس المرجع جـ ٧ ، ص ٢٥٢ إلى ان قول ابن حجر عن المترجم إنه مات وقد قارب الثمانين إنما هو سهو منه وذلك بناء على ما يقرره صاحب الضوء من ان ولادة صاحب الترجمة كانت سنة ٧٧٦ هـ .

(٢) ويعرف بالمغيربى . هذا وقد جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « الحيحى بحاءين مهملتين مكسورتين بينهما تحتانية ساكنة ، وقد تقدم نسبه فى هذا التاريخ فاطلبه فإنه فى سنة ست وثلاثين ، قال هناك يحيى بن حسن بن عبد الواسع الحيحائى » .

٢١ - يحيى المغربى المالكى ، قاضى المالكية بدمشق ، محيى الدين ، مات وقُرِّر بعده شرف الدين [١] يعقوب بن [يوسف بن على] المغربى ، وكتب توقيعه فى أوّل ذى الحجة .

٢٢ - يخش باى [المؤيدى ثم] الأشرفى [بَرْسْبَاى [٢]] ضُرِبت عنقه فى الثامن من ذى الحجة وكان أخرج من السجن وادّعى عليه بأنّه سبّ شريفاً من أهل منفلوط وهو حسام الدين محمد بن حريز قاضيها ، فثبت ذلك عليه فى القاهرة ، واتّصل بقاضى الإسكندرية فأعْذِر إليه ، فأنكر ثم حلف أنه لم يفعل ، فقيل له : « إن الانكار لايفيد بعد قبول الشهادة » ، فاستسلم للقتل فشهدوا عليه بعدم الدّافع وضُرِبت عنقه .

٢٣ - يوسف ولد كاتب السرّ القاضى [٣] كمال الدين بن البارزى ، مات فى الرابع والعشرين من ذى الحجة وقد راهق ولم يكن له للآن ولد ذكر غيره [٤] واشتد أسفه عليه . وكانت جنازته حافلة جدا .

٢٤ - يونس بن حسين بن على بن محمد بن زكريا [٥] الواحى [٦] نزيل القاهرة ، الشيخ شرف الدين ، سمع من عبدالرّحمن بن القارى : مشيخته ، وصحيح البخارى مشاركاً الخليل [بن طُرُنْطَاى] ومن ناصر الدين الطبردار ، سمع عليه فضل العلم للذهبى ، وفضل الخيل للدماطى بتمامه ، وقطعةً من مسند الدرامى ، وأجزاء حديثية وغيرها ، وحدث وسمع أيضا على التقىّ البغدادى الشاطبيّة ، وعلى العز بن الكويك ، وجويرية سمع عليها بعض النّسائى ، وكان يذكر أنه سمع على البهاء بن خليل مشيخة ابن عبدالدايم ، وعلى البلقينى السّنن لابن ماجة ، وأجاز له الإسنوى لّما عَرَض عليه ، وكذا عرض على الكلائى الفرضى ، وتنزّل صوفيا بالصلاحية سعيد السعداء ، وحجّ أكثر من مرة ، وزار المدينة والقدس ، وقال التقىّ القلقشندى « وأخذ فى بعض الأحيان أجرةً على التحدّث » ، وقد خَرّج له رضوان شُيخنا مشيخة .

---

(١) يقصد بذلك الشرف يعقوب بن يوسف بن على المغربى المالكى وكان ممن سمع على ابن حجر نفسه كما ولى قضاء دمشق بعد صاحب الترجمة المذكور فى المتن ومات بدمشق سنة ٨٥٧ .

(٢) الإضافة من الضوء اللامع ١٠/١٠٦٨ .

(٣) امامها فى هامش هـ بخط البقاعى : « هو الكمال محمد بن محمد بن البارزى » .

(٤) راجع الضوء اللامع ٩/٥٨٣ .

(٥) جاء بعد هذه الكلمة بخط البقاعى فى نسخة هـ : « ابوالنون الزبيرى بن الجزار » .

(٦) ذكر الضوء اللامع ١٠ / ١٣٠٨ انه يعرف ايضا بيونس الالواحى .

ومات بعد عصر يوم الأربعاء ثالث عشر ذى الحجة ، ودُفن من الغد بالخوخة ظاهر جامع آل ملك بجوار الشيخ إسحاق . وكان يذكر أن مولده سنة ٧٥٥ [١] وعرض العمدة على الشيخ جمال الدين الإسنوى ، ولزم درْسَ الشيخ سراج الدين البلقينى ، وكان يحبّ الأمر بالمعروف ، ويشدّد فى ذلك ، مع قصوره فى العلم ، ويتخيل الشىء أحيانا فيلحّ فى كونه لا يجوز .

وأنكر قديما كوْن ملك الموت يموت ، واستفتى القدماء ، وكان سمع فى ميعاد الشيخ سراج الدين شيئاً من ذلك فصار الشيخ وآل بيته يمقتونه من ذلك الوقت ، وسمع الخطيب يذكر فى خطبة الجمعة فى ذكر عمر أنه منذ أسلم فرّ الشيطان منه ، فأنكر ذلك عليه وقال له : « لاتقل منذ أسلم فيقع فى ذهن العامّىّ أن فى ذلك نقصا لعمر » واستفتى فى ذلك وبالَغ . وسمع مدرّسا يذكر مسألة الصرف وقوْلَ أبى سعيد لابن عبّاس : إلى متى توكل الناس الربا ؟ » ، فاشتد إنكاره ونزّه ابنِ عباس عن ذلك واستفتى فيه أيضا . واجتمع عنده من الفتاوى من هذا الجنس مالو جُلِّدَ لجاء فى خمس مجلدات .

وجمع لنفسه مجاميع مفيدة ، لكنّه كان عَرِيًّا من العربية ، فيقع له اللحن الفاحش ، وكان كثير الابتهال والتوجّه ولا يعدم فى طول عمره عامّياً يتسلط عليه وخصوصاً ممن يجاوره ، والله يعفو عنه .

وقد حدّث فى أواخر عمره . واستحلى ذلك ، وأعجِب به ، وحرص عليه . يرحمه الله .

٢٥ ـ خوند بنت الملك المؤيد ، زوج قرقماس الشعبانى . ماتت فى التاسع والعشْرين من جمادى الأولى ـ وكانت نفساء ـ عن سقط أسقطته عند كائنة زوجها ، فاستمرّت فى الضعف إلى أن ماتت ، ولم تخلف سوى ولدٍ ذكرٍ له نحو سبع سنين . وأسندَتْ وصيتها لزوجها .

---

(١) هكذا ايضا فى الضوء اللامع على حين أنه أشار إلى أن المقريزى جعل ولادته سنة ٧٦٥ .

سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة

المحرم [1] أوله الأحد ، والعشرون من بئونة .

وفى ليلة السبت تراءوا هلال المحرّم فلم يظهر مع الصَّح الشديد ، فلما كان صبيحة هذا اليوم استقر القاضى محب الدين بن الأشقر ناظر الجيش ، وركب النّاس معه ، وكان الجمْعُ وافراً .

•••

واستقر معه محمد بن أبى الفرج بن عبدالرازق ـ أخو فخر الدين ـ فى الأستادراية ، وركب معه فوصَّله إلى منزله برأس حارة زويلة ، وتوجّه إلى منزله بقرب قنطرة [2] سنقر ، وتوجّه غالبُ النّاس معه .

وفى هذا اليوم وصل رأس تَغْرِى بَرْمُش ورفيقُه ، ونوديى عليهما بالقاهرة ، ثم عُلّقا بباب زويلة ، وقد تقدّم أنه ضرِبَت عنقُه فى سابع عشر ذى الحجة بقلعة حلب .

•••

وقدم مبشّر الحاج وأخبر بأنّهم وقفوا يوم السبت ، وأن بعض الناس تحدّث برؤية الهلال ليلة الجمعة ، ولم يثبُتْ ذلك ، لكن سار الركب مِن مكة فباتوا بعرفات ليلة الجمعة احتياطاً .

•••

وفى هذا اليوم [الذى هو أول المحرم] نُقِلت الشمس من بُرْج السَّرَطَان ، وهو أوّل يومٍ من الصيف ، ومن يومئذ نقص النهارُ وأخذَ اللّيلُ منه . وهذا اليوم هو أطول أيام السنة ، وأقصر لياليها .

---

(١) كان اول المحرم من هذه السنة يوافق ١٤ يونيو ١٤٣٩ .

(٢) هذه هى القنطرة التى سماها المقريزى فى الخطط بقنطرة اق سنقر وكانت تقع على الخليج الكبير وتنسب الى الامير اق سنقر شاد العمائر السلطانية أيام الناصر محمد بن قلاون وهو المتوفى سنة ٧٤٠ .

وفى يوم الأثنين ثانى المحرّم استقر (١) الشيخ ولى الدين [محمد] السَّفْطى ـ شيخُ المدرسة الجمالية (٢) ـ فى نظر الكسوة ، مضافاً إلى وكالة بيت المال ، وركب النّاس معه أيضا .

وفى الثالث منه أمر ناظرُ الجيش (٣) دويداره (٤) بإحضار ما فى منزله من الذهب ، فكان ثلاثين ألف دينار ، فاستقلها السلطان ، فاستأذنه ناظر الجيش المذكور فى بيع موجوده ، فأذن له ، وشرعوا فى بيْع جميع ماعنده فى الحواصل (٥) فوصلت مصادرته فى اليوم العاشر إلى مائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ، والطلب مستمر . وقيل إنه طُلِبَ منه ألف ألف دينار ، وأنّ بعض الوسائط أنزلها إلى خمسمائة ألف دينار ، ولم يثبت ذلك ، وصودر كاتبه (٦) على عشرة آلاف دينار ، ثم خُفِّفِ عنه منها الخمس ، و [صودر] الأستادارُ على عشرة آلاف فبَاع دورَه وأثاثه ، وشرع فى وزنها وضمن عليهم وأطلقوهم .

وأُطلق ضفدع ، وابراهيم الكاتب بغير شىء .

وكُثرَت الأمتعة والملابس الفاخرة بأيدى النّاس من كثرة ما أبيع من حواشى المشار إليه (إنّ فى ذَلكَ لَعِبْرَةً لأولى الأبْصَار) (٧) .

ومن أعجب ما يُذكر أن جميع منادميه صاروا مُلازمين لكاتب السّر ، طمعاً فى استمرار جهاتهم وجاههم . (والله يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنَ وَمَاتُخْفى الصدُورُ) (٨) .

---

(١) كان السفطى إذ ذاك مفتى دار العدل ، وأحد ندماء السلطان وخواصه ، راجع النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص٣٢٨ .

(٢) تنسب هذه المدرسة إلى بانيها الوزير علاءالدين مغلطاى الجمالى وجعلها مدرسة للحنفية وخانقاها للصوفية وكان يسكنها اكابر فقهاء الحنفية ، واشار المقريزى فى الخطط ٣٦٣/٣ ـ ٣٦٤ إلى انها ، كانت تعد من اجل مدارس القاهرة ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفى البلاد الشامية وكان بناؤها سنة ٧٣٠ » .

(٣) ورد فى هامش هـ ، بخط البقاعى « اى الذى كان ، وهو عبدالباسط » .

(٤) هو استاداره ومملوكة جانبك الزينى .

(٥) وكانت هذه الحواصل بالشام والحجاز واسكندرية . انظر ابن تغرى بردى : (طبعة بوبر) ١٠٠/٧ .

(٦) لايقصد ابن حجر بهذه الكلمة نفسه وإنما يعنى كاتب ناظر الجيش ، ويستفاد ذلك مما علق به البقاعى فى نسخة هـ على ذلك حين قال : « اى الشرف ابن البرهان الأسلمى الإسرائيلى » ..

(٧) سورة آل عمران ، ١٣ .

(٨) سورة غافر ، ١٩ .

وأحضِرَ الشريف بدر الدين حسن الإسكندرانى التاجر ـ وكان يتوكّل عن ناظر الجيش فى بيْع البهار من الإسكندرية ـ فى هيئةٍ شنيعةٍ ، فحُبِس بالبرج ، وحُوسِبَ إلى أن استقر عليه شىءُ يسير وأطلق .

ثم لمّا كان بعد ذلك تقرّر على عبدالباسط ثلاثمائة ألف دينار ، وكان السلطان ألزمه بستمائة ، ثم بخمسمائة تم بأربعمائة ، فتكلّموا معه فى ذلك فأظهر العجز عن ذلك ، وقرّروا مع السلطان أن يكون ثلاثمائة ، وأعلموه بذلك ، ثم شاوروا السلطان فأنكر أن يكون رضى بذلك ، وتغيّظ عليهم وأمر بحبْسه فى البرج فحُبس فى برجٍ مظلم ، وضيُق عليه ، فأقام به إلى أن قلب [1] الله قلبه وأمر بإخراجه منه ، وتسلمه نائب القلعة ، فأنزله فى غرفة عليّة وهى أعلى بناء فى القلعة ، فأقام بها أكثر من شهر إلى أن أفرج عنه ، وتوجّه إلى مكة فى أثناء ربيع الآخر ، كما سيأتى بيانهُ إن شاء الله تعالى .

وفى التاسع عشر منه وصل سابقُ الحاج وذكر أنّه فارقهم من عيون القصب ، وأنهم بخير .

•••

وفيه ابتدأت الزيادة فى النيل .

وفى يوم الجمعة سادسه رَفع أمينُ النيل الخبرَ بأنّه يومئذ كان على أربعة أذرع وعشرة أصابع ، فزاد على العام الماضى فى النقص خمسة وأربعين إصبعاً واستمرّت الزيادة ، فكان فى النصف من أبِيب [2] ـ وهو يوم الجمعة العشرون من المحرّم ـ أنقص من العام الذى قبلَه بأحدٍ وستين إصبعاً ، فلم يزل يزيد حتى كان فى العشرين من صفر أزْيد من الذى قبله بأربعةٍ وتسعين إصبعاً ، فسبحان القادر .

وفى السادس والعشرين منه خُلع على نور الدين بن أقْبرسْ ـ أحد نوّاب الحكم ـ بوظيفة نظر البيوتات ، عوضاً عن ناظر الجيش ، وكانت الخلعة جبة سَمّور .

---

(١) اى حوله وصرفه عن سجنه والتضييق عليه فى البرج المظلم.

(٢) التاريخان العربى والقبطى صحيحان ذلك لان اول المحرم ٨٤٣ يعادل يوم ٢٠ بئونة سنة ١٥٥ ق : (١٤ يونيو ١٤٣٩) انظر التوفيقات الإلهامية ص٤٢٢ .

وفى يوم السبت الثامن والعشرين منه وصل يشبك الحاجب الكبير ، وخُلع عليه واستقر أتابك العساكر ، وهُرع الناسُ للسلاَم عليه ، ونزل ببَيْت بركة ، وهو الذى كان فيه أركماس الدويدار ودخل العسكر الذين كانوا فى الصَّعيد .

•••

وفى هذا اليوم عُقد مجلس بسبب حَسَن الأمْيُوطى الذى كان عمل نقابة الحكم فى العام الماضى للقاضى علم الدين البُلْقينى ، فادُّعِىَ عليه بأمورٍ معضلة ، فسمع الدعوى عليه ببعضها القاضى الشافعى ، وببعضها القاضى الحنفى ، وأمر الحنفى بحبْسه ليبين ما ادّعاه من الطَّعْن فى الشّهود . واجتمع بسبب ذلك من لا يُحْصَى عَددُه من الناس ، وحَصل له ـ لَمَّا أرْسِل إلى السجن ـ من الإهانة والصفع مالا مزيد عليه ، ولولا ذَبُّ نَقِيبِ الجيش عنه لقُتل على ما قيل .

•••

شهر صفر

أوله الاثنين .

وفى صبيحة الثلاثاء عُزر حَسَنُ الأمْيُوطى نقيبُ البلقينى فى مجلس الحنفى ، فضُرِبَ على ظهره مجرّداً أربعين ، وأهين فى أثناء ذلك إهانةً عظيمة وأعيد المجلس ،واجتمع من الناس مَن لا يُعَدُّ كثرةً ، ولولا والى الشرطة لقتلوه ، ثم حُبس ، ثم أحْضِر يوم السبت فادُّعِىَ عليه ثانيا ، ولم يقع ما كان يُظَن ، وأعيد إلى الحبس ، ثم أفْرِج عنه فى الحال ، وسكنت القضيّة بعد أن كان يُظَن أنه يُرَاقُ دَمُه لا محالة .

•••

وفى آخر يوم الخميس رابعه ـ الموافق لثانى عشرى أبيب ـ أمطرت السماءُ مطراً غزيراً بعد صلاة العصر ، ودامَتْ نحو ساعة ، وأوحلت الأرض داخل القاهرة وحولها ، وقد وقع نظير ذلك فى سنة تسعٍ وأربعين فأمطرت من بعد العصر إلى قُرب العشاء . وكان أكثر من ذلك ، فاستغرب الناس ، ونسوا وقوعَهُ قبل ذلك بسِتّ سنين .

•••

وفى يوم الجمعة وصل العسكر الذى كان جُهِّز للشام ، ودخل قبلهم قانباى الأبو بكرى الناصرى] البهلوان ، فقرِّرَ فى نيابة صَفَد عوضاً عن إينَال الأجْرُود (1) ووصل إينال

(1) امام هذا الخبر فى هامش هـ بخط البقاعى : « هو الذى تسلطن فى سنة سبع وخمسين وزالت دولة الظاهر على يده »

المذكور بعد أسبوع ، واستقر مقدّما على عادته ، بعد أن خُلع عليه فى ثالث عشره ، وواجه أمراء العسكر السلطانَ فى يوم السبت سادسه ، فخلع عليهم وهرع الناسُ للسلام عليهم .

وفى يوم الخميس أهين عبدالباسط [١] وحُوِّل من محبسه بالقاعة التى فى الإسطبل إلى البرج الذى كان قد حُبس فيه أولاً أتباعُه ، وكان هو فى رفاهية فعاد إلى ضيق وحَصر ، وشُدِّد عليه فى التهديد وطَلَبِ المال ، وكان يظن أنه إذا بادر بدفع المال يُفْرج عنه ، فذكر أنّه حمل جميع ما عنده من النقد ، ثم عرض جميع ما عنده من أصناف المتاجر للبيع ، فاشتريَتْ للسلطان أيضا ثم عرض ما عنده من الثياب الصوف والمخمل والحرير المذهب والمطرز ، فاشتُرى أيضا للسلطان ، ثم عرض جميع ما عنده من الأثاث فبيع بالأثمان الغالية تارة والرخيصة أخرى ، وحصل لجماعةٍ فى أثناء ذلك منافع كثيرة ، ومع ذلك فلم يجتمع من جميع ذلك إلّا نحو مائتى ألف دينار ، وأصرَّ السلطان على طلب خمسمائة ألف دينار بعد أن كان طَلب منه ألف ألف دينار ، فلم يزل يحطّها إلى أن صارت على النصف [٢] ، ولكن المطلوبِ منه خط على أنه لا يقدر إلا على ما ذُكر ، لكن بقى له العقار ، فكأنه شرع فى الحيلة فى حَلٍّ الأوقاف ليباع ما يمكن بيعه من العقار ، والحكم لله .

ثم آل الأمر إلى أن غضب السلطان منه فأمر بسجنه فى البرجِ المظلم ، فأقام فيه مدّةً ، ثم أفرِج عنه ، وسُلِّم لنائب القلعة ، فأسكنه عنده فى طبقة عليا نَيِّره ، وتَقرّر مالُ المصادرة على مائتى ألف وخمسين ألف دينار ، فاستوعَب ما يقدر عليه من النقد والبضائع والديون والغلال ، وباع ما لم يوقِفْه من العقار ، وأجّر كثيراً مما أوقفه وباع بعضه أنقاضاً فلم يكمل المائتين ، فأخذَ فى الاستدانة وسؤال المعارف ومَن سبقَتْ إليه يد منه عليه ، فكان جهد ذلك أن أكمل المائتين فى العاشر من ربيع الأوّل ، ثم كان ما سنذكره .

•••

وفى يوم الاثنين خامس عشره رسمَ السلطان أن يُرْسَل الملكُ العزيز يوسف بن الأشرف إلى الإسكندرية على طريق البرّ ، وصحبته أَسَنْبُغَا [٣] الطيارى ، أحد الأمراء المقَدّمين ،

---

(١) أمام هذا الخبر فى هامش هـ « كائنة عبدالباسط » .

(٢) راجع ما سبق ص ١٣٣ .

(٣) هو اسنبغا الناصرى محمد بن رجب ثم الطيارى سودون كما نص على ذلك السخاوى فى الضوء اللامع ٢ / ٩٨٤ ، وكانت وفاته سنة ٨٥٧ ، وقد وصفه السخاوى بالنبل والكرم والتواضع والأدب والشجاعة .

ليُودِعَه بالسجن بها ، وأمر بتحويل الأمراء المسجونين (١) هناك إلى قلعة صفد وغيرها ، ثم بطل العزم عن سجن العزيز ، واستمرّ تحويل الأمراء وأقام قَانِبَاىْ البهلوان ـ الذى تقرّر فى إمرة صفد ـ بِسَرْيَاقُوس إلى أن يحضروا ويتوجّه بهم بصحبته إلى أن يسجنهم بقلعة ، صفد وبغيرها كقلعة المرْقَب والصُبَيْبَة ، ثم وصلوا وسُلّموا إلى سُمَام (٢) [الحَسَنى الناصرى] وغيره ، وتوجّه كلٌّ إلى مقصده ، وذلك أول ربيع الأول .

•••

وفى يوم الخميس ثامن عشر صفر كُسِر الخليجُ الحَاكِمِىُّ على العادة ، ونودِى على النّيل بالوفاء ستة عشرَ ذراعاً ، بزيادة إصبعين ، ثم نودى عليه فى صبيحة الجمعة بعشرة ، فصار على ستة عشر ذراعاً ونصف ذراع ، وكان فى مثل هذا اليوم من العام الماضى على ثلاثة عشر ذراعا وربع . وانحلّ سعرُ الغِلَال بعد أن كان ارتفع ، ولله الحمد .

وزاد الماء فى ثلاثة أيام متتالية بعد يوم الوفاء اثنين وثلاثين إصبعاً ، وهو شىء لم يُعْهد قبل هذه السنة ، ثم زاد سبعةً فى اليوم الثالث من يوم الوفاء ، ثمّ ستةً فى اليوم الرابع ، فبلغت زيادتهُ عن العام الماضى أربعة أذرع وتسعة أصابع ، وما سُمِع قط أن النيل فى العاشر من مِسْرَى يكمل ثمانية عشر ذراعا ، فنقص إصبعاً واحداً ، واستمرّت المناداة بالزيادة إلى يوم الخميس الثانى من شهر ربيع الآخر ، فزاد أصابع من العشرين ، فاستراب أكثرُ الناس بذلك ، لأنّ الذين اعتادوا معرفة ذلك مِمّن له دارٌ تَطِلّ على النيل ذكر أنه لم يصل الماء إلى علامة العشرين ، فتوجّه جماعة فشاهدوا المقياس وظهر لهم كذب القيّاس ، ثم اقتضى الرأىُ عدمَ التوسّع فى ذلك ، لئلا تضطرب العامة إذا تبينّ أن الزيادة دون ما ذُكِرَ ، فلا يُؤْمَن أن يحدث من ذلك غلاء فى السّعر ، فاستشعر القياس بذلك فصار ينادى كل يوم بإصبع مع أن

---

(١) لما كان ابوالمحاسن كثير الاهتمام بذكر اسمائهم فقد اوردها فى النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص٣٣١ وهم : جانم اخو الأشرف وإينال الابو بكرى الأشرفى وعلى باى شاد الشرابخاناه الأشرفى وازبك السيفى قانى باى المعروف بخجا . وجكم الخازندار خال العزيز وجرباش وجانبك قلقسيز وتنم الساقى وبيبرس الساقى ويشبك الداودار وازبك البواب وبايزير خال العزيز وتنبك الإينالى المؤيدى الفيسى وبيرم خجا الناصرى امير دمشق » .

(٢) كان احد الأمراء العشرات من اتباع السلطان برقوق وترقى فصار من الخاصكية فى عهد الناصر فرج وامّره الظاهر جقمق امير عشرة وكانت وفاته سنة ٧٥٧ . انظر الضوء اللامع ١٠٣/٣ .

الزيادة مستمرة بأكثر من ذلك ، وكان آخر يوم من مِسْرَى - يوم الأحد - ثانى عشر ربيع الأول انتهى إلى تسعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا .

•••

وفى ليلة السبت حادى عشر ربيع الأول حُوِّل الملك العزيز من القلعة إلى ساحل بُولَاق ، فأنْزل فى الحرّاقة الصغرى ، ومعه من يَتَوَكّل به إلى الإسكندرية ، فسُجِن بها على عادة مَن تقدّمه [١] ، كولد الناصر فرج ، ثم ولد الملك المؤيّد .

وعمل المولد السلطانى فى يوم الأحد الثانى عشر منه ، وكان حافلاً وفرغ وقتَ العشاء سواءً ، ورجعنا ، وخرج الناس والأسواق مفتحة والليلة مقمرة جدا ، ولله الحمد .

ونودى بالسفر إلى مكة فى الرّجبية ، وعُيِن عِدة من المماليك للإقامة بمكة والمدينة ، أما مكة فلحفظ البضائع الواردة من الهند من عبيد مكة وسفهائها ، وأما المدينة فَلِقمْع الرافضة الذين تسلّطوا على أهل السُّنة بها .

•••

وفى هذا الشهر قبض على سراج الدين عمر بن موسى الحمصى الذى كان قاضِىَ طرابُلس ثم دمشق ، وكان قد تسحّب من دمشق لكلام بلغه عن السلطان من جهة انتمائه إلى إينَال الجَكَمِى ، فأقام بقرية من طرابُلس ، فبلغ ذلك النائب فمسكه وقيَّدَه بقيد ثقيل وسجنه ، فكوتِب فيه فشفع فيه بعض الأمراء بالقاهرة ، فأذن فى إطلاقه ، وتوجه القاصد بذلك .

وكان سفر الرجبية من القاهرة .

•••

وكان أول توت أوّل السنة الشمسية [٢] يوم السبت ثامن عشر ربيع الأول ، ابتدأ السلطان فى الحكم بين الناس بالإسطبل على العادة ، ونودِى بذلك ، فكان أوّل شىء أمَر

---

(١) كان ممن حملن معه ثلاث جوار لخدمته ، كما رسم ان يصرف له مِن دَخْل اوقافه الف دينار ، ورتبوا له ولمن معه كل يوم الف درهم من اوقاف أبيه . انظر النجوم الزاهرة ١٠٦/٧ ، س١ - ٦ .

(٢) أى السنة القبطية ويلاحظ أن الوارد فى جدول هذه السنة بالتوفيقات الإلهامية ان اول توت يعادله الاحد ١٩ ربيع الأول سنة ٨٤٣ و٣٠ اغسطس ١٤٣٩ .

به أن ينفى عزالدين البساطى المالكى ، وناصرالدين الشنشى الحنفى وولده إلى قوص ، ثم بلغنى أنه شفع فيه ، ثم لم يتم ذلك للبساطى واستمر للشنشى ، وأمرَ السلطان القضاةَ أنْ لا يَحْبِس أحدُ مِن نوّابهم أحدا إلّا بعد مراجعة مستنيبه .

•••

وكُسِر سدّ الأميرية وغيرها فى هذا اليوم . فنقص البحر نحو نصف ذراع بعدْ أنْ كان نودىَ عليه يوم الجمعة بإكمال العشرين ذراعاً ، ثم زاد إلى سلْخ الشهر تسعة أصابع ، وانتهت الزيادة يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الآخر إلى أحد عشر إصبعاً من أحد وعشرين ذراعاً والحقّ أنه لم يكمل العشرين ذراعاً ، وإنما الافتراء من أمين البحر .

وفيه وقع بين المطوّعة فى البحر مِنْ أهل دمياط وبين الفرنج وقعة بساحل صيدا ، قُتِل فيها كبيرهم المجاهد عبدالرحمن [(١)] ، وأسِر المسلمون بعد أن قُتِل منهم جماعة ، وأخذت لهم ثلاثة مراكب ، وأسف المسلمون على ذلك أسفاً شديداً .

وفى آواخر شهر ربيع الآخر ورَدَت مطالعة نائب الشام يشكو فيها من القاضيين الشافعى والحنفى ، فأمر السلطان بعزْلها معاً ، فعُزِل القاضى بهاءالدين بن حجىّ من كتابة السرّ بدمشق ومن قضاء الشافعية . واستقر فى قضاء الشافعية شمس الدين الوَنائى . وقُررّ فى يوم الخميس سابع شهر ربيع الآخر ، وفى كتابة السرّ شهاب الدين العجلونى ، الذى كان يوقّع عن الأمير الدويدار الكبير ، وكان عُيِّن لها زين الدين بن السّفّاح [(٢)] بل قيل له « الْبس الوظيفتين معا » ، ثم استقر فى نظر الجيش فقط ، وصرف جمال الدين الكَرَكِى .

وأمر السلطانُ بنقل بهاءالدين مِنْ دمشق إلى القدس يسكنها بطالاً ، ثم تكلّم له فى تدريس الصَلاحيّة فرسم له بها ، وصرف الشيخ عزالدين القدسى وتوجّه القاصدُ بذلك إلى دمشق ثم بطل ذلك . وكتب إلى ابن حجّى بالقدوم إلى القاهرة ، واستمرّ القدسى فى وظيفته ، فقدم ابن حجّى فى رجب ، ثم خلع عليه بنظر الجيش ، وسافر فى أول رمضان ، وصُرف زين الدين بن السفاح ، وأعيد إلى نظر الجيش بحلب ، واستقرّ فى قضاء الحنفية بدمشق بعضُ المصريينّ .

---

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « هو الشيخ عبدالرحمن العجمى صاحب الزاوية المطلة على البحر فى دمياط » .

(٢) امامها فى هامش هـ بخط البقاعى « كانه سقط هنا شىء » .

وصُرف القاضى شمس الدين محمد بن على الصفدى ، ثم تأخر ذلك واستمرّ الصفدى واستقر فى قضاء الحنفية بحلب عزّالدين عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن العديم ، ثم بطل وأُخّر لِبْسُ الخلعة ، واستمرّ ابنُ الشحنة .

•••

شهر ربيع الآخر

أوله الجمعة بالرؤية ، الموافق لثالث عشر توت ، وأرخ فى بعض البلاد ـ كدمياط ـ بيوم الخميس .

وفى يوم الاثنين رابع شهر ربيع الآخر وصل القاضى علاءالدين بن خطيب الناصرية الحلبى من حلب إلى القاهرة ، لأجل السّعى والعود إلى وظيفة القضاء[(١)] ، فأقام إلى شعبان ، ثم خُلع عليه وسافر فى أثنائه إلى بلاده على وظيفته ، فوصل فى أواخر رمضان [(٢)] ثم لم يلبث أن مات .

وفى يوم الاثنين حادى عشر أفْرِج عن زين الدين عبدالباسط ، وخُلع عليه خلعة رضا ، وهى جُبة بسمور ، وأذن له فى السفر إلى مكة ، وتوجَّه بخلعته إلى تربته بالصحراء ، بالقرب من تربة قجماس ، ليقيم بها إلى أن يرحل بعد أيام ، ثم تحوّل إلى طرف المرج من جهة بركة الجب ، ليتجهّز منها إلى مكة بأهله وبماله ، وانضم إليه جمع كثير من الناس ، وتوجّهوا إلى مكة فى ليلة الاثنين الثامن عشر فى هذا الشهر .

وفى يوم السبت تاسعه أذن للشنشى وولده بالعود إلى القاهرة ، وتوجّه القاصد إليهما بذلك

•••

---

(١) اضاف البقاعى بخطه فى هامش هـ : « وكان قد عزل من قضاء حلب فى سنة اثنتين واربعين بالقاضى زين الدين عمر بن احمد المبارك بن الجرزى ، بمعجمة ثم مهملة ثم زاى ، الحموى الشافعى المتطبب » .

(٢) علق البقاعى على هذا فى هـ بقوله : « الذى فى تعاليقى انه وصل إلى حلب بعد عيد الفطر » .

وفى يوم الأربعاء سادس شهر ربيع الآخر ادّعى جماعةٌ من المجاهدين ومَن انضم إليهم على شخص نصرانى أنه هو الذى كان السبب فى قتل المجاهدين ، وأنه كَاتَب الفرنج بقضيتّهم حتى استعدوا لهم ، ودلّ على عوراتهم ، وأقيمت بذلك البيّنة عند بعض نوّاب الحكم بدمياط - وكان مالكى المذهب - وثبت ذلك عليه فحكم بقتله ، وأمر بسجنه ليراجع السلطان فاجتمع عليه جمعٌ لايحصون كثرةً ، فنزعوه من أيدى أعوان الحكم ، وحملوه إلى ظاهر البلد فقتلوه بين الناس وحرقوه [١] ، ومدوا أيديهم إلى الكنائس فهدموها ونهبوا مافيها ، وكان النائب على الثغر ركب بمن حَضر مِن قضاة وغيرهم لينزعوا النصرانى منهم فوجدوا الأمر قد اشتدّ ، فكاتب السلطان بذلك فأمر بإحضار القضاة والنائب فسألهم فأخبروه بجلية الحال ، وأخرج بعض الناس محضرا بأنّ النصرانى المذكور أسلم قبل قتله ، فتغيظ على قاتليه ، وأمر بحبس كبارهم ، ثم أذن فى إطلاقهم فى اليوم الثانى ، وأمر بعزْل النائب والقضاة ، واستقرّ فى النيابة محمد الصغير ، الذى كان وليها فى العام الماضى ، واستمرّ القاضى [٢] على حاله ، وأمر بالاقتصار فى النواب على ثلاثة فقط .

وفى يوم الاثنين حادى عشره أمر السلطان أن يستقر للقاضى الشافعى من النوّاب أربعة ، وللحنفى اثنان ، وللمالكى كذلك ، والحنبلى كذلك .

وعقد فى هذا اليوم مجلس بحضرته بسبب الحوانيت التى نازع فيها عتقى تانى بك البجاسى ، وحضره قاضى حلب المنفصل علاء الدين بن خطيب الناْصرية ، وذكر الصورة مفصّلة ، ومع ذلك أمرَ السلطان للقاضى الشافعى أن ينشيء الدعوى فى ذلك ، ويحرر الأمر فيها ، ثم أذن السلطان أن يستقر للشافعى ستة أنفس ، ولكل من رفقته ثلاثة ، فكتب الشافعى أسماء جميع النواب فى رقاع وأحضرها لحضرة السلطان ، فتناول السلطان منها ستةً فاستقرّ بهم ومنع غيرهم .

ثم أذن بعد سبعة أيام فى زيادة اثنين ، ثم أمر باستبدال ثلاثة فى السنة بثلاثة أمْيَزَ منهم لَطْعنِ بعض جلسائه فى الثلاثة الأولين ، وانتهى أمرهُ فى يوم الثلاثاء سادس عشرى شهر ربيع الآخر إلى ثمانية ، وللحنفى أربعة ، واستمر المالكى على ثلاثة ، والحنبلىّ كذلك .

---

(١) فى هـ « وحرقوا الكنائس » .

(٢) سقطت عبارة « واستمر القاضى » من نسخة هـ ولذلك علق البقاعى على ذلك بقوله : « لعله : وترك القاضى » وهى تحمل نفس المعنى .

وفى هذا الشهر مات آقبغا التمرازى نائب الشام ، ووصل الخبر بذلك فى يوم الأحد رابع عشر الشهر المذكور ، فقُرِّر فى نيابة دمشق جلبان نائب حلب ، وقُرر نـائب[١] طرابلس فى نياب حلب ، وقُرِّر الحاجب الكبير بَرْسْبَاى [الناصرى] الذى كان وقَّع بينه وبين النائب ماوقع فى نيابة طرابلس ، وقرّر فى الحجوبية نائب غزة ، وتوجَّه دُولات باى الدوادار الثانى فى تقليد نائب حلب فى يوم الثلاثاء .

•••

شهر جمادى الأولى

فى أول يوم منه نودى بالسّفر فى رجب لمن أراد التوجّه إلى الحجاز صحبةَ المماليك المجهزة إلى مكة ، وكان الوقت للمناداة الأولى ، فتحرّك جماعة لذلك منهم .

وتوجّه قبل ذلك الأمير أحمد بن على بن إينال وصحبته عسكر من الترك والعرب لدفع قبيلة بَلِى المفسدين فى طريق الحجاز ، فظفروا بطائفةٍ منهم بسطح العقبة ، ورجعوا بعد أن امتارُوا ، فقبضوا عليهم واستمروا إلى أن دخلوا بلاد بَلِىّ .

وفى يوم الثلاثاء الرابع منه ـ الموافق لخامس عشر بابه والعاشر من تشرين الأول أمطرت السماء فى أول الليل قليلا ، ثم فى أول النهار ، ثم أرعدت[٢] ولم يكثر المطر إلّا من بعد الظهر فاستمر إلى بعد العصر ، وتزلقت الارض ، وأخذ النيل فى الانهبـاط ، ثم لم يظهر أثر ذلك بل ثبت إلى أن انقضت بابه ، واستمر الحرّ إلى أن نزلت الشمس برج الجوزاء ، ولم يتغير مزاج الحرّ ، ثم كان ماسنذكره .

وفى[٣] يوم الجمعة ثانى عشرين جمادى الأولى لبس السلطان الصوف ، ووافق التاسع من هاتور ، وهو الخامس من تِشْرِين الثانى ، وتأخر عن عادة الأشراف نحوا من عشرين يوما ، وأظنّ

(١) وهو اذ ذاك قانباى الحمزاوى .

(٢) سبق للبقاعى ان علق على كلمة « ارعدت » وهاهو ذا يعود اخرى للتعليق عليها فيقول « صوابه رعدت من غير همزة » .

(٣) اضاف البقاعى فى هامش هـ التعليق التالى : « وفى يوم الجمعة سابع جمادى الأولى المذكور سافر قاضى القضاة شمس الدين محمد بن إسماعيل الولاتى إلى دمشق قاضيا ، ومات ابوه اسماعيل بن محمد بن احمد يوم السبت ثانى عشرى الشهر فكان بين سفره وموت ابيه اربعة عشر يوما كما كان بين سفره وموت حميه فى سفرته الثانية كما سياتى فى التى بعدها » .

سبب ذلك استمرار الحرّ ، واستهل جمادى الآخر والأمر على ذلك .

وفى هذا اليوم أمر السلطان بجمْع الشهود من مراكزهم ، فاجتمعوا عنده فى الحوش ، فشرط عليهم مشافهةً أن لا يُوَخّروا عندهم صداقَ امرأةٍ ولا طلاقها ، بل يُدفع فى الحال ، وأن لايشهدوا على يهودىّ ولانصرانى فى مرض مخوف بوقف ولا وصيّة إلّا بإذن من القاضى والناظر على المواريث .

واستمر الحرّ إلى أن نقلت الشمس إلى برج القوسِ ، فتأخّر البرد عن العادة وانهبط النيل ، فكان فى نصف هاتور فى خمسة عشر ذراعا وافرة .

•••

ووصل رسول شاه رخ بن اللنك إلى القاهرة ومعه جماعة ، فأقام أكثرهم بالشام ، ووصل [الرسول] إلى مصر ، ومضمونُ رسالتِه التهنئة بالسلطنة .

•••

شهر رجب

أوله الثلاثاء .

فى أول يوم منه خرج [(١)] أميرُ المحمل فَضربَ خيامه مقابل خليج الزعفران ثم خرج الحاج وهم كثير ، ورحلو مِن ثَمَّ فى يوم الأثنين فنزلوا مقابل المرْج ، ثم رحلوا ليلة السبت خامسه ، ووصل الخبر بعدهم بقليل بأن العسكر الذين توجهوا إلى العرب بأنهم غلبوا عليهم .

وفى اليوم الرابع عشر منه أدِيَر المحمل ، وكان حافلاً .

وفى يوم الاثنين سابع شهر رجب [(٢)] دخل فصلُ الشتاء ، واشتدّ البرد على العادة ، بعد أن كان الحر تمادى إلى يوم الخميس ثالثه ، وتأخر المطر بعد نزول المطرة الأولى المنَبه عليها ، ثم أمطرت مطراً يسيرا مرة بعد مرة .

---

(١) اخطات النجوم الزاهرة ١٥ ص٣٣٧ . حين جعلت خروج المحمل يوم الاثنين رابع شهر رجب سنة ٨٤٣ ولعلها كانت تريد أن تقول «سابعه» اذ ان أول هذا الشهر كان يوم الثلاثاء كما بالمتن كما يستدل على ذلك أيضا من جدول سنة ٨٤٣ بالتوفيقات الالهامية .

(٢) سابع شهر رجب ويعادله ١٢ كيهك ١١٥٦ ق ١٤ ديسمبر ١٤٣٩م .

وتسلطت الدودة على البرسيم فأكلت منه الأكثر ، فغلا ـ بسبب ذلك ـ البرسيم ؛ حتى كانت قيمته قدْر العام الماضى مرةً ونصف مرة أو أزيد ، ثم توالت الأمطار وحصل النفع بها .

•••

وفى يوم الاثنين حادى عشريه دخل أحمد بن إينَال وصحبته جماعة من عرب بَلِىّ قُبض عليهم ، فأمر بتسميرهم وتوسيطهم ، وهم الذين كانوا فى آخر سنة ٤١ قطعوا الطريق على الحاج ، ونهبوا منه أموالا عظيمة ، وهلك بسبب ذلك خلائق من النساء والأطفال والرجال بالجوع والعطش .

•••

شهر شعبان

أوله الخميس .

شهر رمضان

أوله الجمعة .

فى الثانى والعشرين منه وصلت الجمّالةُ الذين حملوا الحاج الرجبية ، وذكروا أنهّم فارقوهم وهم بخير ، وقد انحطّ السعر قليلا ، وكان الحمل الدقيق بلغ ثلاثة عشر دينارا فنقص دينارا ، وكان شاع بالقاهرة أنه بلغ العشرين أو زاد ، فظهر كذب تلك الإشاعة .

•••

وفى التاسع منه ثار العامة بدمشق على النائب بها ، فهجموا عليه فى دار السعادة وفتحوا الطبلخاناه فضربوها [1] فتجمعوا ، وكان السبب فى ذلك أنّ شخصاً يقال له عبدالرزاق ، خَدمَ بَرْدَداراً عند النائب فاحْتكَر اللحْمَ وصار هو الذى يتولّى الذبيحة ، فغلا اللحمُ وصار يَشْترى الغنم بالسّعر البَخْسِ ويبيع بالربح المفرط ، فقلّ الجالبُ بسبب ذلك ، واشتد الخطبُ حتى كان اللحمُ يباع بدرهمين ونصف فبلغ ثمانية ، فنادى النّائبُ فى الجند فأمسكوا منهم جماعةً وسجنوهم ، فهجم الباقون السجنَ وكَسرُوا بابَه ، وأطلقوا أصحابهم وكان النائب قبل ذلك لما تحركت الفتنةُ عَزَل البردَدار ، ونادى بإسقاط مكس الغنم ، فانحط السّعرُ إلى أربعة أو خمسة ، فلم يُقْنِعْهم ذلك ، فكاتب فى ذلك فوصل الخبر بذلك فى الثالث والعشرين من رمضان ، فأمر السلطان بجمع الأمراء

---

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « وكان ضربهم لها بالنعال » .

والقضاة يوم الأحد صبيحة الرابع والعشرين ، فاشتوروا ، فقيل للمالكى إن عندهم قولا بقتل الثلث لاستصلاح الثلثين ، فأنكر المالكى ذلك ، وقال : « هذا لايعرف فى المذهب » ، قال : « فما السبب فى تَجَرّى هؤلاء ؟ » قال : « كثرة الحلم عنهم » .

هذا ملخص ما حكاه هو لى ، فإننى ركبْتُ فما وصلْتُ حتى انفضّ المجلس ، وكذلك الحنبلى ماأدرك المجلس .

وسألت الحنفى فقال : « ماأجبْت بشىء لأجل غيبتكم » ، ففهمْتُ أن القول كان على المالكى .

وذكر لى الحنفى أن بعض الأمراء قال « هؤلاء بُغَاة » فقال « فقلت له : لا ، ماهؤلاء بغاة ، وإنما أساءوا الأدب ، وينبغى أن يُعرف البادؤ منهم بذلك فنعاقبه بما يرتدع به غيره » .

فلما كان يوم الاثنين كتب مرسوم قُرِئَ على المنبر بتهْديد العامّة والإنكار عليهم فيما فعلوه ، وكتب توقيع القاضى تقّى الدين بن قاضى شهبة بعودته إلى القضاء ، وبعَزْل القاضى شمس الدين الونائى ، لأنّ النائب بعث يشكو منه ويقول : « إنما تسلط العامة علينا به » ونحو ذلك . وعُيِنَ للسفر بذلك الشريفُ الحموى الموقّع بعناية كاتب السرّ ، فوصل قبل سفر الحاج بيومين ، وكان الونائى قد تجهزّ إلى الحج فاستمروا واستقرّ ابن قاضى شهبة ، وهى الولاية الثانية .

•••

شهر شوال

أوله السبت بالرؤية الصحيحة [١] وصادف تاسع برمهات ورابع آذار .

وقع فى أوَل يوم منه ريح باردة . وأثارت غباراً شديداً ، بحيث كان يتصاعدُ إلى أعلى القلعة ، واشتدت الظلمة منه وقت العصر إلى أن أمطرت شيئا يسيرا فسكن ، واستمر البردُ

---

(١) إذا اخذنا بما جاء فى جدول سنة ٨٤٣ بالتوفيقات الإلهامية ص٤٢٢ كان يوم الاحد هو اول شوال وهو يعادل ١٠ برمهات سنة ١١٥٦ق ، ٦ مارس سنة ١٤٤٠م .

الشديد بحيث إنه كان يضاهى ماكان فى أول الشتاء أو أشدّ منه ، واستمر إلى أن فرغ برمهات ، وعاد مزاج فصل الربيع على العادة .

وفى الثانى منه نقلت الشمس إلى برج الحمل .

وفى يوم الأحد الثالث والعشرين منه ، الموافق لأول يوم من بَرمُودة كان عيد النصارى أخزاهم الله تعالى .

وفى النصف منه تنازلت أسعار الغلال وانحطّت إلى قدر النصف ، بحيث بيع ما كان بلغ ثلاثمائة بمائة وخمسين ، وأقلّ من ذلك .

•••

ورحل إلى القاهرة طالبُ الحديث الفاضل البارع : قطب الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان بن داود ابن ضُميدَة [1] البلقاوى الدمشقى ويعرف الآن بالخيضرى [2] ، ، نسبةً لجدّ أبيه ، فسمع الكثير وكتب كتباً كثيرةً وأجزاء ، وجدّ [3] وحصّل فى مدةٍ لطيفة شيئاً كثيراً ، وتوجّه صحبة الحاجّ المصرى لقضاء الفرض ، وكتب عنّى فى مدّةٍ يسيرة المجلّد الأولَ من « الإصابة فى تمييز الصحابة » وقرأه وعارض به معى وأتقنه ، ونسخ أيضا « تعجيل المنفعة فى رجال الأئمة الأربعة » ، وقرأه كله وأتقنه ، وسمع عدّة أجزاء ، وكتب عدة مجالس من الأمالى ، وخطّه مليح ، وفهمه جيّد ، ومحاضراته تدلّ على كثرة استحضاره .

•••

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرين شوال حضر ناصر الدين بك بن خليل بن قَرَاجَابن ذلْغَادر ، وجلس له السلطان فى إيوان القصر الكبير جلوساً عاماً ، وأمر الأمراء الكبارَ بتلقيه ، فتلقّوه ظاهر القاهرة ، ودخلوا به من البلد إلى أن أطلعوه القلعة ، فدخل ومعه أولاده ، فخدم وخُلع عليه

(١) فى ز : « حميدة » .

(٢) انظر الضوء اللامع ٩/٣٠٥ فقد ترجم له السخاوى ترجمة مطولة . استغرقت من صفحة ١١٧ حتى ١٢٤ .

(٣) فى هـ وبخط ناسخ النسخة : « كتبت له تلخيص المستدرك للحاكم ، وهو كاتب سر دمشق » مما يدل على أن الناسخ كان يعيش فى هذه الفترة التى تولى فيها الخيضرى كتابة السر بالشام .

وأنْزل فى بيْتٍ نوروز ، وهو شيخٌ كبير يقُال بَلغ الثمانين ، ويغلب على لونه السمْرة الْشديدة ، وتقدّم خبره فى حوادث سنة ٣٧ . وكان دخل القاهرة فى دولة الملك الظاهر مرّة قبلها ، ثم صاهره السلطانُ وتزوّج ابنته ، وسافَرَ بعده إلى بلاده بعد أن بولغ فى إكرامه والإنعامات عليه .

•••

وورد الخبر بأنّ أبا الفضل بن شيخنا زين الدين بن حسين قُتِل بغتةً ، قتله شريف من الرافضة ، وقيل إن سبب ذلك أن الحسين كان له دَيْن على القاتل ، فلما مات أوصى أبا الفضْل ، فطالب أبو الفضل بمال محاجيره فمطله ، فألحّ عليه فاغتاله ، وصار أهل المدينة فى خوف شديد ، ولم يبق أحد يجسر أن يخرج من بيته سحراً ، وكان سليمان أمير المدينة غائباً ، وله نائب اسمه حَيْدَر بن غُرَيْر ، فخرج فى جماعةٍ لتحصيل القاتل ، وكان تسحّب هو وجماعة من عشيرته ، فما ظفروا بأحد منهم ، وكان ما سنذكره فى السنة المقبلة .

•••

وفى اواخر شوال مرض صاحبُنا القاضى محبّ الدين بن أبى الحسن البكرى المصرى نائب الحكم ، وكان قد سار مع الرجبيّة إلى مكة ، فرأى وهو يطوف بالبيت بعضَ الصّنّاع من المرخمين يحاول خَلعَ لوح رخام من الحجرة وهو فى غاية الثبات ليلصقه على كيفية أخرى ، فأنكر عليه ، فتوجّه المذكورُ إلى شادّ العمارة سُودُون المحمدى ، فذكر له ذلك فسأل عنه فقيل إنه نائب الحكم عن الشافعى ، فقال : « لعلّ هو الذى كاتب فينا ! » ، فأمر بإحضاره فأهانه وضربه تحت رجليه عُصَيّات (١) ، ثم أراد أن يُرِكبه حماراً ويطوفَ به فقيل له . إنّه برىء مما اتّهَمْتَه به ، وإنه كان حين ورود الكتاب مقيماً بالقاهرة ، فندم على ذلك ، ولقيه فى الطّواف فاستحله ، وكان المحبّ المذكور قد امتلأ غيظاً مّما أصابه بغير جرْم وكظم غيظه ، فما لبث أن حُمّ واستمر موعوكاً إلى أن قدم الحجّ فتوجّه مع الركب المصرى فمات بالينبع ، بعد أن رجع من زيارة المدينة المنورة .

وقد ذكرتُ ذلك فى ترجمته فيما سيأتى ، وخُتم له بخير ، ولعله مات شهيدا .

ورأت امرأة من أهل الصدق ليلة دفنه وهى مستيقظة على سطح كأنّ عمود نور أقبل من نحو المدينة إلى أن غاب فى قبر المذكور ، فأيقظت زوجها وأخرى من أقاربها فشاهدوا ما شاهدت ، وأخبروا به .

---

(١) فى هامش هـ بخط محمد بن الكيال « قصة ابن أبى الحسن مع المحمدى » .

وقد ورد الخبر بأنّه خرج على الحاج بعد أن انفصلوا من المدينة ريح حارة وأعقبها سَمُوم أضعفت الأبدان ، وأهلكت الجمال ، ومات منها ومن بنى آدم عَدد كثير منهم القاضى محبّ الدين محمد بن أبي الحسن البكرى نائب الحكم ، وكان عارفاً بالأحكام متثبتاً فى القضايا ، وقورا ، عالما عاقلاً ، كثير الاحتمال ، مشاركاً فى الفقه ، لم يشتغل فى غيره ، وقد درس فى المدرسة الخَرّوبية بشاطىء النّيل نحواً من عشر سنين ، وكان قد توجّه إلى الحجاز فى الرجبية فجاور ثم رجع ، وذكر لى من أثق به أنه كان كثير الطواف ، وأنّه واظب على ذلك خمسين مرة فى كل يوم .

وهو من قدماء معارفنا ، وأهْل الاختصاص بنا ، فالله يعظم أجرنا فيه ، ويبدلنا به خيراً منه ، وقد غبطْتُه بما اتفق له من حسن الخاتمة بالحج والاعْتمار والمجاورة ، وزيارة الحضرة الشريفة النبويّة ، والموت عقب ذلك فى الغربة ، وكانت وفاته بالينبع وصُلّىَ عليه هناك ودُفِن بها ، وقد جاوز السبعين بسنين .

•••

يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة بالرؤية .

فيه استقرّ نورُ الدين على بن أحمد بن أقبرس فى نظر الأوقاف عوضاً عن تقى الدين ابن تاج الدين بن نصر الله ، وكان تقىّ الدين استقر فيها بعد صلاح الدين ابنِ عمّه ، وكان عمّه الصاحب بدر الدين إذ ذاك موعوكاً فبلغه ذلك فشقّ عليه وشغله الضعف ، ثم توجّه للعافية واستمر نور الدين فى الوظيفة .

•••

وفى الثامن من ذى الحجة ورد الخبر بموت أَقْبُغا التركمانى فى حبْسه بسجن الكَرَك ، وكان أحد الأمراء الكبار فى الدولة الأشرفية ، وولى النظر على الخانقاه الناصرية [1] بسرياقوس ، فذكر بعض الكبراء أن السلطان أمر كاتب السرّ أن يكتب إلى نائب الكرَك بـأن

(١) تقع هذه الخانقاه خارج القاهرة من ناحية الشمال وتنسب إلى مؤسسها الناصر محمد بن قلاون الذى بناها سنة ٧٢٣ لنذر نذره وكان بها مائة خلوة صوفى ، ولقب شيخها بشيخ الشيوخ وكان قبل ذلك لا يلقب به إلّا شيخ خانقاه سعيد السعداء ، وجرت العادة على أن يصرف لكل صوفى بها فى اليوم رطل ضان سليخ قد طبخ فى طعام شهى واربعة أرطال خبز نقى ، وديناران كل شهر ، ورطل حلوى ورطلان من زيت الزيتون ورطلان من الصابون ، وثمن كسوة فى كل سنة ، وكلما ظهرت فاكهة جديدة يصرف مبلغ لشرائها . ولقد اطال المقريزى فى خططه ٣/٤١٤ - ٤١٥ حيث أضاف إلى ذلك أنه كان « بها خزانة للسكر والأشربة والأدوية ، وبها الطبائعى والجرائحى والكحال ومصلح الشعر ، وبالحمام حلاق .

يطلقه ويشترط عليه أنه لا يعود إلى شرب المسكر ، وأنه متى عاد نُفى إلى قُبْرص ، فشرع كاتب السر فى كتابة الكتاب بذلك فوصل الخبر بموته قبْل أنْ يفرغ الكتاب .

***

وفى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين منه وصل المبشّر بسلامة الحاج ، ومعه من الأخبار ، أن الوقفة كانت بمكة يوم الأربعاء ، وأن السِّعر فى الأقوات كان ارتفع ، فكان الحمْل من الدقيق بخمسة عشر مشخصا (١) ، والآردب من الشعيربتسعة ، وكان الجمع كثيراً جدًّا ، ولم يدخل مكة من واصل الهدايا إلاّ القليل ، وكانت الأزُر ، والشاشات فى رخص بخلاف ما عدا ذلك من الكتان ونحوه ، وأن الركب الأوّل وصل فى السابع والعشرين من ذى القعدة .

وفى هذه السنة ثار توران شاه بن بهمن بن توران شاه على أخيه سيف الدين صاحب هُرْمز وما معها ، فانتزع منه المملكة ، ففرّ سيف الدين إلى شاه رخ ملك المشرق مستعينا به ، فأمده بعسكر ، فسار إلى فِرْغَانَة فنازلها فسار إليه أخوه فتحاربا إلى أن تصالحا ، على أن يكون ملك القلعة لسيف الدين هى وما حولها ، وافترقا .

***

ذكر من مات فى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة مة الأعيان

١ ـ أحمد بن الدميرى ، أحد نوّاب الحكم ، شهاب الدين ، كان فاضلاً يستحضر كثيراً من المسائل الفقهية ، وناب فى الحكم فى بعض النواحى وفى القاهرة ، ومرض مدّةً طويلةً بوجع الظهر ثم بالإسهال ، ومات فى الحادى والعشرين من صفر ، وأظنه جاوز الستين .

٢ ـ أحمد النفيايى ، بكسر النون وسكون الفاء ، بعدها تحتانية مثناة ، نسبة إلى بليدة [نفيا] (٢) البحرى ، ويُعرف بالزلبانى ، الشيخ شهاب الدين ، كان من مشاهير الطلبة عند

(١) المشخص هو الدينار الإفرنجى أو الدوكات بعملة البندقية الذهبية وترجع تسميته بهذا الاسم إلى أنه قد جرت العادة عند البنادقة أن يضربوا صورة الدوج أو الحاكم الذى ضرب الدينار فى عهده على أحد وجهى الدينار ، انظر عبدالرحمن فهمى : النقود العربية ص٩٥ ـ ٩٦ (شلتوت) .

(٢) « نفيا » من المدن المصرية القديمة التابعة لمركز طنطا بالوجه البحرى من مصر وقد ذكرها محمد رمزى فى قاموسه الجغرافى ق٢ ، ص١٠٩ فقال إن البحث دله على أنها كانت تسمى قديما « نفيوس » وبهذا الاسم وردت فى تاج العروس وأوردها ابن مماتى فى قوانين الدواوين باسم « نفيا الشرقى » أما فى تحفة الإرشاد فقد وردت باسم « نفيا » فقط .

قدماء المشايخ ثم نزل فى قاعة المؤيدية وتكسب بالشهادة مدة إلى أن مات [١] .

٣ ـ آقبغا التمرازى [٢] ، تقدم فى الحوادث .

٤ ـ آقبغا التركمانى ، كذلك .

٥ ـ أبوبكر الحلبى نزيل بيت المقدس ، الشيخ أبوبكر ، تلْمذَ للشيخ عبدالله البسطامى وكان له اشتغال بالفقه والحديث ثم أقبل على العبادة وجاور ببيت المقدس وكف بصره بأخرة .

٦ ـ سودون ، دويدار أرْكماس الدويدار الكبير ، كان غشوماً عارفاً بأفانين الظّلم ، صُرِف عن وظيفته قبل موت الأشرف وأصيب برمد أفْسَد عينيه ، ولما قُبِضَ على أستاذه خدم فى المماليك السلطانية وكان بصدد أن يقدم ففجأه الموت ، وأحاط ناظر الخاص على موجوده وهو شيء كثير . مات فى ذى القعدة .

٧ ـ عبداللطيف بن محمد بن الأمانة ، تقى الدين بن القاضى بدر الدين ، درَّس فى الحديث بالمنصورية ، وفى الفقه بالمدرسة الهكاريّة مكان أبيه أيّاماً ، ومات وهو شاب عن ثلاث وعشرين سنة [٣] تقريبا فى يوم الْأحد ثامن عشرين ذى القعدة . وكان مشكور السيرة على صغر سنّه .

٨ ـ على بن محمد [٤] بن سعد بن محمد بن على بن عثمان بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف

---

(١) جاءت بعد هذا فى نسخة ز الترجمة التالية : « الشهاب احمد الجديد » [بضم الجيم وفتح المهملة وتشديد الياء وكسرها ، والد صاحبنا الشيخ شهاب الدين احمد مات سنة ٤٣ بالقاهرة وكان قدمها بسبب شيوع المجاهرة عن المنكرات فأقام دون السنة ودفن بتربة طه ومات عن نحو أربع وستين ، وحج مرتين وجاور بالمدينة شهورا وسمع الحديث بها على جماعة ، وكذا بالقاهرة على شيخنا » . هذا وقد ترجم له السخاوى ـ فى الضوء اللامع ٥٨/٣ ـ فقال : « هو أحمد بن على بن زكريا الشهاب الجديدى كان معروفا بالصلاح والكرامات وللناس فيه اعتقاد . مات فى ليلة سابع صفر سنة ثلاث وأربعين » . ولم يشر السخاوى فى هذه الترجمة إلى أن ابن حجر ترجم . له أما ابنه احمد بن أحمد (الجديدى) فقد ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ج١ ، ص٢١٧ دون أن يذكر أنه صحب ابن حجر كما جاء فى هذه الترجمة الواردة فى نسخة ز هذا وقد كانت ولادة الابن سنة ٨١٩ ووفاته سنة ٨٨٨ .

(٢) انظر عنه ابن اياس ١٦/٢٢ ، ٢٠ وSobernheim : Op. Cit.P.68 .

(٣) عبارة « عن ثلاث وعشرين سنة تقريبا » غير واردة فى هـ .

(٤) هو المؤرخ الذى أشار اليه ابن حجر فى مستهل تاريخه الإنباء (راجع ج١ ، ص٥ ، س٩ ـ ١٢ ، وكانت بينهما مودة حتى ان ابن حجر نزل فى بيته حين دخل مدينة حلب لما صاحب الأشرف برسباى فى حملته التى آزمع بها الهجوم على آمد سنة ٨٣٦ . ومن العجيب أن يورد له ابن حجر بعد هذا كله تلك الترجمة الشديدة الاختصار التى استرعى قصرها انتباه تلميذه السخاوى فقال : « ذكره فى إنبائه باختصار جدا » انظر الضوء اللامع ج٥ ، ص٣٠٧ ، س٩ كما يلاحظ أيضا أن البقاعى اكتفى فى ترجمته إياه فى معجمه : عنوان الزمان رقم ٣٥٧ بذكر اسمه ثم بقوله : « ولد سنة أربع وسبعين وسبعمائة » . ومع ذلك فقد نقل عنه هنا أكثر من تعليق راجع . . Brockelmann, Op.cit.P.34 .

بن يعقوب بن على بن هبةالله ابن ناجية الطائى بن خطيب الناصرية . القاضى علاء الدين ، كان مولده سنة ٧٧٤ ، وسمع من أحمد بن عبدالعزيز بن المرجل وهو أقْدم شيخ له ، ومن عمر بن أيدغمش خاتمة أصحاب إبراهيم بن خليل ومات [١] فى الحادى عشر من شوال [٢] .

٩ ـ قطج الأمير [الناصرى [٣] من تمراز الظاهرى برقوق] مات فى العشر الأوسط من رمضان ، وكان قد ولى إمرة بعض البلاد الشامية [٤] وحضر إلى القاهرة مصروفاً فأقام بها دون الشهر .

١٠ ـ محمد بن أحمد تاج الدين الأنصارى التفهنى ، سبط القاضى مجد الدين الحنفى البلبيسى أحد نواب الحكم الشافعى ، مات فى يوم الأحد تاسع عشرى المحرّم بعد أن مرض مرضاً طويلاً ولم يجاوز الستين .

١١ ـ محمد بن أبى الحسن على بن أحمد بن عبدالمنعم القاضى محب الدين البكرى ذُكر فى الحوادث [٥] .

١٢ ـ محمد بن عبدالله ، الشيخ جمال الدين الكازرونى المدنى [٦] ، جاء الخبر بوفاته وقد انتهت إليه رئاسة العلم بالمدينة النبوية ولم يبْق هناك من يقاربه ، وكان وَلِىَ قضاء المدينة والخطابة من مدّة ، ثم صُرِف ودخل القاهرة مراراً ومولده فى سنة ٧٨٧ فى ذى القعدة [٧] ، نقلتهُ من خطّه .

---

(١) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى نسخة ز .

(٢) جاء بعد ذلك فى هـ بخط البقاعى : « إنما مات حادى عشر ذى القعدة ، وكان ذلك يوم الخميس ، وكان فقيه حلب لم يخلف بها بعده مثله ولا قريب منه ، وكان شديد الحب للقضاء بها حتى بلغ من غيرته عليه أن أوصى بمال يسعى به لابن بنته من المحب ابن الشحنة وهو الملقب بأثير الدين فى قضاء الشافعية بحلب مع أنه حنفى المذهب وسنّه نحو عشرين سنة » .

(٣) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة الضوء اللامع ٦ / ٧٤٠ ويلاحظ أن الصيرفى فى كتابه نزهة النفوس والابدان فى تواريخ أهل الزمان الذى قمنا بتحقيقه ونشره قد سماه « قطش » فقط انظر أيضا النجوم الزاهرة ١٥ ص٤٧٨ . ٢٦٦/٧ .

(٤) فى ز « الممالك » والمقصود بذلك إمرة حلب ودمشق .

(٥) راجع ما سبق ص ١٤٦ .

(٦) جاء فى تعليق للبقاعى بنسخة هـ : « الصواب فى نسبه ما قاله فى آخر حوادث سنة إحدى وعشرين حين ولايته القضاء : محمد بن احمد بن محمد بن محمود بن روزبة (بفتح الراء المهملة وسكون الواو وفتح الزاى المعجمة) الكازرونى ، وقال هناك إنه ولد فى سابع عشر ذى القعدة سنة سبع وخمسين وسبعمائة » .

(٧) مكان التاريخ بياض فى نسخة هـ .

١٣ ـ محمد بن يحيى بن علىّ بن أحمد بن أبى زكريا المقرىء ، الشيخ شمس الدين الصالحى بصالحية مصر بالشرقية [1] ، هكذا كنتُ أظنّ ، ثم ذكر لى أخوه شهاب الدين أحمد أنهم ينسبون إلى قرية يقال لها منية أم صالح بناحية مليج من الغربية ، وإلى حارة الصالحية بالبرقية داخل القاهرة .

وُلد قبل الستين ، وعنى بالقراءات فأتقن السّبع على جماعة ، وذكر لى أنه رَحَل إلى دمشق وقرأ على ابن اللبّان ، وطعن فى ذلك بأنّ سنه تصغر عن ذلك كما تقدم فى تقييد وفاة ابن اللبان ، واشتغل بالفقه ، وتولى تدريس الفقه بالظاهرية البرقوقية عوضا عن الشيخ أوحد ، بحكم نزوله عنه بمبلغ كبير من الذهب ، وكان اتصل بالأمير قطلو بغا الكَرَكى ، وقرره إماما بالقصر ، واشتهر فى ذلك مدّةً ، وناب بجاهه فى الحكم أحيانا ، وأمّ بقطلو بغا المذكور ، ثم ولى مشيخة القراءات بالمدرسة المؤيدية لما فتحت ، وما علمته تـزوج ، وكان مـولعا بالمطالب ، ينفق ما يتحصل له فيها مع التقتير على نفسه . وكف بصره فى آخر عمره واختل ذهنه ، عفا الله عنه .

واستقر فى تدريس الظاهرية [مكانه] شهاب الدين أحمد الكورانى بعناية كاتب السرّ ، وعمل له إجلاسا حضرناه ، وخُلع عليه جُبَّة مستحسنة وكان الميت نزل لأخيه شهاب الدين عن وظائفه ، وأمضى ذلك النظّار ، وباشرها فى حياته ، ثم نوزع فى المؤيّدية ، وعُقِد له مجلس بسبب أنّ شرط الواقف إذا وقع نزول أن لا يقرّر النازل ولا المنزول له .

١٤ ـ محمد الدجوى ، ناصر الدين الموقّع ، ناب فى الحكم قليلاً ووقّع عند بعض الأمراء فى شهر رجب ، وأظنه بلغ الخمسين .

•••

---

(١) هناك اكثر من « صالحية » بمصر ولكل منها تاريخها الذى تعرف به . واشهرها تابعة لمركز فاقوس بمحافظة الشرقية من دلتا مصر وهى من إنشاء الملك الصالح ايوب سنة ٦٤٤ وقد ورد ذكرها فى خطط المقريزى بانها « منزلة للعساكر عند ذهابهم للشام وعند عودتهم منه » ، وانظر محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج١ ، ص١١٢ . اما منية ام صالح فبمركز شبين الكوم وقد اصبحت تسمى الآن باسم « ميت ام صالح » ، كما انها مذكورة فى حجج الأوقاف بام صالح فقط . انظر القاموس الجغرافى ق ٢ ،، ص١٩٤ .

سنة أربع وأربعين وثمانمائة

استهلّت بيوم الخميس الموافق للثامن من بئونة من شهور القبط [١] .

وفى يوم السبت الثالث منه قُبض على الأسْتادار ناصر الدين محمد بن أبى الفرج ، وحُبِس بالبُرْج ، ثُم تسلّمه الوزيرُ بعد أيّام على مالٍ صُودِرَ عليه ، واستقرّ فى وظيفته مملوك يُقال له قيز طُوغان [٢] وخُلع عليه وباشر .

وفى يوم الاثنين الثانى عشر منه ووافق التاسع عشر من بئونة ـ وهو أول يوم من فصل الصيف ـ كان الهواء بارداً وقت السحَر واستمرّ إلى أن تعالى النهار بحيث وُجد من البرد كأيام أوائل الربيع ، فلمّا قرب الظهر اشتد الحرّ جدّاً كما فى كل يوم .

وخلع على القاضى سراج الدين عمر بن موسى الحمصى واستقرّ فى قضاء الشام على عادته بعد أن سعى السعْىَ الحثيث ، وأجيب بالمنع مراراً فلم يزل يتلطّف إلى أن أجيب ، وتوجّه فى اليوم العشرين من المحرّم .

وكذا أعيد قاضى صفد علاء الدين بن حامد ، وصُرِف الزّهرى وتوجّه فى هذا الشهر ، وقبض على ابن القف ناظر الجيش بصَفَد ، بشكوى نائب صفد منه .

•••

وأخبر قايِسُ النيل فى اليوم الخامس والعشرين من بئونة ـ وهو اليوم الثامن عشر من المحرّم ـ أنّ النيل بلغ فى المقياس إلى ستّة أذرع وأربعة أصابع ، ونودى عليه فى العشرين منه بثلاثة أصابع ، واستمرت الزيادة .

•••

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرين المحرّم رُفع إلى السلطان أن رجلاً مات وأوصى إلى رجل ، فضم القاضى الشافعى إليه آخر ، وأن التركة وقع فيها تفريط ، فطلبهما وطلب نائبَ

---

(١) هذا التاريخ مطابق لما هو وارد فى التوفيقات الإلهامية لهذه السنة الهجرية ، ويعادله ١٤ يونيو ١٤٣٩ .

(٢) فى الأصل « طوغان قز » وفى هامش هـ بخط الناسخ ، « قز طوغان » ، والصحيح أن يقال فيه قيز طوغان العلائى بناء على ما قاله أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١٥/٠٣٤٠ ، وإن لم يرد بأى من هذين الرسمين فى الدليل الشافى ٢/١٠٠٤ ـ ١٠٠٦ (تحقيق الاستاذ شلتوت) .

الحكم الذى أثبْت أهْلِية الآخر ، وحبسهما بالقلعة ، ثم سأل الوصى فذكر فى القصّة أموراً تَغَير السلطان منها ، لظنّه صدْقَ الوصى ، والواقع أنه مشهور بالكذب والبهتان ، وقد امتلأ غيظاً بضمّ الآخر معه حتى إنه لم يتمكنّ مما كان يروم أن يفعله ، ونَسب إلى المذكور أموراً معضلة ، فظنّ أنّ ذلك بعلم القاضى ، فتغيظ على القاضى المذكور وأرسل إليه ألاّ يخطب به يوم الجمعة .

وعَين شخصاً من نّواب الحكم يقال له بُرْهان الدين بن المَيْلَق ، فخطب به يوم الجمعة أوّل صفر ، وطَلب من يفوّض له الحكم ، فذكر له جماعة ، فاختار القاضى شمس الدين الونائى ، الذى كان ولى قضاء الشام وانفصل منه فى شوال ، وحج وعاد إلى القاهرة ، فدخلها يوم الجمعة ثالث عشرى المحرّم . ثم كان ما سنذكره .

•••

شهر صفر

أوله الجمعة .

ذكرْنا أن ابن الميلق خطب ، وذكروه فيمن يُوَلَّى القضاء ، وبلغ ذلك ابنَ البلقينى فضاقَ صَدْره واشتد سَعْيُه ، فلم يُجَبْ بشىء ، فَعُين الوَنائى وفُصّلت خِلْعَتُه يوم السبت .

ثم فى أثناء يوم السبت طَلب السلطان شهودَ التركة ، وفوّض لنائب القلعة أن يباشر المحاسبة بين الوصىّ ورفيقه بحضرة الشهود ، وبحضرة شخص يقال له جمال الدين عبدالله الحلبى التاجر ، وكان هو الذى وصَّلَ الوصىَّ حتى ذكر للسلطانَ ما ذكر ، وكُرِّرَتْ المحاسبة ووقعت المحاقة والمشاحة [1] إلى أن ظهر لنائب الغيبة زَغَل الوصىّ وتزيّده فى القول ، وافتراؤه ما كان افترى ، فدخل بالمحاسبة إلى السلطان وظهرت براءة القاضى والذى أقامه وذلك وقت أذان المغرب ، فلما كان صبيحة الأحد أمر بإطلاق نائب الحكم والذى أقامه القاضى ، واتّفق أنْ كَلَّمَه ولدُهُ الأمير ناصر الدين محمد فيما يتعلّق بالقاضى وجَبْرِ خاطِرِه فيما وقع فيه من الافتراء ، فأذن له فبطل أمر الونائى وفُصّلتْ للقاضى جبة بسمور ، ولبسها صبيحة يوم الاثنين ، وكان يوماً مشهوداً .

وفى أوائله وصل عبدالباسط إلى القدس سالماً ، وكان أرجف بأن قد أُصِيب جميع من

---

(١) فى الأصل « المحاققة والمشاححة » وقد علق الأستاذ الدكتور رمضان عبدالتواب على هذا فقال « بفك التضعيف وهو ضعيف ولا يجوز إلا فى الشعر كقول القائل :

مهـلا اعـاذل قـد جـربت مـن خلقـى انـى أجـود لأقـوام وان « ضـنـوا »

معه ولم يسلم غيره ، ولم يكن لذلك صحة . ووصلت هديته بعد أيّام إلى السلطان وفيها مائة شاش وأشياء كثيرة من هذا الجنس ، فقبلها وخلع على قاصده .

•••

وفى يوم الأربعاء السابع والعشرين منه ، وهو الرابع من مِسْرَى أوفى النيل ستة عشر ذراعاً وإصبعين ، وكُسِرَ الخليج فى صبيحة يوم الخميس ، وباشر ذلك الأمير ناصر الدين محمد ولد السلطان ، وصُحْبَتُه حاجب الحجاب وجمعٌ يسير ، وكان يوماً مشهوداً .

وكانت الزيادة فى هذه السنة من العجائب فإنّه ابتدأ فى العشرين من المحرّم ، وكان يزيد قليلاً إلى يوم السبت السادس عشر من صفر فزاد ثمانية ، ثم زاد إثنى عشر إصبعاً ، ثم زاد فى خمسةٍ أيام ثمانين إصبعاً ، وفى يومٍ ثلاثين وفى يومٍ عشرين ، وفى ثلاثة أيام كل يوم عشرة ، وفى يوم : سبعة عشر أيضا ، فنودى يوم الوفاء خمسة عشر تغليق الستة عشر ذراعاً وإصبعين فوقها .

•••

وفيها [١] كائنة إبراهيم بن خطيب القدس وقاضيه جمال الدين بن جماعة ، رُفِع فيه إلى السلطان أنّه زوّر عليه مرسوماً بمرتب ، فأحْضِر إلى القدس [٢] وصُرِف أبوه عن القضاء ، وحوقق على ذلك ، وجرى لصهره قاضى الحنفيّة ابن الديرى من البؤس وتَغَيُّرِ الخاطر ما لا يُعَبَّر عنه ، وبالغ السلطان فى الإنكار على كاتب السرّ بسبب ذلك .

•••

وفى يوم الأربعاء [٣] تاسعه عُقِد مجلس بالصالحية بسبب شخصٍ قَرْمِىّ اسمه على بن أخى قُطْلُو خَجا ، حَضَرَهُ القضاةُ الثلاثة ، وغاب الحنبلىُّ لضعفه ، وكان المذكور رُفِعَ أمره إلى السلطان بأنه وَقَع فى حقّ نَبِيّنا صلى الله عليه وسلم بكلام فاحش ، وأنّ بعض العوامّ أنكر عليه فكثُر اللّغَطُ ، فخلّصه منهم شهاب الدين بن عبيد الله الحنفى نائب الحكم ، فأنكر عليه السلطان ذلك .

وفى يوم الأحد أول يومٍ من الشهر عند التهنئة اعتذر [نائب الحكم الحنفى] بأنه خشى عليه من العوام أن يقتلوه ، فأكد عليه السلطانُ تحصيله ، ثم اتفق أن بعض الحجاب

---

(١) فى هامش هـ « كائنة إبراهيم بن جماعة » .
(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى « لعله إلى القاهرة » .
(٣) فى هامش هى « قصة القِرمىّ الزنديق » .

قبض عليه وهو ذاهبٌ إلى جهة الشام ، فردّه من الخانقاه السرياقوسية ، فأُحضِر عند السلطان فأمر بعقد مجلس بالقضاة الأربعة ، فشهد ثلاثة عند ابن عبيد الله المذكور عليه بما يقتضى الاستهتار بالدّين والتنقيص للرسول ، وشهد أحدهم أنّه قال عن كثرة صلاة المصّلين على النبىّ صلى الله عليه وسلّم أول النهار : « فلان مغرض » ، وشهد آخر أنّه سمعه يقول لمن صلّى عليه : « يا منافق ، تصلّوا ومحمد نبيكم كذا » وذكر لفظةً بالتركى فاحشة . وشهد آخر أنه سمعه يخاطب جماعةً من المسلمين بما نَصُّه : « يا خنازير ، كل دينكم باطل ! » . ثم حضر القضاة عند السلطان بسببها فأعادوا له ما جرى ، فأمر الحنفىَّ أن يتعاطى الحكم فى ذلك بنفسه بعد أن أحضر بعضُ جلساء السلطان النَّقْل من عِدَّةِ كتبٍ للحنفية أنّ توبةَ الزنديق لا تُقْبل ، وطلب القاضى تكثير الشهود ، وكان قد بلغه أن الذين يشهدون عليه بنحو ذلك كثير ، فتوجّه إلى منزله وأحضر المذكور فادّعى عليه أن له مدّةً طويلة يمرّ بالشوارع ويصرّح بسبب النبىّ صلى الله عليه وسلّم ، وبالسّبّ فى الصحابة ، وينظر إلى السماء ويتكلم بكلمات تؤدى إلى الزندقة ، فأنكر ، فشهد عليه شاهدان أحدهما أنه قال لفظاً بالتركى يقتضى بسب البارى ـ سبحانه ـ السبَّ الفاحش ، وزاد أحدهما أنهّ سبّ أبا بكر ، وشهد آخر أنه سمعه مراراً يصرّح بسبّ أبى بكر ويقول عنه : «كلب » ، وشهد آخر أنه طلب منه شيئاً فقال : « ما معى إلاّ أربعة أفلس » فقال : «هاتهم فَهُم عندى خيرٌ من أربعين نبىّ أو أربعين ألف نبىّ » بنقل الشاهد .

وشهد آخر أنه سمعه يشير إلى السماء ويقول بلفظٍ غير عربىّ مايقتضى السبَّ الصريح ، ثم أعِيدَت شهادةُ الذين شهدوا أمس ، فأعذر إلى المدّعى عليه فقال : « لاأعرف أحداً منهم ولا بينى وبين أحدٍ منهم عداوة » .

ثم حضر شاهدٌ آخر شهد عليه أنه سمع منه لفظاً فاحشاً بغير العربى مَدْلُولُه سبُّ البارى بما هو أشنع وأبشع ممّا تقدّم ، فعِند ذلك أمر به إلى السجن ، فسمعه شاهدان يتلو قوله تعالى[1] : « قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنا وإن لم تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَن مِنَ الخَاسِرِينَ » نطق بها « لتكوننّ » بالتاء المفتوحة المثناة بدل النون .

وشهد آخر فى صبيحة يوم الأربعاء حادى عشره فشهد أنه سمعه يسبّ القارىء وغالبَ

---

(١) الأعراف ، آية ٢٣ .

المسلمين سبًّا فاحشاً بغير اللّسان العربى ، وأنّه يعرف اللغة التى نطق بها ، ومدلول الألفاظ السبّ الفاحش ، فسُئل حينئذ القاضى الحكم فيه ، فتأمّل جميع ما قامَتْ به البيّنة ، فرأى أنها لا تصدر من صحيح الإيمان ، بل مِن غير متمسّكٍ بملّةٍ من الملل ، وأنه بذلك يستحّق إراقة دمه ، وعدم قبول توبته ، فأمر بإراقة دمه هدراً عالماً بالخلاف ، فلما تكامل ذلك أركبه جملاً وأمر أن يطوف به الشوارع التى كان يُعلِنُ فيها بما تقدّم ذكره ، فلما وصل الرُّمَيْلة أمر السلطانُ بضرب عنقه هناك فضُرِبَتْ .

•••

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرى شهر ربيع الآخر تأخّر القاضى كمال الدين كاتب السّر عن الخدمة ، بسبب تغيظ السلطان عليه فى يوم الإثنين من أجل امرأة تَظَلّمت مِن وقفٍ عليها بدمشق استُبْدِل فى غيبتها ، ثم حضرت إلى دمشق بعد مدّةٍ طويلة ، فرَفَعت الأمر لأحد نوّاب الحكم فحكم لها باسترجاعه ، فأمر السلطان كاتبَ السِّر أن يكتب لها بتسليم الوقف ، فتأمّل ما فى يدها فوجده لاينفذ تسليمها ذلك ، فتباطأ فى كتابة المرسوم ، فلما سُئل عن سبب البطء قال : « ليس معها حَقّ » فغضب عليه وانزعج عليه ، فنزل وأرسل يستعفى .

ثم فى يوم الأربعاء [١] خلع عليه جبة ، وركب معه جماعة واستمر ، وكان ذلك يوم الأربعاء رابع عشرين شهر ربيع الأول سنة ٨٤٤ فاجتمع فيه خمس [٢] أربعاوات والثمانمائة يشتمل على أربع ومائتين ، وهى آخر أربعاء فى الشهر . وإنما ذكرت ذلك لما فيه من الردّ على ما يتعانى التشاؤم .

•••

شهر ربيع الآخر

أوله الثلاثاء .

فى يوم الاثنين السابع منه أعيد القاضى بدرُالدين العينتابى إلى وظيفة الحسبة عوضاً عن الأمير تنمْ ، وركب فى جمع كبير ، فأظهر العوامّ الفرح به ، ونودى من جهته بإبطال ما أحْدِث على الباعة من الجمع وغيرها ، فكثر الدعاء له .

•••

---

(١) جاء فى هامش هـ بخط الكيالى « الرد على من يتطير باخر اربعاء فى الشهر » .

(٢) « اربعات » والتصحيح كما اثبتناه بإشارة من صديقنا العالم اللغوى أ.د. رمضان عبدالتواب .

وفى يوم السبت سادس عشرينه وصل رسول [١] ملك المشرق شاه رخ بن اللنك ، وكان الخبر بوصوله وصل قبل ذلك ، وأُنْزِل فى بيت جمال الدين الأستادار بين القصرين ، وزُيِّن البلد لذلك زينة عامة فى جميع الحارات ، وبالغوا فى ذلك أعظم من زينة المحمل . ثم أحْضِر الرسولُ يوم الاثنين وقرىء الكتاب الواصل صحبته بالقصر الكبير ، بمحضر من الأمراء والقضاة والمباشرين .

ومُحَصَّله : الجوابُ عن الكتاب الواصل إليه ، والسرور به ، وقبول الهدية [٢] وتجهيز هديّة صُحبةَ الرسول المذكور ، وعُرِضَتْ [الهديّة] فى القصر على رءوس أربعين من الحمّالة فى الأقفاص ، ثم أمرهم السلطانُ بعد ذلك برفع الزّينة بعد أنْ كان أشيع أنّها تقيم شهراً أو أكثر ، والسبب فى رفعها ما اشتُهر من المفاسد التى تقع فى الحوانيت وغيرها فى الليل .

•••

وفى هذا الشهر نازل إينال [الحسنى] ومعه جَمْع كثير من العربان المدينة ، فخرج إليهم أميرها سليمان الذى كان أمير المدينة ومعه جمع قليل ، فحصل النصر للفئة القليلة ، وقيل كان قصد إينال [الحسنى] نهب المدينة ، فخذل وانهزم ورجع سليمان منصورا .

•••

شهر جمادى الأولى : أوله [٣] الثلاثاء بالرؤية ، ووافق الشهْرَ القبطى بابه .

وفى الثامن منه مات ولدُ الرسول الذى كان بغزّة ، وكانت له جنازة حافلة [حَضَرها] كبار الأمراء والمباشرون . وفى ليلة الجمعة قرئت عند قبره ختمة واحتفل السلطان بسبب ذلك ، ثم أحضر الرسول الذى بقى وعمل له ضيافةً حافلَة ، وخلع عليه خلعةً هائلة وذلك فى الثانى عشر منه ، وأمر الأمراء أن يضيفوه [فيضيفه] كل يوم واحد بعد واحد ، فبدأ الأمير الكبير ، ثم وَلدُ السلطان .

•••

---

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ١٥ ص ٣٤٢ « رسل » بالجمع كما عاد فكرر ذلك فى نفس الجزء ص١١٤ ، س٢ فقال « الرسول ورفقته » على انه لم يعرف الدار التى نزلوا فيها وإنما اكتفى بقوله « وانزلو بدار اعدت لهم » . وعلى اية حال فاسم هذا الرسول هو « خواجا كلال » كما جاء فى نفس المرجع والجزء ص١١٤ س١٣ .

(٢) تضمنت هدية شاه رخ مائة فص فيروز وإحدى وثمانين قطعة حرير إلى جانب عدة ثياب وفرو ومسك وثلاثين بختيا من الجمال وغير ذلك ، انظر نفس المؤلف ١١٣/٧ ، اما هدية السلطان جقمق فزادت على هدية شاه رخ إذ كان بها حرير مخمل بوجهين أحمر واخضر وطرز زركش فيه خمسمئة مثقال من ذهب وثياب حرير اسكندرى ، وسرج كنبوش ذهب ، وسيوف مسقطة بذهب وغير ذلك ، انظر نفس المرجع والجزء ص١١٤ .

(٣) الوارد فى جدول سنة ٨٤٤هـ بالتوفيقات الإلهامية ان اول جمادى كان الأربعاء ويعادله أول بابه و٢٨ سبتمبر ١٤٤٠م .

وفى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين منه قدم المجاهدون من بحر الفرنج ، وكانوا أرسوا على رودس وراسلوا صاحبها بكتاب من السلطان ، فجاءهم من أنذرهم أن الفرنج أرادوا أن يُبَيّتوهم ، فخرجوا من الساحل فأحاطوا بهم فقاتلوهم إلى الليل ، فهبّت ريح شديدة ومطر ، فساروا كما هم إلى أن مرُّوا على بعض السواحل فرؤوا فى طرفها معصرةَ قصب سكّر فنهبوا مافيها وأسروا مَنْ وجدوه من المزارعين وغيرهم ، ورضوا بهذه الغنيمة التافهة ، ونجوا بأنفسهم بعد أن قتل منهم نحو الأربعين ، وجُرح جماعة ، ولم يظفروا بما خرجوا بسببه ، ولله الإرادة يفعل مايشاء وينصر من يشاء .

•••

وفى هذا الشهر بطوله كان الحرُّ مستمرا ووافق شهر بابه من أشهر القبط ، ولم يُعهَد ذلك حتى كان الحرّ فيه أشد مما كان فى توت ، وثبت النيل ثباتا عظيما فلم ينقص فى طول هذا الشهر سوى نحو الذراع ، ثم أخذ فى النقص ، واستمر الحر فى هاتور فلم يكن فيه من أوَّله إلى آخره البرد المعهود إلاّ اليسير فى أواخره .

ودخل كيهك [(١)] يوم الأحد ثانى رجب والأمر على حاله ، إلاّ أنه فى صبيحته وقع البرد وليس بالشديد ، وظهر الزرع ، ثم وقع البرد فى أوّل يوم من فصل البرْد ، وهو عند نزول الشمس القوس واستمرّ ، ثم تزايد هبوب الرّيح المريسية ، واشتدَّ التأذّى بها ، حتى وقع فى أوائل طوبة الصقيع ، فأفسد كثيرا من الزرع كالقصب والفول والبرسيم ، فلما كان فى الرابع عشر من شعبان وهو الثالث عشر من طُوبَه وقع مطر رقيق من طلوع الفجر إلى آخر النهار ، فوقع الوحل والزّلق .

•••

شهر جمادى الآخر

أوله الجمعة .

فى أوّله شرع النيل فى النقص ، وشرع الناس فى الزّرع .

وفى الثانى منه أحضِر شهاب الدين أحمد بن يوسف الكورانى [(٢)] بمجلس السلطان بحضرة القاضى الحنفى والمحتسب ، فعُزّر بالضّرْب تحت رجليه بعد أن كان السلطان أمر أن

(١) هنا يتفق التاريخان العربى والقبطى مع نظيريهما الواردين فى جدول التوفيقات الإلهامية .

(٢) صحح هذا الأسم البقاعى فى تعليق له على هامش هـ فقال : « إنما اسم ابيه إسماعيل وليس فى نسبه يوسف » ويؤيد راى البقاعى ورود اسمه فى النجوم الزاهرة ١٥ ص ٣٤٤ ، حيث أسقط من كلمة « يوسف » كما انه وارد فى الضوء اللامع ج١ ، ص٢٤١ على الصورة التالية « أحمد بن اسماعيل بن عثمان بن احمد بن رشيد بن ابراهيم الشهرزورى الهمدانى التبرايزى الكورانى ثم القاهرى ، وإن قال بعد ذلك : ورأيت من زاد فى نسبة يوسف قبل إسماعيل » .. وقد ترجم له البقاعى ترجمة مطولة فى عنوان الزمان رقم ١١ .

يُضْرَب [١] عريانا فشفع فيه الحنفى ، فضرب خمسا وسبعين عصاً ، وأمر بنَفْيه ، فأخْرِج فى الحال إلى التربة .

وكان السبب فى ذلك أن شخصا يقال له حميد الدين بن تاج الدين [النعمانى] الفرغانى قدم من دمشق وطلب وظيفة بدمشق ، فكتب له السلطان بها فتوجّه إلى دمشق فوقف فى طريقة القاضى الحنفى وهو شمس الدين الصفدى ، فرجع ساخطاً ، فذكر للسلطان أنَّ الحنفىّ وقع فى حقّ أمَهات المؤمنين ، وقصّ قصةً شنيعة ، فبادر الكوارنى بالإنكار عليه . وهذا الكورانى كان قدم علينا [٢] منحو عشر سنين طالبَ علم ، وهو فى غاية القلة والذلة ، فقَرأ علىَّ البخارى ، ودار على بعض الشيوخ ، وقرأ على علاء الدين القلقشندى فى الحاوى الصغير ، وتردد على كاتب السرّ البارزى فاتّفق حضوُر كِتَابٍ من بلاد العجم فاستقرأه إياه ، فأجاد فى تعريبه ، فقرَّبه إلى السلطان فقرّر له راتبا ، وترقىّ بعد ذلك إلى أنْ صار فى هذه الدولة عيناً لكاتب السر عند السلطان وصار يجالس السلطان كل يوم من أوَّل النهار إلى قريب الظهر لاينقطع ، وعظم قدرُه فى أعين الناس على العادة بالوهم ، وثقل فى نفس الأمر على السلطان ، وهو مطبوع على الاحتمال .

ولما أنكر على حميد الدين اتفق حضورهما عند كاتب السرّ فتقاولا فى ذلك ، فقال له حميدُ الدين : « أنت حمار ماتفهم » فأجابه بأن « الحمار أنت وأبوك وأجدادك وأسلافك » وكان فى المجلس جماعة منهم بدر الدين محمود بن عبيد الله ، وكان قد سعى فى قضاء دمشق عند إينال الجكمى ، وغضب السلطان على القضاة الذين وافقوه على الخلاف ومنهم الصَّفدى ، فعزل السلطان الشافعى لذلك وَوَلى بهاء الدين بن حجىّ ، فطمع ابنُ عبيد الله أن يُعزل الصفدى فسَعَى فى ذلك فوافقوا فى قضيتّه ، وبالغ فيها الكُورانى المذكور ، فبادر حميدُ الدين المذكور بالشكوى إلى السلطان ، واستشهد بابن عبيد الله فشهد له بأن الكُورَانى قال له ولم يذكر مابدأ به حميد الدين .

وكان تاج الدين ـ والد هذا ـ يَدّعى [٣] أنّه من ذرية الإمام أبى حنيفة ، وأمْلى لنفسه نسباً إلى يوسف بن أبى حنيفة ، يَعْرف مَنْ له أدنى ممارسة بالأخبار تلفيقه ، فكتبه عنه الشيخ تقىّ الدين المقريزى . ، فطلب السلطان شاهدا آخر ، فأحضروا آخر فلم يشهد بشىء

---

(١) ومع ذلك فقد اشار السخاوى نفس المرجع والجزء والصفحة إلىأنه كان قداختص بالسلطان جقمق فانهالت الدنياعليه .

(٢) يؤيد هذا قول البقاعى فى ترجمته بمعجمه عنوان الزمان ، رقم ١١ « قدم القاهرة فى حدود سنة خمس وثلاثين » .

(٣) فى هامش هـ بخط الكيالى : « الطعن فى نسب حميد الدين » .

فسكنت القضية ، وصعَد الكوُرانى على عادته ، فبالغ فى التنصّل فدَارَ حميدُ الدين على أعيان الحنفية فقال لهم : هذا الرجل قد سبّ أبا حنيفة ، لأنّه من أسلافى ، وهو يعرف أننى من ذرّيته » .

وكان مرّة استأذن على السلطان فقال له « إن ابن أبى حنيفة بالباب » ، إلى غير ذلك ، فتعصبوا له ، ودار معه ابن عبيد الله فدبّروا أمرهم إلى أن ظهر لهم أن يكيدوه بقاصد ملك الشرق ، فاجتمعوا به فوجدوا فقيهه فى غاية الحنق من الكُورَانى ، لأنه كان اجتمع به أوّل ماقدموا فحصلت له منه إساءة ، ثم لَما أضافهم عنده بدت مَن الكُورَانى فى حقه إساءة أخرى ، فانتصف هو منه بحضرة السلطان ، إدلالاً عليه لكْونه فى ضيافته وما استطاع الكورانى أن ينتصف ، فانضاق حِقْدُ هذا الفقيه على الكُورَانى إلى ماعنده من شدّة العصبيّة للحنفية ، فطَلع إلى السلطان فشنَع على الكُرَانى ، وكان فيما قال له : « إن الخبر إذا وصل إلى ملك المشرق - مع شدّة اعتقاده فى أبى حنيفة - يتغير خاطره وينسبكم إلى التعصّب على الإمام » ، فحرَك عنده ساكنا كامنا فأمر بطلبه فى الحال ، وأمر بسجنه فى البرج ، وأرسل إلى القضاة أن يعقدوا له مجلسا ، فاجتمعوا فى صبيحة الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى الأولى ، فآل الأمر إلى أن رفعت الدّعوى عليه عند القاضى الحنفى فأمر بنزوله معه إلى منزله ، فنزل ماشيا ، فشهد عليه ابنُ عبيد اللهُ . وانضاف إليه بدر الدين محمود بن حسن البنبى ، وهذا من شهود الزور بالقاهرة ، وهو ابن أخت القاضى بدر الدين ابن الأمانة ، وهو مشهور بالتجوز فى شهادة الزور ، ولكن كاتب السرّ قرَّبه وأدناه ، وسافر به معه إلى دمشق ، فحصل به مقاصد كثيرة ، وتموَّل هو بجاه كاتب السرّ وعاد ، فكانت له به فى بابه حركات كثيرة ، والناس منه فى حنق شديد : القضاة ومَن دونهم ، فاتفق أنه كان عنده من الكُورَانى [غضب] كمين ، فذهب وشهد عليه ، فأرسل كاتب السرّ يُعلم الحنفىَّ أن القضاة لاتقبل البنبى . فاتفق حضور بعض الأطباء وهو ابن أخت شمس الدين بن عفيف الذى قتله الأشرف فى أواخر عمره ، فذكر أنه دخل لكاتب السّر فى ضرورة فسمع الكائنة فشهد بها ، فاجتمعوا فى يوم السبت المذكور ، وكان ماكان .

●●●

وفيه قدم نائب الشام جلبان ، وقَدَّم تقدمة كبيرة مع ثمانين حمَّالاً ، وخُلع عليه مرارا وأعيد إلى بلده على وظيفته ، فسار قبله بأيّام قاضى دمشق الحنفى مطلوبا بسبب مانقل عنه

حميد الدين المذكور فى كائنة الكُوْرَانى ، فإنه نقل عنه أنه سئل عن الحكمة فى طواف النبى صلى الله عليه وسلم على النساء فى ليلة واحدة فأجاب بأنه فعل ذلك ليعفّهنّ عن الزنى ، فاستبشع هذا اللفظ ، وغضب السلطانُ وأمرَ بإحضاره ، فوصل إليه البريدُ فأغرمه مائتى دينار ، وتكلّف شيئا آخر حتى وصل ، وشَفَع له نائب الشام وجماعة أن يسلم على السلطان وأمر أن يكتب إلى الشام بكتابة الواقعة ، وأنّ كلّ من سَمِعَها يكتب بخطه بما سمع ، فامتنع السلطانُ من الأذن له . وصمّم على أن لايأذن له إلاّ إذا عاد الجواب ، وظهرت براءةُ ساحته .

•••

شهر رجب

أوله السبت .

فى التاسع منه عُقد مجلس بحضور السلطان وادّعى حميد الدين النعمانى عَلَى القاضى شمس الدين الصفدى محمد بن على بن عمر قاضى الحنفية بدمشق أنه قال فى مجلس من المجالس : « أنا ماأتقيد بمذهب أبى حنيفة ، بل أحكم تارة بمذهب الشافعى ، وتارة بمذهب أحمد » وأن علماء مذهبه أفتوا بأنّ هذا تلاعُب ، وأن الحكم بذلك لا يصح ، وأجاب « بأنّنى ماأردت إلاّ أنْ أتبع مقالة أبى يوسف تارة ومقالة محمد تارة ، وغيرهما من علماء المذهب » ، فقال المدّعى : « هذا الجواب لايطابق الدعوى » .

وانتصَرتُ للصفدىِّ فقلتُ : « بل يطابق إذا أراد أنّ الرواية التى عن أبى يوسف موافقة مذهب الشافعى مثلا ، والرواية عن محمد توافق مذهب مالك مثلاً ، فلا يلزم من ذلك أن يخرج عن مذهب الحنفية ، والقاضى الذى يوليه السلطان فى هذه الأزمان على قاعدة من تقدَّمه ، ومن تقدَّم كان منهم العالم المُتأهل للترجيح وهذه طريقته ، وغيره المقلد الصرف ، والصفدىّ المذكور من أهل العلم ، فلا ينكر عليه أن يعمل بما رجح عنده » ، وكَثُر اللغط إلى أن قال السلطان على طريق التبرّك : « لو ثبت عليه شىء ماكان يجب عليه أكثر من التعزير ، وقد عُزّر بإحضاره من دمشق إلى هنا » وانفصل المجلس على ذلك .

•••

وفى العشر الأوسط صرح السلطان بعزْل الحمصى عن قضاء دمشق ، وعين الونائى

فتوقف وذكر أنه شرع فى تدريس كتاب [١] وسأله المهلة إلى أن يختمه فى آخر رمضان ، فأجيب ثم طالب إعادة ماخرج من وظائف القاضى الشافعى . . فأجيب ثم استشعر بأنّ ذلك لايتم فاستعفى وأقام .

•••

وأدير المحمل فى الثالث عشر من الشهر ، وكان حافلاً ، وأبْطِل النفْط الذى كان يُعمل بالرُّمَيْلة .

•••

رمضان أوله الثلاثاء برؤية عدد قليل ثم كثر من يقول إنه رآه .

•••

شهر شوال

أوله الخميس .

فى الرابع عشر منه توجَّه القاضى الشافعى ونائب القلعة وهو تَغرِى بَرْمُش الفقيه إلى الدّير الذى نبه عليه فى حوادث شعبان فى ترجمة الأزهر ، وهو ببساتين الوزير ، لما رُفِعَت إلى السلطان قصَّة بأنه أحْدِثَت فيه أبنية مشيدة ، فأمرهما بكشفه ، وعمَل مايقتضيه حُكْمُ الشرع ، فتوجَّها فى جماعة من الناس فإذا فيه طائفة من الحبوش ، ووجدوا النصارى قد بالغوا فى تحصينه ، وجدّدوا أمام الباب حوشا كبيرا ، دوره بذراع العمل من ثلاث جوانب نحو الستين ذراعا بالحجر الأبيض واعتلّوا بأن اللصوص قد تهجموا عليه ، فظهرت معذرتهم فى التشييد لا فى المحدث ، فأمروا بإزالته وإبقاء الترميم .

وذكر بعض من جاوَرهم أنَ جاههم انخفض بموت الخزندار ، وأنّ قرينه - بعد وفاته - قد تسَحَّب ، فلما كان يوم الثلاثاء سابع عشر الشهر المذكور توجة نائب الشافعى ونائب القلعة بأمر السلطان ، فهدم الحوش المذكور بحضرتهم ، فحضر جمْع من أهل تلك القرية ، وأخبروا أن الجدار المستطيل المسامت للكنيسة كان للبستان المجاور للكنيسة ، وأنّ البستان لما خرب وسقطت جدرانه وقُطعت أشجاره بقى أثر الجدار المذكور ، فادّعى النصارى انه كان جدارا لحوش يتعلق بالكنيسة ، وأقاموا مَن شهد بذلك ، فأذن نائب الحنفى بإعادته بنقْضه .

(١) جاء امام هذا بخط البقاعى التعليق التالى : الذى كان يدرس فيه هو المنهاج لشيخ الإسلام محيى الدين النواوى ، ولما استعفى لم يعفه السلطان بل استمر يراوغه فى السؤال ويلحف إلى ان اغلظ عليه فقبل . وتاخر حتى فرغ الكتاب المذكور ، ثم كان سفره يوم الاثنين حادى عشر ذى القعدة من هذه السنة . ومات حموه الشيخ نور الدين التلوانى الآتى فيمن توفى فى هذه السنة ، وكان موته يوم الثلاثاء سادس عشرى ذى القعدة المذكور ، وكان بين سفره هذا وبين موت حميه اربعة عشر يوما كما كان بين سفره فى المرة الأولى فى العام الماضى وبين موت ابيه ، فكان ذلك من عجائب الاتفاق » .

فجدّدوه كما تقدَّم . ثم ظهر أنه لا استحقاق لهم فهُدِم ، وحصَلَ لأهل تلك النّاحية سرور كبير بذلك ، فإنّ مَن كانوا به من الحبوش كانوا يستطيلون على مَن فيه وعلى مَن يمرّ به ، فانخفضت دولتهم وانحطّت رتبتهم ، ولله الحمد .

وفى ذى القعدة قدم نائب حَلَب (١) ، ولاقاه السلطان بالمطعم ، وخَلع عليه ، ثم قَدَّم هديّةً هائلةً ، وقدم كاتب السر بها (٢) وكان قدم صحبته تقدمة أيضا .

وفى أواخر ذى الحجة طرق جمع من الفرنج فى عدّة مراكب ساحلَ ألطينة (٣) فأخذوا مركبين للتجار بما فيهما وأسروا مَن فيهما ثم طرقوا السأحل فأحرقوا ما فيه من المراكب ونهبوا ما قدروا عليه .

•••

ذكر من مات فى سنة أربع وأربعين وثمانمائة من الأعيان

١ ـ أحمد بن إسماعيل (٤) بن قطب الدين القلقشندى ، مات فى الثامن من ذى الحجة وكان أكبر من بقى من شهود مودع الحكم ، سمع الحديث [من التقى (٥) الدجوى] واشتغل [فى النحو على موسى الدَّلاصى] ، وكان حسن الكتابة ، يتقن المباشرة ، وفيه شهامة ، وأنجب عدة أولادٍ منهم ولدُه علاء الدين وهو أمثلهم طريقة . [مات وقد] قارب الثمانين (٦) .

٢ ـ أحمد بن أبى بكر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقينى المعروف بالعُجَيْمى ، قاضى المحلّة الكبرى بالغربيّة ، شهاب الدين ، مات فى يوم الثلاثاء (٧) رابع عشر جمادى الأولى عن أكثر من ثمانين سنة ، ثم ذكر لى ولده أوحد الدين محمد أنه وُلد سنة ٦٧ فأكمل سبعاً وسبعين سنة ،

---

(١) كان نائب حلب وقتذاك هو قانى باى الحمزاوى وكان قدومه باستدعاء جقمق الذى لاقاه بمطعم الطير .

(٢) أى بحلب .

(٣) كان ساحل الطينة مركز حراسة عسكرية وهو واقع شرقى بورسعيد الحالية ، انظر على مبارك : الخطط التوفيقية ١٨/ ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٤) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « ابن محمد بن إسماعيل بن على » ، وبهذا الاسم أيضا ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ، ج١ ، ص٢٤٣ .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ترجمته فى الضوء اللامع .

(٦) أنظر ترجمته فى البقاعى ، عنوان الزمان ، برقم ٣٢٩ .

(٧) الوارد فى الضوء اللامع ج١ ، ص ٢٥٤ انه مات عصر الاثنين ١٣ جمادى الأولى ، ويؤكد هذا قول البقاعى فى هامش هـ : « بل فى عصر يوم الاثنين ثالث عشره » وجاء فى ترجمته الواردة بعنوان الزمان برقم ٨ « توفى بالمحلة عصر يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة ودفن صبيحة يوم الثلاثاء » .

وهو [١] ابن عم الشيخ سراج الدين ، وأحد الإخوة الخمسة وأجلهم بهاؤ الدين أبوالفتح رسلان ومات قبل هذا بأكثر من أربعين سنة ، واشتغل هذا فى أوّل الأمر ثم تشاغل بنيابة الحكم فناب فى عدة قُرَى ، ثم استقرَّ فى نيابة المحلّة . وتقدَّم فى الحوادث ما جرى له فى أيّام المؤيّد ، وعَزْل ابن عمّه القاضى جلال الدين بسبب قيام الناس عليه فعُزل هو أيضاً ثم استمرّ ، ثم عاد بعد ذلك وولى مراراً إلى أن مات .

٣ ـ أحمد بن عُبَيْد الله الأردبيلى الحنفى ، شهاب الدين أحد نوّاب الحكم ، مات فى ليلة الأربعاء ثالث عشرى رمضان وكان مولده فى صفر سنة إحدى وتسعين ، واشتغل قليلاً وتعلّم بالتركى ، وكان جميل الصورة فقرَّبه كثير من الأمراء وتنقلّتْ به الأحوال إلى أنْ ولى [٢] نيابة الحكم بالجامع مع قلّة البضاعَة فى الفقْه والمصطلح ، وحُفِظَتْ عنه عدّة أحكام كثيرة فاسدة ، وكان مع ذلك يلازم الجلوس بمسجد بظاهر الخانقاه الشيخونية إلى أن مات بالإسهال الدموى والقولنج والصرع .

٤ ـ أحمد بن عيسى ، القاضى شهاب الدين المعروف بابن عيسى الحنبلى ، اشتغل قليلاً وتعانى الشهادة عند الأمراء ، وله شهادة فى الأحباس ، وكان ساكناً وقوراً متعفّفا ، وناب فى الحكم مدّة ، ومات فى يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى ، وأظنّه قارب السبعين .

٥ ـ أحمد بن نصر الله [بن أحمد [٣]] بن محمد بن عمر بن أحمد قاضى الحنابلة محبّ الدين ، أبو يوسف التُّسْتُرى الأصل ثم البغدادى ، نزيل القاهرة ، وُلِد فى [٤] السابع عشر من رجب سنة ٧٦٨ وقرأ على أبيه وغيره ، وأخذ عن الكرمانى ببغداد البخارى .

ورأيْتُ [٥] إجازة من الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن على الكرمانى له فى استدعاءٍ سئل فيه أن يجيز له ولغيره ، وقد وصفه بالفضيلة مع صغر السنّ ، وتمثّل فيه بقول الشاعر :

---

(١) هذه العبارة من هنا حتى قوله « بأكثر من أربعين سنة » فى السطر التالى غير واردة فى » هـ .

(٢) كانت توليته نيابة عن التفهنى ومن بعده ، انظر الضوء اللامع ج١ ، ص٣٧٦ ، وانظر حوادث سنة ٨٢٥ .

(٣) ما بين الحاصرتين غير وارد فى هـ ، لذلك جاء فى هامشها بخط البقاعى : « الصواب فى نسبه : أحمد بن نصر الله بن احمد بن محمد بن عمر ، كما املاه هو علىَّ فراجع ترجمة ابيه ، وترجمة ابيه مذكورة فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة سردا هناك على الصواب ».انظر ايضا ترجمته فى عنوان الزمان ، رقم ٩٢ .

(٤) فى هامش هـ بخط البقاعى : « بل تاسع عشر صفر » .

(٥) اورد الضوء اللامع ج٢ ، ص٣٣٤ ، س٨ ـ ٢٠ هذه الإجازة وهى طويلة فراجعها هناك .

إن الهـــــلال إذا رأيـــــتَ نمـــــوه
أيْقنـــــتَ أن سيصيـــــر بـــــدراً كامـــــلا

وَلَقَّبه شهابَ الدين ، وأجازَ له أن يروى عنه شرح البخارى ، والكتب الخمسة ، ومشيخة إجازة مُعَيَّنة ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٧٨٢ .

وسمع بدمشق من ابن رجب ، وابن المحبّ ، وبَحَلَب من ابن المرحّل ، ثم رحل إلى القاهرة ، وذلك فى سنة ثمانٍ وثمانين ، وسمع بحلب ودمشق ، ثم قطن القاهرة وقُرر فى درْس الحنابلة بالمدرسة الظاهريّة البرقوقية أوّل ما فُتِحَتْ بعد أنْ كان درّس قبله فيها لأهل الحديث الشيخ زاده العجمى ، وكان يحفظ قطعة كبيرة من البخارى ويسردها مع فنون كثيرة .

وكان صاهر الأقصرائى ، وأنجب ولده الشيخ محب الدين إمام السلطان الان ، ولازم الشيخُ محبّ الدين الشيخين سراج الدين بن الملقّن ، وسراج الدين البُلقينى ، وسمع العزّ أبا اليمن بن الكُوَيك وغيره ولم يمعن ، والعجب أنه لم يلازم حافظ الدنيا فى وقته شيخنا العراقى ، وهو المشار إليه فى علم الحديث ، مع دعواه أنه محدّث . وكان يدرس منظومته الألفية .

ثم ناب فى الحكم مدة ، ثم وليه استقلالاً مرّتين : الأولى بعد موت علاء الدين الحموى ، وقد تقدّم بيانُ ذلك فى الحوادث مفصّلاً . وكانت وفاته بعلّة القُولَنْج وكان يعتريه به أحيانا ويرتفع ، وفى هذه العلّة استمر أكثر من ستّين يوماً إلى أن مات بعد طلوع الفجر صبيحة يوم الأربعاء النصف من جمادى الأولى [١] ، وقد أقام فى الولاية الثانية ثلاث عشرة سنة .

ومن الاتفاقات أننى كنتُ أنظر فى ليلة الأحد ـ ثانِ عشر جمادى الأولى ـ فى دُمْيَـةِ القصر للبَاخَرزِى ، فمررْت فى ترجمة المظفّر بن على أن له هذه الأبيات يرثى بها :

---

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « الذى عندى : جمادى الآخرة وصححت عليه والله أعلم » .

بَــــلاَنى الَـزمَـــــانُ ولا ذَنْـــــبَ لـــى
بَـــلَى إنَّ بـــــلواهُ لــلأنْــبَـــــــــل
وأعْــظـــــــمُ مـــا سَـــاءنِى صَـــرْفُــهُ
وَفــــــاةُ أبـــى يُـوسُـــــفَ الحَـنْـبَـــــــلِى
سِـــــراجُ الـعُــلُومِ ولـكْـــن خــبـــــا
وثَـــوْبُ الجـمـــــال ولـكِـــنْ بَــــــــلِى

وقد التزم فيها النّون ثم الباء قبل اللاّم ، فتعجَّبْتُ من ذلك ، ووقع فى نفسى أنّه يموت بعد ثلاثة أيّام بعدد الأبيات ، فكان كذلك .

ومات بعد أن صلّى الصبح بالإيماء ، فأكمل ثمانيا وسبعين سنة وعشرة أشهر إلاّ يومين ، واستقر ولدُه (١) يوسف بعده فى تدريس المنصورية والظاهريّة (٢) .

٦ ـ أحمد (٣) بن الحسين بن الحسن بن على بن أرسلان ، العلاّمة الزاهد شهاب الدين الرَملى ، عُرف بابن رسلان الشافعى ، نـزيل القـدس ، ولُد سنـة ثمان أو سبْـع (٤) وسبعين وسبعمائة ، كذا كتبه بخطه .

وسمع على ابن العلائى واشتغل وحصّل وتميّز ومهر ، واجتهد فى العبادة حتى صار المشارَ إليه بالزّهد فى تلك البلاد ، وعادت على الناس بركته .

وله مؤلفات منها : شرح السّنن لأبى داود وأحمد ، اعتمد فيه على حاشية المنذرى وغيرها ، وله نظم ، وحدّث ودرّس وأفاد ، ومات فى يوم الاثنين ثانى عشرى شعبان ببيت المقدس ، ومن نظْمه فى المواطن التى لا يجبّ فيها ردّ السّلام :

(١) وهو يوسف بن أحمد بن نصر الله ، كان مولده سنة ٨١٩ ووفاته ٨٨٩ ، راجع ترجمته بالتفصيل فى الضوء اللامع ١٠/١١٦٣ .
(٢) فى هـ « الأشرفية » .
(٣) هذه الترجمة غير واردة فى هـ .
(٤) يتفق السخاوى فى الضوء اللامع ، ج١ ، ص٢٨٢ والبقاعى فى عنوان الزمان برقم ١٣ على أنه ولد سنة ثلاث أو خمس وسبعين وسبعمائة ، كما ذكر الأول أنه وجد بخطه « ابن أرسلان » بالهمزة وقال : « وقد تحذف فى الأكثر بل هو الذى على الألسنة » .

ردّ السّلام واجب إلاّ على	مَنْ فى الصلاة أو بأكْلٍ شُغِلاَ
أو شربٍ أو قراءةٍ أو أدْعيه	أو ذكر أو فى خطبة أو تلبيَه
أو فى قضاء حاجةِ الإنْسانِ	أو فى إقامةٍ أو الأذانِ
أو سلم الطفل أو السكرانْ	أو شابةٍ : يُخْشَى بها افتتانْ
أو فاسق ، ناعس ، أو نائم	أو حالة الجماع أو محالم (١)
أو كان فى الحمام أو مجنونا	هى اثنتان بعدها عشرونا

٧ ـ أبوبكر بن سليمان بن إسماعيل (٢) سبط ابن العجمى المعروف بابن الأشقر : شرف الدين ، مات فى يوم الأربعاء التاسع (٣) من رمضان ودُفن من الغد ، وكان مولدهُ بحلب سنة ٧٧٧ وتعانى صناعة التوقيع فمهر فيها وقدم القاهرة سنة سبع وثمانمائة فقرّره جمال الدين الأستادار (٤) فى توقيع الدست فباشره إلى أن مات ، وكان استقرَّ موقّعا كبيراً وحصّل عدة جهات فى طول المدة منها مشيخاتٌ بعدّة خانكات وتداريس وأنظار ، وأنجب ولده معين الدين عبداللطيف (٥) .

وقد وَلى شرف الدين نيابةَ كتابة السّر فى دولة الأشرف واستمر ، ثم ولى كتابة السّر بحلب فى حياة الأشرف واستمرّ بعده ، ووليها ولده المذكور ، وكان شرفُ الدين حسنَ الملتقى ، بشوشَ الوجْه ، كثير السكون ، قليلَ الكلام والشّر ، محبّباً إلى كثير من الناس . وإنّما قيل لهُ ابن العجميّ لأنّ أمه بنت . . . . (٦) .

٨ ـ جوهر القَنْقُبَائى (٧) الطواشى الحبشى الخزندار والزمّام بالباب السلطانى ، وكان من عبيد الأمير قنْقُباى الجركسى ، ثم تنقلت به الأحوال بعده إلى أن خدم عند علم الدين بن الكُوَيز ،

(١) « محاكم » فى الضوء اللامع ج١ ، ص٢٨٦ .

(٢) لم ترد كلمة « إسماعيل » فى نسخة هـ ، ولذلك جاء فى هامشها بخط البقاعى قوله : « ابن إسماعيل بن يوسف بن عثمان بن عماد » وكذلك فى ترجمته رقم ١٣٥ فى عنوان الزمان للبقاعى ،وإن اكتفى بذكر اسمه كاملا وقال إنه كان كاتب السر بالقاهرة وأن مولده كان سنة ٧٧٧ ، وقد جاء اسمه بهذه الصورة أيضا فى الضوء اللامع ج١٢ رقم ٩٠ ، ص٣٣ وذكر ان البقاعى طعن فى نسبة وهو مالم نجده فى ترجمته إياه إلا أن يكون قد عد إسقاطه « ابن الأشقر » طعنا فيه .

(٣) فى هـ « الثانى » ولذلك صححها البقاعى بقوله : « بل هو تاسع رمضان وكذلك جاء فى الضوء ، شرحه .

(٤) من هنا حتى عبارة « استقر موقعا كبير » فى السطر التالى غير وارد فى هـ .

(٥) عبداللطيف بن أبى بكر المعروف بابن الأشقر ولد سنة ٨١٢ ، وقد ولى كتابة سر حلب ، ثم ولى التوقيع بالقاهرة وتولى كتابة السر عقب وفاة ابيه هذه السنة ومات سنة ٨٦٣ ، انظر الضوء اللامع ٤ / ٨٩٦ .

(٦) فراغ فى جميع النسخ .

(٧)الضبط من البقاعى .

فسار عنده سيرةً حسنة ، لأنّه كان يحبّ أهل القرآن ، ويدرس فيه ، ويقـرّب أهله ويتديّن ، ويتعففّ ، فعظم قدرُهُ بذلك عند أستاذه إلى أن مات ، فلما مات خمل قليلاً .

ثم اتّصل بالملك الأشرف بواسطة جَوْهَر اللّالا الذى تقدم [١] ذكر وفاته سنة ٤٢ فاستخدمه فى باب السلطان ، وقرّبه منه ، فأنس به لما فيه من العقل والسّكون والتدبير ، فلمّا مات الزمّام قرّر فى وظيفة [٢] خشقدم الذى كان خزنداراً وباشر مباشرةً حسنة ، وتقّرب من الناس جدّاً وتزاحموا على بابه ، وصار يقضى حاجةمن ينتمى إليه ، فاشتهر بذلك فهرعوا إليه ، ثم تقرَب إلى السلطان بتحصيل الأموال من وجوهٍ أكثرها لايَحِلّ ، فكان يغريه ويتبرأ عند الناس من ذلك ، ويظهر الإنكار سرّاً . وهو السبب الأعظم فى إطلاق أموال التجار ، ورخص بضائعهم ، وغلبة الفرنج لهم ، حتّى صار التاجر يغيب السنة فما فوقها ويحضر فلا يستطيع أن يبيع حملاً واحداً من بضاعته ، ولا يجد مَن يشتريه ، ويستدين نفقته على نفسه وعياله ، وعنده ما يساوى عشرة آلاف دينار ، فبقوا على هذا البلاء بقية مدة الأشرف نحو العشر سنين ، ثم بتادى الحالُ على ذلك بعده .

وأضيفت إليه بعد الأشرف وظيفة الزمّام [٣] فإن جوهر الزمّام قُبض عليه بعد خلع العزيز قُررّ عوضه فَيْرُور الجركسى ، فلما غضب عليه السلطان بسبب هرب العزيز قُرِرّ هذا فى وظيفة الزّمام مضافةً إلى الخزنداريـة فجمع الوظيفتين ولكنه لم يتمكّن مِمّا كان يفعله أيّام الأشرف ، وصار فى دولة الظاهر خائفاً يترقّب ويتوقّع الإيقاع لكن زوج [٤] السلطان كانت اتّصلت به بعد ابن الكويز ، فلما سكنت القلعة وعزل فيروز ساعدت جوهر هذا ووصفَت للسلطان سيرته فقرّره مع أنّه كان يعرف ما كان يعامل به الناس فى أيام الأشرف ، وهو أحد من كان ينكر سيرته ومع ذلك أغْضَى عنه إلى أن حصل له فى موضع مُبَاله دُمَّل فآلمه وحبس عنه الإراقة ، ثم فُتح فتألّم منه شديداً لكنّه استراح بفتحه من الألم ، ثم دمى فى موضع آخر فأقام بذلك نحو الشهرين ، واشتدّ به الأمر فى العُشْر الأوسط من رجب فأرجف بموته ، وكانت وفاته فى ليلة الاثنين [٥] أوّل شعبان آخر يوم من كيهك ، وقد جاوز السبعين .

---

(١) يعنى بذلك جوهر اللالا المتوفى سنة ٨٤٢ راجع ما سبق ص١٢٢ ، ترجمة ٤ .
(٢) الوارد فى هـ :« فى وظيفةجوهر المذكور فباشر فى اول امره مباشرة حسنة » .
(٣) وذلك عوضا عن فيروز الجركسى كما سياتى حالا ولكن بسعى من خوند البارزية . انظر الضوء اللامع ٣٢٧/٣ .
(٤) يقصد بذلك خوند البارزية .
(٥) يتفق اليوم والتاريخان العربى والقبطى مع ما ورد فى جدول سنة ٨٤٤ فى التوفيقات الإلهامية .

وأنشأ داراً بدرْب الأتراك بالقرب من جامع الأزهر ، وكان فى أواخر عُمْرِه أخذ أماكن عند باب السّر من الجهةالقبلية ـ من جامع الأزهر ـ وعمّرها مدرسة ، فلمّا قرب فراغُها مات فدُفِن بها .

ويقال إنّه كان له قَريب من الحبوش ، فأسكنه فى دير عند بساتين الوزير فعمرّه ، وصار هو ومن معه يتظاهرون بما لا يتظاهر به غيرهم بجاهه ، والله أعلم بسريرته .

ومن عجائبه أنّ ولىّ الدين بن قاسم كان قد ولى قضاء دمياط فى دولة الأشرف بعد موت ابن مكنون ، وكان يستنيب فيه من يرتشى منه المال الجزيل ويقرّر عليه كل شهر مقداراً جيّداً وكان جوهر يطّلع على ذلك لأنّه كان صديقه ، فلما سافر ابنُ القاسم للمجاورة بمكة نزل عن قضاء دمياط للقاضى كمال الدين البارزى فباشرها إلى أن خرج إلى قضاء دمشق ، فسأله جَوْهَرُ أن ينزل له عن قضاء دمياط ، فنزل له عنه . فجرى على عادة ابن قاسم وانضاف إلى ذلك أنّه كان يستأجر من الأوقاف بالنزر اليسير ما يحصّل منه فى السنة أموالاً كثيـرةً ، ورأيتُه اذا عَزَل نائباً وقرّر آخر يكتب بخطّه « الداعى جوهر الحنفى » وكذلك اذا سُئِل فى مرسومٍ أو كتاب توصيةٍ بأحَد .

وتوسّع فى تحصيل الإقطاعات والإرْصادات إلى أن قيل إنه وُجِد باسمه بعد موته خمسون ما بين رِزق وإقطاع ومستأجراتٍ ، وكان يستأجر القرية بخمسين ديناراً ، وهى تغلّ قدر المائة أو أزيد ، ويصرف أجرتها على حساب صرْف الدينار بأحد عشر ورُبعِ درهم وزْناً ، وهو يساوى حينئذ أربعة عشر درهماً ورُبع درهم ، ثم يبيع عليهم بذلك عسلاً يقيِّمه عليهم بثلاثين درهماً ، وهو يساوى عشرين ونحوها ، فلا يتحصّل لهم من الجهة نحو العشرين . وقِسْ على ذلك ، ومن خافه فى شىء ممّا يرومه لا يأمن عـلى نفسه ولا مـاله ، وفى بعض الأحيـان يمتنع من صرْف الأجرة أصلاً ويقول : « إن كانت الأرض مصرية شرقت » مع أنه ربّما كان استأجرها مقيلاً ومراحاً ، « وإن كانت شامية كانت مَحْلاً » ، ويواظب مع ذلك على الصّلاة والتلاوة ، ويقرّب أهل القرآن ، ويتصدّق فى فقهاء الحرمين بجُمل مَن المال .

٩ ـ حسن بن عبدالله بن تَقِى القبانى ، بدر الدين ، كان مشهوراً بِجَدِّه [١] مات فى خامس عشرى شوال عن سنّ عالية تقْرُب من التسعين ، وكان فى بدايته قد اشتغل وتعانى

---

(١) اى بابن تقى

القراءات فأتقن السّبع ، وصاهر الشيخَ شمسَ الدين بنَ الصّائغ على ابنته ، وهى خالةُ الشيخ تقى الدين المقريزى .

ذكر لنا الشيخ تقىّ الدين أنه كان شاباً وبدر الدين هذا رجلاً ، وتعلم الوزن بالقبّان فاستمرّ .

وكان خبيرا كثير التأنّ ، وكان يؤمّ بنا فى رمضان بالمنكوتمرية (١) وكان إمام التراويح بالمدرسة المذكورة.

١٠ ـ عبدالله (٢) بن سعد الدين بن التاج موسى القبطى أمين الدين ، كان أبوه وَلِى نظر الخاصّ فى أيام الملك الظاهر برقوق مدة وباشرها ، وباشر هذا فى غيبته الوظيفية ، وكان شاباً جميل الصورة وتولّع بالأدب ، ثم امتُحِن فى أيام جمال الدين الأستادار فسلك طريق المجون ، وصار ينادم الأكابر من الأمراء والمباشرين ، وحصّل بسبب ذلك أموالاً ، وكثرت مرتّباته وجهاته ، وصار يُكثر الحجّ ، ثم حصل له فى رِجْلَيْه بلغم الى أن أقْعِد فصار يُحمل على الأيدى ، وكان يُتّهَم بمحبّة العبيد السّود ، وله فى ذلك ماجريات وسخف كثير .

وكان طلق الوجْه كثير البشاشة والنّوادر . مات فى الثانى (٣) من جمادى الآخرة وعاش بضعاً (٤) وستين سنة .

١١ ـ عبدالرحمن بن حسن بن سويد المصرى ، وجيه الدين بن بدر الدين ، أحُد نوّاب الحكم المالكيّة ، وكان أبوه زَوّجه بنت (٥) القاضى فخر الدين القاياتى وهو صغير ، وتزوج أبوه أختها ، ثم مات القاضى [القاياتى] فاحتاط أبوه [حسنِ بن سويد] على تركتِه

---

(١) إلى هنا تنتهى هذه الترجمة فى « هـ » . اما المدرسة المنكوتمرية فتنسب إلى بانيها الامير سيف الدين منكوتمر الحسامى نائب السلطنة بديار مصر سنة ٦٩٨ وكانت تقع فى حارة بهاء الدين بالقاهرة . (انظر عن هذه الحارة الخطط للمقريزى ٢/٢٨٨ ـ ٢٩٠) وجعل فى المدرسة درسين للمالكية والحنفية ، كما جعل لها وقفا ببلاد الشام . انظر عنها وعن صاحبها الخطط ٣/٣٥٥ ـ ٣٥٧ .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى : « هو عبدالله بن ابى الفرج بن التاج موسى بن السعد إبراهيم . هكذا املانى هو» وهو الإسم الذى اورده به ايضا البقاعى فى عنوان الزمان برقم ٣٩٠ ، والسخاوى فى الضوء اللامع ٥/١٥٥ .

(٣) ذكر السخاوى (نفس المرجع والجزء والترجمة) انه مات يوم السادس من جمادى الآخرة ولم ينص البقاعى فى عنوان الزمان على تاريخ وفاته رغم انه كتب له ترجمة اطال فيها .

(٤) ورد فى هامش هـ التعليقان التاليان اولهما : « ذكر لى هو ان مولده سنة سبع وسبعين » اما التعليق الثانى فهو « ومن ذلك » (اى من نوادره) ان الشهاب الحجازى حدثنى قال : لقيته فى باب القنطرة وقد حدثت هناك زحمة منها حمل سلس وهو القش الذى يخرج من الكتان بسبب التبن وهناك رجل يسمى « سيسا » ، قال الشهاب فقلت له : عجيب سيس وسلس فقال : اسكت يا كلب اونحو هذا يعنى انه عرف انه يقول بعد ذلك و « سوس » « يعنيه » .

(٥) وهى فاطمة بنت القاياتى .

بطريقة الإيصاء والتحدّث ، وخلص لهم الدار العظمى بشاطىء النيل ، وكان هذا حسن الصورة ، ودخل مع والده اليمن وهو صغير سنة ثمانمائة ، ثم صار يسافر به معه ويقّربه أكثر من أخيه الأكبر محمد الذى تقدم ذِكْرُ موته ، واشتغل هذا قليلاً وصار أنْبه مِن أخيه مع بأو زائدٍ فيهما ، ليس له سبب الاّ دناءة أصل جدّهما [سويد] والـد بدر الدين ، وكان بدر الدين فى غاية الاتضاع ، لكنه حصَل له مال طائل ، فصار إلى ولديه ، فعظمت أنفسهما وانتسبا إلى كنانة ، فقال له بعض المصريينّ : لعلّ أصلهما من منية [١] كنانة بالقليوبية ، فإن أكثر أهلها نصارى ، وكان القائل يعتمد على قول الشيخ شمس الدين الغمارى [٢] أنه رآى سويداً وهو بالعمامة الزرقاء يبيع الفراريج فى القفص على رأسه ، والعِلم عند الله .

ورأس وجيه الدين بعْد أبيه ، وصار بمصر المشارَ إليه ، ولازم يشبك [٣] الأعرج الأميرَ الكبير فى دولة الأشرف ، فكان يتقوّى به فى أموره ، ثم لازم جوهراً الخزندار الأشرفى، فعَظُم أمرُه وتقوّى به فى أمور كثيرة .

وكان ابتداء ضعفه فى ربيع الأول ، فانتقل من مرض إلى مرض إلى أنْ غلب عليه الزَحير [٤] ثم حَبْسُ الإراقة ، فلما قوى الأمر اشتدّ به ، ثم انحلّت قواه إلى أن مات فى ليلة السادس من شعبان ، وصُلّى عليه بجامع عمرو ، وتقدَّم فى الصّلاة عليه القاضى المالكى .

وفى ساعة دَفنه حضر مَن خَتَم على حواصله بمنزله وغيره من جهة السّلطان ، لأنّ بعض أتباع الخزندار رافَع فيه على ما قيل ، ثم أطلق وَلَده ، وفُكَّ الختم عن منزله صبيحة ذلك اليوم [٥] .

---

(١) عرف بها القاموس الجغرافى ، ق٢ ، ج١ ، ص٤٨ فقال إن هذا هو الإسم القديم لها وهى منسوبة إلى قبيلة كنانة العربية التى نزلت بها ثم حرف اسمها إلى ميت كنانة وهى بمركز طوخ من اعمال محافظة القليوبية .

(٢) فى الضوء اللامع ٤/٢١٤ ، ص٧٤ ، س٢ « شمس الدين المراغى » .

(٣) راجع ابن حجر : إنباء الغمر ٣/٤١٧ ، ترجمة رقم ٢١ .

(٤) الزحير ـ كما عرفه البستانى فى مجمعه الوافى ـ هو التنفس بانين وشدة واضطراب .

(٥) جاءت بعد هذا فى « ز » الترجمة التالية : « على بن عمر بن الحسن بن الحسين بن على بن صالح ، قال الشيخ رضوان إنه سمع على الشريف النسابة الموطا رواية يحيى بن يحيى على (بفتح اللام الممدودة) ابن المجد مسند الشافعى وانه سمع الستة والسيرتين لابن هشام وابن سيد الناس وانه كتب كثيرا من امال العراقى ، وكان حسن السمت جيد الخط ، وادعى باخره انه شريف بسبب منام رآه لا دليل فيه على ما ادعاه ، واخذ تدريس الصلاحية من شمس الدين اخى جمال الدين الأستادار لما نكب اخوه انتزعها منه بواسطة بعض الأمراء وجبن العلماء اذ ذاك خشية أن يعود جمال الدين هذا وقد علق البقاعى فى هامش هـ بقوله : « الصواب انه على بن عمر بن حسن بن حسين بن حسن بن على بن صالح كذا املى على نسبه وكتبه لى » ويلاحظ أن البقاعى ترجم له فى عنوان الزمان برقم ٣٤٨ فحذف من اسمه « بن حسن » فى جدّ جدّه وقد حذفنا هذه الترجمة من المتن لأنها هى التى سترد بعدها .

١٢ - على بن الحسن بن على بن حسن بن حسين بن صالح ، الشيخ نور الدين التلوانى ، مات فى آخر يوم الخميس[١] ثالث عشرين من ذى القعدة ، وبيده يومئذ تدريس الصّلاحية بجوار قبّة الشافعى ، ومشيخة الربّاط بالبيبرسيّة[٢] وكان أهله من بلاد المغرب ، وسكن جَرَوان[٣] من قرى المنوفيّة ، فولد له هذا بعد سنة ستينّ وسبعمائة فنشأ بها ، ثم انتقل إلى تِلْوانة[٤] فعرف بالنسبة إليها ، وقدم القاهرة فى طلب العلم ولازم البُلقينى حتى أذن له بالتدريس والفتوى وتصدّى لذلك قديماً فى حياة مشايخه فأخذ عنه جماعة .

اشتغل قديماً ومارس العربية ، وكان جهورى الصوت ، مشهور الصِّيت ، قليل التحقيق ، كثير الدّعوى ، حسن البشر ، صحيح البنية قويّاً ، دَيّناً خيراً مُكْرِماً للطلبة بحيث كان الفيوّمى يسميه وزير الطلبة ، وقد سمع الكثير من شيوخنا كابن أبى المجد والشاّمى وأنظارهما ، وحدّث وأسمع البخارى مدة بالجامع الأزهر ، ودرّس بعدّة أماكن . [مات وقد] ناهز الثمانين أو جاوزها .

١٣ - على المالكى ، الشيخ نور الدين التفهنى ، كان حسن السمت ، سليم الفطرة ، خطب بالجامع الأزهر مدةً نيابةً عنّى واغتبطوا به . مات فى سادس عشر من ذى الحجة .

---

(١) هكذا فى ز ، لكنه « الاثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة ، وقد صححها البقاعى فى هامش هـ فقال : « إنما مات يوم الثلاثاء سادس عشرين وكنت كتبت « الاثنين » ثم ضربت عليه وكتبت الثلاثاء وصححت عليه . والله اعلم » .

(٢) عبارة « وكان أهله من بلاد المغرب حتى « ومارس العربية س٧ غير واردة فى نسخة هـ .

(٣) الضبط من القاموس الجغرافى ، ق٢ ، ج٢ ، ص٢١٦ حيث ذكر انها من القرى المصرية القديمة من اعمال المنوفية .

(٤) وردت بعد هذا الترجمة التالية فى نسخة ز بخط الصيرفى ولم ترد فى الاصول وإن كان السخاوى قد ترجم له فى الضوء اللامع ٥/٨٦٩ ولم يشر إلى ان ابن حجر ترجم له : « على بن عثمان بن عمر بن صالح ، العلاء علاء الدين الصيرفى الدمشقى . اهمله المؤلف . ولد سنة ٧٧٨ ، وسمع واشتغل ومهر ، ودرس وفاق الأقران ، وناب فى الحكم ومات فى يوم الأثنين حادى عشرين رمضان بدمشق ، وصلى عليه فى مصلى العيد لضيق الجامع الاموى عمن حضر للصلاة عليه وكان عديل المصنف فإنه زوج اخت زوجته ، وكان يكثر النوادر والملاعبات ، ولما مات اوصى ان يفرق ثلث ماله نصفا نصفا فامتنع المؤلف من تنفيذها كذلك ، وفرقها دينارا . وكان من ملازمى الولى العراقى » .

ثم جاء بعد ذلك فى هامش هـ بخط البقاعى : « عمر بن حاتم ، الشيخ الصالح المجدد ، مات فى سنة أربع واربعين هذه فى بدر راجعاً من مكة المشرفة عن نحو سبعين سنة فيما اظن . حدثنى عنه بعض الطلبة انه حدث أنه كان لصا فى بلاده « عجلون » وما قاربها ، وانه وقع بعد ذلك فى قلبه الخير فقصد الشيخ عمر المجرد بالخليل فأتى زاويتـه وهو على هيئته ، وعلى راسه زموط طويل على هيئة رجال اهل تلك البلاد ، ومعه سيف وترس ، فقلت : اين الشيخ عمر ؟ بصوت عال . فقالوا لى ضع سلاحك ، فقلت : الرجل لا يضع عزه . فقال الشيخ عمر : دعوه ، هذا ياتى منه الخير . وقال « ما تريد ؟ فقلت » « خلوة » فاعطانى خلوة فحلفت لا اغسل ثيابى ولا احلق راسى ولا اغتسل إلا من جنابة حتى احفظ=

١٤ ـ قاسم البشتكى ، مات فى [1] أول شهر رجب بأرض يُبْنَى من عمل غزة ، وكان له فيها أرض خراجية فأقام بها ، وكانت له وجاهة ، وتزوّج بنت الملك الأشرف شعبان قديما ، ورأس وكان يحبّ أهْلَ العلم ويقرّبهم ، واشتغل ، ثم حصلت له حظوة فى دولة الملك المؤيد ، وولى نظر الجوالى فباشرها بحرمة وشهامة ، ثم حطّ عليه كاتب السّر ناصر الدين ابن البارزى ، وكانت عنده وسوسة وخفّة ، ثم غضب عليه المؤيّد وضربه ، ثم من بعده تنقلّت به الأحوال ، ولم يَحْظَ فى دولة الأشرف بطائل ، وركبه الدَّيْن فتوجّه إلى أرْضه المذكورة ، ورافقنا فى السفر إلى حلب ، ثم إلى ألبيرة ، ثم رجع معنا إلى حلب بإذن من الأشرف ، وذلك آخر عهدى به إلى أن مات غريباً وقد جاوز السّتين .

= القرآن » ، فحفظه فى مدة يسيرة ، فقال : « ثم رجعت إلى عجلون فقدم علينا الشيخ شهاب الدين بن عباس فقرات عليه القرآن اخماسا تجويدا ، وكان أزهد واحد فى عجلون شيئا ، قال ثم خطر لى ان ازور قبور الصالحين ببغداد فقصدتها . فلما وصلت إلى كلز فى بلاد حلب مرضت فاقمت بها مدة ثم تزوجت بها ، وكان بها كبير يظلم الناس فكنت آخذ على يده . وطال ذلك منى ومنه ، فاراد قتلى ، فسهرت ليلة فى مسجد بها خراب ادعو عليه ، فكنت اتوسل بالنساء الصحابيات ازواج النبى صلى الله عليهن وبناته وغيرهن ، وكنت انشد :

لئــــن كان اصحـــاب اللمـــا يجـرننى خطبــت النســـا من صاحبـــــات البراقــــــع

او نحو هذا قال : « ولم ازل كذلك حتى رايت جدار المسجد القبلى قد انشق ودخل منه فارس مقنع بالحديد ونوديت : هذا المقداد بن الأسود أتى لينصرك ، فاصبح ذلك الرجل قتيلا » .

وحكى لى بعض الطلبة عنه اجوبة حسنة وكلاما جزلا ، وانه كان يخبر ببعض المغيبات فتقع كما قال . وكان يستند هو إلى منامات يراها ، وكان من اعلم الناس بالتعبير . من ذلك انه قال إن عبدالباسط يؤخذ فى هذه الجمعة فيصاب فى جاهه وماله ويسلم بدنه ، فقلت له انا والعلامة شمس الدين القاياتى : من اين لك هذا ؟ فقال : ما شانه قد احترق فصار جمرة ، ثم انطفا فصار فحمة ، « فاولت النور بجاهه وماله ، والفحمة بجسده لم يصر رمادا ، فكان فى تلك الجمعة ان قبض عليّه وصودر ونفى . قال : وساله القاياتى عن إينال الجكمى فقال : « انتصر ، فقدم راسه عن قريب قال : فقلت له ما الذى صار إذا كان غير ما اقول ؟ المؤمن إذا كان صاحب حظ تغشى اخطاره قداسته ، وانا صاحب حظ تغشى فى هذا ، لانى ابغض جقمق لانه ذو طوية نجسة قال : « فلما خرج عليه قرقماس اخبرنى انه طلع فوق سطح ، فلم يزل يدعو للظاهر حتى انهزم قرقماس » وقال : فقلت له : فاين بغضك للظاهر ؟ فقال : موجود ولكن اعور خير من اعمى ، لو ولى قرقماس لم تُطِقْه الناس » .

قال : وسالته عن الشيخ ابى بكر بن ابى الوفا ، فقال : « رجل يقوم بحقوق العباد » فقلت : فالشيخ عبدالملك الموصلى ؟ « فقال : رجل منطق » . قلت : فابن رسلان ؟ فقال : عابد خائف » .

وكان يقول : انا لا اخشى على الشيخ محمد الحنفى ومحمد بن سلطان وابى الفتح بن وفا سوء الخلقة ، لان الانسان إذا لم يكن له حال مع الله واخبر ان له معه حالا خيف عليه ، ذلك لقوله تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) الآية . وحدثنى عنه باشياء كلها حسنة .

قال : وكان كثير التلاوة والعبادة . رحمه الله ونفعنا به امين .

(١) الوارد فى الضوء اللامع ٦ / ٦٤٨ انه مات يوم السبت ثامن رجب ٨٤٤ هـ . اما فيما يتعلق بيبنى ، فانظر ما اورده عنها ياقوت ، وما نقله عنه ابن عبدالحق فى مراصد الاطلاع ، والإصطخرى وراجع ايضا .. Le Strange : Palestine Under The Moslems P.553 .

١٥ - قجق [١] الجركسى ، نائب القلعة ، وكان من الخيار ، مات مبطونا فى يوم السبت سلخ جمادى الآخرة ، واستقرَّ بعده صاحبنا تَغْرى بَرْمُش الفقيه المحّدث الفاضل .

١٦ - محمد بن إبراهيم بن عبدالرحيم الحريرى ، صلاح الدين المشهور بابن مطيع ، مولده [٢] سنة ٧٦٢ ، ومات [٣] فى ليلة السبت بعد أذان المغرب ثانى عشر ربيع الآخر ، فأكمل الثمانين وزاد عليها وكان أبوه حريريا فمات وهو صغير فتزوج شهاب الدين بنُ مطيع أمَّه فنُسِبَ [ابنها محمد] إليه واشتهر به [٤] وترك صناعية أبيه [٥] بعد أن كان أتْقَنها ، وتنزَّل فى المدارس ، ولازم حلقات أهل العلم ، وسمع من صلاح الدين البلبيسى ، ونجم الدين بن رزين ، وابن حديدة ، وابن الشيخة ، وابن الملقّن ، والسويدائى ، وسمع معنا من بعض شيوخنا ، وكان يذكر أنه سمع من [٦] الزيتاوى ببيت المقدس ، ولم يكن له ثَبْت بذلك ، ولا وُجِد اسمُه فى الطّابق التى فيها أسماء مَن أخذ عن الزيْتَاوى ، وكان لطيف العشرة وهو أحد الصوفية بخانقاه السلطان صلاح الدين المعروفة بسعيد السّعداء ، وقد أصابه [٧] فالج من نحو خمس سنين أو أكثر ، ودام به نحو العام ثم عوفى منه ، ثم تعاودته الأمراض إلى أن مات بإسهال أصابه فى آخر عِلّته .

١٧ - محمد [٨] بن أبى بكر بن أيْدُغْدِى بن عبدالله ، الإمام شمس الدين بن الإمام سيف

---

(١) جاء فى الضوء اللامع ج ٦ ، ص ٢١٢ ، س ٢٣ « قجق نائب القلعة . هكذا بخطى (أى بخط السخاوى ، فى تاريخ شيخنا (يعنى إنباء الغمر لابن حجر) ، وصوابه : « ممجق » ثم ترجم له فى نفس المرجع ج ١٠ ص ١٧٠ ، رقم ٧١٢ فقال « ممجق » بميمين أولاهما مفتوحة ثم جيم مكسورة النوروزى ، نسبة إلى نوروز الحافظى ، تنقلت به الأحوال إلى أن عمله الظاهر جقمق أمير عشرة ، ثم ولاه نيابة القلعة ، ودام حتى مات فى سلخ جمادى الثانية أو مستهل رجب سنة أربع وأربعين ، وكان خيرا دينا ساكتا استقر بعده فى النيابة تغرى برمش الفقيه ، وتسميته فجق « سهو » هذا وقد سماه أبو المحاسن . فى المنهل الصافى بممجق بكسر الجيم . انظر . Wiet : Les Biographies du Manhal Safi, No 2533 .

(٢) جاء بعدها فى هامش هـ بخط البقاعى : « فى نصف ليلة الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول » . وجاء فى الضوء اللامع . ج ٦ ، ص ٢٥٥ ، س ٥ « مات ليلة السبت ثانى عشر ربيع الآخر » ، كما ذكر أنه كان زوجا لأخت زوجة ابن حجر ، دون أن يسمى هذه الأخت والزوجة .

(٣) فى هامش هـ كتب البقاعى التعليق التالى : « إنما مات فى يوم الجمعة حادى عشر شهر ربيع الأول ، فعاش اثنتين وثمانين سنة لا تزيد ولا تنقص . » .

(٤) أى بابن مطيع .

(٥) وهو إبراهيم بن عبدالرحيم الحريرى .

(٦) فى ز « الزنباوى » .

(٧) كانت إصابته بالفالج نتيجة أنه فقد شيئا من ماله . راجع الضوء اللامع ٦ / ٨٨٣ .

(٨) خلت نسخة هـ من هذه الترجمة .

الدين الشمسى المصرى الشهير بابن الجندى الحنفى ، وُلد [تقريبا (١) سنة خمس وستين وسبعمائة] وحفظ القرآن وسمع على النجم بن رزين صحيح البخارى بتمامه ، وكذا المجلس الأوّل على الزين العراقى ، وعلى الصلاح البلبيسى صحيح مسلم ، وعلى الحلّاوى السّنن لابن ماجة ، وحضر مجلس الختم للجوهرى ، وعلَى السويداوى الشمائل للترمذى ، وعلَى الشمس الحريرى - إمام الصرغتمشية - السُّنن الصُّغرى للنّسائى ، والموطأ برواية محمد بن الحسن ، والآثار له ، وعلى التقىّ بن حاتم الشفا بفوت ، والشرف بن الكويك مسندَ أبى حنيفة للحارثى وغير ذلك .

واشتغل ودأب إلى أن فاق على أقرانه ، وصار من أنجب أبناء زمانه ، وتفقّه على جماعةٍ من علماء عصره ، وتصدّى للإقراء والإفادة ، وأخذ عنه الشيخ شرف الدين السبكى علم العربية وجماعة من الفضلاء ، وحدّث باليسير . وكان رجلًا خيرا متعففًا ، وحصَل فى سمعه ثُقْل ، وقرّره الأشرف بَرْسْبَاى خازن الكتب بمدرسته (٢) التى أنشأها بالمصنع بالقرب من قلعة الجبل . ومات يوم الخميس أوّل المحرّم .

١٨ - محمد بن أحمد بن محمد بن التَّنَسى القاضى شمس الدين بن قاضى القضاة ناصر الدين ، مولدهُ سنةَ سبع وسبعين أو سنة ثمان ، ونشأ فى حِجْر السعادة (٣) ، واشتغل وتقدّم وكان لطيفَ المزاج مع شراسة خلق ، وناب فى الحكْم مدةً طويلة ، وحَكم فى بعض المجالس مدّة ، وكان قد أتلف ما خلّفه له أبوه وفسدت حاله ، ثم صلحت قليلاً ، وعُيِنَ لقضاء المالكّية بالشام فلم يتم ذلك ، ولما استقرّ أخوه فى القضاء استنابه ، فأظهر بعد قليل عدمَ القبول ، وتوجّه مع الرجبية إلى مكّة ، فأقام بها إلى أن قدم مع الحاج فى أوّل السنة ، وقد أصابة ذرب فطالَ به إلى أن مات فى يوم السبت ١٢ ربيع الآخر ، وكان الجمع فى جنازته متوفّرا .

١٩ - محمد بن عمار بن محمد بن أحمد المالكى ، الشيخ الإمام العالم العلّامة شمس الدين ،

---

(١) الإضافة من الضوء اللامع ٧ / ٢٩٣ .

(٢) يستفاد من رواية السخاوى فى الضوء اللامع ج ٧ ، ص ١٥٨ ، س ١٤ - ١٦ ، أن المدرسة التى كانت بالمصنع كانت مدرسة جوهر اللالا الذى عين صاحب الترجمة شيخا بها وكان حفيا به ، يتجلى ذلك من مضاعفته معلومه له مرارا .
أما مدرسة الأشرف برسباى فقد قرره الأشرف ذاته خازنا للكتب بها .

(٣) ورد فى هامش هـ بخط الناسخ كلمة « ابيه » بدلا من السعادة والأصح ما جاء بالمتن اذ الوارد فى الضوء ج ٧ / ١٨٣ انه نشا يتيما .

وُلد فى حدود الستين [١] ، واشتغل قديما ، ولقى المشايخ وسمع من كثير من شيوخنا ، وقرأ بنفسه ولم يُكْثِر ، وسمع معى بالقاهرة والإسكندرية ، وكان صاحب فنون ، وقد جمع مجاميع كثيرة ، وشرح العمدة ، وكتب على التّسهيل ، واختصر كثيراً من الكتب المطوّلة ، وسكن مصر بجوار جامع عمرو بن العاص مُدَّة ، وانتفع به المصريون ، وسكن بتربة الشيخ عبد [٢] الله الجبرتى بالقرافة مدة .

وكان حسن المحاضرة محبًّا فى الصالحين ، حسن المعتقد ، وكان لمّا ولى تدريس المسلمية بمصر فى سنة ثلاث وثمانمائة ـ بعد موت شمس الدين بن مكين ـ نوزع فيه بأن شرط الواقف أن يكون المدرّس فى حدود الأربعين فأثبت محضراً بأن سِنَّه إذ ذاك خمس وأربعون سنة . فعلى هذا يكون مولده سنة ٧٥٨ ، ومات ليلة السبت الرابع عشر من ذى الحجة فيكون أكمل ستاً وثمانين سنة ، وقد عرض له عرق جذام ، ثم استحكم به ، واشتدَّ قربَ وفاته .

•••

••

(١) أشار الضوء اللامع ٨ / ٦٢٩ إلى أنه « ولد ـ كما رأى بخطه ـ ساعة أذان عصر يوم السبت العشرين من جمادى الثانية سنة ثمان وستين وسبعمائة » ، وجاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « كتب لى مولده سنة ثمان وستين وسبعمائة » .

(٢) هكذا أيضا فى الضوء اللامع ، نفس الجزء والترجمة ، ولكن الوارد فى شذرات الذهب ٧ / ٢٥٤ « أبى عبدالله » .

سنة خمس وأربعين وثمانمائة

أولها يوم الاثنين (١)

فى الرابع (٢) من بَئُونَة من أشهر القبط زاد النيل بخلاف ما جرت به العادة بحيث كانت الزّيادة للآن بعد ما تناهى النقص أكثر من ذراعَينْ وانقطع جسر بحر أبى المنجا ، واهتم السلطان بأمره وبأمْر بقية الجسور ، واستمرّت الزيادة فى النّيل إلى الثامن منه فغرق كثير من الأبنية التى فى الجزائر ، وحصل لأصحابها جوائح .

وفى الثالث منه وُلد ولدُ للأمير الكبير (٣) من بنت الملك الظاهر طَطَر ، ولم يولد له ولدٌ قبله ، فَسُرَّ به وأفرط هو وأهله فيما صنعوا من الوليمة لأجْله ، فلم ينشب أن مات يوم السادس عشر من الشهر ، فاشتدّ أسفهم وحزنهم ، لكنّه تجلد ، وكان السلطانُ ـ لما بلغه سرورُهم به ـ أعطاهُ إمْرَةً ، وأرسل إليْه خيلا ورقيقا .

•••

وفى (٤) الخامس عشر منه قدم ثلاثة من دمشق وهم : عبدالرحمن بن قريج الطحّان وابن (٥) ناظر الصاحبية ، وعلى بن اسماعيل بن بردس ، وكان السلطانُ طلبهم (٦) من دمشق

---

(١) يطابق هذا ما ورد فى جدول سنة ٨٤٥ بالتوفيقات الإلهامية ، ويعادله ٢٧ بشنس سنة ١١٥٧ ق ، و٢٢ مايو ١٤٤١ م .

(٢) وهو الثامن من شهر المحرم . هذا وقد وردت الإشارة فى التوفيقات الإلهامية إلى أن الزيادة كانت مفرطة وانها انتهت إلى عشرين إصبعا من عشرين ذراعا بدون أوان . واستمرت متتابعة إلى ان وفى » وهذا وقد كان الوفاء يوم ٦ مسرى سنة ١١٥٧ القبطية أى الحادى عشر من ربيع الأول .

(٣) المقصود بذلك يشبك الفقيه .

(٤) أمام هذا فى هامش هـ بخط مخالف لخطى البقاعى والناسخ : « قدوم المشايخ الشاميين المسندين » .

(٥) فى هامش هـ بخط البقاعى : « هو الجمال يوسف بن عبدالرحمن بن ناظر الصاحبية » .

(٦) أما هؤلاء الشيوخ الثلاثة فكلهم حنابلة وهم ابن قريج المعروف بابن الطحان وهو عبد الرحمن بن يوسف بن احمد بن سليمان الدمشقى الصالحى . ولد بدمشق سنة ٧٦٨ ، وسمع على الكثيرين حتى لقد قيل إنه سمع على ابن اميلة ثم اسمع بالقاهرة التى مات فيها هذه السنة ، انظر فيما بعد ص ١٩٢ ترجمة رقم ٩ وراجع عنه الضوء اللامع ٤١٦/٤ .

وأما ابن ناظر الصاحبية فهو يوسف بن عبد الرحمن بن حمد بن اسماعيل الصالحى الدمشقى ويعرف بابن ناظر الصاحبية ، ولد سنة ٧٨١ وتاخرت وفاته ودوفن بقاسيون وكان قد سمع على ابيه والمرداوى محمد بن احمد بن عبد الحميد وعلى عمر بن محمد بن أحمد بن عبد الهادى وفاطمة بنت عبد الهادى واختها عائشة . انظر فى ذلك الضوء اللامع ١٢٠٥/١٠ ، وأما على بن إسماعيل بن محمد بن بردس فقد ولد سنة ٧٦٢ ببعلبك ، وسمع من جماعة من أصحاب الفخر كابن أميلة والصلاح بن أبى عمر ، وحدث ببعلبك ودمشق واستقدموه إلى القاهرة فى هذه السنة فحدث بها أيضا ومات سنة ٨٤٦ ، انظر فيما بعد وفيات سنة ٨٤٦ ، برقم ٩ ، ص ٢٠٥ ، وكذا الضوء اللامع ٦٦٢/٥ وعنوان الزمان للبقاعى برقم ٣٣٧ .

بعناية [١] تَغْرِى بَرْمُش نائب القلعة ، لأنهم كانوا انفردوا برواية المسند الحنبلى بالسّماع العالى من أصحاب الفخر ، وعند بعضهم سنن أبى داود والترمذى ومشيخة الفخر ، فجُهزّوا وأخْرجوا فى ثالث عشرى ذى الحجة ، ووصلوا فى تاريخه ، فأنزلهم نائب القلعة عنده ، وقرىء عليهم عنده فى برج القلعة ، ثم قرىء عليهم ، بالبيبرسيّة ، وعند سيدى محمد ولد السلطان بالغور داخل القلعة أيضاً ، وهرع الناس إلى السماع عليهم .

•••

وفى السادس عشر ظُفِر بجماعة من الفرنج من ناحية رشيد ، وأحْضِروا إلى القاهرة

•••

شهر صفر

فى الثامن منه عُقد مجلس بسبب مدرسة ابن سويد [٢] التى أنشأها بمصر بالقرب من حّمام أمير جندار ، بظهر فندق الكارم الصغير ، وكان وقَفَها مسجداً ، وجَعَل فيها مدرّساً فعمد ولده عبدالرحمن إلى المدرّس فأبطله ، وادّعى أن أباه أسند إليه النظر ، وأنّه اقتضى رأيه أن يجعل فيها خطبة ، فاستُؤْذِن الملك الأشرف فى إقامة الخطبة فأذن ، واتّصل ذلك بالقاضى الحنفى ـ وهو يومئذ بدرالدين العينى ـ فأثبت الإذن وحكم بموجبه ، فأقيمتْ بها خطبة ، واتَّخَذَ بها منبراً فوضعه بجانب المحراب ، ودكَّة [٣] للمؤذنين ، واستمر الحال إلى هذه الغاية .

---

(١) امامها فى هامش هـ بخط البقاعى : فارسل إلى كل منهم مائة دينار ، وكان قد حسن لهم تغرى برمش ان يتمنع عليهم ولده وغيره من الناس » .

(٢) هو البدر حسن بن سويد المصرى المالكى ، وكان اصله من سوق شنودة ، وإن قيل إنهم من منية كنانة بالقليوبية ، وقد تسلسل من اسرة قبطية ، وكان ابوه يبيع الفراريج وعلى راسه العمامة الزرقاء والقفص على حد قول السخاوى فى الضوء اللامع ٣٩٩/٣ ، عرف ذلك نقلا عن بعض ثقات المصريين عن الشيخ شمس الدين المراغى . وعلى كل حال فقد لازم البدر الاشتغال واثرى من التجارة ، وتاجر مع اليمن سنة ٨٠٠ . اما المدرسة المذكورة فى المتن فقد اشار اليها السخاوى وذكر انه بناها مقابل حمام جندر ، لكنه « مات قبل إكمالها .. فصيرها بنوه بعده جامعا ، وابطلوا ما كان صيرها إليه من كونها مدرسة وابطلوا التدريس الذى كان بها ، وحصل فى ذلك خبط كبير » وكان موته سنة ٨٢٩ واما ابنه عبدالرحمن فكان احد نواب المالكى وكان ابوه شديد الحب والإيثار له على اخيه محمد فاخذه معه إلى اليمن سنة ٨٠٠ وقد انكر الابنان : عبدالرحمن ومحمد اهلهما وانتسبا إلى كنانة ، ولازم عبدالرحمن الامير يشبك الأعرج اتابك الدولة الاشرفية برسباى ، كما اتصل بجوهر الخزندار « فتقوى به فى امور كثيرة » وكان موته سنة ٨٤٤ ، راجع ص ١٧٠ ترجمة رقم ١١ ، اما محمد الذى ستردالاشارة إليها فيما بعد فقد مات سنة ٣٧ . انظر الضوء اللامع ٣٩٩/٣ ، ٢١٤/٤ ، ٥٥٥/٥ .

(٣) الدكة مكان مرتفع يصنع من الخشب عادة ويخصص للمؤذن وكذلك لقارىء السورة يوم الجمعة .

فلما مَرِضَ مرَضَ موته أسند النظر لولده ، فنازعه الآن أخوه محمد ، وادّعى أن أباه شَرَط النظر لأولاده بعده ، فأحْضِرَ كتابُ الوقف فوُجد فيه أنّه شَرَطَ النّظر لنفسه ، ومِن بعده لولده محمد فعبد الرحمن ، ومِن بعدهما لأولادهما ، وأولادِ أولادهما إلى آخره ، وجعل لنفسه أنْ يوصيَ بذلك مس شاء بعد موْته ، فأثبت عبدالرحمن فصلاً فى هامش كتاب الوقف يتضمن أنّه أسند إليه النّظر ، وفيه ملحق من سطرْين ، وجعل له أن يُسند لمن شاء ، وأوصل الفصل بالقاضى بدرالدّين العينى ضمن كتاب الوقف ، فأشهد عليه أنه ثَبت عنده مضمون كتاب الوقف ، ومضمون ما بهامشه من الفصول ، وحَكَمَ بصحّة الوقف . هذا الذى تضمّنه تسجيله ، فروجع فى ذلك فذكر أنّه لم يحكم إلاّ بصحة الوقف خاصّة دون ما تضمّنه فَصْلُ الإسناد .

ووقع البحث فى أنّ الإسناد يساوى الوصيّة أو يزيد عليها ، ثمّ ذَكر شهودُ الفصل أنهم لم يتحملوا الشهادة بالملحق ، ولا أدّوها عند الحاكم ، ووافقهم الحاكم على ذلك مع قوله إنّ حكمه لم يلاقِ الفصل المذكور أصلاّ ، وكانت الدعوى عند كاتبه فاتّجه له أنّ الإسناد المذكور من الواقف لعبد الرحمن ، وإنْ قُلْنَا بصحّته بناءً على أنّ المراد به الوصيّة إليه على وقف ما جعله لنفسه ، لكنّ قوله أنه جَعل لعبد الرحمن أن يسند لمْ يدخل فى الجعل المذكور ، وعلى تقدير دخوله فلم يتصل بحاكم ولا حكم به ، فلّما اتّصل به ذلك قامَتْ عنده البينّة العادلة بأن الواقف المذكور وقف مكانه المذكور مدرسة ، وعين لها مدرسا سماه ، وأن ولده هو الذى خالف شرطه ، وأبْدل المدرس بالخطبة ، فسُئِل الحكم بما ثبت عنده من ذلك ، فحكم بتبطيل الخطبة من المكان المذكور ، وتقرير المدرّس على وفق شرط الواقف ، وأكّدَ ذلك أن الحاكم الذى اتصل به الوقف وحكم به ذكر أنه حكم بصحّة إقامة الخطبة بناءً على أنّ الواقف هو الذى شرط ذلك ، فلما وضح له أنه شرَط غير ذلك لم يتناول الحكم ، وصرّح برجوعه عنه ، فأزيل المنبر ، وبطلت الخطبة يوم الجمعة عاشره .

فلمّا كان فى الرابع والعشرين من صفر أعيدت الخطبة بعد أن عُقِد مجلس قَبْل ذلك بيوم ، وأظهروا حكماً سابقاً حكم به العينى بإقامة الخطبة بها ، فادّعوا أنّه سابق على حكم الشافعى بالإبطال ، وأن الحكم السابق يرفع الخلاف ، فنازعهم الشافعى فى ذلك ، فأمر السلطان ابتداء بإقامة الخطبة بها ، فأرسل الشافعى إلى الخزانة التى وضع فيها لمّا أزيل ففك ختمه عنها ، فأعادوا المِنبر وصلّوا بها .

قرأت فى مجموع لطيف بخطّ بعض أصحابنا : « فى يوم الاثنين تاسع شهر ربيع الآخر سنة ٤٥ ورد من النائب بثغر دمياط ثلاثة نفر من المسلمين بأنهم كانوا فى مركب بالبحر فخرج عليهم الفرنج فقاتلوهم فأجْلوهم وقتلوا من قتلوا وأسروا الثلاثة ، وأن النائب اشتراهم بمائة وستين ديناراً ، وقال لهم : لِمَ أسلمْتُم أنفسكم ؟ ولِم لَم تقاتلوا حتى تقتلوا ؟ » ، ثم أسلمهم لوالى الشرطة وقال : « خَلِّصْ منهم القدر الذى وزنّاه عنهم » فردّه إليه ، وقال « ما سمع بأعجب من هذا الحكم فى هذا اليوم »

•••

شهر ربيع الأول

أوله يوم الخميس [(١)] بالرؤية .

وفى يوم الجمعة الثانى من الشهر كُسِرَ الخليج بمصر ، وباشر التخليق سيدى محمدُ بنُ السلطان ، ومعه الحاجب الكبير وجماعة ، وذلك فى السابع والعشرين من أبيب ، ولم يُعْهَد نظير ذلك فيما مضى ، ونودى بالوفاء ، وزيادة إصبعين . وكانت العادة المستمرة أنّ النيل إذا احترق كانت علامة لبلوغه الغاية تلك السنة ، وبالعكس فإنه لم يحترق فى هذه السنة ، بل كان قارب الوفاء قبل دخول بئونة ، فلما دخل بئونة تناقص ، وعند استحقاقه النداء عليه كان بلغ زيادة على عشرة أذرع ، وزاد مترسلا ، فأكمل الستة فى أحد وثلاثين يوما ، وأسرع ما أدركناه أنه أوفى فى التاسع والعشرين من أبيب واستغرب الشيوخ ذلك ، والأمور كلها بيد الله يفعل ما يشاء .

•••

وفى يوم السبت ثالثه استقر فى الحسبة الشيخ على الخراسانى [(٢)] بالقاهرة مضافة لمصر ، وصُرِف بدرالدين العينى ، فكانت مدة تكلمه فى الحسبة فى هذه الولاية دون السنة ، لأنه استقر فى ربيع الآخر سابع يوم فنقصت السنة شهراً وعشرة أيام .

---

(١) يطابق هذا التاريخ ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٣ ويعادله ٢٦ أبيب ١١٥٦ ق ، و٢٠ يوليو ١٤٤١ م .

(٢) سماه أبو المحاسن : شرحه ٧/١١٩ « يار على بن نصرالله الخراسانى ، وهو « يار على المحتسب » كما يعرف بالشيخ على الطويل ، وأشار إلى أنه ولد فى خراسان فى حدود سنة ٧٨٠ ونشأ بها ثم خرج سائحا على طريقة فقراء العجم المتكدين ، ثم قدم القاهرة ماشيا وبيده عكاز ، ثم نزل فى صوفية خاقاه سرياقوس . ويستفاد من ترجمته فى الضوء انه جاء فى ولايته الحسبة بمظالم « صار عليه وزرها ووزر من تبعه عليها إلى يوم القيامة » كما أنه كان كثير الخدمة للأكابر والتعاظم على الفقراء والسوقة ، وكانت وفاته سنة ٨٦٢ .

وانتهت الزيادة فى النيل إلى تغليق العشرين ذراعاً ، وهبط فى أواخر توت بسرعة ، وبادروا إلى الزرع ، وهبت ريح باردة نحو أسبوع ، ثم عاد مزاج فصل الخريف على العادة ، ولبس السلطان الصوف قبل العادة القديمة وذلك فى العشرين من بابه ، وصادف تلك الليلة أن أمطرت السماء وهبت الريح الباردة يومين ، ثم عاد الحر أثناء الليل .

•••

شهر جمادى الآخرة

أوله الثلاثاء .

فيه سافر على بن حسن بن عجلان بن رُمَيْثَة المكّى الحسنى أميراً على مكة ، عوضاً عن ابن [(١)] أخيه أبى البركات ، وصحبته يشبك الصوفى أحد الأمراء ، ليقيم بمكة عوضاً عن سُودون المحمدى ، وصحبته الأجناد على العادة ، وسافر معهم نُوَيْس قليل .

•••

وفى يوم الخميس تاسع شهر رجب استقر الأمير زين الدين عبدالرحمن [(٢)] بن القاضى علم الدين بن الكُوَيْز فى الأستادارية الكبرى ، وصرف طوغان ، ثم أفرج عنه سريعاً ، واستمر زين الدين يحيى قريب ابن أبى الفرج ناظر الديوان المفرد على حاله ، وأُلِزم بالتكفية .

وفى يوم الاثنين سابع عشرينه استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن على بن إينال فى إمرة الإسكندرية . وصرف أسنبغا الطيارى بحسب سؤاله ولم يسافر [الشهاب أحمد بن علىّ] حتى بلغه خروج الطيارى من الاسكندرية ، فتوجه فى أواخر شعبان ، وقدم الطيارى فى ثامن عشر شهر رمضان واستمر على إمرته بتقدمة ألف .

وحضر من الاسكندرية الرماة فى رجب ومعهم صفةُ قلعة من خشبٍ فقدموها للسلطان ، ورموا عليها بحضرته بقوس الرِّجْل ، فخرج منها صورة شخص بسيف وترس ،

---

(١) كذا فى الأصل وفى هـ عن أخيه أبى البركات والصواب « عن أخيه السيد بركات » . وانظر غاية المرام باخبار سلطنة البلد الحرام ، ج ٢ ص ٤٩٠ .

(٢) هو عبدالرحمن بن داود بن عبدالرحمن بن العلم الكركى الشوبكى الأصل ، المولود سنة ٨٠٥ ، وقد نشأ بزى الجند .

فرمى عليه عبد صغير فضرب رقبته بالسهم فأمر السلطان بأن يخلع عليهم ، وكتب لهم بجامكية ، وصرفهم إلى بلادهم .

وحضر برسباى [١] نائب طرابلس فتلقاه السلطان ونزل ببيتٍ لزوجته بجوار كاتب السر ، وكان قبل ذلك حاجبَ الحجاب بدمشق ، وقدم تقدمة للسلطان على مائتين وأربعين حمالاً .

•••

وفى هذه السنة كانت واقعة شهاب الدين القدسى [٢] ، وهو أحمد بن عبدالله بن محمد العسقلانى الأصل ، المقدسى ، اشتغل بالقدس كثيرا ، وكان فيه فرط ذكاء ، وتعانى الكلام على العادة فمهر فى ذلك ، واجتمع عليه خلق كثير ، ثم قدم القاهرة فكان يجتمع فى مجلسه جمع كثير خصوصا النساء ، فتعصب عليه قوم ، فمنعه القاضى المالكى من اجتماع النساء عنده ، وكان اتفق أنه حكى حكاية عن الإمام مالك فنسبه بعض أهل مذهبه إلى تنقيصه ، فمنعه المالكى من الكلام جملة ، وقد شفعوا فيه فأذن له ، ثم اتفق أنه توجه إلى الحج فجاور سنة أربع وأربعين ، وعقد المجلس للوعظ كعادته فأحبه العامة [٣] ، وحضر مجلسه بعض الخاصة ، والتف عليه جماعة من أهل اليمن ، فتعصب عليه القاضيان الشافعى والمالكى بكلام بلغهما عنه .

وقرأت كائنته بخط القاضى الحنفى ، وهذا ملخصها فقال فى حقه : « وهو من الفضلاء الأذكياء ، وانتفع به الناس واشتغل عليه الطلبة ، وكتب على الفتوى . ووعظ بالمسجد ، فاجتمع عليه العوام . وبعض الخواص ، واستمر فى العام الماضى ، ثم فى هذا العام إلى أن تحامل عليه بعض الفقهاء بمكة ، فعملوا عليه محضرا ونسبوه إلى أمور ، وشهد

---

(١) المقصود بذلك برسباى بن حمزة الناصرى فرج ، ثم انتمى لنوروز الحافظى حتى اصبح من امراء دمشق ، وقد امسكه المؤيد شيخ اثناء الفتنة بينه وبين نوروز الحافظى ، ثم اطلقه مع ابنائه بدمشق حتى إذا جاء السلطان برسباى ولاه حجوبية الحجاب بدمشق ثم نقله إلى نيابة طرابلس ، وكانت وفاته سنة ٨٥١ . وقد وصفته النجوم الزاهرة جـ١٥ ص٥٢٢ ، ٥٢٣ بانه كان « دينا خيرا » انظر ايضا الضوء اللامع ٣٢/٣ .

(٢) امام هذا فى هامش هـ بخط البقاعى : « إنما هو مشهور بأبى العباس القدسى » . ثم جاء تعليق آخر بغير خط البقاعى : « ابوالعباس القدسى». وقد عرفه السخاوى فى الضوء اللامع ج١ ، ص٣٦٣ بالشهاب ابى العباس ، وقد نشأ بالمجدل ، ومن ثم فإنه يسمى احيانا بالمجدلى المقدسى ، وتنقل فى كثير من البلاد كغزة والرملة ودمشق والقاهرة ، واكثر مترجموه من الثناء عليه والإشادة بذكائه المفرط ، وكانت وفاته سنة ٨٧٠ . ودفن بالقرافة الصغرى بتربة يشبك الدوبدار . انظر ايضا البقاعى : عنوان الزمان برقم ٢٦ .

(٣) علق البقاعى على هذا فى هامش هـ فقال : « هم معذورون فيه ، لانه حكى محنة الإمام فى ضربه رضى الله عنه على الكرسى على رؤوس الناس ، وما كل ما يعلم يقال ولاسيما للعامة . ومع ذلك فهو مشهور بانواع من الفسوق وبانحلال فى العقيدة . وبالجراة على المعضلات » .

عليه بها بعض ، وهو منكر لذلك ، ومُحصَّل ما أثبتوه عليه أشياء أتاها توجب التعزير وأعلاها الكفر ، وشهدوا عليه بأفعال قلبية كقولهم : قال كذا وقصده كذا ونحو ذلك مما لا يطْلع عليه إلا الله ، ثم أمر القاضى المالكى بحبسه فحبس ليلة الجمعة ويوم الجمعة إلى أن فاتته صلاة الجمعة ، فعقد له الشريف أبوالبركات مجلسا حضره سودون [1] المحمدى وجماعة ، وأحضر فبادر بأن قال : لى دعوى على القاضى المالكى ، فأخذه الشافعى وتَلّه بلحيته بحضور الجميع وقال له : يا شيخ نحس [2] ، وأمر بكشف رأسه وتعزيره ، وأشهد على نفسه أنه منعه من الجلوس على الكرسى بالمسجد الحرام ، وانفض المجلس على ذلك ، ولولا أن الشريف لطّف قضيته لكان الأمر أشد من ذلك ، ثم إنه جلس للتدريس على عادته ، فمنعه الشافعى من التدريس ومن الكتابة على الفتوى ، وحكم هو ونفذ المالكى وشهد الحاشية ، فحصل له بذلك مشقة زائدة ، وعزم على التوجه إلى القاهرة لإنهاء حاله إلى السطان » . قلت فاتفق قُدوم المذكور يوم الخميس ثانى عشري رمضان . وكان سبقه قاصد صاحب مكة على بن حسن ، فنقل عنه أن الشريف المخلوع تعصب له لكونه كان يذكر له أن عليا مقدم على أبى بكر ، وأنه لما قدم عَلِي بن حسن واليا على مكة اجتمع به فظن على أنه يروج عنده بذلك ، فجبهه وقال له : « أنا رجل سُنىّ وأبوالبركات زَيْدِى » وأنهى ما اتفق له إلى السلطان ، وأحضر المحضر الذى كتبه المالكى والشافعى فيه ، فتغيظ السلطان منه على ما بلغنى .

فلما كان يوم الجمعة استشار المذكور بعض خواص السلطان ، فأشار إليه أن لا يحدث أمراً ، لأن السلطان فى أول كل قضية يكون معمور الفكر لما يلقى إليه ابتداءً إلى أن ينجلى له الأمر بعد . فسكت على مضض .

●●●

---

(١) هناك ثلاثة فى هذه الفترة يعرف كل منهم بسودون المحمدى . أحدهم سودون المحمدى الظاهرى برقوق ، المعروف بتلى . اى المجنون ، وكانت وفاته سنة ٨١٨ قتلا ، وثانيهم مملوكه وعتيقه الذى صار راس نوبة الجمدارية ايام الأشرف ، ثم ارسله الظاهر جقمق إلى مكة ناظرا وشادا للعمائر ، وكان دينا خيرا عفيفا عن المنكرات . وعاقلا ساكنا ، لكنه قليل المعرفة مع استبداده برأى نفسه ، ولعله هو المقصود فى المتن ، واما الثالث فسودون المحمدى المنعوت بالخباز ، وكانت وفاته سنة ٨٥٣ . ولم يرد فى ترجمته ما يشير إلى وجوده بمكة فى اى وقت من الأوقات . انظر الضوء . اللامع ١٠٨٣/٣ ، برقمى ١٠٨٤ ، و١٠٨٥ .

(٢) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « العجب من هذا فإنه لم يكن شيخا اذ ذاك بل كان سنه دون الثلاثين » والرأى عندنا ان هذه العبارة قالها سخرية به .

شهر رمضان : أوله الأحد [١] وتراءوه ليلة السبت ، وكانت رؤيته ممكنة لكن كان الغيم مطبقاً ، ومضى أكثر النهار ولم يتحدث أحد برؤيته ، وتمادى الأمر على ذلك إلى العشر الثانى ، فشاع أن بعض أهل الضواحى صاموا يوم السبت ، ثم كثر الخبر عن أهل المحلة فكوتب حاكمها فأجاب بأنه شهد برؤيته شاهدان من العدول ، وآخران مستوران ، وتحدث برؤيته جماعة كثيرون ، وحكم به بعض نواب الحكم ، فلما تكامل ذلك اتصل ببعض نواب القاضى الحنبلى فحكم بتحريم صوم يوم الاثنين الذى هو بالعدد يكون الثلاثين من رمضان ، وبوجوب قضاء يوم السبت على قاعدتهم فى أن الهلال إذا رؤى ببلدٍ وجب على بقية البلاد صومه ، وقضاؤه على من كان أفطره ، وكانوا هم صاموا يوم السبت على قاعدتهم فى صوم اليوم الذى يلى الليلة التى يكون غيمها مطبقا ، ولولا ذلك لأمكنت رؤية الهلال .

فلما كانت ليلة الاثنين تراءى الناس الهلال فرآه جمع جم ، فكان العيد يوم الاثنين بغير شك ، فلم يمكن الحنابلة صيامه .

...

شهر ذو القعدة

أوله الاربعاء [٢] .

فى يوم السبت رابعه عقد مجلس بحضرة السلطان فادّعى تقى التاجر على برهان الديـن بن ظهير [٣] شاهد عثمان ولد السلطان أنه ظلمه فإنه كان اشترى حصة من مطبخ سكر ، لتقى [التاجر] فيها الأكثر ، فوقع بينهما منازعة بسبب ذلك وأشهد تقى على نفسه أنه مَلَّك ولد السلطان حصته من الجدر والنحاس الذى يطبخ فيه ، وكُتِب بينه وبين الظهير براءة وثَبْت واستثنى فى البراءة قدرة كبيرة تختص بتقى ، فادعى تقى أن ابن الظهير حوّلها فى غيبته بغير وجه شرعى ، وادعى بذلك بين يدى الحنفى ، فقال الحنفى : « لا تسمع دعوى من أبرأ ولو كان وكيلا » فأمر السلطان لأحد أئمة القصر فى الدعوى على تقى عن ولده . فأمر السلطان ان يتوجهوا إلى مجلس القاضى فأعيدت الدعوى ، فخشى تقى على نفسه من غيظ السلطان فقال : « كل ما يدعى عَلَىَّ لولد السلطان أنا أُمَلِّكه لولد السلطان » . فبادر من أعلم السلطان أن الحق غلب على تقى فظن صحة ذلك ، فأرسل إلى القاضى أن لا يَمَكِّن تقى

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة جـ١٥ ص٣٥٠ وحوادث الدهور ١٢١/٧ والتوفيقات الإلهامية ، ص٤٢٣ أن أوله السبت .

(٢) فى التوفيقات الإلهامية . ص٤٢٣ « الثلاثاء » .

(٣) كان ابن ظهير (وهو إبراهيم بن محمد بن محمد) من طلاب العلم حتى لقد باشر النقابة والنيابة عند التفهنى كما ولى الشهادة على بعض ديوان الفخرى عثمان بن الظاهر جقمق ، وقد وصفه السخاوى فى الضوء اللامع ج١ ، ص١٢٢ بأنه « كان ماهرا فى المباشرة ، ذا وجاهة » ومات سنة ٨٥٣ مطعونا ، ودفن بتربة بنى ظهير بالصحراء ، وانظر أيضا ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة جـ١٥ ص٥٣٥ ، ٥٣٦ ، والبقاعى : عنوان الزمان ، برقم ١١٦ .

من التصرُّف ولا من التوجه من مجلس الحكم حتى يزن المال ، فظنَّ القاضى أن السلطان يريد مصادرة تقّى فأخبره بالرّسالة فصار يكاتب معارفه بالورق إلى أن حصّل المال فى عدة أيام وهو فى صورة الترسيم فى مجلس القاضى ، ثم كتبه عليه .

•••

وتوجه خلق كثير من الركب إلى الساحل فأحضروا الدقيق والعليق ، ولزم من ذلك أن أقاموا بالينبع أربعة أيام ، ولما وصلوا إلى منزلة بدر لم يجدوا بها عليقا فبيع النوى كل ويبة بثلث أفلورى ، والبقسماط بسبعين : العشرة ، ومع ذلك كان اللحم واللبن والبطيخ كثيرا .

قرأت بخط من أثق به : لما وصل الحاج إلى مدينة الينبع كان الدقيق فى أول النهار كل حمل بسبعة دنانير ، فارتفع الظُّهر إلى إثْنى عشر ، ثم العَصْرَ إلى ستة عشر ، وكان العليق أربع ويبات بدينار فوصل إلى ويبتين ، ووصل الحِمْل الفول الصحيح إلى عشرة ، وكان البقسماط رخيصاً فوصل إلى ستين درْهما : كل عشرة أرطال ، وكاد الجمّالة أن يهربوا ، فقدّر وصل الخبر بوصول المراكب إلى الساحل وتراجع السعر إلى أن صار وسطا وبعد ما كان أولا وآخرا .

ومات شَعْبَانُ (١) يوّاب دار الضرب قبل رابغ (٢) بيوم ، وكان وصول الركب إلى مكّة سَحَر يوم الخميس ، ولم يروا الهلال تلك الليلة لكثرة الغيم ، وسألوا أهل مكة فلم يخبر أحد منهم برؤيته ، وتمادوا على أن الوقفة تكون يوم السبت ، وأشار عليهم القاضى الشافعى أن يخرجوا يوم الخميس ويسيروا إلى عرفة ليدركوا الوقوف ليلة السبت احتياطاً ، ويقفوا يوم السبت أيضاً ، فبينما هم كذلك إذْ دخل الركب الشامى فأخبروا برؤية الهلال ليلة الخميس وأنه ثبت عند قاضيهم ، فثبتوا على ذلك ، ووقفوا يوم الجمعة ، ونفروا ليلة السبت على العادة ، وذكر أنه وَجَد بمكة رخاءً عظيماً ، قال : « ووصلَتْ إلى جدّة عدةُ مراكب ، وأسرعوا تفريغها ، فكان يدخل إلى مكة كل يوم خمسمائة حمل ، وبيع الشاش الخمسينى بأفلورين

(١) عرفه السخاوى فى الضوء اللامع ١١٦٨/٣ بشعبان صهر البدر بن الحلاوى ، وذكر انه والد زوجته وام ولده ابى بكر ، وانه كان بواب دار الضرب ، وكان موته سنة ٨٤٥ كما بالمتن وإن لم يترجم له ابن حجر فى وفيات هذه السنة فى الإنباء ، وقد استقر بعد صهره الحلاوى .

(٢) جاء فى ياقوت ومراصد الاطلاع ٥٩٢/٢ عن رابغ انه واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة . وقيل بين الأبواء والجحفة .

ونصف ، والأُزُر البَيْرمى من أفلورى إلى ثلاثة ، قال : « ووصل إلى مكة من اللؤلؤ والعقيق والسروى شىء كثير إلى الغاية » .

قال : « وفى اليوم الثانى من ذى الحجة ازدحم الناس فمات أربعة عشر نفساً ، ثم دخل الركب الغزاوى ، ثم الشامى ، ثم الحلبى ، ثم الكركى ، ثم الصفدى ، ثم البغدادى ، ثم التركمانى ، إلى أن امتلأت بيوتُ مكة وشعا بها وجبالها وامتدّوا إلى مِنى » ، قال : « ولما وصلوا إلى عرفات أرجف مرجف بأن السيد بركات هاجم جدّة ونهبها ، ولم تظهر صحة ذلك ، ووصل قاسم أخو بركات حاجا فأمنّه الشريفُ عَلِى ، ولم يحدث منه سوء ، مع أنّه أشجعهم وأفرسهم ، وندب أخاه الذى يقال له سيف ليأخذ جماعة ويتوجّه إلى حِرَاسة جُدَّة ، ثم اتفّق معه على أنه يحفظ الحاج بمنىً وعرفة ، وتأخّر عن الخروج مع الحاج ليلة التاسع ، فلمّا كان بعد عصر عرفة ثارت غبرة عظيمة ، ثم ظهر خلق كثير من فرسان وغيرهم ، فظن الناس أنه جاء فى جَمعه لينهبهم ، فانكشف الغبار فإذا هو عَلىّ ومن معه ، أدركوا الوقوف بعرفة ، وصحبته أخوه إبراهيم ، وكان قد تغيب عنه بمكة ، فلما وجده اعتذر بأنّه قيل له إنه عزم على إمساكه ، فتنصل من ذلك واستصحبه معه ، فحصلت الطمأنينة للنّاس ، ونزلوا من صبيحة اليوم العاشر ، وتجهّز المبشّر فى ذلك اليوم فدخل القاهرة ليلة الأحد خامس عشرى ذى الحجة .

وفى الثانى عشر من ذى الحجة [1] لبس السلطان البياضَ ، لأنّ الحرّ كان اشتد مِن يومين ، ووافق السابع عشر من برمودة ، فتقدّم قبل عادة القَيظ بعشرين يوما .

وفى الرابع [2] من ذى الحجة توجه القاضيان الشافعى والحنفى والمحتسب وجماعة إلى كنيسة اليهود الكائنة بقصر الشمع بمصر ، فوجدوا فيها منبراً له ثلاث عشرة درجة يشبه أن يكون قريب العهد بالتجديد . فتشاوروا فى أمره ، فبيناهم فى أثناء ذلك ظهر فى الدرجة التى يقف عليها الخطيب أويقعد كتابة يلوح أثرها ، فقال لهم الشافعى : « تأملوا هذه الكتابة ! » . فتداولها جماعة منهم حتى تبين أنها « محمد » وهى ظاهرة ، و« أحمد » وهى خفيّة ، فاقتضى الرأى إزالة المنبر المذكور ، وصارت دعوى ، وحكم نورالدين بن آقْبَرْس نائب الحكم وناظر الأوقاف بإزالته ، وتأخّر المحتسب لذلك وافترقوا ، ثم قام الشيخ أمين الدين يحيى بن الأقصرائى وكشف على اليهود والنصارى ، فأبْطِلتْ عدة كنائس ختم على أبوابها إلى أن يتّضح أمْرُها ، فمنها واحدة للمَلكّيين ،

(١) فى كل من نسختى ز ، هـ « الثانى من ذى الحجة » والصحيح ما أثبتناه بالمتن .

(٢) أمام هذا الخبر فى هـ : « قصة اليهود فى كتابة أحمد ومحمد على منبرهم » .

وُجِد فيها دعائم بالحجر الفصّ النحيت مثل الأعمدة ، فادّعـوا أنّها كانت ذات أعمـدة رخام فاحترقت فى سنة ثلاث وسبعمائة ، وأخرجوا لها محضراً أثْبتَ على القاضى جلال الدين القزوينى وأذن فى مرمَّتها فرمّموها بالحجارة ، وهى دون الرّخام .

•••

وفى التاسع والعشرين منه استقرّ سودون الذى كان دويداراً عند طوغان الذى كان أمير آخور كبيراً للمؤيّد ، واستقر فى أواخر دولة الأشرف سودون أمير مشوى ، واستقر الآن فى نظر أوقاف المساجد والجوامع والزوايا بالوجهين القبلى والبحرى ، فصار نظّار الأوقاف الأهلية ثلاثة أنفس : نور الدين بن آقْبَرسْ ، وشرف الدين أبوبكر المصارع ، وسودون أمير مشوى .

•••

ذكر من مات فى سنة خمس وأربعين وثمانمائة من الأعيان

١ ـ أحمد بن على بن عبدالقادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبدالصّمد [(١)] ، الشيخ تقى الدين المقريزى ، وأصلهم من بعلبك ، ثم تحوّل أبوه إلى القاهـرة وولى بها بعض ولايات من متعلقات القضاة ، وولى التوقيع فى ديوان الإنشاء ، وكان مولد تقى الدين فى سنة ستٍ وستين وسبعمائة [(٢)] ، ونشأ نشأةً حسنةً ، وحفظ كتاباً فى مذهب أبى حنيفة ، تبعاً لجدّه لأمّه الشيخ شمس الدين بن الصايغ ، الأديب المشهور ، ثم لما ترعرع وجاوز العشرين ومات أبوه سنة ست وثمانين تحوّل شافعياً ، وأحبّ اتّباع الحديث ، فواظب على ذلك ، ونظر فى عدة فنون ، وأولع

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى « ابن أبى الحسن بن تميم » .

(٢) أشار الضوء اللامع ٢ / ٦٦ إلى أن المقريزى كان يكتب بخطه أنه ولد بعد الستين وبهذا التقدير آخذ أبو المحاسن فى المنهل الصافى ج ١ ، ٦٣ برقم ٢١٧ تحقيق فهيم شلتوت . حيث جعل ولادته سنة ٧٦٩ بالقاهرة ، ثم قال « قال ابن حجر : رأيت ما يدل على أن مولده سنة ٧٦٦ » أنظر البقاعى ، عنوان الزمان برقم ٣٤ .

بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً ، وصَنّفَ فيه كتباً [١] وسمع من شيوخنا ومِمّن قَبْلَهم قليلا كالطبردار وحدّث ببعض مسموعاته ، وكان لكثرة ولعه بالتاريخ يحفظ كثيراً منه ،وكان حسن الصحبة ، حلوَ المحاضرة ، وحجّ كثيراً ، وجاور مّرات ، وقد رأيت بعض المكيين قرأ عليه شيئاً من تصانيفه ، فكتب فى أوّله « نسبة إلى تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى عبيدالله القائم بالمغرب قبل الثلاثمائة ، والمعزّ هو الذى بُنِيَت له القاهرة ، وهو أول من ملك من العُبيديين . . والله أعلم » .

....

ثم إنه كشط ما كتبه ذلك المكّى من أوّل المجلّد .

وكان فى تصانيفه لا يتجاوز فى نسبه عبدالصّمد بن تميم .

....

ووقفْتُ على ترجمة جدّه عبدالقادر ـ بخط الشيخ تقى الدين بن رافع ـ وقد نسبه أنصاريا ، فذكرتُ ذلك له ، فأنكر ذلك عَلَى ابن رافع ، وقال : « مِن أيْنَ له ذلك ؟ » ، وذكر لى ناصر الدين أخوه أنه بحث عن مستند أخيه تقىّ الدين فى الانتساب إلى العبيديين ، فذكر لى أنّه دخل مع والده جامع الحاكم فقال له وهو معه فى وسط الجامع : « يا ولدى هذا جامع جدّك ! » .

مات الشيخ تقى الدين فى يوم الخميس التاسع عشر من شهر رمضان [٢] .

٢ ـ أحمد [٣] بن يوسف الخطيب الملقب « دُرَّابة » بضم المهملة وتشديد الراء وبعد الألف موحّدة ، شهاب الدين ، اشتغل قليلا ، وجلس مع الشهود دهراً طويلاً ، وعمل توقيع الحكم ،

---

(١) علق البقاعى فى نسخة هـ على هذا بقوله : « ومن جملة كتبه المؤلفة فى التاريخ كتاب عقد جواهر الأسفاط ، وكتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا ، لكن ماوقفت عليها » ، ثم جاء تعليق آخر بخط لأحد قراء هذه النسخة واسمه محمد أمين : « وقفت من الكتب المذكورة على كتاب السلوك لدول الملوك فى مجلدين يشتمل على الحوادث . والوقائع الكثيرة ، وعلى كتاب درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة » فى مجلدين ، وهو يشتمل على أحوال كثيرة من الأكابر وغيرها ، وعلى كتاب المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار فى مجلدين وهو يشتمل على كثير من الفوائد لاسيما المتعلقة بأحوال الأبنية الواقعة بمدينة مصر ، نفيس جدا بحمد الله تعالى . تملكت هذه الكتب الثلاثة المشتملة على مجلدات فى سنة ٩٩٧ بالابتياع الشرعى . وأنا العبد الفقير محمد أمين السابقى » .

(٢) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « فى تعاليقى : سادس عشرين وهو الصواب فإن أوله الأحد كما تقدم » ، على أنه أهمله فى عنوان الزمان ، أما النجوم الزاهرة جـ ١٥ ص ٤٩ فقد نصت على أن وفاته كانت يوم الخميس ١٦ رمضان ، وهذا سهو قلم من أبى المحاسن الذى سار على تاريخه هذا ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب ٧ / ٢٥٥ ، ذلك لأن أول رمضان حسب ما جاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٣ كان السبت ، وهذا أيضا خطأً من التوفيقات إذ يتفق كل من السخاوى وأبى المحاسن على أن وفاته كانت يوم الخميس وعلى ذلك يكون الأحد أوله . وإلى جانب هذا فإن السخاوى يجزم بأن وفاته كانت يوم ٢٩ رمضان . غير أن أبا المحاسن يعود فى تاريخه ٧ / ٢٧٨ فيخطىء العينى إذ يقول « ووهم قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى تاريخ وفاته فقال فى يوم الجمعة ٢٩ رمضان » .

(٣) نقل الضوء اللامع ٢ / ٧٠١ هذه الترجمة مكتفيا فى ختامها بقوله : « ذكره شيخنا فى إنبائه » .

ثم توقيع الدرج ، ثم توقيع الدست ، وكان سليم الباطن قليل الشرّ ، وفيه غفلة ، مات فى رجب وقارب التسعين .

٣ ـ داود بن محمد أمير المؤمنين المعتضد بالله أبوالفتح ، أمير المؤمنين أبى عبدالله المتوكل على الله [(١)] ابن المعتضد بالله أبى بكر ابن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله أبى العبّاس أحمد بن حسين بن أبى بكر بن علىّ بن الحسين بن الرّاشد بالله منصور ، بن المسترشد بالله ، الفضل بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدر بالله ، محمد بن الرشيد بالله هارون بن المهدى بالله محمد بن أبى جعفر المنصور عبدالله بن عباس بن عبدالله الهاشمى العباسى المصرى ، مات فى يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول وقد قارب التسعين بعد مرض طويل ، وصُلى عليه بالسبيل المؤمنى [(٢)] بحضور السلطان فمَنْ دونه ودُفِن بالمشهد النفيسى ، وكانت خلافته تسعاً وعشرين سنةً وأياماً [(٣)] ، وكان خليقا للخلافة ، سيدّ بنى العبّاس ، كريماً عاقلاً حليما متواضعاً ديّناً خيّراً حلوَ المحاضرة كثير الصّدقات والبر ، محبًّا لمجالسة العلماء والفضلاء ، مشاركاً ، فهما ، ذكيا فطناً ، وعَهدَ بالخلافة لأخيه سليمان ولُقِّب بالمستكفى بالله [(٤)] .

٤ ـ طَيْبغا [(٥)] مملوك الصاحب بدر الدّين بن نصر الله ، مات فى ثانى المحرّم وكان قد أمّر بحماة فى الدولة الأشرفية .

٥ ـ عبدالله بن محمد بن الجلال . نائبُ الحكم جمال الدين الزيتونى [(٦)] الشافعى ، أخذ عن شيخنا برهان الدين الأنباسى وغيره ، واشتغل كثيرا وتقدم ومهر ونظم الشعر المقبول الجيّد ،

---

(١) العبارة من هنا حتى آخر نسبه ، س ٧ خلت منها نسخة هـ والضوء اللامع ٣ / ٨٠ .

(٢) عبارة « وصلى عليه بالسبيل . . . . . فهما ذكيا فطنا » س ١١ غير واردة فى نسخة هـ .

(٣) الوارد فى شذرات الذهب أن خلافته كانت ثمانية وعشرين عاما وشهرين ، ولعل هذه المدة أقرب للواقع فقد بويع بالخلافة بعد خلع أخيه المستعين بالله .

(٤) عبارة « ولقب بالمستكفى بالله » غير واردة فى ز .

(٥) اكتفى الضوء اللامع ٤ / ٥١ فى ترجمته بأن قال : « طيبغا البدرى حسن بن نصر الله الحاجب ، مات سنة خمس وأربعين » .

(٦) ذكر السخاوى أن تسميته بالزيتونى نسبة لعم جدته إذ كان من منية الزيتون . ولم نجد فى القاموس الجغرافى لمحمد رمزى مكانا بهذا الاسم ولكن الذى ورد فى هو « الزيتون » مشيرا إلى أنها من البلاد القديمة بمركز بنى سويف . انظر القاموس الجغرافى ق ٢ ص ١٥٢ .

وأفاد ، وناب فى الحكم ، وتصدّر ، وكان قليل الشرّ كثير السكونِ والصّلاح [(١)] ، فاضلاً ، أظنه قارب السبعين . مات يوم الخميس سادس عشر رجب .

٦ ـ عبدالله بن محمد [(٢)] ، جمال الدين البرلُّسى ، اشتغل قليلاً ، وكان يتعانى زىّ الصوفية ، ويصحب الفقراء ، ثم دخل مع الفقهاء ، وناب فى الحكم قليلاً وفى البلاد ، ثم مُنع من ذلك لكائنةٍ جَرتْ له ، لأنّ الشافعى لمّا منعه ناب عن الحنفى فتعين عليه قضية تتعلّق بكنيسة اليهود فحكم فيها بُحكم يلزم نقض حكم سابق على حُكْمِه من قاضى القضاة علاءالدين بن المغلى الحنبلى ، فأنكر عليه وقوبل على ذلك . وصُرِف عن نيابة الحُكم واستمرّ إلى أنْ مات فى رجب ، وأظنّه مات فى عَشْر التسعين ، بتقديم المثناة .

٧ ـ عبدالله بن محمد [(٣)] بن جمال الدين بن الدمامينى [(٤)] المخزومى الإسكندرانى قاضى الإسكندرية ، وليها أكثر من ثلاثين سنة ، وكان قليل البضاعة فى العلم ، لكنه كثير البذل ضخْم الرياسة ، سخى النفس ، أفنى مالا كثيراً فى قيام صورته فى المنصب ، ودفْعِ مَن يعارضه فيه ، ويركبه الدين ، ثم كان يحصل له إرْثٌ أو أمرٌ من الأمور التى تحصل تحت يده بها مالٌ من أىّ جهةٍ كانت ، ساغَتْ أو لم تسغ ، فيوشك أن يبذرها فى ذلك . وآخر ما اتّفق له أن المعروف بسرور المغربى قام فى عزله إلى أن عُزِل بشمس الدين بن عامر أحد نوّاب الحكم من القاضى شمس الدين البساطى ، وامتنع القاضى بدر الدين بن التَنَسى من استنابته ، فَحسَّنَ الشيخُ سرور للسلطان توليةَ ابن عامر فولاه ، فدخل إلى الاسكندرية وباشر القضاء بها ، وخرج منها جمال الدين قبله فقدم القاهرة وهو مَوْعوك ، فتوسَّل بكّل وسيلة إلى أن أعِيَد إلى منصبه ، وصُرِف ابن عامر ، واستمرّ خاملاً ، وأداروا الحيلة فى إفساد

---

(١) فى ز « والكلام » لكن راجع الضوء اللامع ج٥ ، ص٦١ ، س٢٣ .

(٢) نقل الضوء اللامع ٢٤٦/٥ عن الإنباء هذه الترجمة دون الإشارة إلى مصدرها .

(٣) قال البقاعى فى تعليقه على هذه الترجمة فى هامش هـ : « ابن ابى محمد عبدالله بن ابى بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر بن يحيى بن الحسين بن محمد بن احمد بن ابى بكر بن يوسف بن على بن صالح بن إبراهيم بن سليمان بن معاوية بن زيد بن سليمان بن خالد بن الوليد بن المغيرة ، الجمال بن المعين بن ابى عبدالله بن البهاء ابى محمد بن الدمامينى المخزومى . ودمامين قرية بالصعيد » وقد اطال الضوء اللامع ١٩٨/٥ فى ذكر سلسلة نسبه حتى قاربت ما ذكره البقاعى فى هذا التعليق ، انظر ايضا عنوان الزمان ، ترجمة رقم ٣٠٢ .

(٤) ذكرت الشذرات ٢٥٦/٧ ان دمامين قرية من صعيد مصر . انظر محمد رمزى : القاموس الجغراف ، ق٢ ، ج٤ ، ص١٤١ .

صورة الشيخ سرور إلى أن تمّت ونُفَى إلى المغرب بأمر السلطان ، ثم شُفع به فأمر بإعادته ، فصادف أنه كان أنزل فى مركب افرنجى ليسافر إلى بلاد المغرب ، فوصل البريدى مساءً ففهموا أنه جاء فى إطلاقه فغالطوه بقراءة الكتاب إلى أن يصبح ، ودَسُّوا إلى الفرنجى فأقلع بمركبه ليلاً ، فلما أصبحوا وقرىءَ الكتاب أمر بإصعاده فقيل : « سافرَ فى المركب » . فرجع البريدىّ ، واستمر سفر الشيخ سرور فلم ينتفع القاضى بعده بنفسه بل استمرّ متعلّلاً ، وأشيع موته مزاراً إلى أن تحقّق ذلك فى هذا الشهر : ذى القعدة ، وأظنه جاوز الستين [١] .

وعُيّن للقضاء بعده الشيخ شهاب الدين التلمسانى فوليه ، وتوجه فباشره ، وتحفّظ فى مباشرته إلى أن شاعت سيرته المستحسنة فاستمرّ ، وأطَفئت تلك الجمرة [٢] كأنها لم تكن . ولم يترك جمال الدين من يخلفه مِن أهْل بيته ، وانقطع خبر الشيخ سرور فقيل إن الإفرنجى اغتاله فلحق الظالم بالمظلوم ، فكانا كما قال الله تعالى[٣] : (ضَعُفَ الطالِبُ والمَطْلُوبُ) .

٨ ـ عبدالرحمن بن على ، الشيخ زين الدين بن الصايغ ، كاتب الخطّ المنسوب ، تعلم الخط المنسوب من الشيخ نورالدين الوسيمى [٤] فأتقن قلم النسخ حتى فاق فيه على شيخه ، وأحبّ طريقة ابن العفيف فسلكها واستفاد فيها من شيخنا محمد بن أحمد بن على الزفتاوى [المصرى] [٥] وصارت له طريقة منتزعة من طريقة ابن العفيف وغازى ، وكان الوسيمى كتب على غازى ، وغازى كتب أوّلاً على [الشمس محمد بن على] بن أبى رقيبة ، شيخ شيخنا الزفتاوى ، وهو تلميذ ابن العفيف ، ثم تحوّل غازى عن طريقة ابن العفيف إلى طريقة ولّدها بينها وبين طريقة الزكى العجمى ، ففاق أهل زمانه فى حسن الخطّ ، ونبغ فى عصره شيخنا الزّفتاوى لكنه لم يحصل له نباهة لسكناه بالفسطاط ، ومهر عبدالرحمن وشيخنا

---

(١) انظر السخاوى فى الضوء اللامع ١٩٨/٥ .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى « ولد سنة ثمانين وسبعمائة تقريبا . ومات يوم الأحد ثانى عشرى ذى القعدة المذكورة » ، على ان البقاعى ذاته قال فى ترجمته فى عنوان الزمان ، رقم ٣٠٢ إنه ولد سنة إحدى وسبعين وسبعمائة تقريبا .

(٣) سورة الحج الآية ٧٣ .

(٤) اعتبر السخاوى فى الضوء اللامع ٤١٩/٥ هذه التسمية خطا فقال « عبدالرحمن بن يوسف الزين القاهرى ويعرف بابن الصائغ وهى حرفة أبيه . وسمى شيخنا فى تاريخه اباه : عليا وهو سهو » .

(٥) وهو تلميذ غازى الذى سيرد اسمه فى ثنايا هذه الترجمة .

وكذا شيخه ، وصرح كثير بتفضيله عليه ، ونسخ عدّة مصاحف وكُتُب ، وقرّر مُكَتبًا فى عدّة مدارس ، وانتفع أهل العصر به ، وحصل له فى آخر عمره انجماعٌ بسبب ضعف ، فانقطع إلى أن مات فى نصف شوال فى عشر الثمانين .

٩ ـ عبدالرحمن بن يوسف بن محمد بن سليمان بن داود بن سليمان ، [زين الدين [(١)]] أبومحمد وأبوالفرج بن قريج ـ بقاف وجيم تصغير ـ بن الطحان [الحنبلى الصاحى المسند [(٢)] كان مولده فى سنة ٦٤ واعتنى به أبوه فأسمعه على صلاح الدين بن أبى عمر مسند أحمد ، وعلَى عمر بن أميلة جامعَ الترمذى والسننَ لأبى داود ، ومشيخة الفخر بن البخارى ، وعمل يوم وليلة لابن السنى كما ذكر ، وعلى زينب[(٣)] بنت قاسم [بن عبدالحميد] ما فى المشيخة من جزء الأنصارى وصحيح مسلم كما ذكر على البدر محمد بن نفيس على بن عيسى بن قواليح سنة ٧٧٧ ابن نفيس وغيره ، وقرأ بنفسه على ابن المحبّ جزءين ، أنا المطعم ويحيى بن سعد والحجار سماعا والتقىّ سليمان بن حمزة إجازة ، أنا ابن اللّتى ، وجميع الفوائد الكنجروذيات تخريج السّكّرى ، أنا ابن الزراد ، وكتاب اليقين لابن أبى الدنيا ، أنا أبوبكر بن عبدالدايم ، أنا محمد بن إبراهيم بن سليمان الإربيلى سماعاً ، ونصر بن عبدالرازق الحنبلى ، وخليل بن أحمد الجوسقى إجازةً ، قالوا : وكتاب الأربعين الصوفية لأبى نعيم ، أنا إسحق الآمدى ، وسمع من لفظه كثيراً ، وسمع على أبى الهول وعلى ابن عمر الجزرى الذكر لابن أبى الدنيا أنا التقىّ سليمان بن حمزة أنبأنا الشهاب عمر السهروردى ، أنا هبة الله الشبلى ، وقرأ على أحمد بن العماد ، وأبى بكر بن العزّ شيخنا بالإجازة ، ومحمد بن الرشيد عبدالرحمن بن السبط كتاب التوكل لابن أبى الدنيا ، قالا أنبأنا العماد أبوعبدالله محمد بن يعقوب الجرايدى ويحيى بن سعد ، قالا أنبأنا عبدالرحمن بن مكى وعلى بن أبى بكر بن يوسف بن عبدالقادر الخليلى جزءاً فى فضل ركعتى الفجر وغير ذلك من أمالى القاضى أبى عبدالله محمد المحاملى . أنبأنا محمد بن غازى بن الحجازى ، أنبأنا يحيى بن محمد القرشى ، أنبأنا عبدالصّمد بن محمد الأنصارى ، أنبأنا عبدالكريم بن الخضر السلمى أنبأنا الخطيب بسنده .

---

(١) اضيف ما بين الحاصرتين للتعريف به والتفرقة بينه وبين سواه ممن ينعتون بالزفتاوى .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى « إنما ولد خامس عشر محرم سنة ثمان وستين وسبعمائة » وطابقه فى ذلك السخاوى فى الضوء اللامع ٤/٤١٦ . كذلك نص البقاعى على هذا التاريخ فى ترجمته له برقم ٢٧٤ فى عنوان الزمان .

(٣) هى زينب بنت قاسم بن عبدالحميد الصالحية ، ويعرف ابوها بابن العجمى ، وقد سمعت من الفخر مشيخته سنة ٦٨٧ . وكانت وفاتها بدمشق سنة ٧٧٥ . انظر ايضا ابن حجر : الدرر الكامنة ٢/١٧٥٨ ، وإنباء الغمر ١/٦٥ . ترجمة رقم ١٥ .

مات بقلعة الجبل فى يوم الإثنين بعد العصر السابع والعشرين من صفر بعد أن تمرّض أيّاماً يسيرة ، وأسْمع فى قدمته سنن أبى داود وقطعة كبيرةً من المسند [(١)] .

١٠ ـ عبدالرحيم بن محمد بن أبى بكر الرومى الحنفى نائب الحكم [(٢)] ، زين الدين ، اشتغل قليلاً وتنزّل فى المدارس ، وناب فى الحكم مدّة ، ومات فى رجب ، وقد قارب السبعين أو أكْمَلها .

١١ ـ على بن محمد ، نورالدين الويشى وهو بكسر الواو وسكون المثناة من تحت بعدها معجمة ، وكان قد طلب العلم فاشتغل كثيراً ونسخ بخطه الحسن شيئا كثيراً ، ثم تعانى الشهادة فى القيمة فدخل فى مداخل عجيبة واشتهر بالشهادات الباطلة والله سبحانه عَفُو غفور . مات فى ذى القعدة .

١٢ ـ محمد بن عبدالرحمن بن أبى أمامة ، أبو أمامة بن أبى هريرة ، الدكالى الأصل ، المعروف بابن النقاش ، مات فى يوم الثلاثاء سادس عشرى شعبان وقد قارب السبعين ، اشتغل [قليلاً] وهو شاب ثم صار يخالط الأمراء فى تلك الفتن التى كانت بعد وفاة برقوق فجرت له خطوب ، وقد خطب نيابةً عن أبيه بالجامع الطولونى ، وحجّ مراراً ، وجَاور وتمشْيَخَ بعد وفاة أبيه ولم يُنْجِب ، وأصابه الفالج فى أوائل هذا العام إلى أن مات ودُفن إلى جانب والده .

١٣ ـ محمد بن على ، شمس الدين ابوشامة الشامى ، كان يزعم أنه أنصارىّ ، وَلِيَ

(١) جاء بعد هذا فى هامش هـ بخط البقاعى : « عبدالمؤمن المشرقى الشافعى ، نزيل القدس الشريف . مات يوم الجمعة يوم عرفة سنة خمس واربعين وثمانمائة بالقدس ، وكان يوما مشهودا ، وكان فاضلا وله يد طولى فى الوعظ . وصوت عال بحيث انه إذا وعظ فى باب خطة يسمعه من تحت الزيتون » . وقد نقلت شذرات الذهب ٢٥٧/٧ هذه الترجمة عن البقاعى كما نصت على ذلك ويلاحظ ان البقاعى لم يترجم له فى عنوان الزمان ، فهل يعنى هذا ان ابن العماد الحنبلى استعمل نسخة هـ وعنها نقل ما علق به البقاعى ؟

(٢) قال السخاوى فى الضوء اللامع ج٤ ، ص١٨٥ ، س٢٠ « عبدالرحيم بن محمد بن ابى بكر الرومى الحنفى ، وهو الامام الآتي فيمن لم يسم ابوه » ، ثم عاد السخاوى فى نفس المرجع والجزء ، فقال فى ص١٩١ ، س٢ ـ ٨ « عبدالرحيم بن الإمام الحنفى زين الدين احد النواب ، لم يكن به بأس . مات فى يوم الخميس حادى عشرى رجب سنة ٤٥ وارخه العينى ولكنه سها فسماه عبدالرحمن ، واما شيخنا (يقصد ابن حجر) فقال : عبدالرحيم بن محمد بن أبى بكر » ، ثم نقل ما جاء فى المتن وعقب على ذلك بقوله » وما اظنه إلا ابن الإمام ، فليس فى بنى الروم فى هذا الوقت من اسمه عبدالرحيم ، حسبما اخبرنى به بعضهم . والله اعلم » .

أمانة الحكم ، بدمشق ثم ناب فى الحكم بالقاهرة ، وكان كثير السّكون مع إقدام وجرأةٍ ، وقد تَقدَّم فى الحوادث ، وكان خمل فى آخر دولة الأشراف وتغيّب مدّة ، ثم ظهر فى دولة الظاهر ، وولى وكالة بيت المال بدمشق ومات بها .

١٤ ـ محمد بن عمر ، شمس الدين الدنجاوى ، مات فى أوّل شوال بالقاهرة [١] ، وكان تعانى الأدب فمهر واشتغل فى الفقه والعربية ، وقرره شرف الدين يحيى بن العطار [٢] فى خزانة الكتب بالمؤيّدية ، وكان خفيف ذات اليد ، وجاد شعره ، ومات فى هذا الشهر [٣] بعد توعّك يسير .

وذكر لأصحابه أنه رآى فى المنام أنّه يؤمّ بناسٍ كثيرين ، وأنه قرأ سورة نوح فوصل إلى قوله تعالى [٤] « إن أجل الله إذَا جَاءَ لا يُؤَخَّر » ، فاستيقظ وَجِلاً فقصَّ المنام على بعض أصحابه وقال : « هذا دليلٌ على أننى أموت فى هذا الضعف » ، فكان كما قال ، وما أظنّه بلغ الأربعين .

١٥ ـ محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرازق بن عيسى بن عبدالمنعم بن عمران بن حجاج الأنصارى الصفطى ، الشيخ ضياءالدين ابن شيخنا ناصرالدين شيخ الآثار النبوية على شاطىء النيل . مات فى ذى القعدة [٥] ، وكان خيّرا فاضلاً ، مشهوراً بالخير والدّيانة ، وولى المشيخة بعد أبيه فأقام فيها دهراً وثلاثين سنة .

١٦ ـ محمد بن محمود بن أحمد بن محمد البالسى [٦] ثم القاهرى شمس الدين ، مات فى

(١) اعتبر الضوء اللامع ٦٧١/٨ وتابعته الشذرات ٢٥٨/٧ ، والبقاعى ايضا فى تعليقه على هامش هـ ان موته كان فى ٢١ ذى القعدة . فقال البقاعى « بل مات يوم الثلاثاء حادى عشرى ذى القعدة ، وصلى عليه شيخنا الشمس القاياتى بالجامع الأزهر » . على ان قول ابن حجر فى المتن « مات وما اظنه بلغ الأربعين » يشير إلى انه يعتقد انه مات قبل سنة ٨٤٥ وقد رد عليه البقاعى فى تعليق اخر له بهامش هـ قال فيه « بل بلغها لانه ولد سنة اثنتين وثمانمائة تقريبا بثغر دمياط » . هذا وقد ورد فى هامش هـ بخط البقاعى بعد كلمة « عمر » وهو اسم ابيه قوله : « ابن عبدالله بن محمد بن غازى الفاضل البارع المفنن » .

(٢) راجع ترجمته بالتفصيل فى الضوء اللامع ٩٤٤/١٠ .

(٣) يعنى فى راى ابن حجر شهر شوال .

(٤) سورة نوح ٤/٧١ .

(٥) هكذا ايضا فى الضوء اللامع ٧٣٣/٩. ولكنه « شوال » فى هـ .

(٦) فى ز ، هـ « الباهى » ولكنه « البالسى » كما فى المتن اعلاه فى الضوء اللامع ١٥٤/١٠ وشذرات الذهب ٢٥٨/٧ .

ليلة الأربعاء الثانى والعشرين من صفر وقد بلغ التسعين وزاد عليها لأن مولده كان سنة ٧٥٤ ، وكان صاهر شيخنا ابن الملقّن قديماً على ابنته ، وحصّل وظائف من مباشراتٍ وأطلابٍ وشهادات ، وكان أحد الرؤساء بالقاهرة وناب فى الحكم فى عدّة بلاد ، وكان حسن الخطّ قليل العلم ، وسمع الكثير من شيخنا وغيره ، واستجاز له شيخنا فى شوال سنة سبعين وسبعمائة من جماعة من مسندى الشام منهم عمر بن أميلة ، وأحمد بن اسماعيل بن السيف ، وصلاح الدين بن أبى عمرو ، وأحمد بن محمد المهندس ، وحسن بن أحمد بن هلال ، وزينب بنت قاسم ، وهؤلاء من أصحاب الفخر ، وآخرون ، وحدّث فى أواخر عمره لّما ظهرَتْ هذه الإجازة عنهم وعن غيرهم ، وتمرَّض فى آخر عمره مدّة ، ومات صحيح السمع والبصر والأسنان .

١٧ ـ محمد البصروى ، ناصرالدين ، مات بغزة ، وولى كتابه السر فى إمرة نوروز[1] بالشام ، وولى قضاء القدس فى دولة الأشرف سنة ٣٥ وعُزِل منها فى دولة الظاهر ، وكان قليل البضاعة فى العلم ، وفيه حشمة ورياسة .

١٨ ـ محمد البرلسى : موقع الدست ، ناصرالدين ، مات فى جمادى الآخرة ، وكان يوقّع عن الخليفة ، وعن ناظر الخاصّ ، وكان استقراره فى الدست سنة خمس [وثمانمائة] ، فأقام فى ذلك أربعين سنة . .

(١) فى الأصل نيرور والصحيح هو ما اثبتناه بالمتن وهو نوروز بن عبدالله الحافظى . وانظر السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد . تحقيق الأستاذ فهيم شلتوت ، ص٣٢٦ والنجوم الزاهرة ٢٨/١٤ وراجع الضوء اللامع ٤٣٣/١٠ .

سنة ست وأربعين وثمانمائة

شهر الله المحرم

أوله السبت .

فى الثانى منه أمر السلطانُ والِىَ الشرطة بإصلاح الطرْقات ، فأساء التصرفات فى ذلك بأنّه ألزم كلّ من له حانوت أو بيت أن ينظّفَ أمامه ، وأوجع كثيراً منهم بالضرب المؤلم ، فبادر إلى ذلك كلّ مَن حضر الوعِيدَ ، فشرع فى قَطْعِ ما أمام داره أو حانوته ، وغاب كثير منهم فصارت الطرقات جميعا موعرة ، وقاسى الناس من ذلك شدّة شديدة خصوصاً من يمشى بالليل وهو ضعيف البصر ، ثم أبطل ذلك فى اليوم الثانى ، واستمر بعض الطرق بغير إصلاح .

وفى أول يوم منه خُتِم على كنيسة النصارى الملكيّين ، لأنه وُجد داخلها أعمدة كذّان [(١)] من الحجارة المنحوتة وأكتاف جدد ، وزعموا أن معهم مستنداً بذلك ، فلما أبطأوا بإحضاره ختموا عليها ومُنعوا من دخولها .

وكُشِفَ فى حارة زويلة عن دارٍ كانت لبعض أكابر اليهود وكانوا يجتمعون عنده [(٢)] للاشتغال بأمور دينهم ، فمات فجعلها محبسه لذلك فصارت فى حكم الكنيسة ، فرُفِع عنهم أنهم أحدثوا كنيسةً فأكّدَ عليهم عدم الاجتماع فيها ، وأن يُسْكَن بالأجرة أو لمن يستحق سكناها ، ثم فُوض الأمر فيها لبعض نُوّاب الحنفى ، فحكم بانتزاعها من أيدى اليهود ، وأشهد على الكثير منهم بعد أن ثبت عنده أنّها إن أحدِثت كنيسةً أن لا حقّ لهم فى رفعها ، فحُكم بها لبيت المال ، فنُودى عليها يوم الأربعاء ثانى عشره .

•••

وفى الخامس منه عَزّر القاضى الحنفى ثلاثةً من يَهودِ كنيسة مصر [(٣)] التى ظهر فيها اللّوح المكتوب فيه محمد وأحمد ، أثبتوا عنده أنهم كانوا يصعدونَ من المنبر ، فمات واحد منهم وأسلم آخر ، وعاش آخر موعوكا ثم مات .

---

(١) « الكذان » كما جاء فى لسان العرب حجارة رخوة من البياض .

(٢) أى عند اليهودى الكبير صاحب الدار .

(٣) وهى الموجودة فى قصر الشمع ، انظر ما سبق ص١٨٦ سطر ١٨ وما بعده .

ثم تتّبعوا سائر الكنائس ، وحكم بأنها من الحجارة الجديدة لكونها محدثة وليس لهم الإعادة إلّا بالمثل أو دونه ، وفعل ذلك بجميع ما بالبلدين ، وحصل على جميع الطوائف من أهل الذّمة من الإهانة والتغريم مالا مزيد عليه ، وأظهر الملكية محضراً يتضمنّ الإذن لهم فى عمارتها بعد الحريق الكائن فى سنة ثلاثين وسبعمائة من القاضى جلال الدين القزوينى قاضى الديار المصرية فى الدولة النّاصرية ، وتاريخ المحضر سنة ٣٤ ، فوقع فى ذلك نزاع كبير ، وانفصل الأمر على أنّ كل ما حكم فيه نائب الشافعى يكمله على مقتضى مذهبه ، وما عدا ذلك يتولى الحكم فيه القاضى المالكىّ بنفسه .

وفى الخامس من المحرّم أدُّعِىَ عند القاضى صدر الدين بن روق على طائفة من اليهود القرّائين بأنّ بحارة زويلة داراً تعْرف بدار ابن سميح كانت مرصدةً لتعليم أطفال اليهود وسكناً لهم فأحْدَثوها كنيسة [(١)] ولها حدود أربعة : القبلى إلى خربة فاصلة بينها وبين دارٍ تعرف بأولاد الجابى ، والبحرى إلى دارٍ تجرى فى ملك بوسعيد النصرانى ، والشرقى إلى سكن إبراهيم العَلاف ، والغربىّ بعضه إلى دار شموال الناقد وفيه الباب ، فأشهد عليه أنه ثبت عنده بشهادة من أعْلَم له مضمونه المحضر المذكور وحكم بموجب ما قامت به البينة فى تاريخه ، وكان نصّ شهادة من أعلم له : « شهد بمضْمُونه عبدالرازق بن محمد بن شعيب الشهير بالجنيدى كتب بخطه ، وأعلم أنه ، شهد عندى بذلك ، ومثله عبدالله بن يوسف بن ناصر الشريف البقلى وكتب عنه وأعلم له ، ليشهد بذلك ، ومثله جلال الدين محمد بن على بن عبدالوهاب بن القماط ، ومثله دادو بن عبدالله بن عبدالكريم » ، وزادوا بأن الدار المذكورة تسمى دار ابن سميح وليست بكنيسة قديمة ، وشهد علىٌّ بن محمد القوصونى أن الدار المذكورة تعرف بدار ابن سميح وأنها كانت معدّة لتعليم الأطفال وأعلم له ، شهد بذلك ، ومحمد بن أبى بكر بن محمد بن عضاة وأنها ليست بكنيسة قديمة وأنها كانت معدّةً لتعليم الأطفال اليهود وكتب عنه ، وأعلم له ، شهد عندى بذلك ، وشهد بمثل ذلك نحو عدد المذكورين » ثم اتصل ذلك بأفضل الدين محمود بن سراج الدين القرمى ، ونفذ حكم صدر الدين فى السّادس من المحرّم .

ثم ادّعى عند نورالدين بن البرقى علَى جماعةٍ من اليهود أن الدارَ المذكورة أعلاه كانت مرصدةً لتعليم الأطفال اليهود القرائين ومسكناً لهم ، ثم اتّخذوها كنيسة عن قريب ، وأنها

(١) علق احد قراء نسخة هـ فى هامشها على ذلك بقوله « كنيسة يهود مثل التى فى القدس » .

مستحقّة لبيت المال المعمور بمقتضى أن ابن سميح هلك ولم يعقب ، ولم يترك ولداً ولا أسفل من ذلك ، ولا عاصبا ، ولا مَن يحجب بيت المال عن استحقاقها سفلا وعلوا ، وأنّ رئيس اليهود القرائين ومشايخهم يتداولون وضع أيديهم على الدار المذكورة خلفاً عن سلف بغير طريق شرعى ، وطالبهم برفع أيديهم وتسليمها لمن يستحقّها ، فسُئِلوا فأجابوا بأنّ هذه الدار بأيديهم وأنهم وجدوها على هذا الوجه ، وتلقوها عن آبائهم وأجدادهم .

وبيّن المدّعى المذكور ما ادّعاه فذكر المدّعى أن الذى تضمنّه المحضر المذكور ثبت أوّلاً على صدْر الدين . وحكم بموجبه ، ونفذه أفضل الدين ، وأعذر فيه لجمع كثير من اليهود القرّائين ، فكلّف المدّعى المذكور أن يثبت ذلك فاتصل بنور الدين البرقى ما اتّصل بأفضل الدين من الثبوت والتنفيذ والإعذار والإقرار ، وثبت عنده بطريق شرعىّ أن ابن سميح هَلك ولم يترك ولداً ولا أسفل من ذلك ، ولا عاصبا ولا من يحجب بيت المال عن استحقاق هذه الدار سفلاً وعلوّاً ، وثبت عنده جميع ذلك ثبوتاً شرعيا ، فلمّا تكامل ذلك سأل المدّعى المذكور الحاكم المذكور الإشهاد على نفسه بثبوت ذلك ، والحكم باستحقاق بيت المال لهذه الدار سفلاً وعلوّاً ، وثبت عنده جميع ذلك ثبوتاً شرعيا ، فلمّا تكامل ذلك سأل المدّعى برفع أيديهم عن الدار المذكورة سفلا وعلوا ، وتسليمها لبيت المال ، فاستخار الله تعالى ونظر فى ذلك وتروّى فيه ، والتمس من المدعى عليهم حجّة يدفعون بها ما ثبت بأعاليه ، أو كتابا قديما يشهد لهم بملك أو وقفٍ ، فاعترفوا بأن لا حجّة لهم تدفع ذلك ، ولم يكن لهم كتاب بذلك . فأعاد المدّعى المذكور السؤال المذكور ، فراجع الحاكم المذكور فيه مستنيبه ، ومن حضر من أهل العلم ، وأجاب السائل إلى سؤاله وأشهد على نفسه بثبوت ذلك عنده الثبوت الشرعى ، وحكم بما سأله الحكم به فيه حكماً صحيحاً شرعياً مستوفيا شرائطه الشرعية ، وأشهد على نفسه بذلك فى يوم الجمعة السابع من المحرم سنة تاريخه .

•••

وفى يوم الخميس السابع والعشرين من شوّال استقرّ القاضى بدرالدين محمود بن أحمد العينتابى فى الحسبة عوضاً عن الشيخ نورالدين الخراسانى ، وعُزِل أفضلُ الدين الذى كان الخراسانى استنابه فى غيبته ، وكان قبل ذلك خصيصاً عند القاضى بدرالدين العينى ، وولّاه الخطابة بمدرسته واستنابه ، فنقم عليه الانضمام للشيخ نورالدين .

وفى هذا اليوم بعد استقرار القاضى ناصرالدين بن المخلّطة فى تدريس المالكية بالمدرسة

الأشرفية نازعه ولدا الشيخ عبادة بمساعدةِ جماعةٍ من الأكابر ، وتمسّكوا بقول الواقف بأن من كان له ولدٌ وهو أهلٌ للتدريس بها فلا يُقَدَّم عليه غيره ، فاستقرّ الولَدان جميعاً لأنه لم يجد فى شرط الواقف ما يمنع التّشريك .

وقبْل ذلك نوزع القاضى شمس الدين بن عامر المالكى فى تدريس الشيخونية بعد أن استقرّ فيها وعمل إجلاساً ، فنوزع بأنّ شرط الواقف أنّه لا يقدم على مَن كان مُتأهِّلا للتدريس من طلبة المكان ، فإن لم يكن فيهم أهلٌ قُرِّرَ مِن غيرهم ، فيقدّم الأفضل فالأفضل ، والأمثل فالأمثل ، وكان أحد النّظّار قرّر ابن عامر ، والآخر قرّر الشيخ يحيى العجيسى [١] ، فاتفقوا على أن الشيخ يحيى أفضل من ابن عامر ، فصُرِف ابنُ عامر وقُرِّر الشيخ يحيى ، وأشار بعض الحاضرين بأن يعوض ابن عامر وظيفةً خفيفةً من وظائف الشيخ يحيى العجيسى ، فتبرّع قاضى المالكية بوظيفته بالجمالية له ، ووقع التّرَاضِى ، ثم غضب القاضى من ابن عامر من كلامٍ واجهه به ، فتعصّب له ناظر الجمالية ، فامتنع من إمضاء النزول ، ولم يظفر ابن المخلطة ولا ابن عامر بشىء .

•••

وفى يوم الإثنين الخامس عشر من ذى القعدة صُرِف كاتبه [٢] عن القضاء ، بسبب امرأتين من أهْل الشام تنازعتا فى نظر وقف والدهما خمس سنين وشهرا وعشرة أيام ، فشرك الحمصى - وهو يومئذ قاضى الشافعية بدمشق - بينهما ، ثم ولى بعده الونائى بقليل فحكم للكبرى ، وألْغَى الحكم للصغرى ، فعقد لهما مجلسٌ بحضرة السلطان ، وتعصب الأكابر للصغرى ، فوجد حكم الونائى لا يلاقى حكم الحمصى ، فأمر كاتبه أن يستوعب الصورة ويستمر بهما على الاشتراك ، فلما تأملْتُ وجدت حكمَ الونائى لا يُنْقَض ، فاعتلّ عليه وكيل الصغرى بأنّه أسنده إلى ما ثبت عنده من تبذيرها وسفهها ، ولم يفسّر التبذير والسفه ، ولا يقدح فيها لاحتمال أن يكون مَن شهد بذلك يعتقد ما ليس بسفه سفها ، وما ليس بتبذير تبذيراً .

---

(١) هو الشيخ يحيى بن عبدالرحمن بن محمد بن عقيل العجيسى ، والعجيسى إما نسبة لعجيس بن امرىء القيس بن معبد ، او لمولده بارض عجيسة ، وكان يقال إن مولده سنة ٧٧٧ بهذه الارض ، وقرا القرآن على طريقة ورش ، وتنقل فى البلاد فزار تونس وسفاقص وقابس وطرابلس الغرب واسكندرية والقاهرة وبيت المقدس ودمشق وحلب ثم قطن القاهرة حيث درس بجامع ابن طولون والأشرفية القديمة والخروبية ، وكان موته سنة ٨٦٢ . انظر فى ذلك الضوء اللامع ١٠/٩٨١ .

(٢) يقصد ابن حجر بذلك نفسه .

وأخرج فتاوى جماعة عن الشافعية بذلك ، فتوقَّفْتُ عن مراده لما تأملت فى آخر حكم الونائى بعد اعتبار ما يجب اعتباره شرعا ، فقلت : « لو جاء فقال : فسر عندى بقادح ، وقد دخل فى هذا الكلام كان ذلك مقبولاً منه » ، فاستشاط الوكيل ، وتوسلتْ موكلته إلى جمعٍ كثير من الأكابر ، فأبلغوا السلطان أن هذا الكلام تعصّب للونائى ، فصرح بعزل الاثنين ، فلما بلغ كاتبه ذلك أقام بمنزله لا يجتمع بأحدٍ .

فلما كان ضحى يوم الخميس حضر إليه الحمصى رسولاً من السلطان على لسان الشيخ شمس الدين الرومى أحد جلساء السلطان يأمره بالاجتماع بالسلطان ، فاجتمع به فقصّ عليه القصّة مفصّلة فعذره واعتذر إليه ، وقرره فى الوظيفة ، وكان قد صمم على عدم القبول من أوّل يوم ، فاجتمع به القاضى المالكى وبلّغه عن الجماعة ما يقتضى التهديد والتخويف إذا استمرّ على الإعراض ، لما يخشى منه على المال والولد والعرض ، فقبل على ذلك والله المستعان .

ثم ألحَوا عليه فى التّشريك بين المرأتين فى النَظر ، فتأمّل فوجد حكم الونائى منذ سنين ، وجاز أن يصير السّفيه فيها رشيداً ، فالتمس منهم بيّنة تشهد باستواء المرأتين فى صفة الرّشد الآن ليقع التشريك بينهما مع بقاء حجة الغائبة ، فأقيمت عند بعض النواب وقضى بذلك فى ثانى ذى الحجة منها ، والله المستعان .

•••

وفى الثانى والعشرين من ذى القعدة قدم القاضى بهاءالدين بن حجّى من الشام ، وهرع الناس للسلام عليه ، ثم استقرّ فى نظر الجيش صبيحة ذلك اليوم ، وهو يوم الاثنين تاسع عشرى شهر ذى القعدة ، وظهر بعد ذلك أنه كان آخر يوم من الشهر ، لأنه اشتهر أنّ جمعاً من الناس رأوا هلال ذى القعدة ليلة الأحد .

واستهلّ ذو الحجة يوم الثلاثاء بالرؤية .

وفى الحادى عشر منه لبس السلطان البياض .

•••

وفى الخامس عشر منه وصل على بن حسن بن عجلان أمير مكة من الطور ، وكان السلطان أرسل بالقبض عليه ، فقُبض عليه فى ذى القعدة ، وجُهِّز فى البحر إلى الطور ،

ومعه أخوه إبراهيم ، فوصلا مقيَّدَيْن فسُجِنا ببرج القلعة (١) ، وكان أخوهما أبوالقاسم قد استقرّ فى الإمرة وتوجّه صحبةَ الحاج ، وكان شُرِط عليه أن يبطل النزلة إن بقى وعاد ، وعادة أكابرهم أن يستجير بهم الغريبُ ويسمّونه « نزيلة » ، فغلب ذلك عليهم إلى أن صار مَن له عليه حقٌ يستنزل ببعضهم ، فيمتنع من يطالبه حتى بالحقّ ، وكَثُرَ البلاءُ بذلك ، وأفرطوا فيه ، فرفع ذلك للسلطان فشرط على أن هذا الأمير أن يبطل ذلك جملةً ، ويعاقب مَنْ فعله ، وكُتب عليه بذلك التزامٌ وحُكمِ عليه به(٢) .

●●●

ذكر من مات فى سنة ست وأربعين وثمانمائة من الأعيان

١ ـ أحمد بن محمد شهاب الدين بن الشيخ شمس الدين بن فُهَيْد المصرى المشهور بابن المُغَيْربى ـ بالتصغير ـ وُلد من أمَةٍ سوداء بعد السبعين(٣) ، ونشأ فى حجر أبيه وزوّجه بنت الأمير أبى بكر بن بهادر ، وكان بزى الترك ولم يشتغل بعلم ولا تميّز فى شىء ، إلّا أنه كان كثير المعاشرة للجند وينفق فيهم لمعرفته لسانهم ولانتسابه للفقراء ، وولى فى سلطنة الظاهر جقمق مشيخة الدسوقية وكثرت فيه الشكوى ، وكان ممَّن يأكل الدنيا بالدّين ، ولا يتوقّى من يمين يحلفها فيما لا قيمة له ، مع إظهار تحرّى التصدق والدّيانة البالغة ، وكان يتوسّع فى المآكل والملابس فى غير مادة فلا يزال عليه الدّين ، ويشكو الضيق .

٢ ـ أيْتَمُش الخضرى ، كان من مماليك الظاهر [برقوق] وتقرّر خاصكيًّا وتولىّ إمرة عشرة(٤) ، ثم ولى الأستادارية الكبرى فى دولة الأشرف وتنقّلت به الأحوال وأصيب فى جسده

---

(١) انظر خبر القبض على الشريف على واخيه الشريف إبراهيم وتولية الشريف ابى القاسم إمرة مكة فى إتحاف الورى ١٨٤/٤ ـ ١٩٣ .

(٢) أضاف البقاعى فى هامش هـ « وفى هذا العام عزل علاءالدين على بن حامد الصفدى من قضاء الشافعية بها ونُفى إلى دمشق ، وولى عنه القضاء نُورالدين على بن سالم المصرى أحد نواب الشافعية بالقاهرة » .

(٣) فى هـ ـ « الستين » ، لكن راجع الضوء اللامع ٥٩١/٢ .

(٤) فى هـ ـ « غزة » وهو خطأ يصححه ما ورد فى حوادث الدهور حـ١ ص٥٦ تحقيق فهيم شلتوت والنجوم الزاهرة حـ١٥ ص ٤٩٧ والضوء اللامع ٢ / ١٠٦٠ حيث وردت الإشارة إلى انه تولى إمرة عشرة زمن المؤيد . لكن لم نجد له ترجمة فى حوادث الدهور فى وفيات ٨٤٨ ولا فى النجوم الزاهرة .
ولكن فى الدليل الشافى ١ / ٦٤ برقم ٥٨٥ ترجمة صغيرة له وليس فيها ما يصحح غزة وفى وفيات ٨٤٦ وردت له ترجمة فى النجوم وفى حوادظ الدهور .

ببياض فكان يستره بحمْرة ، وكان قارئاً للقرآن محبًّا فى حَمَلَتِه ، كثير البر لهم ، مع شَرٍ فيه ، وبذاءة لسان وارتكابِ أمورٍ فيما يتعلّق بالمال (١) .

سقط عليه جدار فغطاه ، فأُخرج منه مغشِيًّا عليه ، فعاش بعده قليلاً ومات فى آخر ليلة السبت عشرين من شهر رجب .

٣ - تَغْرِى بَرْدِى [بن عبدالله] البَكْلَمُشى ، الملقّب بالمؤذى ، مات فى يوم الثلاثاء ١١ جمادى الآخرة ، وهو يومئذ الدويدار الكبير ، وكان شهما شجاعاً ، عارفاً بالأمور ، فصيحاً بالعربية ، كثير الجمع للدّنيا ، وعمر فى ولايته الدويدراية مدرسةً بالصّليبة (٢) ، وعمل فيها خطبةً ، ووقَف عليها أوقافاً غالبها مغتصب ، وسُرَّ أكثرُ الناس بموته ، لثقل وَطْأته عليهم (٣) ، وأظنّه قارب السبعين .

٤ ـ حسن (٤) بن نصرالله بن حسن بن محمد ، الأدكوى (٥) الأصل ثم الفوّى ، كاتب سرّ مصر ، وناظر جيشها وخاصّها ، ووزيرها ، ثم أستادارها ، ثم محتسبها ، وُلد فى ليلة الثلاثاء ٥ ربيع الأول سنة ٧٦٦ بفوة ونشأ بها ، وباشر فى جهات ، ثم لم يزل يترقّى حتّى ولى نظر الجيش بمصر ، ثم وزارتها ، ثم الخاصّ بها ، كلُّ ذلك فى دولة الناصر فرج ، ثم الوزارة والخاص بها فى دولة المؤيدّ ، ثم صودر مراراً ، ثم ولى الأستاداريّة فى دولة الصالح محمد ، ثم تحوّل وولى الخاصّ ثانياً عوضاً عن مَرْجَان الخزندار ، ثم ولى الأستادارية ثانيا فى دولة الأشراف بَرْسْبَاى ، عوضاً عن ولده صلاح الدين محمد ، وعُزِل عن نظر الخاصّ بالقاضى كريم الدين بن كاتب جَكَم ، أوائل جمادى الأولى سنة ٨٢٨ ، وعُزِل بعد مدّةٍ ، وصودر هو

---

(١) وقد ذمه ابوالمحاسن فى النجوم الزاهرة فى عبارة قال فيها « إن بقاءه كان عارا على بنى آدم »

(٢) ذكر الضوء اللامع ١٣٣/٣ انها كانت فى طرف سوق الأساكفة بالشارع قريبا من صليبة جامع ابن طولون .

(٣) وصفه ابوالمحاسن فى المرجع السابق حـ١٥ ص٤٩٧ ، ٤٩٨ بقوله إنه كان « يعف عن المنكرات والفروج ، وعنده شجاعة وإقدم مع بخل وفحش فى لفظه ، وجبروت وسوء خلق وحدة مزاج ، إلا انه كان مشكور السيرة فى أحكامه ، وينصف المظلوم من الظالم ولا يسمع رسالة مرسل ، كائنا من كان » .

(٤) هذه الترجمة غير واردة فى هـ .

(٥) نسبة إلى « ادكو » ، من مدن مصر القديمة بمركز رشيد ، وذكرها ياقوت فى معجمه بفتح الهمزة ، واشار محمد رمزى فى القاموس الجغرافى ق٢،ج٢،ص٢٩٨ إلى أنها وردت بكسرها فى تاريخ سنة ١٢٢٨ ، وهو النطق السائد لها بين المصريين ، واشار إلى ان جوتييه ذكرها فى قاموسه باسمين هما THKOBI, TEKEBI واما نعته فى المتن إعلاه « بالفوى » . فنسبة إلى فوه وكانت هى الأخرى من القرى القديمة فى دلتا مصر ، قريبة من البحر الأبيض المتوسط ، وقد ذكرها اميلينو ـ كما اشار القاموس الجغرافى ـ فى جغرافيته باسم POEI ـ كما وصفها الإدريسى فى نزهة المشتاق ـ حسب ما جاء فى محمد رمزى ، بأنها مدينة حسنة كثيرة الفواكة والخصب وبها أسواق وتجارات . انظر القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ق٢،ج٢،ص١١٣ ـ ١٥ .

وولده صلاح الدين ، ثم ولى الأستادارية بعد سنين مرةً ثالثة ، فلم تطل مدّته فيها ، ولزم داره سنين إلى أن ولى كتابة السرّ بعد موت ولده صلاح الدين ، فباشرها يسيراً ، وعزله جقمق بصهره الكمال بن البارزى ولزم داره إلى أن مات .

وكان شيخاً طوالاً ضخماً ، حسن الشكالة ، مدوّر اللّحية ، كريماً واسع الصرف على الطعام ، تأصّل فى الرّياسة ، وطالت أيامه فى السعادة فصار هو وولده من أعيان رؤساء مصر وكان لا يَسْلَم فى كلّ قليلٍ من مصادرةٍ - مع إنْعامِه وأفضاله على جماعةٍ - وكان عنده بادرة ، وخلق سىء ، مع حدّة مزاجٍ ، وصياح فى كلامه ، ولم يشتهر بعلم ولا دين ، عفا الله عنه .

٥ - عبادة بن على الزرزارى المالكى [(١)] ، الشيخ العالم العلامة المفنن زين الدين ، سمع الكثير مِن شيوخنا ، ورافقنا فى السّماع مدّة ، ومهر فى الفقه وغيره ، وصار رأس المالكية بآخره ، وعُيِنَ للقضاء بعد موت القاضى شمس الدين البساطى ، فامتنع ، فألحّ عليه فأصرّ ، ثم تغيّب إلى أن ولى غيره .

وولّاه الملك الأشرف التدريس بمدرسته التى بجوار الوراقين أوّل ما فُتِحَتْ ، فدرّس للمالكية بها إلى أن مات ، وولى قبل موته بقليل تدريس الشيخونية بعد ابن تقىّ ، وكان قبل موته بمدّة قد انقطع إلى الله تعالى ، وأعرض عن الاجتماع بالناس ، وأقبل على شأنه منقطعاً إلى العمل والعبادة ، وامتنع من الأفتاء إلّا باللفظ أحياناً .

مات ليلة الجمعة ١١ شوال [(٢)] على خير كثير وجاوز السبعين .

٦ - عبدالله بن أبى بكر بن حسين [(٣)] السنباطى الواعظ ، جمال الدين ، مات فى

---

(١) اضاف البقاعى فى هامش هـ إلى هذا قوله : « ابن صالح بن عبدالمنعم بن سراج بن نجم الدين بن فضل بن فهد بن عمرو ، ولد فى جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة » وبهذه الصورة ايضا اورده فى معجمه عنوان الزمان ، رقم ٢٤٩ ، وكذلك السخاوى فى الضوء اللامع ٤/٦٦ وإن جعل ولادته سنة ٧٧٧ ورسمه ابوالمحاسن فى حوادث الدهور حـ١ ص٥١ والنجوم الزاهرة حـ١٥ ص٤٩٢ بهذه الصورة حتى الجد الخامس .

(٢) الوارد فى جدول سنة ٨٤٦ بالتوفيقات الإلهامية ان اول شوال هو السبت ، اما نسخة هـ فقد ذكرت ان وفاته كانت فى رمضان ولذلك علق البقاعى فى هامشها بقوله : إنما كان موته يوم الجمعة سابع شوال سنة ست واربعين هذه » ، ويطابقه ما جاء فى الضوء اللامع ٤/٦٦ ، وكذلك ما نص عليه البقاعى فى عنوان الزمان رقم ٢٤٩ ، وكذلك حوادث الدهور حـ١ ص٥١ وإن لقبه بالزرزاوى .

(٣) عبارة « بن ابى بكر بن حسين » غير واردة فى هـ .

رمضان بعد مرضٍ طويل وقد جاوز السبعين (١) ، وكان يتكلّم على الناس بالجامع الأزهر من نحو سبعين سنة ، ولازم مجلس الشيخ سراجِ الدين البلقينى ، فقرأ عليه من كلامه ومن كلام غيره ، واشتهر ذكره ، وحظى حظوةً عظيمةً ، وكان مع ذلك يشتغل بالعلم ، ويستحضر فى الفقه ، وقد ناب فى الحكم عن القاضى جلال الدين وغيره .

٧ ـ عبدالرحمن بن محمد الزركشى (٢) ، الشيخ أبو ذرٍّ الحنبلى ، سمع من أبى عبدالله البيانى صحيح مسلم فى سنة ٦٨ وحدّث عنه مراراً وتفرّد بالرواية عنه بالدّيار المصرية ، بل كان فى هذا الوقت مسند مصر .

مات فى ليلة الأربعاء ثامن عشر صفر فنزل الناس بموته درجةً ، ومولده فى رجب سنة ثمانٍ وخمسين وسبعمائة ، وكان يدرى الفقه على مذهبه ، فقُرّر فى تدريس الشيخونية بعد موت القاضى محبّ الدين الحنبلى البغدادى ، وكان صحيحَ البدن ، ضعيف البصر ، وقد ناهز السبعين .

٨ ـ عبدالعزيز بن على بن عبدالمحمود البكرى المقدسى البغدادى الحنبلى ، القاضى عزالدين ، ولى قضاء القدس ، وحصل بينه وبين الخطيب بالقدس ، وهو حينئذ القاضى برهان الدين الباعونى ، فقام على الباعونى ، فقُدِّر أن الباعونى ولى قضاء الشام ، فتوجّه عزالدين إلى بغداد ، فأقام بها ، وولى القضاء بها ، ثم عاد إلى القدس ، ثم لما دخل الهروىُّ القدسَ وقع بينهما ، فتحوّل عزّالدين بأهله إلى القاهرة ، فاتّفق دخول الهروىّ القاهرة ، وولى قضاء الشافعيّة بها ، فقام عليه عزّالدين إلى أن عُزِل ، ثم ولى تدريس الحنابلة بالمؤيّدية أوّل ما فتحت ، ثم ولى قضاء الشام ، فأقام مدّة ثم عاد ، ثم ولى القضاء بالدّيار المصرية مرّة ثانية ، ثم أعيد إلى قضاء دمشق

---

(١) الاصح أن يقال إنه جاوز الثمانين ، وقد نص على ذلك أبوالمحاسن حوادث الدهور حـ١ص٥٣ وورد فى الضوء اللامع ٥/٥٠ أنه ولد فى سنة ٧٦٢ ، أضف إلى ذلك أن النص أعلاه يصرح بأنه كان يتكلم بالجامع الازهر منذ نحو سبعين سنة ، أى منذ سنة ٧٧٦ .

(٢) النسبة هنا لصنعة أبيه محمد بن عبدالله بن محمد ، هذا وقد جاء فى هامش هـ « بخط البقاعى بعد ذلك » ابن عبدالله بن محمد ، أبو ذر بن الإمام شمس الدين ، ولد سابع عشر شهر رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة بالقاهرة ، وكان فاضلا ومات ليلة الأربعاء ثامن عشر صفر » وقال البقاعى فى ترجمته فى عنوان الزمان . رقم ٢٧٢ «كان أبوه بارعا فى صنعة الزركش » .

وكان عجبا فى بنى آدم ، كثير الدّهاء والمكر والحيل ، ونُقل عنه أشياء مضحكة [١] مات فى دمشق فى شوال مفصولاً عن الحكم وكان اختصر المُغْنى وضمّ إليه مسائل من المنتقى لابن تيمية من مختصرات الحنابلة .

٩ ـ على بن اسماعيل بن محمد بن حسن [٢] بن بردس بن نصر بن بردس بن رسلان البعلى ، علاءُ الدين ، مولده سينة ٧٦٢ ببعلبك ونشأ بها ، وقرأ القرآن ، ورحل به والده [٣] الى دمشق وأسمعه جامع الترمذى ، وسنن أبى داود ، ومشيخة الفخر علَى عمر بن أميلة ، وأسمعه عَلَى ، الصّلاح بن أبى عمر الشمائل للترميذى ، ومسند ابن عبّاس من مسند الإمام أحمد ، ومسند أهل البيت ـ فيما أظن ، وسمع مسند الإمام الشافعى على يوسف بن عبدالله بن حاتم بن الحّبال سنة ٧٧٢ ، أنا أبو الحسين اليونينى ، والتاج عبدالخالق بن علوان ، قال اليونينى ، أنا ابن الزبيدى ، وأخوه أبو على الحسن ، وعبدالسلام بن عبدالرحمن بن سكينة ، ومحمد بن سعد بن الخازن ، وأبوهريرة محمد بن الوسطانى وآخرون إجازة ، قال ابن علوان ، أخبرنا الموفق بن قدامة ـ إجازة ـ أخبرنا أبوزرعة ، أخبرنا أبوالحسن الكرخى بسند .

وله مسموعاتٌ أُخَر ببعلبك على شيوخها ، وفيهم كثرة .

وهو شيخ صالح خَيّرٌ مؤذّن بجامع بعلبك ، مات بعد أن رجع إلى بلاده فى أول سنة

---

(١) اضاف البقاعى فى هامش هـ تكملة لذلك وله : « مع قلة الدين . منها انه قال لنقيبه بدمشق « قرر عـلى نفسك شيئا تعطينيه كل يوم » فامتنع . فلم يلح عليه وصبر إلى ان جاء شخص من الشيوخ يكون اكبر سنا من النقيب يدعى على غريم له ، فاظهر القاضى الغضب منه ، وقال : احضروا لى جملا حتى اضربه وانكل به ثم اطوف به » فشاع ذلك بين الناس فاجتمعوا فى المدرسة ، كل هذا وذلك الرجل يقول : « ماذنبى » فلما تضايقت « اى ضاقت » المدرسة بالناس ساله بعضهم ما ذنبه فقال : « هذا هتك عرضى فإنه يشيع فى الناس انه فعل فى نفيبى كذا » فتعاظمت مصيبة النقيب ، ثم تقدم وقال له سرا : « يا مولانا كف عنى هذا وانا اقرر ما شئت » فكف عنه . وله من امثال ذلك غرائب . انظر ايضا الضوء اللامع ٤/٥٧٠ .

(٢) سقطت كلمة « حسن » من ترجمتيه فى كل من الضوء اللامع ٥/٦٦٢ والبقاعى : عنوان الزمان رقم ٣٣٧ وترجمة ابيه فى الدرر الكامنة ١/٩٥٤ .

(٣) اشار ابن حجر فى ترجمتيه اللتين اوردهما له فى الدرر الكامنة ١/٩٥٤ وإنباء الغمر ج ١ ص ٢٩٢ برقم ٥ ، إلى ان وفاته كانت سنة ٧٨٦ .

ستٍ وأربعين ، وكان قدم القاهرة كما تقدّم وأقام بها مدة وأسمع الكثير ، ثم رجع فمات [١] .
وبقى من الثلاثة واحد وهو ناظر الصاحبيّة .

١٠ ـ محمد بك بن ذلغادر [٢] ، الأمير ناصر الدين صاحب أَبُلُسْتَين ، وحمو الظاهر جقمق . مات فى أوائل جمادى الآخرة ، بأَبُلُسْتَين ، وقيل إنّه قُتِل على فراشه [٣] وكان كثير الشرور والعصيان على الملوك .

١١ ـ محمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن عثمان [٤] ، الشيخ شمس الدين البدرشى ، نزيل تربة الجبرتى بالقرافة الصغرى ، ولد سنة ثمان وثمانين وسبعمائة بالقاهرة ، وحفظ عدّة مختصرات ، عَرَض بعضها على الزين العراقى ، واشتغل وحصّل وتفقّه على ابن قبيلة الكبرى نزيل المنصورية والشمس السيوطى ، ولازم العزّ بن جماعة مدّةً ، فسمع دروسه فى العلوم التى كان يقرّرها ، وأخذ علم الأصول عن العلاء البخارى ويحيى السيرامى ، والمعانى والبيان عن يحيى السيرامى ، ودأب حتى ولى تدريس الشافعية لَخُشْقَدمْ بالجامع الأزهر ، وتدريس جامع آقْ سُنْقُر ، وولى مشيخة التصوّف والتدريس بتربة الشيخ الجبرتى بالقرافة ، وحصل بينه وبين الشيخ شمس الدين بن عمار منازعة بسبب لك ، وكان مقرّباً عند الأمير جانى بك الصوفى ، فلما هرب من السجن حصل لصاحب الترجمة محنة اختفى فيها نحو العشر سنين ، ثم ظهر ، ثم أمْسِك بغتةً ، ثم أفْرِج عنه ، ومات فى يوم الاثنين سابع عشر شوال من هذه السنة .

---

(١) علق البقاعى فى نسخة هـ على خبر موته فقال : « بل مات فى العشر الأخير من ذى الحجة سنة خمس واربعين فيحول من هنا لأن شيخنا ارخه بحسب بلوغ الخبر . والله اعلم » ولقد انكر السخاوى فى الضوء اللامع ٥/٦٦٢ ما ذهب إليه البقاعى من اعتبار موته سنة ٨٤٥ فقال « مات فى العشر الأخير من ذى الحجة سنة ست واربعين . ووهم من ارّخه فى سنة خمس » هذا وقد ادرجت الشذرات ٧/٢٥٥ وفاته سنة ٨٤٥ كما ذكر البقاعى فى ذلك التعليق ونقلت كلامه دون الإشارة إليه . فان صح ذلك وجب نقل ترجمته هذه إلى ص ١٩٣ قبل الترجمة رقم ١٠ .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى نسخة هـ .

(٣) استبعد ابوالمحاسن فى حوادث الدهور حـ ١ ص ٥٧ أن يكون صاحب الترجمة مات مقتولا .

(٤) سقطت هذه الترجمة من هـ . على انه ورد فى شذرات الذهب ٧/ ٢٦٠ باسم « محمد بن على بن محمد بن محمد البدرى » وفى نسخة ز « البدرينى » وسماه السخاوى فى الضوء اللامع ٨/٥٤٨ بمحمد بن على بن محمد بن محمد بن على البدرشى . وجاء فى حاشية الناشر إن ذلك نسبة إلى البدرشين من أعمال الجيزة . انظر القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ٣ . ص ٣ .

١٢ ـ محمد بن عمر بن على الطنبدى ، القاضى جمال الدين المعروف بابن عرب ، مات ليلة الخميس الثامن من شهر رمضان ، وهو فى عشر المائة (١) .

وُلِد بعد الخمسين بيسير ، واشتغل وقرأ القرآن ، وحفظ التنبيه ، ثم وقع على القضاة وهو فى العشرين ، رأيْتُ خطه فى الشهادة على أبى البِقاء السبكى سنة ٧٣ ، فأدّاها بعد سبعين سنة وزيادة ، ثم ولى حسبة القاهرة ، ووكالة بيت المال غير مرة ، وأذن له فى الحكم نيابةً عن القاضى الشافعى ، ثم اقتصر على النيابة بعد الثمانمائة واستمرّ ، وجرت له خطوب ، وانقطع بأخرة فى منزله ، مع صحة عقله وقوّة جسده ، وكانت أكثر إقامته ببستانٍ له بجزيرة الفيل (٢) . ثم توالت عليه الأمراض ، وفصل إلى أنْ كان فى هذه السنة ، فأنّه سقط من مكان فانكسرتْ ساقهُ ، فحُمل فى محفّة من جزيرة الفيل إلى القاهرة ، فأقام نحو أربعة أشهر ، ومات وهو أقدم مَنْ بقى مِن طلبة العلم ونُوّاب القضـاة الشافعية .

١٣ ـ محمد بن محمد بن محمد بن بدرالدين بن زين الدين بن شمس الدين الدميرى المالكى ، كان جدة ناظراً للمارستان ، وولى الحسبة وكذا والده ، واستمرّ هو مشاركاً فى البيمارستان ، وكان مشكور اللسيرة كثير الحياء والتودّد للنّاس .

مات فى رمضان وكثر الثناء عليه ، ولم يبلغ الخمسين .

١٤ ـ محمد بن محمد بن بُدَيْر ـ زوج أخت الذى قبله (٣) ـ بدرالدين العباسى المعروف بالعجمى ، وكان رفيق الذى قبله بالمارستان ، مشكور السيرة أيضاً ، محبّباً إلى الناس ، وكثر التأسّف عليهما .

مات فى شوال .

(١) اشار الضوء اللامع ٨/ ٦٨٠ إلى انه ولد فى ربيع الأول سنة ٧٥٤ وعلى ذلك يكون قد جاوز الثانية والتسعين ببضعة اشهر يوم وفاته .

(٢) كانت جزيرة الفيل واقعة وسط النيل تجاه ناحية منطقة السبرج . ثم انحسر عنها الماء . انظر المقريزى الخطط ٢/ ١٨٥ . وقد سميت هذه الجزيرة فيما بعد بجزيرة بدران كما اشار إلى ذلك صديقنا العالم الاستاذ شلتوت نسبة لضريح الشيخ بدران الذى بها ، انظر فؤاد فرج : القاهرة ص ٤٥٨ . وقد يخلط البعض بين جزيرة الفيل وبركة الفيل فالثانية حدد المقريزى موقعها فى خططه ٢/ ٥٨ فيما بين مصر والقاهرة ووصفها بانها كبيرة جدا . وذكر انه كان من عادة السلطان ان يركب فيها بالليل وكان ماء النيل يدخل إليها من موضع اصبح يعرف فيى القرن التاسع الهجرى بالجسر الأعظم . ثم هناك ما يعرف ايضا بميدان بركة الفيل . وكان مشرفا على بركة الفيل قبالة الكبش . وقد اخذ الناس فى بناء الدور حوله منذ سنة ٦٩٥ ، انظر الخطط ٣/ ٢١ وكان بها جامع اشار إليه المقريزى فى الخطط ٣/ ٢٤٧ دون ان يشرح شيئا عنه .

(٣) المقصود بذلك محمد بن محمد بن الدميرى المالكى ترجمة رقم ١٣ فقد نص على ذلك السخاوى فى الضوء اللامع ٩/ ١٥٤ .

سنة سبع وأربعين وثمانمائة

شهر المحرم

أوله الأربعاء بالرؤية .

فى اليوم التاسع منه استقر سراج الدين عمر بن موسى الحمصى فى قضاء الشافعية بطرابلس ، وأضيف إليه نظر الجيش بعد أن أقام بالقاهرة ثمانية أشهر أو أزيد ، فسعى فى قضاء الشافعية بدمشق ، فحضر الونائى قاضيها فى الثالث والعشرين من ذى الحجة[١] فحصل للحمصى يأس من قضاء دمشق فسعى فى طرابُلُس إلى أن خُلع عليه .

•••

وفى يوم الأحد تاسع شهر ربيع الأول عُمل المولد السلطانى ، وكان مختصراً فى كلّ أحواله ، بحيث إن عدد القرّاء انحطّ من ثلاثين إلى عشرة ، وكذلك الوعّاظ ، وفرغ بعد العشاء وتوجّه الناس إلى منازلهم سالمين من عبث المماليك .

•••

وفى يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الأول تجهّز العسكر المجهّز لقتال الفرنج برودس ومقدمهم تَمْرْبَاى رأس النوبة الكبير ، وإينال الدويدار الكبير ، ومعهم ألف وخمسمائة مُقاتل ، ومعهم جمع كبير من المطوّعة فتوجّهوا إلى دمياط لتجتمع بها المراكب التى جهزت فى الشمات وغيرها .

•••

وفى هذا العُشر من هذا الشهر توقّف النيل بعد أن كانت الزيادة فى العُشر الأوّل ظاهرة ، ونودى فى يوم منه بثلاثين إصبعاً والله المستعان .

وفى ليلة الخميس[٢] . . . . من شهر ربيع الآخر توجهت العساكر إلى دمياط

---

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى « اى من سنة ست واربعين . ثم انه بعد قدومه من دمشق شفع فى علاء الدين بن حامد الصفدى الذى كان السلطان قد نفاه الى دمشق فشفعه فيه فرده إلى بلاده ابطالا » .

(٢) بياض فى الأصول بقدر ثلاث أو اربع كلمات ثم جاء التعليق التالى فى هامش هـ « إنما رحلوا من هناك ظهر يوم الإثنين سابع عشر شهر ربيع الأول » .

للغزو ، وكان ركوبهم فى البحر (١) . . . . . . وساروا ففرقتهم الريح إلى أن اجتمعوا فى طرابلس (٢) ، وتوجّهوا منها فى . . . . . . (٣) فلما كان فى السابع من جمادى الآخرة فتحوا بلداً فى جزيرة فى وسط البحر تسمَّى القَشْتِيل (٤) (بفتح القاف وسكون المعجمة وكسر المثّناة من فوق وسكون المثناة من تحت بعدها لام) ، وقد شرح لى صاحبنا العلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر بن الحسن البقاعى الوقعة فأثبتها فى هذا التعليق بخطّه منذ توجّهوا من دمياط إلى أن توجهوا إلى جهة الدّيار المصرية لتكون قِصَّتها متوالية :

« وهذا أول سفر الجيش المنصور (٥) من داخل فم البحر كان يوم الأحد رابع عشر ربيع الآخر قاصداً اللّمْسون من جزيرة قبرص ، جعلها الله دار إسلام إلى يوم الدين ، آمين .

« وكان فى المراكب واحد بطىء السّير فكان النّاس يتقدّمونه بحكم الهواء ثم يرجعون بسببه ، فتاهوا عن طريقهم فأشرفوا على جبال صيداء إذْ كان قد قلّ ماء بعضهم فأرسى على ساحل بيروت ليلة الاثنين ثانى عشرى الشهر تَمُربَاى فى خمسة عشر مركباً فأرسوا على طرابلس فى تلك الليلة ووجدنا العسكر الشامى قد توجّه من بيروت إلى قُبْرص فى خمسة عشر مركبا يوم الخميس ثانى عشر الشهر ، ثم رحَلنا عن بيروت يوم الأربعاء رابع عشرى الشّهر والرّيح قليلٌ

---

(١) بياض فى الاصل بمقدار ثلاث كلمات ، ثم جاء فى هامش « هـ » بخط البقاعى « اى الملح يوم الاحد سابع عشر ربيع الآخر » .

(٢) علق البقاعى على هذا الخبر فى هـ فقال : « لم يجتمعوا فى طرابلس بل كان اكثرهم فى بيروت وفيهم الامير إينال وذهب منهم خمسة عشر مركبا منهم امير البحر تمرباى فالقتهم الريح الى طرابلس وكان إرساؤهم بها ليلة إرسالها من بيروت ليلة الإثنين ثانى عشرى شهر ربيع الآخر ورحلنا من بيروت يوم اتفق رحيل الطرابلسيين يوم الاربعاء رابع عشرى الشهر فسكت عنا الريح بعد ان سرنا قليلا ولم تغب عنا جبال بيروت وكان من امر به من بلاد الشام قد سافروا قبل ان نصل إلى بيروت فاقتضى الراى إرسال جانبك النيروزى إلى احد باشات المراكب . وكان فى غراب يسير بالمقاديف عند سكون الريح الى ناحية قبرص لعله يصادف المراكب الشامية فيخبرهم بقربنا منهم ، ثم جاءت الريح بكرة يوم السبت سابع عشرى الشهر فوصلنا الجزيرة ضحى يوم ثامن عشريه . ووصل اليها من ذهب الى طرابلس فى عصر هذا اليوم » .

(٣) فراغ فى الاصل بمقدار اربع كلمات .

(٤) أشار ابوالمحاسن فى النجوم الزاهرة ١٥/٣٥٢ إلى ان قشتيل جزيرة صغيرة بجوار ساحل آسيا الصغرى الجنوبى . وكانت فى أيدى الفرسان الاسبتارية المتسلطين على رودس . اما الحملة التى اشار اليها ابن حجر فى المتن فتعرف بحملة قشتيل الروج ، وهى التى ارسلها السلطان جقمق لغزو قبرص والتى كان إمامها للمصلين البقاعى ، الذى ترك لنا وصفا للحملة ادرجه ابن حجر بخط صاحبه فى الأنباء . وقد اعتمدنا عليه وعلى وثائق الفرسان فى بحثنا المنشور عام ١٩٦٨ بعنوان The Egyptian Expeditions Against Castellrosso and Rhodes فى حوليات كلية آداب عين شمس .

(٥) فى هامش هـ « غزوة قبرص » .

جداً ، فأرْسيْنا على الملاّحة من أرض قبرص يوم الأحد ثانى عشريه فوافانا بها فيه من كان ذهب إلى طرابلس ، فكان ذلك من غرائب الاتفاق .

« ثم رحلنا يوم الثلاثاء مستهل جمادى الأول واستبَطأنا الشاميون وكانوا على اللمسون ، فلاقونا بين الملاّحة واللمسون فأرْسينا هنالك وقد تم عدد المراكب ثمانين ما بين أغربة وحمالات ومربّعات وزوارق وسلالير سوى ما يتبعها من القوارب .

« ثم سرْنا ليلة الأربعاء ثانيه فأرْسيْنا على اللّمسون فى آخر نهارها فوجدنا أميرها قدْ رحل بأهلها وأمتعتهم فحكم أصحاب الأغراض الدّنيوية - وهم غالب الناس - عليهم بنقض العهد وأفتاهم بذلك من تسميّ باسم الطلب ممّن لم ترسخ قدمه فى العلوم الديّنية ولم تَعْلُ ممارسته للسنة النبويّة ، ولا أتسَعت معارفه فى الأحوال الحربية والسياسات الشرعية وتشبثوا بما لاتمسّك فيه ، فاشتدَّ الأذى ، وعظم الخطب ، فسعوا فى تلك الأراضى بالفساد ، ونهبوا ما وجدوه فى بعض البلاد ، وحرقوا وقتلوا ، فَنَهَيْت مَنْ قدَرْتُ عليه ، وبالغْت فى الزّجر ، وبحثْتُ مع بعض من أضلهم حتى قطعْتُ حججهم ، وذكرْتُ أنّا تحقّقْنا لهم عهدا فلا نزيله إلاّ بتحقّق نقْضه ، وأنّ عُذْرَهم فى الهرب الخوفُ من المفسدين ، وما فى قوله تعالى : « يا أيها الدين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » [1] وتبينوا إشارة إلى التأنّى ، وعلى ذلـك فهم لعمرى لم يرجعوا بقلوبهم .

« ثم ذكرت قصّة يهود بنى النضير فى ذهاب النبىّ صلى الله عليه وسلم إليهم يستعينهم فى دية العامريَّيْن اللذين قتلهما خطأ عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه ، وجلوسه ﷺ إلى بعض جُدُرهم وعزمهم على أن يطرحوا عليه صخرة ليقتلوه ، وإخبار الله تعالى له بذلك ، وأنه مع تحققه لنقضهم لم يبادر إليهم بالقتال ، بل خيَّرهم بينه وبين المسير من بلاده ، إلى آخر القصة .

« فبينما نحن على ذلك إذْ جاءَتْ رسل صاحب قبرص فى آخر يوم الخميس تُخْبر بأنّ ضيافته تلاقى العسكر فى « ألباف [2] » وأنهم باقون على عهدهم ، سامعون ومطيعون

---

(١) الحجرات الآية ٦ .

(٢) « الباف » أو « بافوس » قلعة من قلاع قبرص وكانت الكلمة تطلق أيضا على موضعين قديمين فى القسم الجنوبى من الجزيرة .

مسرورون بمسيرنا إلى رودس لكثرة أذاهم له ، واعتذروا عن هرب أهل القرى المجاورة بنحو اعتذارى عنهم ، وفى ذلك اليوم رأى بعض المسلمين مركَبينْ أشرفوا علينا من بُعْدٍ بحيث رأوا مراكبنا ثم ذهبوا فقصدوا المسير إليهم فلم يكن فى الأغربة مَن يصلح لذلك من النوتيةّ ولا من الجند لتفرّقهم فى تلك الأراضى ، ثم رحلنا من اللمسون ليلة السبت خامس الشهر فأرسينا على الإسكينيّة عَصْرَ يوْمِها .

ثم سرْنا يوم الإثنين بالمقاذيف ، وتفرّقت المراكب لعدم الرّيح وعدم المقاذيف فى بعضها ، فأرْسينا على الرأس الأبيض فى ذلك اليوم ، ثم سرْنا منه ليلة الثلاثاء خامس عشر الشهر مع معاكسة الهواء ، وجرّ أصحاب المقاذيف الغرابين عنها ، فأرْسينا قريبا من ذلك المنزل ، ثم سِرْنا صبيحة يوم الأربعاء سادس عشره ، فأرسينا على قرية قريبة من ألباف ، فجاءت رُسُلُ صاحب قبرص فأخبروا عن مقدار الضيّافة ، وشكوا بِمّا فُعِل ببلادهم وتوجّعوا ، وظهر منهم الخداع ، إمّا لِمَا فُعِل ببلادهم أو لغير ذلك ، فاستقل أميرُنا هديتّهم ، وغضب لعدم مجىء ملكهم ، وإحضارهم لما بقى عندهم من المال ، واعتذر عمّا فُعِل فى بلادهم بأنّه فَعله بعض الأتباع بغير عِلْمه ، على أنهم معذورون لعدم المبادرة باللقاء وإحضار الضيافة ، والإخبار بالطاعة ، فرحل ليلة الخميس سابع عشرة معرجا عن ألباف لئلاّ يأخذ هديتهم ، فتعديناها وأرسَيْنَا على رأس الصندفانى .

ثم رحلنا صبح الجمعة ثامن عشر الشهر مع عدم الريح ، فاستمرّينا ندور فى الرّيح والبحر ، ونحن بحيث نرى الجبال إلى أن قصدْنا البر فأرْسينا به ليلة الأحد فى هذه المنزلة فاستقيْنَا .

ثم رحلنا يوم الأحد العشرين منه فنزلنا على مدينة العلايا من التركية ليلة الخمييس رابع عشرى[1] الشهر ، وحصلت هناك زلزلة عظيمة قبل غروب شمس يوم الجمعة بنحو عشر درجات ورجفَتْ منها الأرض ثلاث رجْفات ، ثم سرنا عنها يوم الاثنين ثامن عشرى الشهر ، فأرسينا على مدينة أنطالية يوم الأربعاء مستهل جمادى الآخرة ، ثم سرنا عنها ضحى ذلك اليوم فأرسينا على أغو[2] ليلة الخميس ثانية لاجتماع النّاس ، وكان قد حصل لهم ريحُ

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى « خامس عشريه ».
(٢) هنا كلمة لم نستطع قراءتها .

وأخبروا بصاحبهم فى أنطالية [١] يُصْلِح خَلَلاً حصل فى غُرَابِه ، فأمر يشبك الفقيه بالرّجوع لمساعدته فرجع ليلة الأحد خامس الشهر ، وسار الأمير بالجيش نحو رودس فرجعْنا إلى أنطالية فى ذلك اليوم . فلمّا أصْلِح المركب ، سرنا ليلة الثلاثاء سابع الشهر فلحقْنا العسكر بعد رأس الشالدون ، فأرسينا جميعنا على نزلة فنيكه ، ثم سرنا منها تلك الليلة ، فلحقنا جميع العسكر فى بكرتها عند مجاز القيقبون ومعهم بنخاص ، وكان مَرّ على المراكب ليْلاً فلم يرها وظنّهم تقدموا ، فلمّا قرب من القيقبون وجد أربعة مِن مراكب الفرنج فطلبوه ، فرجعْ ونذر بهم التركمان فاجتمعوا فى البرّ فنزلوه ورجعوا ، فعلم أنّ الجيش وراءه ، فاستمرّ راجعاً حتىّ نام فى فنيكة ، وبلغ الأميرَ خبرُهَ فأرسل فى إثره نجدةً فوجدوه فى فنيكة وفى هذا اليوم أرْسينا بالقيقبون ووجدوا هنالك امرأة جالسة على الجبل فأحضروها إلى الأمير فقالت إنها كانت تسحر جيش المسلمين ثم هداها الله تعالى للإسلام فأسلمت ، وأبطل الله تعالى باطل سحْرهم وأوْقعهم فى حبائل كُفْرِهم وشراك كيدهم ومَكْرِهم .

ثم سرنا فى أواخر ليلة الجمعة عاشر الشهر فأرْسينا ضُحَى يومها بمنزلة اينوا ، ثم سرنا منها فى أوائل ليلة السبت حادى عشره فأرسيْنا فى أواخرها على قشتيل الروج ، وهو حصن منيع على جبل رفيع فى طرف جزيرة تقرب مساحتها من مساحة القاهرة من الحسينية إلى القرافة ومن تربة برقوق إلى بولاق، فقاربه بعض شبان المسلمين فصعد إليهم بعض الأكابر فتلطّف بهم حتىّ ردّهم ، فظن الفرنج أنهم خافوا فرموا عليهم بمكحلةٍ وهزءوا بهم ، فأثّر الكلام فى الناس فكلم بعضهم الأمير فى قتالهم فمنعه منه ، وأقلع للسفر ثم أكثروا عليه فى ذلك فردّه لأمر قدّره وقضاه ، وارتضاه فى سالف الأزل فأمضاه ، فوثب النّاس إليهم وثوبَ الآساد ، وسمحوا بأرواحهم سماح الأجواد ، ووقع قائم الزحف ، وقام قاعد الحتف ، وتقدّمت الأبطال ، وتميزّت فحول الرجال ، وعملت المعاول فى السور ، وبَانَ هنالك الرجل الصّبور ، وتراشق النّاس بالنّبال ، وتراموا بالجنادل الخفاف والثقال ، فطارت رسل السهام طَيْر الحمام ، ودارت على البزايا كئوس المنايا ، واتقوا بالدرق والجنويات ، والدروع الداوديات ، ولله در المقاليع ، فلقد كانت كأنها المنجنيقات ، ولله أصحابها فلقد كان الأقوياء يسترون بعض أجسامهم بدروع الحديد ، وكانوا هم يعدون جميع أبدانهم حديداً ويرمون رمياً شديداً ، ثم أحجموا عن مجاوزة السور إلى جدار الحصن ، وهّبت ريح الصبا

---

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « باللام . وربما سميت عداليا » .

العاصف ففرّقهم وضعضع بعضهم ، فاجتمعوا إلا اثنين ، أحدهما لم يقفوا له على أثر ، والثانى من حين قتالهم إلى ظهر يوم الإثنين ثانى عشر الشهر ، فكان ذلك من آيات القول المحمدى : « نصرتُ بالصّبا » .

وفى ذلك اليوم حطم الناس ، واشتدّ الباس ، وقامت الحرب على ساق ، وكلّت من النظر الأحداق ، واشتكتْ إلى أبدانها الأعناق ، واستداروا بالحصن من غالب الجوانب ، وكثر فى رمينا الصائب ، فحمى الوطيس ، وخُذل إبليس ، وأخطأت كثيراً سهامهم ومكاحلهم ، وأصيبْت دروعهم ومقاتلهم ، وحينئذٍ استدارت الريح دبوراً فكانت من علامات إهلاكهم ، وأهلكت عاد بالدبور ، وهَدَّتْ مكحلتنا عند ذلك ناحية من الجدار ، وأضرِم بسهم خطّى مِن تحته نار .

وكان ذلك من بديع الآيات ، وعظيم العنايات ، ومازالت تقلله تقليلاً ، وتهدمه قليلاً قليلاً ، إلى أن هدمت منه حانباً كبيرا ، وكان يوما على الكافرين عسيرا .

وكان الأمير سودون قَرْقَماس المؤيّدى قصّ علَىَّ يوم السبت سادس عشرى جمادى الأولى أنه رأى فى المنام أن الحصار فى مكان له سوران ، قال : « فهزَزْت الذى يلينى لأرميه ، فقال : إرْمِ الذى وراءك فهو الأهم ، فقلت : بل أرْميك ثم أرْميه » فكان تأويل ذلك أنه كان منزله وقت حصار هذا الحصن قربَ البرج الأخير الذى فيه الباب ، فأشْرَفَ مِن هناك بعض الفرنج ضحى الخميس سادس عشر الشهر [1] وقالوا : « قد كان قصدكم إلى رودس فنريد أن تذهبوا إليها قبل أن تُنْهك أنفسكم وأموالكم ، فأن أخذتموها فنحن فى قبضتكم ، أو أعطونا سلورة حتى نذهب إليهم ، فإنْ رضوا بتسليمنا لكم فعلْنا » فلم يردّ الأمير لهم جوابا إلاّ رَمْى المكحلة والمنجنيق . وكان تهيّأ فى ذلك الوقت ونادى مناديه - وهم يستمعون - بالمنع من كلامهم إلاّ بإذنه ، وكنا وجدْناهم قد طمُّوا بعض آبارهم ووضعوا فى الجميع تراباً وأغصان الدفلى وورقها ، فأنتنت المياه وقَلّتْ ، فذهب جماعة من المسلمين إلى بّر التركية للاستسقاء فوجدوا هناك ثلاثة رجال فأتوا بهم فى عصر هذا اليوم ، فسألهم الأمير عن أمْرِهم فقالوا إنهم هربوا من بلاد التركمان قاصدين إلى القشتيل فضربهم ، فأصرّوا على ذلك وقالوا إنهم مماليكُ لبعض الروم ، وسمَّى كُل مالِكه .

وكان قد أصيب خَلق - ممن دنا الى الحصن بالحجارة والنّبْل وضاع مناً فى أحجارهم سهام كثيرة فَمنَع الأميرُ الدّنُو إليهم وجَعَل جلّ القتال على المدفع والمنجنيق ، ثم أمطرت علينا

(١) فى هامش هـ بخط البقاعي : « اعنى جمادى الآخرة » .

السّماء من أوائل يوم الأحد إلى أواخر يوم الاثنين مطراً متّصِلاً ، ومنه ما هو شديد جدًّا مع برقٍ ساطع ، ورعْدٍ صادع ، ثم استمر الجو فى غالب الأوقات مُعبسا ، والمطر يتعاهد الأرض والهواء عاصفاً ، فشقّ ذلك على النّاس لإتيانه لهم على غفلة ، لكن أغناهم عن الاستسقاء من برّ التركية ، ثم صحت السماء يوم السبت خامس عشرى الشهر وحميت الشمس ، فاتفقت فيه كثرة إصابة المكحلة والمنجنيق وتواردهما على مكان واحد من الجدار فأوهناه وهنا شنيعا ، وأسرعنا إلى إفساده ذريعا ، فخاف الكبار من الدّنوّ إلى ذلك المكان ، فاتّفق أنْ قاربه إثنان من المسلمين فعلما ذلك فلاصقا الجدار وتبعهما الناس ، وأسرع إليهم النقّابون وستروهم بالأتراس ، وجاء الفرنج وأكثروا من رَمْى الحجارة فيسرّ الله تعالى عليهم نَقْبه ، وتلاحق الناس بالجنويات وجدّوا فى الأمر ، وكان القتلى مع ذلك قليلين ، وجاء الليل فأرْخى ستره ، وأسْبَل سرباله ، فكانت حجارتهم تنزل على عمية ، فغلبت السلامة وضاق النقب على الحجارين فستر لهم بابه بالأخشاب فأوضعوا ، وجدّ الجدّ عند الصباح ، وعظم الهدّ لما دعا داعى الفلاح ، وحمّ الأمر ، وجاء النّصر ، ودُقّتْ فينا البشائر ، وشُقُتْ منهم بعد الجُدُرِ المرائر ، فقذف الله تعالى [1] « فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين » فطلبوا الأمان عند الشروق ، فكفّوا عنهم النبل ، ودَلَّوا كبيرهم إلينا بحبل ، فوقع الصلحُ على أن يكفّوا عنهم القتل وعن أهلهم ، ويتركوا حصنهم بما فيه ، فكان ذلك من الألطاف الخفيّة والآيات النبوّية ، وكانت عدّتهم نحو مائة وخمسين ، ورجالهم ستين ، والله أعلم بعدد قتلاهم ، فقد سُئل اثنان بحضور مفترِقَين فاختلف كلامهما اختلافاً كبيراً وقُتِل مناً أكثر من ثلاثين ، وجُرِح منا كثير . فصعد المسلمون إليه [2] وعادوا عليه ، ونكّستْ تلك الأعلام ، وانتصَبَتْ رايات الإسلام ، وكُسرت الصلبان ، وعلت كلمة الإيمان ، وزعق هنالك الزّمر السلطانى ، وخَمَدَ ـ ولله الأمر ـ الأمر الشيطانى ، وكان يوماً علينا مطيراً ، وعلى الكافرين عبوسا قمطريرًا .

ثم شرعنا فى هدم المكان صُبْح يوم الاثنين سابع عشرى الشهر ، فلم يفرغ إلاّ وقد ساوت جدرانه الأرض ، من طولها والعرض ، وسارع إليه الخراب ، وصار مأوى الثعالب والذّئاب ، ولم يبق فى تلك الجزيرة دّيار ، ولا نافخ نار .

---

(١) آل عمران الآية ١٥١ .

(٢) أى إلى الحصن .

« ولقد صعدتُ الحصن فرأيت من صعوبته ما يزيد عن الوصف ، وكثر حمدى لله تعالى على ما ألقى فى قلوبهم من الرّعب ، فإنهم لو ثبتوا لزادَ التعب ، وربّما لم يُقْدَر عليه بنقب ولا مكحلة ، والمرجو ممّن حقّق بعض منام الأمير سودون أن يحقّق بقيّته سبحانه وتعالى .

واتفّق رأىُ الأمراء على أن يشتوا فى بلاد الروم فى بلدةٍ يقال لها مَكرِى حتى يريد الله ما يريد ، فهو المرجوّ فضله فى تيسير الأمور ، ثم لم يوافقهم الريح الشرقى ، واستمر الريح الغربى ، وخافوا مِن هرب مَن فى المراكب مِن النواتيّة وغيرهم ، فاقتضى رأيهم أن ينزلوا بحزيرة قبرص ، فساروا ضحى يوم الأحد ثالث شهر رجب فأصبحوا بمنزلة فنيكة وقد تفرّقت المراكب لظلمة الليل وقلة الّريح ، فأقاموا بها يومين ثم سافروا فقويت الريح فأرسوا بالجانب الغربى من رأس الشالدون فى منزلةٍ يقال لها قرابالق ، وقد تفرّقت المراكب بحيث لم يعلم أحد خبر أحدٍ ، إلى أن هَبت الريح فاجتمعوا إلّا مركب الأمير أينال الدويدار وهو كبيرهم، فأرسلوا مَن يعرف خبرهم فى مركب لطيف فلم يَعُد الخبر عنه . ثم ظهر أنه أرسى بمن معه فى القيقبون من عدم الرّيح ، فتوجَّهَتِ الأغربة بأمر أمير البحر إليه وكان غرابُنا منها ، فسرنا بعد أن دفن أمير الشاميين فارس نائب القلعة ، وكان جُرح فى القشتيل فى جبينه جراحةً أزالت عقله ، فلّما كنّا فى أثناء الطريق آخر هذا اليوم أرسلَتْ علينا السّماءُ من أفواهها عيون الماء ، واجتمعت ظلمة الليل إلى سواد ذلك العمى ، فأرْسينا هنالك وقد خفنا أن تحيط بنا المهالك ، وأن تحبط أعمالنا بذلك . فلم نصبح يوم الأحد عاشره إلّا وقد شابت رءوس الجبال فاكتست عمائمَ الثلج الابيض ، وعادت وجوه الرجال من ثياب البرد فى الطويل العريض ، ثم ابيضّ السحاب فشابت منه ناحية البحر ، وعاد اسوداده واخضراره فائقاً بياض النحْر ، فضربتْنا الأنواءُ من بياض الجبال والبحر بشيبين،وأغرقتنا المياه من ماء الغمام والموج بسببين ، وُبلِينا من قَرصْ الذباب ورقص الغراب بأليم العذاب ، فعلمت أنه لايريح من هذه الهموم ، ولا يزيح ما توالى من جيوش الغيوم ، إلا الأعمال الصالحة ، والأقوالُ الرابحة ، ولم أستحضر فيما سلف لى منها ما أرتجيه . فألتجىء إلى ظلّه وأرتْجيه ، وفهمتُ من حديث كعب بـن عُجْرَة وغيره أن أسرع الدعاء فى القبول ، وأشدّه إنقاذا من شدائد الشدائد الصلاة على الرسول ، فلزمْتُها ليلاً ونهاراً ، عشياً وأبكاراً .

وأرسينا ليلة الاثنين على فنيكة ، ومنعنا الهواء من جوازها وهو صعب العريكة ، فبتنا ليلة رأينا فيها من الأهوال ما رأيْنا ، وقاسينا من شدائد الأحوال الذى قاسْينا : ريح تكاد

والعياذ بالله ـ أن تقلب الغراب ، وصَيِّبٌ لايُنجى منه سترٌ ولا ثياب ، وبرْق يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، وأمواجٌ ما يمنعها من الكبر ومثارها البحر الزخار ، فضاقت الصدور منا أجمعين ، وصارت القلوب من خافضين رافعين ، ليلٌ سواده أشدّ من سواد الغراب ، وغراب أعظم فى تقلّبه من الطائر النعّاب . ثم انجلت الشمس وطاب الوقت ، وابتدأنا فى احتباء ثمرة الصلاة من الفوز والنجاة ، فسرْنا فى أواخر ليلة الأربعاء ثالث عشر الشهر نحو القيقبون حتى أدركنا بقية الجيش فى المكان الأوّل ، واجتمعت الآراء على العود إلى الدّيار المصرية ، خوفاً من هيجان البحر وعدم موافقة الرياح ، والله المستعان (١) .

•••

واتّفق وصول أولهم إلى ساحل دمياط فى يوم الأربعاء (٢) التاسع (٣) عشر من شهر رجب ، ووصل الخبر بذلك إلى القاهرة فى يوم الجمعة بعد الصلاة (٤) .

ثم وصل سودون المحمدى مبشّرًا بقدومهم ، فاجتمع بالسلطان يوم الأحد (٥) الثانى والعشرين منه ، ثم تلاحق بقية العسكر ، فمنهم من جرته الريح إلى ساحل دمياط كما تريد ، ومنهم مَن جرَّته إلى الاسكندرية ونزل أكثرهم بساحل رشيد ، ثم دخلوا بحر النيل ، فاستقبلتهم الريح المريسيَّة فما تكامل مجيئهم إلاّ فى يوم الأربعاء حادى عشر شعبان . فركبوا جميعا ومعهم الأسرى والغنيمة إلى القلعة ، وخلع عليهم واجتمعوا بالسلطان فى يوم الخميس [ثامن عشر] (٦) .

•••

ومن الحوادث بعد أن سافر الغزاةُ فى أواخر جمادى الأولى ، قُدومُ زين الدين عبدالباسط الذى كان ناظر الجيش ومدبّر المملكة فى سلطنة الأشرف بعد أن استأذن فى القدوم إلى السلطان زائرًا فأذن له ، فتقدّم وهرع الناس إلى تلقّيه وبالغوا فى ذلك لما ظنّوه من عَوْده لما كان

---

(١) امامها فى هامش هـ بخط الناسخ : « آخر ما هو من كلام العلامة برهان الدين ومن خطه » اى من كلام البقاعى .
(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى : وفى هذا اليوم وصل بعضهم الى ساحل رشيد .
(٣) فى هامش هـ بخط البقاعى : « إنما هو العشرون ، تعرف صحة ذلك إذا تاملت تواريخ التراجم ممن مات فى هذا العلم » .
(٤) فى هامش هـ بخط البقاعى : « ثانى عشريه » .
(٥) فى هامش هـ بخط البقاعى : « ليلة السبت ثالث عشريه »
(٦) الإضافة من هـ بقلم البقاعى .

عليه ، فلما اجتمع بالسلطان خلع عليه وعلى أولاده الثلاثة ، فزينت لهم البلد ، وأظهروا من الفرح به ما لم يكن فى البال ، حتى أطبق أكثر الناس على أنهم ما رأوا مثل ذلك اليوم من كثرة استبشار الناس به ، وهرع الناس للسلام عليه بعد ذلك ، وأرجفوا بولايته وتباينوا فى ذلك ، فأقام أيامًا ثم استأذن فى الزّيارة ، فأذن له فحصل له بسْط زائد وابتهاج ، وعاد بغير شىء ، ثم تكرّر ذلك إلى أن ظهر أنّه لا أرب له فى ولاية من الولايات ، وإنما يريد أن يشتى بالقاهرة ويصيِّف بالشام فسكت عنه ، ثم بَدَى له أن يستأذن فى الرجوع فأذِن له ، فوُدّع وسارَ قبل أن يستهّل رجب ، وحصل لأصحاب الوظائف طمأنينة زائدة بعد قلق كبير ، لأن كلا منهم ما كان يدرى ما يؤول أمره بعد ، وأعطى السلطانُ لولده الكبير إمرة [١] .

•••

وفيه رافع ولد [٢] القاضى شهاب الدين بن الرسّام الذى كان قاضيا بحماة ثم بحلب ، وكان ولده هذا يتقاضى [٣] الأشغال بباب والده ، ثم توصل إلى التعرّف بالسلطان لمّا كان فى السفرة الأخيرة فى دولة الأشرف بحلب ، ثم إنّه حضر ورافع فى كاتب السرّ وهو زين الدين عمر بن شهاب الدين بن السفاح ، وفى نائب القلعة ووالى القلعة ومباشر القلعة أنهم استولوا على الحواصل السلطانية فى إمرة تَغْرِى بَرْمُش الذى كان نائبا بها وخرج لما خُلِع الملك العزيز وآل أمره إلى القتل كما تقدم ، فأحضر الأربعة من البريدية وحُبسوا بالبرج ، ثم أذن لنائب القلعة تغرى برمش الفقيه فى محاسبتهم ، فتقرر عليهم خمسة وعشرون ألف دينار وأطلقوا ليحصلوها ، واستقر الذى رافع فيهم فى نظر الجيش وكتابة السر جميعا ، وسافر ومعه زوجته ألف [٤] بنت القاضى علم الدين صالح بن شيخنا البلْقينى ، فلما كان بعد سفره بعشرة أيام

(١) أشار ابوالمحاسن فى حوادث الدهور جـ ١ ص ٦٣ الى ان قدوم الزين عبدالباسط بن خليل واولاده كان يوم ٨ جمادى الآخرة سنة ٨٤٧ ، وان السلطان لاقاه بغير ترحاب إذ قال له « اهلا » بصوت خفى ولم يزد على ذلك . ثم البسه واولاده خلعا ، وفى يوم ١٠ جمادى الآخرة قدم عبدالباسط تقدمته وكانت ضخمة » ثم يعقب ابوالمحاسن على ذلك بقوله : « وبعد هذا كله لم يتحرك حظ عبدالباسط عند السلطان ولاتجمل معه بوظيفة من الوظائف . بل امره بالسفر بعد ايام قليلة .

(٢) فى هامش هـ كتب البقاعى يقول : « اسمه عبدالقاهر » هذا وقد ترجم له الضوء اللامع ١٨٤/٤ ترجمة قصيرة قال فيها انه كان ممن ولى كتابة السر بحلب ونظر جيشها وجواليها .

(٣) فى هامش هـ بخط البقاعى : « هذا صفة الوالد وهو شهاب الدين احمد » .

(٤) هى « الف » ابنة القاضى علم الدين صالح بن عمر بن رسلان البلقينى . وقد انجبت ولدا صار أمير المؤمنين المستنجد بالله يوسف واهتمت بمدرسة جدها كما رتبت عندها قراء يقرأون الحديث والتفسير .. وكانت كثيرة الخير والبر والرفد . انظر ترجمتها فى الضوء اللامع ٣٩/١٢ .

أعيدت كتابة السر لابن السفاح ، وأذن له فى السفر[١] .

•••

ذكر من مات فى سنة سبع وأربعين وثمانمائة من الأعيان

١ - أزْبُك جحا[٢] مات مسجونا بقلعة صفد وكان من خواص الأشرف .

٢ - أبو بكر[٣] بن إسحق بن خالد الكختاوى الحنفى ، العلامة زين الدين المعروف بالشيخ باكير ، وُلد فى حدود السبعين بكختا[٤] ،وكان إماما بارعاً فى علوم شتىّ ، وفى لسانه شبه لُكْنَة ، مع سكون وعقل زائد ، وحُسْن شكالة ، وشيبة منورة ، وجلالةٍ عند الخاص والعام.ولى قضاء حلب ، فحُمدَت سيرته ، وأفتى ودرس بها ، ثم بمصر باستدعاء السلطان له حين ولاه مشيخة الشيخونية ، وانتفع به جماعة .

٣ - تمراز الملقب بتعريص[٥] ، أحد الأمراء العشراوت . مات عائدا من رودس فى هذه السنة .

---

(١) وذلك بعد المرافعة فيه وحبسه ثم اطلاقه .

(٢) ضبطته نسخة هـ بضم الجيم وفتح الحاء ويقول السخاوى فى الضوء اللامع ٨٤٣/٢ إنه لقب بذلك « لخفة روحه ومجونه ودعابته » كما يعرف ايضا باسم ازبك السيفى قانى بك جحا .

(٣) لم ترد هذه الترجمة فى هـ ، لذلك جاء فى هامش هـ بقلم البقاعى قوله : « ابوبكر بن إسحق الإمام العلامة المشهور بالشيخ باكير الحنفى المشرقى الحنفى ، تقدم فى سنة ست وثلاثين فى ترجمة حسن القدسى أن أهل هذا من ملطية ، ثم سكن حلب وأنه ولى قضاءها ، وأخذ عنه المحب ابن الشحنة . مات يوم الأربعاء ثالث عشرى جمادى الأولى سنة سبع واربعين وثمانمائة شيخا بالمدرسة الشيخونية ، وكان قد اختلط فى آخر أمره مدة ، وولى مشيختها حسن الكمال بن الهمام » انظر أيضا شذرات الذهب ٢٦٠/٧ هذا وقد اعاد ابن حجر ترجمته فى وفيات السنة التالية . انظر فيما بعد ، ص ٢٣٠ ، ترجمة رقم ٢ .

(٤) كختا قلعة قديمة على نهر كختاصو ، وتقع على مسافة اربعين ميلا تقريبا من جنوب شرقى ملطية ، ولها وصف مطول عند ابن عبدالظاهر : تشريف الأيام والعصور ٢٨/٢ - ٢٩ .

(٥) خلت هـ من هذه الترجمة ، وانظر الضوء اللامع ١٥٧/٣ للوقوف على صحة الاسم . ولم يرد فى النجوم ولا فى حوادث الدهور جـ ١ ص ٦٨ . شىء عن تمراز .

٤ ـ حسين بن عثمان بن الأشقر بدرالدين ، أخو ناظر الجيوش محب الدين [محمد] وكان قد باشر نظر المرستان نيابة (١) عن أخيه (٢) لمّا تولّاه فى زمن الملك الظاهر جقمق .

مات فى صفر ولم يكمل الستين ، وتأسّف عليه أخوه كثيراً ، وكان أخوه قائما بأموره كلها .

٥ ـ حسين بن محمد بن احمد بن محمد بن عبدالله بن اسماعيل بن النّحال السكندرى الأصل ، القاهرىّ المعروف بالكلابى ، بدر الدين ، وُلد فى صفر سنة ٧٥١ بالقاهرة ، وأخبر أنه ليس من بنى كلاب وإنّما لقّبه بهذا اللقب بعض النّاس ، وسمع علَى النجم بن رزين صحيح البخارى ، وعلى الصلاح البلقينى صحيح مسلم وحدث ، وابتُلى فى جسده ببياض ، وتوفى ليلة السبت التاسع عشر من جمادى اولى وأضرَّ (٣) بآخره وكان حفظ القرآن وهو صغير ، والوجيز للغزالى ، وألفية ابن مالك ، والإلمام لابن دقيق العيد ، وبحث فى الفقه على البدر الطنبدى ، والبرهان البيجورى وغيرهما ، وكتب الكثير بخطّه .

٦ ـ خليل (٤) [بن احمد بن على] السخاوى ، غرس الدين ، ناظر الحرمين : القدس والخليل كان عامّيا فرقّاه الظاهرُ جقمق حتى عُدَّ من الأعيان ، ولم تطل مدّته حتى مات فى العشرين من جمادى الأولى من هذه السنة ، وكان يَتديّن مع كونه عاريا .

٧ ـ صدقة (٥) المحرقى فتح الدين ناظر الجوالى ، كان مِمَّن ربّاه جقمق على عاميته . مات فى ليلة الخميس سلخ شوال ، ودُفن ظاهر باب الجديد .

---

(١) اشار السخاوى فى ضوئه ٣/٥٦١ إلى ما بين الأخوين من إكبار صلة الرحم فقال : « تاسف عليه اخوه كثيرا وكان قائما باموره كلها حتى استنابه فى نظر البيمارستان حين ولايته » .

(٢) هو محمد بن عثمان بن سليمان بن رسول الكرادى وقد استقر فى كتابة السر بمصر ، انظر ترجمته بالتفصيل فى الضوء اللامع ٨/٣٣٥ .

(٣) كان سبب عماه كثرة الكتابة إذ حصلت له غشاوة ورمد ، فكحله كحال فادّى ذلك الى ضياع بصره وذلك سنة ٨٣٥ ، انظر الضوء اللامع ٣/٥٨٧ .

(٤) لم ترد هذه الترجمة فى نسخة هـ وقد اضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة الضوء اللامع ٣/٧٣٥ .

(٥) لم ترد هذه الترجمة فى هـ ، ويلاحظ ان ترجمة صدقة المحرقى الواردة فى الضوء اللامع ٣/١٢١٨ ليس ثم ما يربط بينها وبين الترجمة الواردة اعلاه ، فصاحبها هناك كان يتكسب بالخياطة ثم إن وفاته كانت سنة ٨٨٦ .

٨ ـ على بن أحمد بن البصّال [١] الإسكندرانى الأصل ، نور الدين ، كان يتعانى التوقيع فى ديوان الإنشاء ، واشتغل كثيراً فى عدة فنون ، ولم يكن بالماهر ، وسمع من أبى الفرج ابن الشيخة ، والشيخ سراج الدين بن الملقّن وغيرهما ومَن قبل ذلك ، وكتب بخطّه كثيراً من تصانيف شيخنا المذكور ، وحدّث باليسير ، ولازم مجالس الإملاء عندى نحواً من عشرين سنة ، مات فى آخر يوم الأربعاء ثالث عشر رجب [٢] وأظنه أكمل السبعين [٣] .

٩ ـ فارس ، أمير السرية [٤] التى خرجَتْ من دمشق فى الغزاة إلى رودس [٥] فأصابته جراحة فتضعّف منها إلى أن مات فى البحر بعد أن ر جعوا . وقد ذكر فى رسالة برهان الدين .

١٠ ـ محمد ناصر الدين أبوالمعالى ابن السلطان الملك الظاهر جقمق ، مات فى ليلة السبت سحر الثانى [٦] عشر من ذى الحجة ، وكان مولده فى شهر رجب سنة ٨١٩ ، وقرأ القرآن واشتغل بالعلم وحفظ كتبا ومهر فى مدّةٍ يسيرة ، ونشأ فى معاشرة أهل العلم ولازم الشيخ سعد الدين بن الدّيرى قبْل أن يلى القضاء ، وتردّد إلى كاتبه [٧] بحُسْن ذكائه وصار مشاركاً فى علوم ، وله محاضرة حسنة بحيث لايُعلم من أبناء جنسه نظيره ، مع التواضع والبشاشة وحسن الشّكل ، وأخذ من محيى الدين الكافياجى الرومى وغيره ، وكان محبًّا فى العلم والعلماء ، وولى الإمرة بعد سلطنة أبيه بقليل ، وجلس رأسَ الميسرة ، وسكن الغور

---

(١) جاء فى هامش هـ أمام هذه الترجمة بخط البقاعى « ابن خليل بن ناصر بن على بن طى المشهور قديما بابن السفطى ، وأخيرا بابن البصال » . انظر ايضا عنوان الزمان ، رقم ٣٣٠ ، والضوء اللامع ١٢١٨/٣ .

(٢) اكتفى السخاوى فى الضوء اللامع ٥ / ٥٧٠ بان ذكر انه مات فى رجب سنة ٨٤٧ ، اما شذرات الذهب ٧/ ٢٦ فقد جعلت وفاته يوم الأربعاء ٢٣ جمادى الأولى ، وهذا التاريخ يطابق من حيث الصحة ماجاء فى جدول سنة ٨٤٧ بالتوفيقات الإلهامية ، ص ٤٢٤ ، كما ان الأربعاء يطابق ماجاء فى نفس المرجع من ان أول رجب كان يوم الجمعة . هذا ويلاحظ ان الشذرات نسبت التاريخ الذى اوردته (وهو الأربعاء ٢٣ جمادى الأولى) إلى ابن حجر ، فلعلها استخدمت نسخة اخرى غير المستعملة فى تحقيقنا هذا ، او لعله سهو قلم من ابن العماد .

(٣) اضاف البقاعى فى تعليقه على ذلك قوله : « بل زاد . كان مولده سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة » .

(٤) فى الضوء اللامع ٥٤٨/٦ « السرحة » .

(٥) يقصد بذلك حملة قشطيل الروج ، راجع ماسبق ص٢٠٩ ـ ٢١٦ وانظر ايضا : H. Habashi : Egyptian Expeditions against Gastelrosso and Rhodes (حوليات كلية آداب عين شمس ١٩٦٨) .

(٦) امام هذا فى هامش هـ بخط البقاعى : « إنما هو الثانى والعشرون » ويطابق قول البقاعى التاريخ الوارد فى النجوم الزاهرة جـ١٥ ص٢٠٥ .

(٧) يعنى ابن حجر بذلك نفسه ويلاحظ ان العبارة من هنا حتى قوله « والبشاشة وحسن الشكل » غير واردة فى نسخة هـ .

بالقلعة ووعك [١] فى أثناء السنة قَدْر شهرٍ ، ثم عُوفى ثمّ انتكس فى أوائل شوال ، وأصابه السّلّ فصار ينقص كلّ يوم ، ثم انقطعَتْ عنه شهوةُ الأكل وخرج إلى النزهة فى الربيع وهو بتلك الحال ، فما رجع إلاّ وهو تعب لما به ، ثم طرأ عليه الإسهال واستحكم به السّل ، وهو مع ذلك يحضر الموكب إلى أن صَلىَّ صلاة العيد ، ونزل إلى بيته بالرميلة فضَحًى ، ورجع واستمرّ إلى أن مات ، ولم يتهّيأ له أنْ يوصى ، وخَلَّف بنتين وثلاث نسوة ووالديه ، وكان صَيّنا لكثرة من يعاشره ، ويلازم الشَافعية ، وكان كثير البشر والبر ، قليل الأذى ، كثير الإنكار على مالا يليق بالشرع ، إلا أنه كان منجمعا عن الكلام مع والده ، وكان يكظم غيظه إلى أن قدرت وفاته ، فمات شهيداً بالبطن . ويقال إنّه سحر فمرض من ذلك السحر ، ووجد السحر والساحر ، فمنعهم أبوه من الاعتماد على ذلك ، ومنهم من يزعم أن سقى ، ولم يثبت شىء من ذلك ، ودفن بقرب القلعة بالتربة التى أنشأها قانباى الجركسى لولده محمد ، وكان من أقرانه ، وكانت سيرة الآخر مشكورة ،ومات وله دون الثلاثين [٢] .

---

(١) اشار ابوالمحاسن فى النجوم الزاهرة جـ١٥ ص٥٠٣ ـ وقد عرفه شخصيا إلى وصفه ووصف مرضه فقال إنه « كان يشارك فى ملاعيب كثيرة لولا سمن فيه اعتراه وكره هوذلك . واخذ يتداوى فى منع السمن باشياء كثيرة ربما كان بعضها سببا (لموته) مثل شرب الخل على الريق ، ومنع اكل الخبز سنين ، وكثرة دخول الحمام حتى ان غالب جلوسنا كان معه فى الخلوة فى مسلخ الحمام الذى ابتناه بطبقة الغور من القلعة وبداخله فى الحرارة ، ولايبعد ان يكون السل هو نتيجة تعرضه للحراة الشديدة ثم الهواء البارد » .

(٢) علق البقاعى على هذا بقوله : « كان الناصر محمد بن الظاهر شكلا حسنا وذاتا لطيفة مع اخلاق دمثة وفضيلة تامة ، وعقل وافر ، وبشاشة مفرحة ، وتواضع لطيف لاسيما مع طلبة العلم ، وذكاء مفرط ، وحافظة معتدلة ، سمعت شيخنا المصنف (يعنى بذلك ابن حجر) يتعجب من اجتماعها له . وكانت له بديهة جيدة ...حدثنا ان شخصا قال إنه يريد مدح الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ قال ، فقالت له اجعل القصيدة ميمية واجعل مخلصها :

وافتخرت مصر على اهلها بطلعة الصاحب عبدالكريم

وكان ذلك بحضرة من كان حاضرا مجلسه ، وحدثنا بما قال ، قال جاءنا مرة إلى الربيع شخص ثقيل فنشبت به السن الجماعة ينكتون عليه ويخجلونه ، فقال احدهم « هو جبل المقطم » فقلت انا : « لا ، بل جبل خرا » ، إلى غير ذلك من البدائه الحسنة الرائقة ، وكان يشارك فى غالب الفنون : الفقه والاصلين والنحو والحديث والتاريخ ، ويذاكر بشىء كثير من ذلك لاسيما الحديث والشعر ، وكان ملازمًا لكاتبه ، يتردد إليه من سلطنة ابيه إلى الغور شيخنا قاضى القضاة سعد الدين بن الديرى للفقه ، وشيخنا الحافظ ابن حجر للحديث ، والشيخ محيى الدين الكافيجى للأدب والمعقولات ، هذا مع الشجاعة والفروسية وإدمان العلاج والرمى وغيره من الات الحرب ، وكان فيه سمن فلما ولى ابوه الملك زاد (السمن) به فخشى من إفراط ، فتداوى له حتى زال ، وترك اكل الخبز من اجله ، واختلف الناس فى علته ، فمنهم من يقول من التداوى ، ويذكر انه ادمن شرب الخل على الريق ، وانه اكل الزجاج البكر ، واخر يقول « مسحور » ، واخر يقول « مسموم » . واستمر عليلا من اواخر شعبان إلى أن توفى فى ثانى عشرى ذى الحجة من السنة . وكانت جنازته عظيمة الشأن لايحصى حاضروها وكثر الباكون بها . ولقد كان السلطان يبكى عليه . رحمه الله » .

١١ ـ محمد بن حسن بن على [١] الشيخ الحنفى الصوفى ، وُلد سنة ٧٦٧ وحفظ القرآن وسمع على الفرسيسى السِّيرة النبوية لأبن سيدّ الناس بسماعه منه ، واشتغل قليلاً ، وكان له حانوت على رأس حارة بَرْجَوان يبيع فيه الخيط والحرير والورق ، ثم ترك ذلك وتزهّد وأقبل على العبادة وصارت له سوق نافقة جدًا ، واتّصل بالأمير ططر ، فلمّا تَسلْطَن عظم أمره ، واشتهر ذِكره ، ومال الناس إليه ، وبنى له زاوية بسويقة السباعين وأقام بها ، وكان لا يقوم لأحدٍ من الناس كبيراً أو صغيرًا ، ويعمل المواعيد ، واستمر على ذلك الى أن مات فى رابع أو خامس ربيع الآخر رحمه الله ، ووهم من أرّخه فى ربيع الأوّل . وكان خيّرًا ديّناً فقيهًا عالماً مسلكا ، يعظ الناس ويُعلمهم ، وعلى وعظه رفق ، ولكلامه وقع ، وللملوك فيه اعتقادُ ، وهو فى حدود الثمانين بزاويته خارج قنطرة ظاهر القاهرة ، وبها دّفِن .

١٢ ـ يحيى بن العبّاس بن محمد بن أبى بكر العباسى ، وهو ابن الخليفة السلطان المستعين بالله أمير المؤمنين بن المتوكّل بن المعتضد ، مات بعد الظهر الثانى عشر من المحرّم وأخْرِجَتْ جنازته صبيحة الثالث عشر ، ودُفِن بالصحراء فى حوش اتّخذه لنفسه فدُفن فيه أولاده الثلاثة [٢] ، ولم يخلف غير بنتين ولم يبلغ الأربعين وكان قد ترشّح للخلافة لمّا مات عمه المعتضد داود وادّعى أنّ والده داود عهد إليه فلم يتم له ذلك .

وكان من خيار الناس ، مشكور السيرة ، سليما ممّا يعاب ، رحمه الله ، ولم يخلف ذكراً ، وخلّف مالاً جزيلاً فيما قيل .

١٣ ـ جمال [٣] الدين [يوسف بن محمد بن أحمد] المجبرّ التزمنتى ، الشيخ جمال الدين ، مات فى ليلة الجمعة خامس عشر شهر رجب وكان فاضلاً ، اشتغل كثيرًا ودار على

---

(١) لم ترد هذه الترجمة فى هـ .

(٢) كلمة « الثلاثة » غير واردة فى هـ ، ويظهر انه لاموضع هنا لكلمة « اذ لم ينجب غير بنتين .

(٣) جاء التعليق التالى بقلم البقاعى فى هامش هـ : « اسمه يوسف بن محمد بن احمد » وبهذا الإسم اورده السخاوى فى الضوء اللامع ١٠/١٢٤٤ حين ترجم له ، انظر ايضا الحاشية رقم ١ ، ص٢٢٣ .

الشيوخ ودّرس فى أماكن ، وناب فى الحكم عن القاضى علم الدين بن شيخنا البلقينى ، وكان صديقَه ، وأظنه جاوز السبعين [١] .

١٤ ـ جلال الدين بن شرف الدين عبدالوهاب ، الشريف الجعفرى الزينبى الأسيوطى مدرّس المدرسة الشريفية بأسيوط ، والمدرسةُ المذكورة إنشاءُ ابنِ عَم أبيه زين الدين بن الناظر الأسيوطى ، وكان قد ولى الحكم بها مرّة .

•••

---

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « ولد سنة سبعين وسبعمائة ، واختلط قبل موته بقليل » . على انه جاء بعد هذا فى نسخة ز مايلى : « واسمه يوسف بن محمد بن احمد ، مولده تقريبا سنة ٧٧٩ بالقاهرة : ومات ابوه وهو صغير ، فتزوج بامه شخص مجبر فقيل له ابن المجبر ، وقرا القرآن وحفظ عدة كتب ، واشتغل وتفقه على البلقينى وابن الملقن ، ولازم العز بن جماعة مدة ، وانتفع به وصار يعد من فضلاء عصره . وسمع بها (اى بالقاهرة) صحيح البخارى على التقى ابن حاتم ، و[سمع] صحيح مسلم كما فى الطبقة على الشرف ابن الكويك . ومات يوم الجمعة خامس عشر رجب . وكان الشيخ شهاب الدين بن المحمرة ـ لما ولى قضاء الشام ـ استنابه فى مشيخة سعيد السعداء فباشرها مدة ثم وثب واستقل بها ، فلما عزل ابن المحمرة وعاد إلى القاهرة انتزعها منه . وحج وزار القدس والخليل ، ودخل دمشق والإسكندرية وصار من اعيان الشافعية ، وكان من اصدقاء القاضى علم الدين البلقينى ، وفيه يقول المؤلف وقد حضر معه مجلس الحديث بالقلعة ناصرا له :

دعاوى صالح كثرت فسادا ... ومن سمع الحديث بذاك يخبر
ولولا انه يخشى انكسارا ... لما طلب الإعانة بالمجبر »

هذا ماقاله البقاعى ونضيف ان زوجِ امه الذى نسب إليه هو صدقة المجبر كما ورد فى الضوء ألّلامع ١٠/١٢٤٤ .

سنة ثمان وأربعين وثمانمائة

المحرّم منها استهلّ بيوم الاثنين [١] وقد تزايد الطاّعون ، وبلغ عددُ الأموات فى كلّ يوم زيادة على عشرين ومائة ممن يُضبط فى المواريث ، وقيل إنه يزيد على المائتين ، وأكثر مَن يموت من الرقيق والأطفال ، ثم تزايد واشتدّ اشتعاله إلى أن دخل الحاجّ فتزايد أيضا ، ومات من أطفالهم ورقيقهم عدد جمّ ، ويقال إنّه جاوز الألف [٢] فى كل يوم .

وفى يوم الاثنين ثانى عشرين الشهر خرج أمير المجاهدين إينال الدويدار الكبير ، وكان خرج قبله - بإثنى عشر يوماً - طائفة كبيرة تقدّموا إلى إحضار المراكب من دمياط إلى الإسكندرية .

وفى يوم الجمعة الثالث من صفر بعد صلاة الجمعة والشمس فى الجوزاء أمطرت السماء مطراً يسيراً بغير رعد ، وتقدَّمته ريح عاصفة بتراب منتشر فسكن فى الحال ، وأصبح الناس يتحدّثون أن الوباء قد تناقص عما كان .

•••

وفى ليلة الأحد خامس صفر وجَدْتُ وجعا تحت إبطىء الأيمن ونغزة مؤلمة فنِمتُ على ذلك ، فلما كان فى النهار زاد الألم قليلاً فنمت للقابلة وانتبهت والأمر على حاله . فلما كان بالعاشر برزَتْ تحت إبطى كالخوخة اللطيفة ثم أخَذَتْ فى الخفة قليلاً قليلاً إلى العشر الأخير منه فذهَبت كأن لم تكن ، والحمد لله .

وتناقص الموت إلى أن انحط مابين العشرين والثلاثين .

(١) امام هذا التاريخ فى هامش « هـ » ورد التعليق التالى بخط البقاعى : « وفى اوائل سنة ثمان واربعين هذه قدم علاء الدين على بن حامد الصفدى الذى كان قاضى الشافعية بها ، ثم تقدم نفى السلطان له إلى دمشق ثم رده إلى صفد بشفاعة قاضى القضاة شمس الدين الونائى ، فلما قدم اهدى السلطان وغيره هدايا كثيرة ، ثم إنه تكلم فى الحاجب بمدينة صفد بكلام لم يعجب السلطان ، فامر من كان حاضره ان يلكموه ففعلوا ، ثم نفاه إلى مدينة قوص فى اقصى الصعيد ، ثم شفع فيه جماعة فرجع إلى القاهرة واستمر بها إلى اوائل سنة خمسين ، فولى قضاء صفد على عادته بواسطة النائب بها » .

(٢) فى حوادث الدهور جـ ١ ص٧١ ان الطاعون اخذ يتزايد فى كل يوم حتى بلغ فى صفر عدة من يموت به خمسمائة انسان فى اليوم .

شهر ربيع الأول

أوله الخميس بالرؤية الواضحة ، ووافق الرابع والعشرين من بئونة [١] وفى يوم الجمعة أختبر المقياس مكان الماء .

وفى يوم السبت دار مَنْ يُبَشّر بالنيل .

•••

وفى يوم الأحد نودِى : وصل هجّان من الحجاز يخبر برخص الأسعار بمكة ، ولله الحمد .

وفيه ارتفع الطاعون [٢] إلا نادرا ثم ارتفع جملة .

وفى يوم الثلاثاء أواخر الشهر سقط الجدار على ولد سعد الدين إبراهيم الذى كان أبوه ناظر الخاصّ وكذا جده فمات ، وكان قد طُعِن بحبتين ثم خلص وأفاق فبغته الموتُ بالهدم ، وكان قارب البلوغ وخرجت له جنازة حافلة .

•••

شهر ربيع الآخر

أوله [٣] يوم الجمعة بالرؤية .

فى يوم الأحد ثالث شهر ربيع الآخر حضر إلىَّ بعضُ الدويدارية من عند السلطان يأمرنى أن ألزم البيت ، وهى كناية عن العزْل ، ثم لم يلبث إلاّ ساعة أو دونها فحضر الشيخ شمس الدين الرومى جليس السلطان ، فذكر أن السلطان ندم على ذلك وقال : « لم أرِدْ بذلك العزل ! » وسأل أنْ أُبَكِّر إلى القلعة صبيحة ذلك اليوم لألبس خلعة الرِّضا ، وكان السبب فى ذلك أن بعض نواب الحكم أثبت شيئا فاستراب السلطان به فأحضره وأحضر

---

(١) تتفق هذه التواريخ وما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص٤٢٤ .

(٢) خلت نسخة هـ من عبارة : « إلا نادرا ثم ارتفع جملة » .

(٣) اعتبرت التوفيقات الإلهامية . السبت أوله ، ويوافقه ٢٤ أبيب سنة ١١٦٠ق ، و ١٨ يوليو سنة ١٤٤٤ .

بعض الشهود ، فاختلف كلامُ من حَضَر من الشّهود ، فتغيظ وبطش بنائب [١] الحكم وأمر بسجنه وعَزْلِ القاضى [٢] الكبير ، ثم أعيد القاضى فى يومه وأمِر بالإفراج عن النائب ، [٣] فحصل لى ضيق [٤] فالتزمتُ أن لا أستنيب إلّا عشرةً ولا أعيد أحداً من غيرهم إلّا بإذن مشافهة من السلطان ، وذلك فى يوم الخميس سلخ الشهر ، وأوضحتُ للسلطان عُذْرَ النّائب فيما أثبَته ، فأظهر القبول بحضرة قاضى القضاة الحنفى والشيخ شمس الدين الونائى ، وأخبراه بأنّه لم يخطىء فى الحكم ، ومع ذلك بقى عنده من ذلك بقايا .

ثم حصل اجتماع آخر وتأكّدَ قبول العذر ، ثم حضر عنده النّائب ورضى عليه ، وكساه فرجية ، وأذن فى عَوْده لنيابة الحكم .

•••

وفى التاسع عشر منه كُسر الخليج فى يوم الثلاثاء ونودى فيه بزيادة عشرين إصبعا ، ثم نودِىَ فى صبيحة الأربعاء بتكملَة سبعة عشر ذراعاً ، ولم يُعَهد قطّ أنه نودى يوم الوفاء بزيادة عشرين إصبعا ، منها إصبعان تكملة الوفاء ، وثمانية عشر زيادة أول يوم فيه .

•••

وفى رابع عشرى شهر ربيع الآخر وصل الغزاة إلى ساحل رودس فتحصّن أهلها فى قلعتهم فوجدوها [٥] فى غاية الحصانة ، فوصل كتاب صاحبنا برهان الدين البقاعى مؤرخا بالسابع من جمادى الأولى فيه شَرحُ قصَّتهم فى الذهاب إلى أن حاصروا القلعة ، وقد ضَمَمْتُه [٦] إلى هذا التعليق كما فعلت فى غزاة قشْتيل .

ثم وصل كتاب الشريف الكردى مؤرّخا بالتاسع من جمادى الأولى ، وفيه أنه أصيب من المسلمين خلق كثير ممّا رماهم [به] الفرنج من أعلا الحصن ، وماكُسر من المراكب ، وأن أكثرهم حصل له الفشل والخور بسبب مَن أصيب منهم ، وأنهم فى ضيق ، فجهّز السلطان إليهم مددًا . وقد فُتِحَت رودس فى خلافة معاوية على يد عبادة بن أمية ، وأمر معاوية جماعةً

---

(١) فى هـ بخط البقاعى : « وهو محب الدين ابوالبركات الهيثمى » .
(٢) المقصود بذلك ابن حجر نفسه .
(٣) فى هـ « الناس » .
(٤) فى هـ « حنق » .
(٥) المقصود بذلك أن الغزاة وجدوا القلعة شديدة الحصانة .
(٦) علق البقاعى على ذلك بقوله : « لم اجد ذلك » .

من المسلمين بالإقامة فيها ، فأقاموا فيها إلى أن ولى يزيد الخلافة فأذن لهم فى القفول خشيةً عليهم ، ففعلوا وتركوها ، ثم كانت تُغْزَى بعد ذلك .

وبعد تَوجّه المدد وَصَل الخبر برجوع العسكر كلّه بسبب تخاذلهم ، وأصيب . . . . [١] بالرمى عليهم ثم . . . . [٢] التركمانى ومعه طائفة وخشى من هجوم الشتاء ، فاتّفق أكثرهم على الرجوع فلم يسعه إلّا موافقتهم ، فتوجهوا ووصلوا أرْسالا ، فكان آخر من وصل كبيرهم وهو الدويدار الكبير إينال العلائى ، فوصل فى آخر جمادى الآخرة منها .

•••

وفى أوائل رجب سافر الحاجّ الرجبى وصحبتهم صاحبنا الشيخ برهان الدين السوبينى [٣] قاضيا على مكةَ .

وفى سابع ذى القعدة أمر أمير مكة أبوالقاسم بن حسن بن عجلان القاضى جلالَ الدين أبا السعادات أن يخرج من مكة ، فَتَوجّه إلى جدّة فأقام بها ، إلى أن تكلّم التاجرُ بدر الدين حسن بن الطاهر مع الشريف فى أمره فأذِن له فى الرجوع ، فلم ينشب أن قدم أمير الركب تَمُرْبَاى وصحبته مرسوم سلطانى بأنّ أبا السعادات لايقيم بمكة بل يخرج إلى المدينة الشريفة فيقيم بها ، فتجهّز مع الركب الأوّل .

•••

وتراءى الناس الهلال ليلة الخميس [٤] فلم يتحدَّث أحد برؤيته ، فوقفوا يوم الجمعة وكان الجمع كثيرًا جدًا ، وأمطرت السماء ذلك اليوم ـ من وقت زوال الشمس إلى أن غربت ـ مطرا غزيرًا جدًا ، وتوالى بحيث ابتلّت أمتعتهم حتى أشرف ـ من لاخيمة له ـ على الهلاك ، وتضاعف الرعد والبرق [٥] ، ويقال كانت هناك صواعق أهلكَتْ رجلَين وامرأةً وبعيرين ، قرأت ذلك بخطّ القاضى نور الدّين على بن قاضى المسلمين الخطيب أبى اليمن النويرى .

---

(١) فراغ فى الأصول بقدر ثلاث كلمات أو أربع ، ولذلك علق البقاعى بقوله : « لعله الأمير إينال العلائى أو غيره » .

(٢) فراغ فى الأصول ، ولذلك كتب البقاعى : « لعله : فر إلى رودس » .

(٣) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم السوبينى ، المولود بقرية سوبين قرب حماة وقد ولى قضاء مكة ثم قضاء حلب فقضاء الشام الشافعى ، ومات سنة ٨٥٨ . راجع الضوء اللامع ج١ ص١٠٠ ـ ١٠١ .

(٤) فى هـ بخط البقاعى : « لعله الأربعاء » .

(٥) فى ز « البرد » ، وكلاهما صحيح وجائز .

ذو الحجة

استهلّ بيوم الخميس بعد أن رآى الناس الهلال ليلة الأربعاء على العادة بعدّة أماكن من الجوامع وغيرها فلم يخبر أحد برؤيته إلا شذوذا ، يقول الواحد منهم إنه رأى ، فإذا حوقق أنكر ، فبحث عن السبب فى ذلك فاعتذروا بأنّه شاع بينهم أن السلطان قال إذا اتفق العيد يوم الجمعة يلزم أن يخطب له مرتين ، وقد جرّب أن ذلك إذا وقع يكون فيه خوف على السلطان ، فبلغ السلطان ذلك بعد أيام فأنكره وأظهر الحنق على من ينسب إليه ذلك ، فقيل له إن أحمد بن نيروز ـ وهو أحد من يلوذ به من خواصه ـ ذكر أنه رآه ولم يخبر القاضى بذلك ، فاستدعاه فاعترف بأنّه رآه ليلة الأربعاء ومعه جماعة ، فأرسله مع المحتسب إلى القاضى الشافعى فأدّى عنده شهادته ، فلما شاع ذلك نودى فى البلد : « من رأى هلال ذى الحجة ليلة الأربعاء فلْيؤدّ شهادته بذلك عند القاضى الشافعى » ، فسارع غالب من كان شاع عنه دعواه الرؤية فى تلك الليلة إلى الشهادة بذلك ، فلما استوفيت شروط ذلك نودى بأنّ العيد يوم الجمعة فاعتمدوا على ذلك وصلوا العيد يوم الجمعة .

فلما كان يوم السبت الخامس والعشرين من ذى الحجة وصل المبشّر بسلامة الحاج فى آخر ذلك اليوم ، وأخبر أن كلّ من حضر الموقف من الآفاق لم ينقل عن أحد منهم أنه رأى الهلال ليلة الأربعاء ، بل استوفوا العدّة ، واستهلوا ذا الحجة يوم الخميس ووقفوا بعرفات يوم الجمعة ، واستمر الأمر بينهم على ذلك ، وأنه فارقهم آخر النهار يوم السبت ، فقطع المسافة فى أربعة عشر يوماً ، ووَصَف السَّنَةَ بالأمن واليُمن والرّخاء مع كثرة الخلائق ، ولله الحمد على ذلك .

•••

وفى هذه السنة توجّه الشيخ شمسْ الدين محمدبن أحمد الغريانى المغربى إلى جهة الجبال المقدّسة ويقال لها جبال حميدة [1] ، وعندها عرب ، فنزل عند بعض العشير ودعا إلى نفسه أنّه المهدى ، وقيل ادّعى أنّه القحطانى ، فانضمّ إليه جماعة من العرب ، فاستغواهم ووعدهم ،

---

(١) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « هذا المكان يعرف بجبل ابن حميدة ، واخبرت انه جبل عال جدا شاهق وهومن وعورة المرتقى وضيق المسالك على امر يجل عن الوصف ، ومن صعوبته انه ليس فيه مسلك يسع اكثر من واحد ، وفى اعلاه=

وملأ آذانهم بالمواعيد ، فشاع خبره فى أواخر السنة ، فكوتب نائب القدس بخبره ، فبحث عن قضيته إلى أن اطّلع على أن ابن عبدالقادر - شيخ العرب - يعرفها فاستدعى به فأنكر أن يكون اطلع على مراده ، وإنما وصل إليه شيخ معه عدة أحمال تشبه أن تكون كتبا علمية ، وأنه سأل أن يرسل معه من يُجيره إلى أن يصل مقصوده من تلك الجهة لضرورات عرضَتْ له ، فأرسل معه ناسًا أوصلوه إلى جهة مقصده وفارقوه ، ولم يعرفوا المطلوب عنه ، فكاتب نائب القدس بذلك ووصف الرجل بما دلّ على أنّه الغُريانى المذكور ، وهذاالرجل قدم القاهرة قديما وصحبَ كاتب السرّ ابنَ البارزى فى حياة والده ، وأكثر التردّد إلى الشيخ تقىّ الدين المقريزى وواظبَ الجوَلانَ فى قُرى الرّيف الأدنى : يعمل المواعيد ويذاكر الناس ، وكان يستحضر من التاّريخ والأخبار الماضية شيئاً كثيرًا ، ولكنه كان يخلط فى غالبها ويدّعى بمعرفة الحديث النبّوى ورجال الحديث ، ويبالغ فى ذلك عند من يستجهله ، ويقتصر فى المذاكرة عند من يعرف أنه من أهل الفن ، وراج أمره فى ذلك دهرًا طويلاً ، ثم صحب الأمير زين الدين عبدالرحمن بن الكويز وانقطع إليه مدّة ثم فارقه ، وكان قبل ذلك تحوّل عن مذهب مالك وادّعى أنّه يقلّد الشافعى ، وولى قضاء نابلس بعناية القاضى كمال الدين ، ثم صُرِف عنها ، فانقطع إلى ابن الكويز وهجر الكمال إلى أن بَدَا منه ماذُكر ، وكُوتب نائب القدس بأن يجهز إليه من يقبض عليه ويرسله إلى القاهرة ، وكان بروز الأمر بذلك فى العشر الأخير من هذا الشهر[1] .

= ارض سهلة بها مزدرع وكروم وعيون ، وبه قرى تجمع نحو خمسمائة رجل وهم فى غاية الشجاعة وإحسان الرمى بالسهام ، من خاف على نفسه القتل من اى من كان من سلطان او غيره لم يكن بينه وبين الأمن إلا ان يصعد إليهم فيحمونه ، ولو ان فى ذلك ذهاب ارواحهم ، فعلوا ذلك غير مرة مع من يعصى على السلطنة من بنى عبيد مشايخ جبل نابلس المعروفين ببنى عبدالقادر وغيرهم ، وقصدتهم عساكر الترك (يعنى بذلك المماليك) غير مرة وحاصروهم فلم يصلوا منهم إلى شىء ، وردوا خائبين » .

(١) فى هـ بخط البقاعى : « لم يظهر لهذا الأمر نتيجة فإن المذكور لم يحضر إلى القاهرة ولم يقبض عليه . بل توجه إلى اطراف بلاد الشام على عادته ، فكانّ ابن عبدالقادر شيخ جبال نابلس دافع عنه » .

ذكر من مات فى سنة ثمان وأربعين
وثمانمائة من الأعيان

١ - أحمد بن [محمد [(١)] بن إبراهيم الأنصارى الفيشى الأصل] الفاضل شهاب الدين الحسينى سكناً ، الشهير بالحِنّاوى - بكسر المهملة وتشديد النّون مع المدّ - مات فى ليلة الجمعة [(٢)] الثامن والعشرين من جمادى الأولى وكان مالكىّ المذهب ، سمع من جماعةٍ قبْلنا ، وسمع معنا من شيوخنا ، وقرأ بنفسه وطلب وقتاً ، وولى نيابة الحكم ، ودَرس فى أماكن منها المنكوتمرية ، وولى مشيخة خانقاه نور الدين الطنبدى التاجر فى تربته بطرف الصحراء ، وكان من الصوفية البيبرسية ، وكان وقورًا ساكناً ، قليل الكلام ، كثير التعقّل والفضل ، انتفع به جماعة فى العربية وغيرها ، وقد جاوز الثمانين [(٣)] بيقينٍ لكن يشكّ فى الزيادة فقيل ست ، وقيل أكثر .

٢ - أبو بكر [(٤)] بن إسحق بن خالد الحلبى الشهير بباكير ، الإمام زين الدين الحنفى ، ولد سنة سبعين وسبعمائة تقريباً فيما كتبه بخطه ، واشتهر ومهر ، وتقدّم وفاق الأقران ، ودرّس وأفاد وأفتى ، وولى قضاء الحنفية بحلب ، ثم طُلب إلى القاهرة ، وَقُرِّر فى مشيخة الخانقاه الشيخونية ، وكان رجلاً خيّرا ساكنا منجمعًا عن الناس ، واختلط قبل موته بمدّة لطيفة ، واتفق له قضيةٌ مع العلاء الرومى ذُكرت فى حوادث سنة ٨٢٩ ، ومات ليلة الأربعاء المسفر صباحها عن ثالث عشرين جمادى الأولى من سنة ٨٤٧ [(٥)] .

---

(١) مابين الحاصرتين فراغ فى الأصول ولكنه بخط البقاعى فى نسخة هـ . هذاوقد اورده البقاعى بهذه الصورة ايضا فى عنوان الزمان . ترجمة رقم ٥٢ . اما السخاوى فقد قال فى الضوء اللامع ٢/٢٠٩ « احمد بن محمد بن إبراهيم ، واختلف فيمن بعده فقيل إنه ابن شافع وقيل ابن عطية ، اما تسميته بالفيشى فترجع إلى انه ولد بفيشة المنارة بمحافظة الغربية ، وقد عرفها القاموس الجغرافى . ق٢ ، ج٢ ، ص١٠٣ باسم « فيشا سليم » وذكر ان ابن حوقل ادرجها فى المسالك والممالك باسم « فيشة بنى سليم » ووصفها بانها « ضيعة فيها حمام وسوق وجامع ، وكورة مضافة إليها وبها ضياع » . واشار القاموس إلى ان فيشة سليم هى فيشة المنارة ، وتمييزها بالمنارة راجع إلى انه كان يوجد بها جامع له منارة مرتفعة يراها الناس من بعيد .

(٢) صَحّح البقاعى تاريخ وفاته فى هـ فكتب يقول : إنما هو خامس جمادى الآخرة .

(٣) علق البقاعى على ذلك بقوله : « ولد فى شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة » .

(٤) سبق ان ترجم له ابن حجر فى وفيات السنة الماضية . راجع ص٢١٨ ، وترجمة رقم ٢ وحاشية رقم ٣ . ولذلك اسقطته نسخة هـ من وفيات ٨٤٨ .

(٥) هكذا فى بعض النسخ وهو الاصح ، ومن ثم كان الاولى بابن حجر ان لا يدرجها فى هذه السنة . انظر الحاشية السابقة .

٣ ـ حمزة بن قرايُلُك واسمه (١) عثمان بن طرعَلى صاحب ماردين وغيرها من ديار بكر ، وكان قبيح السيرة .

٤ ـ طوخ (٢) الأبو بكرى الطاغية نائب غزة ، قُتِل بيد العربان (٣) فى أواخر ذى الحجة ، وكان شجاعا مقداماً كثير الطمع .

٥ ـ فيروز (٤) بن عبدالله الجركسى الرومى الساقى الزمّام ، مات بطالاً فى يوم الأربعاء رابع عشر شعبان ، ولم يكن به بأس بالنسبة لرفقائه .

٦ ـ عبدالرحيم (٥) بن على الحموى ، الواعظ المعروف بان الآدمى ، الشيخ زين الدين ، تعانى عمل المواعيد وبرع فيها ، واشتهر وأثرى ، وقدم إلى القاهرة فى الجفل بعد رحيل اللنكيّة فاستوطنها إلى أن مات فى الثانى من ذى القعدة ، وولى فى غضون ذلك خطابة المسجد الأقصى ثم صُرِف عنه ، واستمرّ على حاله فى قراءة المواعيد ، والكلام فى المجالس المعدّة لذلك ، واشتهر اسمه ، وطار صيتُه ، وكان غالباً لايقرأ إلاّ مِن الكتاب ، مع نغمة طيبة ، وأداء صحيح ، فلما أنشأ الأشرف مدرسته قُرر فيها خطيبا ، وكان يقرأ صحيح البخارى فى شهر رمضان فى عدّة أماكن إلى أن مات فجأةً بعد أن عمل فى يوم موته الميعاد فى موضعين ، وقد جاوز الثمانين ، وترك أولاداً ، أحدهم شيخ يقرب من الستين .

٧ ـ محمد [بن على الحموى (٦)] الخطيب الواعظ ، (تقدّم فى عبدالرحيم فيحررّ اسمه) حفيد شمس الدين خطيب الأشرفية الجديدة وممن له سَمْت فى وعظه ، كان مستحضراً

---

(١) الضمير فى « اسمه » يعود على قرايلك . لذلك ترجم له الضوء اللامع ٦٣٣/٣ باسم حمزة بن عثمان بن قرايلك بن طرعلى . ويلاحظ ان هذه الترجمة غير واردة فى هـ .

(٢)خلت نسخة هـ من هذه الترجمة .

(٣) هم عرب بنى جرم كما فى الضوء اللامع ٣٢/٤ وهم بطن من طىّ من القحطانية . واشار القلقشندى فى نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب ، ص٢٠٩ ـ ٢١٠ نقلا عن الحمدانى ان بلادهم غزة والداروم مما يلى الساحل إلى الجبل وبلد الخليل عليه السلام . ولما فتح صلاح الدين الايوبى البلاد جاء بعضهم إلى مصر وتاخر الباقون منهم بالشام .

(٤) اورد السخاوى . شرحه ٥٩٧/٦ اسمه بالصورة التالية : « فيروز الرومى الساقى الجركسى : جاركس القاسمى المصارع » . وهذه الترجمة غير واردة فى هـ .

(٥) اوردته شذرات الذهب ٢٦٢/٧ بهذا الإسم نقلا عن الإنباء كما نصت على ذلك . اما السخاوى فترجم له فى ضوئه ٤٤٩/٤ باسم « عبدالرحيم بن ابى بكر بن محمود بن على » . كما اشار فى ختام ترجمته له إلى ان البعض يسميه عبدالرحمن والبعض محمدا ولكن الصواب هو « عبدالرحيم » .

(٦) فراغ فى الأصول بقدر كلمتين . وقد خلت نسخة هـ من هذه الترجمة ـ ولم نستطع الاستفادة من عبارة ابن حجر فى المتن من ان المترجم« تقدم فى عبدالرحيم » إذ لم نجد فى ترجمته مايعيننا على التعريف به تماما لسد الفراغ . غير ان ابا المحاسن اورد فى النجوم الزاهرة ٥٠٦/١٥ قوله « شمس الدين محمد الحموى خطيب الجامع الأشرفى بالعنبريين » .

للتفسير وحدّث مع فصاحة فى خُطَبه ووعْظِه ، مات فى يوم الأربعاء ٣ ذى القعدة عن نَيِّفٍ وستين سنةٍ تخمينا .

٨ ـ محمد [١] بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالناصر القاضى صدر الدين بن قاضى القضاة تقىّ الدين الزبيرى الشافعى ، وُلد سنة٧٨٢ تقريبا ، وسمع على الفرسيسى سنة ٩٧ بعض السيرة لابن سيد الناس ، وعلى والدته صالحة [٢] ابنة القاضى جمال الدين عبدالله ابن قاضى القضاة علاء الدين التركمانى جزءًا من . . . . [٣] ، واشتغل كهلاً . وكان رجلاً لطيفا كثير الأدب ، حسنَ المعاشرة ، مات يوم تاسوعاء ودُفن بتربة بنى جماعة .

٩ ـ محمد [٤] بن على بن أبى بكر بن محمد المُزَلّق [٥] الدمشقى ، الخواجا شمس الدين ، كبير التجارالدمشقيين ، مات فى يوم الأحد [٦] سلخ جمادى الآخرة بعد أن أوصى بثلث ماله ، ويبدأ منه بتكملة عمارة الخان الكائن . . . . . . [٧] ، . . . . وتنظيف وعره ، ثم ما فَضُل منه يقسم أربعة أقسام : لفقراء الحرم المكى الرّبع ولكلّ من فقراء مكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق قسم .

١٠ ـ محمد بن أحمد بن عمر بن كميل المنصورى ، الفقيه الفاضل الشاعر شمس الدين ، اشتغل كثيرًا ، وحفظ الحاوى ، وكان يستحضر ، ونظم الشعر ، وفاق الأقران وأوّل

---

(١) لم ترد هذه الترجمة فى هـ.

(٢) هى صالحة بنت عبدالله بن العلاء ابى الحسن الماردينى التركمانى الحنفى . سمعت على جدها لامها العز بن جماعة . وسمع منها الحديث كثيرون منهم . ابنها صاحب الترجمة اعلاه .

(٣) فراغ فى الأصل . ولم نستطيع الاستدلال على اسم الجزء الذى قراه على والدته . كما خلا الضوء اللامع مما قد يفيد فى ملأ هذا الفراغ .

(٤) هذه الترجمة غير واردة فى هـ.

(٥) الضبط من الضوء اللامع ٨/٤٢٩ .

(٦) الوارد فى الضوء اللامع . نفس الجزء والرقم انه مات يوم ١٩ جمادى الاولى ولكن النعيمى فى الدارس فى تاريخ المدارس ج١/٢٩ جعل وفاته ليلة الاحد ٢٩ من جمادى الاخرة ٨٤٨ هـ.

(٧) فراغ فى الأصول بقدر ثلاث كلمات . ويلاحظ انه ورد فى الضوء اللامع ٨/٤٢٩ ان هذا الخان يسمى بخان الارنبية . لكن لم اجد إشارة او ذكر لهذا الخان فى الدارس فى تاريخ المدارس رغم انه ترجم لابن المزلق فى ١/٢٩٠ ـ ٢٩١ ، ولكنه اشار إلى ان ابن المزلق هذا انشا على درب الشام إلى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب وغيرهما .

ماعرفْتهُ فى سنة ٢٤ سنة حججنْا جميعاً ، وكنا نجتمع فى السير ونتذاكر فى الفنون ، ثم كان يتناوب نيابة الحكم بالمنصورية هو وابن [١] عّمه شمس الدين محمد [٢] بن خلف بن كميل ، ويتعاهد السّفر للقاهرة كل سنةٍ مرةً أو مرّتين ، ومَدَح الملك المؤيّد ـ لما رجع من سَفْرَةِ نوروز ـ بقصيدةٍ طنّانة ، وله مدائح نبوية مفلقة ، وقصائد فى جماعة من الأعيان ، ولم يكن يتكسب بذلك وإنّما يمدح لتحصيل جاه الممدوح فى الدّفع عنه أو المساعدة له ، ثم استقلّ بقضاء المنصورة ، وضمّ إليه سلمون [٣] ، ثم زيدَ منية بنى سَلسيل فباشر ذلك كلّه ، وكان مشكور السيرة ، ونشأ له ولدٌ اسمه أحمد [٤] فنبغ واغتبط به .

فلما كان فى ليلة الإثنين ثانى عشر شعبان كان قد توجّه إلى سلمون لأمرٍ يتعلّق به فنزل المسجد وله فيه خلوة فوقها طبقة وللطبقة سطح يجاور المئذنة ، فاتفق هبوب ريح عاصف فى تلك الليلة واشتدّ فى آخرها وفى أوّل النهار ، فصلّى المذكورُ الصبحَ ودخل خِلوته التى كان ينام فيها فقصفت الريح نصفَ المئذنة فوقع على سطح الطبقة فنزل به إلى سطح الخلوة ونزل الجميع على الخلوة وشمسُ الدين قاعد فيها وذلك لمّا تعالى النهار ولم يشعر بشىء من ذلك حتى نزل الجميع عليه فارتدم المكان به فمات غما ، وجاء الخبر إلى ولده فتوجّه من المنصورة مسرعاً فوصل إليه فنبش عنه فوجد الخشب مصلّبا عليه ولم يخدش شىء من جسمه ، بل تبينَّ انّه مات غماً لعجزه عن التخلّص من الردم المذكور ، والله المستعان .

---

(١) فى الضوء اللامع ج ٥٧/٧ « ابن عم والده » . على انه اشار إليه فى مجال اخر فى نفس المرجع ٢٢٠/٩ فقال عنه : « قريبه » فقط .

(٢) هو محمد بن محمد بن خلف بن كميل ، ولد قبيل الثمانمائة بالمنصورة ، وحفظ المنهاج والالفية ودرس الفقه والعربية وولى القضاء بالمنصورة ودمياط والمحلة وكانت وفاته بالجذام سنة ٨٦٨ انظر السخاوى فى الضوء ٢٢٠/٩ .

(٣) يوجد بالقطر المصرى عدة مدن وقرى تسمى كلها بسلمون وهى متناثرة بين الوجهين البحرى والقبلى . ولعل المكان المقصود هنا هو مايعرف بسلمون طريف . وهذا هو الإسم الذى وردت به فى التحفة . وبانها من اعمال الدقهلية وظلت بهذا الاسم حتى سنة ١٩٠٣ حين حذفت كلمة « طريف » ، واقتصر على سلمون او سلامون . انظر القاموس الجغرافى ق٢ . ج١ . ص٢٢٠ اما منية بنى سلسيل فهذا هوَ الاسم القديم لما اصبح يعرف باسم ميت سلسيل . وهى من اعمال الدقهلية قرب المنصورة .

وقد اعتبر محمد رمزى اسمها الصحيح هو منية ابن سلسيل . وتقع بين اشمون الرمان ومنزلة ابن حسون . انظر القاموس الجغرافى . ق٢ . ج١ . ص٢٠٤ .

(٤) فى هامش هـ بخط البقاعى : « إنما اسم ولده بدر الدين محمد » . وهذا هو الاسم الصحيح . اما ما بالمتن فسهو قلم . وقد ولد بعد سنة ٨٢٠ بالمنصورة وحفظ القرآن والحاوى . وناب عن ابى البقاء ثم عن ابن حجر . ومات سنة ٨٧٨ انظر الضوء اللامع ٨١/٩ .

سنة تسع وأربعين وثمانمائة

استهلّ شهر المحرّم يوم الجمعة ، وفى أوّل يوم توجّه مَن يلاقى الحاج إلى عقبة أيلة ، وصحبتهم أنواع من المأكولات والعلف على العادة .

وفيه أسلم جميع الأسارى الذين كان ملك الروم جهّزهم إلى سلطان مصر ، وذكروا أن ملكهم قُتِل فى المعركة ، وأن عسكرهم كان أضعافَ عسكر ابن عثمان ، وأنّ النصر الذى حصل ما كان على الخاطر ، وذلك أن الكفّار كانت لهم مدة فى التجهيز لأخذ بلاد السواحل من المسلمين والتوصّل إلى الاستيلاء على بيت المقدس ، فاجتمع منهم مِن جميع أمصارهم مَن يستطيع القتال ولم يشكوّا هم ولا مَلِك المسلمين فى أخذ السواحل وانكسار عساكر المسلمين ، ففتح الله للمسلمين بالنصر ، فإن ملكَ الكفّار لمّا رأى قلة عسكر المسلمين طمع فيهم فحمل بنفسه ، وكان شجاعاً بطلاً فقَتل من المسلمين عدّة أنفس ورجع ، ثم حمل ثانيا فصنع كذلك ، ثم حمل ثالثاً فاستقبلوه بالسهام فأصابه سهم فسقط ، فنزل فارس من المسلمين فَحَزّ رأسه ، وسار به إلى ملك المسلمين ، فنصَب رأسه على رُمح ، ونادى فى الكفّار بقتل ملكهم ، فانهزموا بغير قتال ، وتبعهم المسلمون فأبادوهم أسْرًا وقتلاً ، وصادفهم فى تلك الحال اجتماع عدة من الوحوش الكاسرة على جماعة من الغزلان اجتمعت فى مكان ، فثار بين الفريقين غبرة عظيمة ، فظنّها الكفارُ نجدةً من بلاد المسلمين من مصر أو غيرها ، فاشتد رعبهم وانهزموا لا يلوى أحد على أحد ، واشتدّ الغبار فقتل بعضهم بعضاً ، وكفى الله المؤمنين القتل ، وجهز ملكهم ثم بعض الأسرى إلى سلطان مصر ، فسلّمهم للأمير الزُّرْدَكاش ، فحسَّن لهم الإسلام فأسلموا ، ففرّقهم السلطان على الأمراء .

•••

وفى ليلة الجمعة الثامن من المحرم سقطت المنارة التى بالمدرسة الفخرية [1] القديمة فى سويقة الصاحب ، والمدرسة قديمة جدًّا من إنشاء فخر الدين بن عثمان بعد الستمائة ، وكانت مالَتْ قليلاً ، فحذر السّكان بالربع الذى يجاورها من سقوطها وهو موقوف عليها ، فتهاونوا فى ذلك ، فسقطت بالعرض على واجهة المدرسة ووجه الرّبع ، فنزل بعض على بعض ، وهلك فى الرّدم

(١) تنسب هذه المدرسة إلى بانيها الأمير فخر الدين عثمان بن قزل البارومى استادار الملك الكامل محمد بن العادل وذلك سنة ٦٣٢ ، وتقع هذه المدرسة بين سويقة الصاحب ودرب العداس بالقاهرة ، راجع عنها الخطط ٣ / ٢٣٢ .

جماعة ، فاجتمع الوالى والحاجب فاستخرجوا كثيرين والقليل أحياء ، ولكن كُـل مصابٌ بيـد أو رِجْل أوْظَهْر ، والنادر منهم والأكثرمَن مات ، فبلغ السلطان ذلك فتغيّظ منه ، وطلب النّاظرَ على المدرسة ـ وهو نور الدين القليوبى ـ أمين الحكم وأحد نواب الحكم ، فتغيّظ عليه وظنّ أنّه ينوب فى ذلك عن القاضى الشافعى ، فبسط لسانه فى القاضى إنكارًا عليه فى التفريط فى مثل ذلك ، ثم انكشف الغطاء أنّ القاضى ليس له فى ذلك ولايةٌ ولا نيابة ولا عُرف بشىء من ذلك منذ وَلىَ وإلى تاريخه .

ولمّا بلغ ذلك بعْضَ النّاس بسط لسانه . وقال ما شاء الله أن يقول ، ثم تبينّ بخلاف ما ظنّوا ، وخاب ما أمّلوا ، وكفى الله القتال ، ثم إن بعضهم أغرى السلطان بأن قال له إن فلاناً [(١)] يتبجح بكذا ، ويَنْسب السلطان إلى الظلم ونحو ذلك ، فغضب زيادةً عـلى الغضب الأول ، وراسله بأن ينعزل عن الحكم ، وأن يغرم دية الموتى ، وذلك يوم الاثنين حادى عشره ، فلما كان يوم الخميس طَلب الشيْخ شمس الدين محمد بن على القاياتى إلى القلعة ، فاجتمع بالسلطان ، وأمره أن يتقلد القضاء فأجاب باشتراط أمور أجابه إليها ، وأشار بأن يلبس الخلعة والتشريف فامتنع وتقلّد ورجع ، وأركبه كاتبُ السر بغلته وهو بثيابه البيض . ودخل الصالحية وصحبتـه جماعـة المباشرين والدويدار الكبير والثانى ورجعوا ، وخرج هو من الصالحية إلى منزله بالجامع الأزهر . وطلب مَنْ له مباشرة فى المودع والأوقاف وهرع الناس للسلام عليه وعلى المنفصل ، ولله الحمد على ذلك .

•••

شهر ربيع الأول

أوله الأثنين .

فى السابع منه نقلت الشمس للسرطان ، ودخل فصل الصيف . وفيه عمل المولد السلطان بالحوش على العادة ، وحضر القضاة .

وفى الثالث عشر منه خُلع على كاتب السرّ الكمال البارزى خلعة استمرارٍ وكان وَقَعَ له يوم الأربعاء تغيظ من السلطان فطلب الإعفاء ، ثم وَقَع التراضى وخلع عليه وركب النّاس معه ، وهرع الباقون للسلام عليه .

---

(١) فى هامش هـ « القاياتى » .

وفى يوم الاثنين ثانى شهر ربيع الآخر استقرّ الشيخ ولىّ الدين السفطى فى نظر المرستان المنصورى ، عوضاً عن القاضى محب الدين بن الأشقر ، ولبس خلعة ، ونزل وليس معه كبير أحد ، واعتذر بأنّه تَعَمَّد ذلك حياءً من ابن الأشقر ، ثم أرجف بأن السلطان يريد أن يُخرج نظر الجيش أيضا ، فسعى جماعة ، فاقتضى الحال استمراره ، فخُلع عليه يوم الخميس خامس الشهر خلعة استمرار ، فركب ومعه الجماعة على العادة ، فأظهر الناس السرور به .

•••

وفى يوم الثلاثاء سافر برهان الدين اليونينى إلى قضاء حلب ، عوضاً عن القاضى سراج الدين الحمصى ، وكان الحمصى قدم فى العام الماضى فاجتمع بالسلطان ، فتغيّظ عليه وأهانه بالقول والتهديد ، ثم قدّم هدية نفيسة فسكن الحال ، ولما استهلّ الشهر طَلع للتهنئة ، فأظهر له الإعراض فبادر فحلف أنه لا يسعى فى القضاء بوجهٍ من الوجوه ، ولزم بَيْتَهُ ، لكنه يُكثِر الاجتماع بالأكابر على عادته .

•••

وفى يوم الأحد العشرين من شهر ربيع الآخر الموافق الثانى من مسرى - آخر الشهور القبطية - أمطرت السّماءُ مطراً يسيرا بعد العصر ، بحيث ابتلّتِ الأرض ، ودام ذلك إلى وقت مغيب الشفق وكانت ظلمة وريح باردة ، وهذا من المستغربات ، وقد تقدّم قريبٌ من ذلك فى حوادث سنة ثلاث وأربعين فى رابع ربيع الأول (١) .

•••

وفى هذا الشهر عُزل جُلُبّان نائبُ حلب ، وقُرّر عوضه نائب حماة ، وقرر - عوضاً عن نائب حماة - شادى بك أحد الأمراء المقدّمين بالقاهرة ، ويقال : قرر دوْلات باى الدوادار الثانى فى إمرة شادى بك ، وقُرّرِ الشهاب أحمد حفيد إينال اليوسفى دويدارًا ثانيا ، وخلع على شادى بك ، وجُهّزِ يونُس البواب مُسَفَّراً لنائب حماة يحمله إلى حلب ، ويتوجّه نائب حلب بطالاً إلى [مصر (٢)] .

وكان السبب فى عَزْل نائب حلب أنّ نائب القلعة شاهين - أحد أتباع السلطان حين كان أميراً - أرسل يشكو منه أنّه تَعصب عليه مع القاضى الحنبلى علاء الدين بن مفلح ، وأن ابن مفلح

(١) الصحيح ان ذلك كان فى صفر ٨٤٣ وليس فى ربيع الأول من تلك السنة . انظر ماسبق ، ص ١٣٤ . س ١٦ - ١٩

(٢) فراغ فى الاصول وقد اضفنا كلمة « مصر » بناء على ما ورد فى النجوم الزاهرة ١٥ / ٣٦٨ من ان نائب حلب قانى باى الحمزاوى عزل وتوجه إلى مصر على إقطاع شادى بك المذكور .

ادّعى أن شاهين امتنع من الشرع ، وأنه وقع فى أمر يقتضى الكفر ، وكَتب عليه بذلك محضراً ، وراسلوه لينزل ويسمع الدّعوى عليه فامتنع ، وكاتب وتظلّم ، فوصل كتاب نائب حلب قرينَه المحضر المكتتب ، فغضب السلطان من نائب حلب وعزله وعزل القاضى ، وأشيع أنّه أبطل قاضى الحنابلة من حلب ، فإن ثبت ذلك فلعلّه يشيع فى غيرها من البلاد ، والله المستعان .

وفى ربيع الأول قدم الأمير تَغْرِى بَرْمُش نائب القلعة ومعه رفيقه القاضى بدر الدين بن عبيد (١) الله .

وفى ليلة الاثنين حادى عشره كان المولد النبوى بالحوش على العادة ، وتغيّظ السلطان فيه على القاضى الحنفى بسبب تأخيره الحكم فى الصارم إبراهيم بن رمضان ، بسبب ما وقع فيه من الأمور المنكرة ، وتوجّه تَغْرِى بَرْمُش وابن عبيد الله إلى بلاده بسببها ، فأفضى الحال إلى عَقْد مجلس بسببه ، فعُقِد بعد أيام فلم يثبت عليه ما يتحتمّ به القتل ، فأمر بتعزيزه ، فأعيد إلى السجن فمات بعد أسبوع .

•••

شهر جمادى الأولى

استهل بالثلاثاء بالرؤية الفاشية ، وفى صبيحته حضر القضاةُ عند السلطان للتهنئة بالشّهر ، فأمر الشافعىَّ بأن يتوجّه مع كاتب السرّ إلى مصر بسبب كنيسةٍ للملكيّين رفع ابنُ أقبرس ـ ناظرُ الأوقاف ـ للسلطان أن جدارها عالٍ علَى مسجدٍ يجاورها ، وأنه يجب هدْمُه ، وكان السبب فى ذلك أن بردادار ابن آقبْرس تسلّط على بَطْرك الملكية ، وكان [البطرك] قريبَ العهد بالاستقرار فيها عوض الذى مات فى السنة الماضية ، وطمع فيه ، فرفع البطرك أمرَه للسلطان بقصّةٍ أعطاها لكاتب السرّ ، فبادر ابن آقْبَرْس حميةً لمن هو مِن جهته فذكر ذلك ، فأمر بالكشف فتوجّهوا ، فقيل إنهم رأوا الجدار الذى من جهة المسجد مائلاً ، فحكم نائب الشافعى بهدمه خشيةَ أنْ يَسقُط على المسجد ، وانفصل المجلسُ على ذلك ، وكان السلطان يظن أنّه يجب هَدْمُ الكنيسة أصلاً ، وكان الحنفى المنفصل حاضرًا فتغيّظ عليه لكوْنه ، قال : « ما تُهْدَم إلاّ بشرط أن تكون حادثة ، فإن كان المسجد قديما وَجب هَدْمُ ما يعلو عليه » ، فقال له : « لمّا كنْتَ حاكماً لِمَ لا فَعلْتَ ذلك ؟ قد كنْتَ تفعل عكسه » ، أو نحواً من هذا القول .

---

(١) علق احد قراء نسخة هـ على هذا الكلام فى الهامش بقوله : كان السلطان شيعهما اول ولايته لقتل من يعثران عليه من الحروفية والنسيمية واتباع ابن عربى من نواحى حلب ، كما اشير إليه فى سنة اثنتين واربعين » .

وفى يوم الجمعة ثانى الشهر كُسِر الخليج الحاكمى ، ونزل عثمان ولدُ السلطان على العادة وصُحْبَتُه الأمراء إلى المقياس ، فركبوا معه وصحبتهم كاتب السر وبقية المباشرين ، ولم تجر العادة بركوبهم ، ونزل بعضهم إلى الحرّاقة من شباك المقياس ، وامتنع شادّ الشر بخاناه قايِتْباى الجركسى من إنزال ابن السلطان من هناك بل عاد به والجماعة صحبته من البرّ ، وأحدرت الحرّاقة إليه فركب إلى الخليج فكسر بحضرته ، وركبوا معه إلى القلعة على العادة ، وكل ذلك قبل صلاة الجمعة ، وزاد أربعةً من سبعة عشر ، وكان فى العام الماضى فى هذا اليوم وافى تكملة الذراع السابع عشر .

واتّفق أن شعبان كان أوّله الثلاثاء بالعدد ، فلماّ كان النصف منه ذكر بعض نوّاب الحكم بالجيزة أن اثنين شهدا عنده برؤيته ليلة الاثنين فثبت ، وصام من أراد صيام النصف يوم الاثنين ، ويسّر الله أن هلال رمضان رؤى ليلة الثلاثاء ، وغاب قبل العشاء بثلث ساعة .

فلما كان أول يومٍ من رمضان شاع بين الناس أن إثنين من أهّل قليوب رأيا هلال رمضان ليلة الثلاثاء ، فاستنكر كل من سمع ذلك صحة هذا ، ثم اجتهد القاضى الشافعى فى تحرير هذا الخبر فأرسل عوناً من أعوانه إلى قليوب فأحضر الرجلين .

•••

وفى ليلة الأحد رابع شوال ـ وهى ليلة التاسع من طُوبَة والخامس من كانون الثانى [1] أمطرت السماء مطراً خفيفا ، فدام بحيث أزلق الأرض ، ثم عاد فى النهار ، ثم عاد فى ليلة الإثنين حتى صارت الأرض كالبرك ، ثم عاد فى صبيحة الاثنين ، ثم كان فى ليلة الثلاثاء ، ثم عاد فى صبيحة الثلاثاء ، فتعطّلت معايش غالب الناس ، وقلّ أن وقع مثل ذلك فى هذه البلاد أن تمطر ثلاثة أيّام بلياليها .

•••

(١) أعنى يناير سنة ١٤٤٦ . أنظر التوفيقات الإلهامية ص ٤٣٥ .

ذكر من مات فى سنة
تسع وأربعين وثمانمائة
من الأعيان

١ ـ أحمد بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل [١] الذهبى ابن ناظر الصاحبيّـة الصالحى الحنبلى العدل ، شهاب الدين ابن المسند زين الدين ، وُلد سنة ٧٧٦ [٢] ، وسمع علىَ محمد بن الرشيد بن عبدالرحمن المقـدسى جزء أبى الجهم ، أنـا الحجار ، وسمـع على والـده شيخنا من السبعينية البغدادية للسلفى ، أنا ابن أبى التّائب ، أنا مكى بن علان ، أنا السلفى ، وسمع على أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن غنايم بن المهندس الحنفى جميع رسالة الحسن البصرى إلى عبدالرحمن . . . . . . [٣] يرغّبه فى المقام بمكة ، وعلى العماد أبى بكر بن يوسف الخليلى قالا : أنا الحجار ، أنا جعفر ، أنا السلفى . وسمع على الشهاب أحمد بن العز السادس من حديث أنس من المختارة للضياء بحضوره فى الثالثة على التقى سليمان ، والجزء الثانى من المختارة ، وهو الأوّل من مسند عمر بإجازته من التقىّ وغير ذلك ، وذكر لى شيخنا الإمام المحدّث الحافظ أبو عبدالله محمد بن أبى بكر بن عبدالله بن ناصر الدين رحمه الله غير مرّة أنه قال : ذكر لى والده ـ يعنى زين الدين بن ناظر الصاحبيّة ـ أنه قال : ما فرحتُ بشىء أعـظم من أنى أحضرتُ ولـدى هذا ـ يعنى أحمد المذكور ـ جميع مسند الإمام أحمد علىَ البدر أحمد بن محمد بن محمود بن الرفا بن الجوخى ، أنا زينب بنت مكى ، أنا حنبل ، قال شيخنا ابن نـاصر الدين : « وكـان شيخنا زين الـدين ابن ناظـر الصاحبية من الثقات ، قدم القاهرة فحدّث بها المسند وغيره ، ثم رجع إلى بلده فمات فى هذه السنة » .

---

(١) فى هامش هـ بخط البقاعى : « بن احمد بن محمد » ، وهكذا ايضا ادرجه فى ترجمته إياه رقم ١٨ فى عنوان الزمان ، وترجم له بهذا الاسم السخاوى فى الضوء اللامع ج ١ ، ص ٣٢٤ حيث ذكر أن اباه كان يعرف بالذهبى ، على حين ان البقاعى قال فى عنوان الزمان إن اباه كان يعرف بابن الذهبى ، ويجمع الاثنان على أن صاحب الترجمة شهر باسم « ابن ناظر الصاحبية » وقد يسمى ايضا بابن ناظر الصاحبة .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع انه ولد سنة ٧٦٢ ، ولكنه قال : « وادخل بعضهم سنة ست وستين لغرض ، لكنه لم يفصح عن هذا البعض ولا الغرض الحامل له على وضع ذلك التاريخ . ويلاحظ ان السخاوى كتب عبارة ذات معنى خطير فى الجزء الأول من الضوء ، ص ٣٣٥ س ١١ ـ ١٢ إذ قال : « وترجمته فى الإنباء إنما كتبها الخيضرى وليست لمؤلفه فاعتمده » . اما عن ابيه الذى مات سنة ٨٠١ فراجع الضوء اللامع ٤ / ١٤٧ .

(٣) بياض بالأصل مقدار كلمتين .

٢ ـ أحمد بن محمد بن أحمد ، المحلّى الأصل ثم القاهرى ، شهاب الدين المعروف بابن الشيخة [١] ، شاهد القيمة ، مات فى يوم الأحد ثانى عشرين صفر ، وهو من أبناء السّتين أو يزيد عليها ، وكان غاية [٢] فى إبطال الأوقاف وتصييرها ملكا بضروب من الحيل ، وله فى ذلك مهارة شهر بها ، ومهر فى ذلك بحيث فاق أهل عصره فى ذلك ، مع أنه كان يتمذهب بمالك ، وكانت له مروءة وعصبيّة ومداراة ، ولكنه كان تقدّم فى صناعته على أمرٍ عظيم ، وحصل له رواج عظيم فى دولة الملك الأشرف ، وشهد فى القيمة أزيد من ثلاثين سنة ، وهى وظيفة والده من قبله .

مات بذات الجنب ، وأَمْرُه مشهور ، وأمره إلى الله سبحانه وتعالى . وقد ولى وكالة بيت المال فى أول دولة الملك العزيز ، ثم أخرجَت عنه فى أوّل دولة الملك الظّاهر .

٣ ـ عبدالرازق [٣] بن عثمان الترجمان التاجر الاسكندرانى ، جمال الدين ، مات فى رمضان ، وكان قدم من الإسكندرية وهو موعوك فمرض مدّة ثم نصل ودخل الحمّام ثم انتكس ومات . وكان من العارفين بأمور المتجر ، ومات له ابن اسمه محمد ، وصاهر فى بيت ابن الأشقر .

٤ ـ فاطمة بنت القاضى كريم الدين عبدالكريم بن أحمد بن عبدالعزيز ، إحدى الأخوات الخمس ، مات أبوهن فى ربيع الأول سنة سبع وثمانمائة ، وخلّف خديجة وشقيقتها آمنة وشقيقتهما فاطمة ، وفرج من غير أمهن ، وأنس [٤] أصغرهن ، وهى والدة أولاد مسطّرها .

فأوّل من مات منهّن فاطمة ، وهى أصغر أولاد أمها ، ماتت فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، وقد أكْملَتْ سبعين سنة .

---

(١) « ابن النسخة » فى الضوء اللامع ٢ / ٣٨٤ .

(٢) كره ابن حجر فى ابن الشيخة اتجاهه لإبطال الأوقاف حتى إنه رفض قبول نائب له ايام ان كان صاحب الترجمة صاحب سطوة بفضل جمال الدين الاستادار .

(٣) فى هـ « عبدالرحمن بن عثمان الترجمان » . على انه مذكور فى الضوء اللامع ٤ / ٤٨٩ باسم « عبدالرزاق » .

(٤) فيما يتعلق بهؤلاء الاخوات نقول إن خديجة كانت اول اولاد ابيها ولادة ، وكانت وفاتها سنة ٨٥٣ ، اما آمنة فكانت سمراء تشبه الإماء وماتت سنة ٨٥٦ ، وقد دفنت هى واختها بالصوفية ، واما فاطمة فكانت قد تزوجت بالبدر بن عبدالعزيز ، ولكنه مات قبلها بمدة ، حيث وافتها منيتها سنة ٨٤٩ بعد ان بلغت من العمر تسعين سنة ، وكانت كثيرة الأسقام ، ودفنت بالتربة البيبرسية ، وهى صاحبة الترجمة اعلاه .

واما فرج فتعرف بالاصيلة ام محمد القشتمرية ، وقد ماتت سنة ٨٦٣ ، ودفنت بالتبانة ، واما انس فزوجة ابن حجر العسقلانى وقد ولدت سنة ٧٨٠ ، واهتم زوجها صاحب الإنباء بان يسمعها الحديث فاسمعها المسلسل من شيخه العراقى ، كما اسمعها الشرف بن الكويك وحدثت بحضوره وماتت سنة ٨٦٧ . انظر ذلك كله فى الضوء اللامع ١٢ /١٥٩ ، ١٦٠ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦٥٥ .

٥ ـ كُزُل العجمى [١] الأمير ، مات يوم الخميس ثالث عشر ربيع الأوّل ، وكان أحد الأمراء فى دولة النّاصر فرج ، وولى وظيفة الحجوبيّة الكبرى مدةً ، وولى إمرةَ الحاجّ مِراراً وأصابه فالج فى سنة ٣٢ بطل منه شقه ، ثم بطل فمه وادّلع لسانه حتى نزل حنكهُ إلى قريب صدره ، ثم أفاق أخرس لا يستطيع النّطق أصلاً ولا المشى ، وتمادى به ذلك نحو سبع عشرة سنة حتى مات وقد بلغ السبعين [٢] ، وكان من الفرسان والعارفين بالرّمح ، وساق المحمل مِرَاراً ، وكان فيه مروءة وعصبيّة .

٦ ـ محمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن عمر النحريرى ، المعروف بالسعودى ، الشيخ شمس الدين ، وُلد سنة ٦٢ [٣] ، وحفظ القرآن ، والتنبيه وغيره ، وكان أبوه من أهل البلاد فنشأ هو طالباً للعلم ، وجلس مؤدّبا للأطفال مدّة ، ثم قدم القاهرة فى حدود التسعين ، فأجلس مع الشهود ، ولازم شيخنا البلقينى الكبير وخدمه ، وصار يجمع له أجرة أملاكه ، وهو مع ذلك يؤدّب الأولاد ، وخرج من تحت يده جماعة فضلاء ، وكان كثير المذاكرة ، وحجّ فأخذ عن جماعة هناك ولم يُمعن فى ذلك ، لِأنه لم يكن من أهل الفنّ ولا صحب من يدريه ، ثم دخل بيت المقدس فاتّفق أنه سمع من شيخنا بالإجازة شهاب الدين ابن الحافظ صلاح الدين العلائى ، ومن ابن خاله شمس الدين القلقشندى وغيرهما .

وممّن تعلّم عليه صاحبنا برهان الدين بن خضر [٤] ، وجلال الدين بن نور الدين ابن شيخنا سراج الدين بن الملقّن نائب الحكم وأدّب قبله وَلَدَه أحمد ، وجمعا كثيراً من أولاد الكبراء ، ثم حصل له مَرَض شفى [٥] منه ، فلما عوفى عمى فاستمرّ يُقرِىء وهو مكفوف ، ثم حصل له مرض

---

(١) ويعرف ايضا بالظاهرى برقوق المعلم .

(٢) الوارد فى الضوء اللامع ٦ / ٧٧٩ انه نيف على الثمانين .

(٣) امام هذه الكلمة فى هامش هـ : « ولد سنة ست وخمسين وسبعمائة على ما اخبرنى هو به » وكذلك وردت هذه السنة فى الضوء اللامع ٧ / ٥٩ .

(٤) ولد إبراهيم بن خضر بن احمد بن عثمان بالقاهرة سنة ٧٩٤ ، وتردد على علماء عصره وفقهاء زمانه ، ولازم ابن حجر فى الحديث حتى ليقول السخاوى عنه : « إنه اشتدت عنايته بملازمته بحيث إنه قرا عليه كتب الإسلام والكثير من تصانيفه خصوصا فتح البارى ، فما أعلم من قراه عليه تاما غيره ، ولم يكن ابن حجر يقدم عليه احدا فى القراءة فى رمضان ، وكتب الكثير من تصانيفه والأخذ عنه » وكان صديقا حميما للبقاعى ، ودرس فى كثير من المدارس ، ومات سنة ٨٥٢ ، وحضر ابن حجر الصلاة عليه . انظر الضوء اللامع ج ١ ص ٤٣ ـ ٤٧ . والبقاعى : عنوان الزمان ، ترجمة رقم ١٠٦ .

(٥) فى هامش هـ ـ بخط البقاعى : « كان ذلك فى حدود سنة ثلاثين وثمانمائة » ، وهذا ما يذكره ايضا الضوء اللامع ج ٧ ص ٣٢ ، س ١ وكان سبب ضياع بصره انه فقد زوجته ثم ابنيه منها فذهب إلى المقبرة ثم رجع ، فاطعمه بعض اصحابه عسل نحل فغارت عينه اليمنى ثم بعد برهة تبعتها اليسرى .

الذرب حتى ملّه أهله ونقلوه إلى المرستان وقلما دخل المرستان ذو ذربٍ إلّا ويخرج ميتا فقُدّرَت حياة هذا ، وعاد إلى منزله فعاش بعدها أكثر من عشرين سْنة ، وتنوعت عليه في آخر عمره الأمراض حتى ثقل سمعه جداً وأقعِد ، ولسانه لا يفترُ عن التلاوة إلى أن مات فجأةً في العشر الأخير من رمضان [١] ، وقد أكمل ستاً وثمانين سنة .

٧ ـ محمد [٢] بن اسماعيل بن محمد أحمد الونائى [٣] ثم القرافى ، الشيخ القاضى شمس الدين الونائى ، كان أبوه شاهدًا فشغله بالعلم وأخذ عن الشيخ شمس الدين البرماوى وطبقته ، واشتهر بالفضيلة ، ثم تزوج إلى الشيخ بدر الدين التلوانى ، وصحب جماعةً من الأعيان ، ونزل فى بعض المدارس طالباً ، ثمُّ مدرّساً ، ثم فَوَّض له شهاب الدين بن المحمرة تدريس الشيخونية لما انتقل إلى تدريس الصّلاحية [٤] ببيت المقدس ، فمات ابن المحمرة فاستقل [الونائى] بها ، ثم ولى قضاء الشام مرتين ، ثم رجع فسعى فى تدريس الصلاحية بجوار الشافعى ، فتركها [٥] له اختيارًا [٦] فباشرها سنةً ونيفاثم ضعف فامتدّ ضعفه نحو الشهرين إلى أن مات فى يوم الثلاثاء سابع [٧] عشر صفر ، ومولده فى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

٨ ـ محمد بن عبدالرحمن بن على التَّفَهْنِى الحنفى ، القاضى شمس الدين بن قاضى القضاة زين الدين ، مات فى الثامن من شهر رمضان ، وكان مولده قبيل القرن ، واشتغل كثيراً ومهر ، وكان صحيح الذّهن ، حسن الخطّ ، كثير الأدب والتواضع عارفاً بأمور دنياه ، مالكاً لزمام أمره ،

---

(١) فى الضوء اللامع ٧ / ٥٩ انه مات فى منتصف رمضان سنة ٨٤٩ .

(٢) راجع ابن طولون : قضاة دمشق ص ١٧٠ : ١٧٢ .

(٣) نسبة إلى قرية من صعيد مصر ، انظر عنها القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .

(٤) ابن طولون : قضاة دمشق ص ١٦١ .

(٥) انظر إنكار البقاعى لحدوث هذا التنازل من جانب ابن حجر الذى كان إذ ذاك قاضى القضاة الشافعية فى الحاشية التالية .

(٦) امام هذا فى هامش هـ بخط البقاعى : « ما سمعنا قط بهذا الاختيار وإنما سمعنا انه كلم السلطان فاجابه إلى ولايتها ، وذلك انه لما قدم من قضاء دمشق فى اول سنة سبع واربعين كما مضى استعفى من قضاء دمشق فاعفى ، ثم سعى فى هذا التدريس لانه كان يحميه الشيخ نور الدين التلوانى فاشتد سعيه وادعى ان صهره كان نزل عنه لاولاد ابنته إبراهيم وحامد ، فلم يصل إلى شىء لمدافعة الناصر محمد بن السلطان عن شيخنا ، فلما مات ابن السلطان سعى الونائى فاجيب ، فوليها يوم الخميس رابع محرم سنة ثمان واربعين بعد موت ابن السلطان بدون نصف شهر » ، مما يؤيد قول البقاعى إن توليه تدريس الشافعى لم يكن اختيارا ، لكن راجع الملاحظة التى وردت فى ابن طولون : قضاة دمشق ص ١٧٣ حيث قال : « ولما اقام بمصر اخذ له من قاضى القضاة شهاب الدين ابن حجر تدريس الشافعى » ، اما الشيخ نور الدين على بن عمر بن حسن التلوانى فقد مرت ترجمته فى وفيات سنة ٨٤٤ ، راجع ص ١٧٢ رقم ١٢ ، وإن وردت دون ذكر كلمة « عمر » فى نسبه .

(٧) فى هامش هـ بخط البقاعى : « فى تعاليقى انه مات فى نصف شهر رمضان والذى عندى يقتضى ان يكون عمره خمسا وتسعين » .

ولى فى حياة والده قضاء العسكر ، وإفتاء دار العدْل ، وتدريس الحديث بالشيخونية ، وولى بعد وفاة (١) والده تدريس الفقه بها ، ومشيخة البهائية الرَّسْلاَنية بمنشأة المهرانى ، وتدريسَ القانبائية بالرملية ، وحصل على منحة من جهة الدويدار تَغْرى بَرْدى المؤذى ، مع تقدّم اعترافه بإحسان والده له ، ومَرِضَ مرضاً طويلاً إلى أن قُدّرت وفاته فى التاريخ المذكور .

٩ ـ محمد بن عمر الغمرى (٢) مات فى يوم الثلاثاء آخر يوم من شعبان بالمحلة الكبرى بالغربية ، وكان مذكورا بالخير (٣) والصلاح ، وللناس فيه اعتقاد ، وعَمَّر فى وسط سوق أمير الجيوش جامعاً فعاب (٤) عليه أهل العلم ذلك ، وأنا كنْتُ مِمَّنْ راسله بتْرك إقْامة الجمعة فيه فلم يقْبل واعتذر بأن الفقراء طلبوا منه ذلك ، وعجّل بالصلاة فيه بمجرّد فراغ الجهة القبلية ، واتّفق أن شخصاً من أهل السوق المذكور يقال له بلبل تَبرَّع من ماله لعمارة المئذنة ، ومات الشيخ [الغمرى] وغالب عمارة الجامع لم تكمل .

١٠ ـ (٥) محمد بن محمد بن عبدالله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح بن أبى بكر بن سعد ، الشيخ شمس الدين ، ابن قاضى القضاة كمال الدين بن الدّيرى القدسى الحنفى . وُلد (٦) سنة ٧٧٥ وحفظ القرآن وتفقّه بأبيه والكمال الشرائحى ، وأخذ النحو عن المحبّ بن الفاسى والشيخ عبدالله الزغبى ، والأصول عن والده كما أخبر أخوه ـ على المحدّث ابن أبى الخير بن العلائى ، وقدم القاهرة مرارا . وحجّ سنة ٨٤٨ وعاد إلى القدس مريضا فتوفى (٧) فى ليلة السبت الثالث عشر من جمادى الآخر ، وله نظم منه :

---

(١) وكانت وفاته سنة ٨٣٥ .

(٢) سمي بذلك نسبة لمولده سنة ٧٨٦ ببلدة منية غمر التى هى من القرى المصرية القديمة . انظر عنها القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٣) جاء فى هامش هـ بخط البقاعى : « كان ينكر المناكير ، وأصحابه كذلك إلى الآن ، لكن نقل عنه انه اثنى فى بعض تاليفه على الحلاج ، فإن كان ذلك صحيحا فيابئس ما صنع ، فإن كفر الحلاج اثبت من ضوء النهار ، لأنه أجمع عليه ، وقتل بسيف الشرع بإجماع فتاوى أهل عصره حتى الجنيد وأبى العباس رأس الشافعية » .

(٤) فى راى السخاوى فى الضوء اللامع ج ٨ ، ص ٢٣٩ ، س ٢ إن الناحية التى اقيم فيها هذا الجامع كانت مفتقرة إليه .

(٥) خلت نسخة هـ من هذه الترجمة .

(٦) الوارد فى الضوء اللامع ٩ / ٣٠٦ انه ولد فى سنة ٧٧٠ .

(٧) فى الضوء ، نفس الجزء والصفحة انه مات فى اواخر جمادى الآخرة .

أصْبَحْتُ فى حسنكمو مُغرَماً … وعنكمو - واللَّه - لا أسلو
إن شئتموا قتْلى فياحَبَّذَا … فالقتل فى حبّكمو سَهْلُ
من مات فيكمْ نالَ كلُّ المنى … وزاده يا سادتى فضْلُ
فواصلوا إن شِئْتُمُوا أو دَعوا … فكلّ ما لاقيْتُه يَحْلُو
من رام سُلْوانى فذاك الّذى … ليس له بين الورى عَقْلُ

١١ - محمد بن محمد بن أحمد ، شمس الدين بن أمين الدين بن شهاب الدين المنهاجى ، وأبوه سبط الشيخ شمس الدين بن اللّبان ، وُلد سنة سبعين ، وحفظ القرآن والتنبيه ، ومات أبوه وكان متموّلاً ، وله أيضا نسبة بالتّاجر الكبير برهان الدين المحلّى ، فسعى هذا فى حسبة مصر فوليها مرتين أو ثلاثا ، ثم توصل إلى أن استنابه القاضى جلال الدين فى الحكم بمصر ، فصار يحكم بين الخصمين مع الجهل المفرط ، ويجلس فى دكاكين الشهود ، وتعانى التجارة والمعاملة ، وكان يرتفع وينخفض إلى أن مات غير مقتر ، ولا مأسوف عليه .

●●●

سنة خمسين وثمانمائة

وفى يوم الخميس الثالث منه استقر خليلُ بنُ شاهين - الذى كان نائب ملطية - فى نيابة القدس ، عوضاً عن طُوغَان ، واستقرّ برهان الدين بن الديرى فى نظر الجوالى عوضاً عن ابن فتح الدين المحرقى ، ولبس كل منهما خلعة .

•••

وفى الخامس منه قُتِل الفيل بأنْ رُمِى بالسهام حتى أصيب فى عينَيْه ثم تمكنّوا منه حتى قتلوه ، وكان أمْرُ السلطان بقتل الفيل بسبب أنه كان هجم على سائسه فبرك عليه حتى مات تحته .

•••

وفى الثانى عشر منه حضر نقيب الجيش إلى الشيخ ولى الدين السفطى وكيل بيت المال ، وبيده قصة رُفِعَتْ للسلطان باسم أبى الخير النحّاس أن له دعوى شرعية عليه ، وأنّ السلطان أمره أن يتوجّه مع غريمه إلى قاضى الشرع ، فأجاب وقال : « مَن تختار مِنَ القضاة ؟ » . . قال : « الشافعى » ، فدخل معه إلى الشافعى فادّعى عليه بأنه وضع يده على ثريا له مكفّتة ، فاعترف بأنه استلمها منه ليشتريها للمدرسة الجمالية ، وأنها معلّقة فى الجمالية ، وأذن له فى أخْذها وتوجّه إلى منزله ، فشاع بين الناس أن السّلطان منعه من الوصول إليه وكثرت الأقاويل ، وفى آخر النهار حضر إليه مَن أخبره عن السلطان أنّه لم يمنعه وأنّه يصل إليه متى شاء ، فلما أصبح ركب ، فلماّ تلاقيا أكرمه وأمَر له بكاملية بسمّور ، فلبسها فى صبيحة ذلك اليوم ، وصادف أنه اليوم الرابع عشر من الشهر ، وفرح الناس به بُغْضاً فى غريمه ، وركب معه جميع المباشرين والقضاة وبياض الناس ، وكان يوماً مشهوداً .

•••

وكان وصول الحجاج فى أول العشر الثالث من الشهر ، فدخل الركب الأول فى آخر يوم الاثنين حادى عشرين الشهر ، وتكاملوا إلى أن أصبحوا يوم الثلاثاء بالقاهرة ، ووصل بعدهم المحمل على العادة فى يوم الثلاثاء ، ودخلوا القاهرة يوم الأربعاء ، وكان أوّل من وصل منهم بعض

الأجناد دخل فى يوم الجمعة ثانى عشر الشهر المذكور ، وأخبر أنه فارقهم من ليلة الثلاثاء ثانى عشر الشهر بعقبة [١] أَيْلَة .

وكان وصول الركب الأول إلى البركة يوم الثلاثاء ثانى عشرين المحّرم وقت الظّهر ، ثم لم يَمْض اللّيل حتى دخل ركبُ المحمل ، ودخلوا جميعاً يوم الأربعاء وسلّموا جميعا على السلطان ومعهم قاضى [٢] القضاة الحنبلى ، وتكاملوا آخر النهار .

•••

وفى أول الاثنين الثامن والعشرين من المحّرم مات القاضى شمس الدين محمد بن على بن [٣] محمد بن يعقوب القاياتى قاضى القضاة الشافعية وقد أكمل فى الولاية سَنة ونصف شَهْر ، لأنّه قُرّر فى يوم الأربعاء ثانى عشر المحرم [٤] ، وفُوِّضَ إليه ذلك جهراً يوم الخميس ، ونزل إلى الصالحية بغير خلعة بعد أن أحْضِرت ، فامتنَع مِن لِبْسها تورّعاً ، ثمّ باشر بنزاهةٍ وعفّة ، ولم يأذن لأحدً مِن النوّاب إلّا لعدد قليل ، وتَثَبَّت فى الأحكام جدا ، وفى جميع أموره ، فلما كان يوم الجمعة الثامن عشر من المحّرم خطب بالقلعة ورجع إلى منزله ، وبات عازماً على التوجّه إلى ملاقـاة الحاج ، فتهيئوا يوم السبت ، فوعك فى بقية النهار وأصبح ولداه فتوجّها وتأخّر هو ليقع له النّشاط .

ودخل الحاج يوم الأربعاء ثالث عشرين الشهر وعاد ولداه فـوجدا ألمـاً به ، واشتـد ألمه بالحمى ، وصار يشكو بحمى الكبد ، وواظبه الأطبّاء ، وقَلّ أن يتناول ما يوصف له ، فلما كان يوم الجمعة اشتد به الخطب [٥] إلى أن مات فى أول ليلة الاثنين [٦] ، ودفن فى صبيحتها بـتربة الصّلاحية ظاهر باب النصر ، بعد أن حُمل تابوته من جوار جامع الأزهر إلى مصلّى المؤمنى تحت القلعة بالرميلة من أجْل أن السلطان أمر بأن يُحْضَر إلى هناك ليصلى هو عليه ، فحضر الجمع ،

---

(١) عبارة « عقبة أيلة » غير واردة فى هـ .

(٢) فى هامش هـ بخط البقاعى : « هو بدر الدين بن البغدادى » .

(٣) لم ترد فى هـ عبارة « بن محمد بن يعقوب » .

(٤) فى هامش هـ بخط البقاعى : « تقدم انه يوم الخميس رابع عشر محرم سنة تسع واربعين » ، راجع ص٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٥) فى هامش هـ بخط البقاعى : « ومع ذلك حمله إبناه على أن يصلى الجمعة ، وكان بيته قريبا من الجامع الازهر لئلا تشمت بهم الاعداء ، فزاد الما بالحركة » .

(٦) فى هامش هـ بخط البقاعى : « هو ثامن عشرى محرم المذكور » .

وكان وافراً جداً ، فتقدم فى الصلاة عليه الخليفة بإذن السلطان ، ورجعوا من جهة الصحراء إلى التربة الصلاحية المعدة لأهل سعيد السعداء فدفن بها ، وشغر منصب القضاء إلى أن كان يوم الاثنين خامس [١] عشرين الشهر استقر [٢] كاتبه على قاعدته .

ثم بعد ذلك بيسير قدم [٣] . . . . بن تاج الدين البغدادى الحنفى من دمشق ، وبيده يومئذ الحسبة ، ووكالة بيت المال ، وعدة وظائف ، فلم يلبث أن مات فأسف السلطان عليه ، وأمرهم بالصلاة عليه بالمصلى المذكور ، ونزل فصلى عليه ودفن بالقرافة .

وفى المحّرم مات الشيخ برهان الدين إبراهيم بن رضوان الحلبى الشافعى وكان ممّنْ اشتغل بالفقه ومهر وتميّز ونزل فى المدارس بحلب وولى بعض التداريس ، وناب فى الحكم ثم صحب ولد

---

(١) صحح البقاعى هذا التاريخ فى هامش هـ فقال : « إنما هو خامس شهر صفر » .

(٢) امام هذا فى هامش هـ بخط البقاعى : « كان من خبر استقرار المصنف هذه المرة فى القضاء ان السلطان كان يظهر الإعراض عنه والتشنيع عليه ، فاشار عليه [اى على ابن حجر] كاتب هذه الاحرف إبراهيم البقاعى ان يعلم السلطان أنه لاغرض له فى ذلك (ثم بضع كلمات غير مقروءة) له شيئا كان وإلّا كان قد اعز نفسه بإظهار الإعراض وإنكار عدوه . فعزم على هذا غير مرة وابنه البدر محمد يعوقه عن ذلك لما له من الغرض فى ولاية ابيه ، إلى ان كانت ليلة السبت ثانى صفر فالح عليه كاتبه [اى البقاعى] فى ذلك فقال : « اكتب ورقة وارسلها معك إلى السلطان » ، فلم يجد كاتبه بدا من ذلك لأنه المشير به ، فطلع فى يوم السبت المذكور بالورقة ، فاذا ابو الخير النحاس قد فصل كلا من العلم البلقينى وذهب إليه فبشره بذلك عن السلطان ، وخلع عليه العلم كاملية بسمور وسعى ابو الخير فى منع كاتبه من الاجتماع بالسلطان خوفا من ان يكون طلع للسعى لابن حجر ، فقدر الله الاجتماع بالسلطان حين خرج لصلاة الظهر ، فاخبره المولى ابن قاسم ان له حاجة عند السلطان ، فقال : ما هى ، وكان ذلك عند بركة الدهيشة وهو مار ، فقلت : هذا المكان لا يسع الكل ، فقال : بل قل حاجاتك « فاخذت الخص له شيئا ، فما هو إلّا ان ذكر ابن حجر فاستشاط غضبا وشرع يقول : الحق ما لنا ما نحكم بالحق .. هذا الكلام الذى فيه أشد الغضب منه » ، ثم دخل إلى القاعة مغضبا فاجتمع من هناك إلى وسالونى : ماله يغضب كانك سالته لابن حجر فقلت : لا ، بل قلت إنه لا غرض له فى ولاية القضاء ، فغضب ، وقال : ماله لا يتولى عنى ؟ هل رانى احكم بغير الحق ، فظنوك ذلك » .

« ثم لم ازل حتى دخلت إليه إلى القاعة ، وكنت علمت انه ظن انى اسعى لابن حجر ، فلما دخلت إليه قلت له : « انه (اى ابن حجر) ، لا غرض له إلا ما يرضيك ، إن رضيت بطل ، فهو احب إليه لانه يتفرغ للاشتغال بالعلم والدعاء لك ، وإن رضيت ولايته تولى لاجل خاطرك فقط ، وهذا خطه يخبر فيه بذلك خوفا ممن له غرض من جماعته فى ولايته لاغراضهم فكل ما ياتونك به على غير هذا الوجه فهو كذب » . فلما فهم وقل الكلام استكان له . ولما سمع جماعة شيخنا شق عليهم وقال لى بعضهم : الذى فعلت هو عز الدهر ، فقلت : « اخشى ان يكون ذل الدهر » -وقلت « سنرى » .

« وفى صبح الاحد ثالثه استدعى محمد بن الاستاذ ، وقال له : « اذهب إلى ابن حجر وقل له : اطلع غدا تلبس خلعة بولاية القضاء » ، فقلت لشيخنا : « ما السبب فى تحويل الامر » فقال « كلامك » ، فقلت : « ليس غير » ، فقال : « ليس غير » ، فقلت « الحمد لله الذى خلصنى من كلام المتهافتين » .

ثم طلع يوم الجمعة الاثنين رابع صفر او خامسه فلبس الخلعة كما قال السلطان ، وكان يوما مشهودا وحصل عند البعض من القهر امر عظيم ، وكان أحد الأسباب التى اضطغنوا بها على كاتبه » .

(٣) فراغ فى الاصول بقدر ثلاث كلمات .

السلطان الظاهر جقمق فاختص به لما أقام مع والده بحلب فى أواخر دولة الاشراف ، ثم قدم عليه القاهرة ولازم ولده حتى استقرّ به إماما ، وكان بِمَّن مَرَّضه فى ضعفه الذى مات به وقُرِرَتْ له بجاهه وظائف ، وندبه السلطان فى الرسلية إلى حلب فى بعض المهمّات ، فلما مات ولدُ السلطان رقَّتْ حاله واستُعِيد منه التدريس الذى كان استقرّ فيه بحلب ، فاستعاده الذى نزعه منه ، ثم توجّه إلى الحجّ فى العام الماضى فسقط عن الجمل فأنكسر منه شىء ثم تداوى ، فلما عاد سقط مرّة ثانية ، فدخل القاهرة مع الركب وهو سالم إلى أن مات ، وكان ينسب إلى شىء يستقبح ذكره ، والله أعلم بسريرته [١] .

•••

(١) جاء بعد هذا فى نسخة هـ بخط الناسخ : « آخر ما وجدته بخط مصنفه فى المسودة ، وصلى الله على سيدنا محمد و آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . امين . وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

حوادث الجزء الرابع
من إنباء الغمر بأبناء العمر
لابن حجر العسقلانى

حوادث سنة ٨٤٠

•••

حوادث سنة ٨٤١

•••

حوادث سنة ٨٤٢

•••

حوادث سنة ٨٤٣

•••

حوادث سنة ٨٤٤

•••

حوادث سنة ٨٤٥

•••

حوادث سنة ٨٤٦

•••

حوادث سنة ٨٤٧

•••

حوادث سنة ٨٤٨

•••

حوادث سنة ٨٤٩

•••

حوادث سنة ٨٥٠

•••

وفيات الجزء الرابع

وفيات سنة ٨٣٩

•••

وفيات سنة ٨٤٠

•••

وفيات سنة ٨٤١

•••

وفيات سنة ٨٤٢

•••

وفيات سنة ٨٤٣

•••

وفيات سنة ٨٤٤

•••

وفيات سنة ٨٤٥

•••

وفيات سنة ٨٤٦

●●●

وفيات سنة ٨٤٧

●●●

وفيات سنة ٨٤٨

●●●

وفيات سنة ٨٤٩

•••

هذا ختام من ذكرهم ابن حجر من وفياتٍ أكمل بها كتابه إنباء بأنباء العمر ، وان كان هو قد مات سنة ٨٥٢ هـ رحمه الله ونفعنا بعلمه .

الثانى من ذى الحجة ١٤١٨ هـ
الثلاثون من مارس ١٩٩٨ م

الفقير لرحمة ربه
المحقق / أ.د. حسن حبشي

كشاف الأعلام

- ب -

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

- ح -

- خ -

ـ د ـ

- ر -

- ز -

- س -

– ش –

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

- غ -

ـ ل ـ

ـ م ـ

- ن -

ـ هـ ـ

الأماكن الجغرافية

ـ أ ـ

●●●

مواضع هامة

- ت -

- ج -

- ز -

- س -

- ك -

- م -

- و -

المدارس

النظار

النواب

النقباء

الأمراض والأوبئة والعلل

ظواهر طبيعية

عقوبات بدنية ونفسية

الات ووسائل التعذيب

ماكولات ومشمومات

القاضى والقضاء

شيخ المدارس والخانقاه

الأوقاف والوقف

السكة

العرب

الحيوان والطير والزواحف

السفن وآلات القتال

مصطلحات وألقاب

الخط

العلوم

الموازين والمقاييس

وظائف مملوكية حربية وإدارية ودينية

سلوكيات المجتمع

نسيج المجتمع المملوكى
(الطوائف والفرق والاجناس)

مصادر الدخل والنفقة

المشيخات

طبقات المجتمع

حرفيون وصناع وتجار

الملابس والأقمشة

المصادر والمراجع

الأزدى (محمد بن سعيد) : المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث (الهند ١٣٢٧) .

كتاب مشتبه النسبة (الهند) ١٣٢٧ .

انستاس مارى الكرملى : النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

البسطامى : مباهج الأعلام فى مناهج الأقلام (مخطوط بالمتحف البريطانى بلندن) رقم : (Or. 7528) .

تواريخ مدينة فاس (طبعة بالرمو ١٨٧٨م) .

جواهر السلوك فى سياسة الخلفاء والملوك (مخطوط بالمتحف البريطانى)

ابن حبيب : درة الأسلاك فى دولة الأتراك (تصوير شمسى بدار الكتب المصرية) .

ابن حجر (احمد بن على .. العسقلانى) : ديوان شيخ الاسلام ابن حجر (مخطوط بالمكتبة الاهلية بباريس ، رقم : (Fond. Ar.3219) .

الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (٤ أجزاء) نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية فى حيدر آباد . الدكن بالهند سنة ١٣٤٨ ـ ١٣٥٠هـ .

رفع الإصر عن قضاة مصر (مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، رقم : (ar.2149) .

وقد طبع جزءان منه بتحقيق الدكتور حامد عبدالمجيد .

المعجم المؤسس للمعجم المفهرس (مخطوط بالمتحف البريطانى رقم : (Or.9677) .

ابن خطيب الناصرية : الدر المنتخب من تاريخ مملكة حلب (مخطوط بالمتحف البريطانى بلندن ، رقم : (Or.25) .

الخوارزمى (أبو عبدالله محمد) :

مفاتيح العلوم (القاهرة ، ١٣٤٢هـ) .

رمزى (محمد) : القاموس الجغرافى (فى جزأين ، طبع دار الكتب المصرية) .

زامباور : معجم الاسرات العربية ، ترجمة الدكتور زكى محمد حسن وآخرين ، طبعته الجامعة المصرية بالقاهرة .

سامى (أمين باشا) : تقويم النيل .

السخاوى (محمد بن عبدالرحمن) : الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر (نسخة المكتبة الاهلية بباريس ؛ وتوجد منه صورة على فيلم بمكتبة محقق انباء الغمر) ويقوم الدكتور حامد عبدالمجيد بتحقيقة ونشره .

الضوء اللامع بأعيان القرن التاسع (١٢ جزءا) القاهرة ١٣٥٤ .

السيوطى (جلال الدين) : (١) ذيل طبقات الحفاظ (دمشق ١٣٤٧) .

(٢) لب الألباب ، طبعة لوجوندى ١٨٤٠ .

(٣) نظم العقيان فى أعيان الأعيان ، نشره فيليب حتى ؛ طبعة نيويورك ١٩٢٧ .

السويدى (محمد أمين) : سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب ، طبعة بومباى ١٢٩٤ .

ابن شاهين (يوسف) : النجوم الزاهرة بتلخيص اخبار قضاة مصر والقاهرة (مخطوط بالمتحف البريطانى رقم 23/976 ، **وتوجد منه صورة على فيلم بمكتبة كلية الآداب ـ جامعة عين شمس)** .

ابن طولون (محمد بن على) : قضاة دمشق : الثغر البسام فى ذكر من ولى قضاء الشام (مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق) تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٥٦ .

ابن أبى العافية (أحمد بن محمد) : جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس (طبع فاس ١٣٠٩ هـ) .

ابن عبدالحق (عبدالمؤمن .. البغدادى) : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ٣ أجزاء ، تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة ١٩٥٤ .

العزاوى (عباس) : تاريخ العراق بين احتلالين (ج٢) طبع ببغداد سنة ١٩٣٦ .

العش (يوسف) : فهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، دمشق .

ابن العماد الحنبلى (عبدالحى) : شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ٧ أجزاء القاهرة ١٣٥١ .

العينى (القاضى بدر الدين محمود) . (١) تاريخ البدر فى اوصاف أهل العصر (مخطوط بالمتحف البريطانى بلندن) رقم (Add. 22360) .

(٢) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان (جزء ٢٢) صور شمسية بدار الكتب المصرية رقم ٧١م .

الفاسى (محمد ابن احمد) : (١) العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٧٨ تاريخ خطى) .

(٢) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (طبعة فستنفلد) ١٩٥٧ .

ابن الفرات (محمد بن عبدالرحيم) : تاريخ الدول والملوك (ج ٩) .

نشره الدكتوران قسطنطين زريق ونجلاء عزالدين ، بيروت ١٩٣٦ .

ابن فهد (محمد بن محمد) : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ، دمشق ١٣٤٧ .

ابن قاضى شهبة : (١) الأعلام بتاريخ أهل الاسلام (صور شمسية بدار الكتب المصرية)

(٢) طبقات الشافعية ، مخطوط بالمتحف البريطانى رقم (Or. 25) .

ابن القلانسى :

ذيل تاريخ دمشق (طبعة أمدروز) ببيروت ١٩٠٨ (وانظر Ronger Le Tournaeu)

القلقشندى (أحمد) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ١٤ جزءا . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩١٣ .

لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية (ترجمه وعلق عليه بشير فرنسيس وكوركيس عواد) مطبوعات المجمع العلمى العراقى ، بغداد ١٩٥٤ .

الماردينى (السيد عبدالسلام المفتى) : تاريخ ماردين (مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٨١٣ تاريخ) .

ابو المحاسن (يوسف بن تغرى بردى) : (١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة طبعة (دار الكتب المصرية) (١٢ جزءا) .

(٢) المنهل الصافى (ج ١ طبعة أحمد يوسف نجاتى ١٩٥٦) ، (ونسخة مخطوطة باريس) .

مختار (محمود) : كتاب التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية ، بولاق ١٣١١هـ .

المقريزى (أحمد بن على) :

(١) الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشره الدكتور جمال الدين الشيال .

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك (مخطوط بالمتحف البريطانى بلندن رقم Or. 2902) ونسخة بدار الكتب المصرية ، وطبعة زيادة ١٩٤٣ .

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأمصار القاهرة ١٢٧٠ هـ .

ابن مماتى الأسعد : كتاب قوانين الدواوين . (نشره الدكتور عزيز سوريال عطية ١٩٤٢) .

النعيمى (عبدالقادر بن محمد .. الدمشقى) :

الدارس فى تاريخ المدارس (جزءان . مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٤٨ ، ١٩٥١) نشر وتحقيق الأمير جعفر الحسنى .

ياقوت (أبو عبدالله) : معجم البلدان (طبعة بيروت) .

مراجع غير عربية

Ayalon (D.).

L'Esclavage des Mamelouks (Jerusalem, 1951).

The Plague and its Effects upon the Mamluk Army

Studies on th Structure of the Mamluk Army (BSOAS, 1954).

The Wafidiya in the Mamlouk Kingdom, 1951.

Poliak (A.N).

Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon, 1250-1900; Lond, 1939.

Quatreme´re (E.):

Histoire des Sultans Mamelouks de l'Egypte, 2 Toms, Paris, 1837-45.

Dozy (R.).

Supple´ments aux Dictionnaires Arabes, 2 Vols, Lyde, 1877.

Gaudefroy-Demombynes:

La Syrie .a'Epoque des Mamelouks, Paris, 1923.

Habashi (Hasan) :

Egyptian Expeditions against Castellrosso and Rhodes. (Bull . of Ain shams University, Cairo .

Fischel (W.J.).

Uber die Gruppe der Karimi-Kaüfleute, Roma, 1937.

Gibb (Sir Hamilton).

The Damascus Chronicle of the Crusades, Lond, 1932.

Hyde (W.).
Histoire du Commerce du Levant au Moyen-age, 2 Vols. Leipzig, 1923.
وترجمته العربية لعز الدين فودة .

Lane-Poole (S tanley).
Story of Cairo.

Mayer (L.A.).
Mamluk Costume (Geneve, 1952).

Rosenthal (F.).
The Technique and Approach of Muslim Scholarship, Rome, 1947.

Roger le Tourneau:
Damas de 1075 a´ 1154 (Damas, 1952).

Sauvaget
Les Perles Choisies.

Wensink (A.J.)
The Refusal Dignity (in Volume of Oriental Studies presented to E.G. Browne), Cambridge, 1922.

Wiet (G.):
Les Biographies du Manhal Safi (Memoires pre sentes a L' Instituit d'Egypte), t. 19,Le Caire, 1932.

L'Historien Abul-Mahasin (Bull. de l'Inst. d'Egypte), t. XII, Le Caire, 1930.

Zettersteen (K.V.):
Beitrage zur Geschichte der Mamluken Sultans (690-641), Leiden 1919.

فهرست الجزء الرابع
من
إنباء الغمر بأبناء العمر

الموضوع	صفحة

★ ★ ★

الموضوع **صفحة**

* * *
* *
*